الدرر البهية

العقيدة الصحيحة من الكتاب والسنة
بفهم الصحابة الكرام ومن تبعهم بإحسان

كتبته

أم تميم

المُقَدِّمَةُ

إنَّ الحمدَ للهِ نحمَدُه ونستعينُه ونستغفرُه ، ونعوذُ باللهِ منْ شرورِ أنفسِنا ومنْ سيئاتِ أعمالِنا، منْ يهدِ اللهُ فلا مُضلَّ لهُ، ومنْ يُضلِلْ فلا هاديَ لهُ.

وأشهدُ أنْ لا إلهِ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمَّا بعدُ، فإنَّ أصدقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النارِ.

وبعدُ، فإنَّ من عرَفَ اللهَ أحبَّه، ومن أحبَه أطاعَه وعبدَه، فالمحبُّ الصادقُ لا يحلو له عيشٌ في سَخَطِه سبحانَه، وإنْ سقطَ في معصيةٍ لضعفِه البشريِّ فسرعانَ ما تجدُه يتوبُ ويعودُ إلى ربِّه، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴾

[الأعراف: ٢٠١]، فإذا تقرَّرَ هذا فلا سبيلَ إلى معرفةِ اللهِ –جلَّ في علاه– إلا بتعلُّمِ التوحيدِ، والوسيلةُ إلى ذلك الكتابُ والسُّنَّةُ بفهمِ الصحابةِ الكرامِ ومن تبعَهم بإحسانٍ فقد ذكَّى اللهُ عقيدتَهم في كتابه، وشهدَ لمن اتبعَهم بالهدايةِ، قال تبارك وتعالى: ﴿ فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ﴾ [البقرة: ١٣٧] وكتبَ لهم الرضوانَ والفوزَ بالجنانِ هم ومن اتبعَهم بإحسانٍ، قال تعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وقال رسولُ اللهِ ﷺ: « **تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا، لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ، مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَعَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّمَا الْمُؤْمِنُ كَالْجَمَلِ الْأَنِفِ، حَيْثُمَا قِيدَ انْقَادَ**»(١) فعليكَ بالتمسكِ بالكتابِ والسُّنَّةِ وما كانَ عليه أصحابُ رسولِ اللهِ ومن تبعَهم ، فالحيُّ لا تؤمنُ عليه الفتنةُ، قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: « **مَنْ كَانَ مُسْتَنًّا فَلْيَسْتَنَّ بِمَنْ قَدْ مَاتَ ، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة**»(٢).

وانطلاقًا من هذا كلِّه عَمَدتُ إلى كتبِ السلفِ وقمتُ –بحولِ اللهِ

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه (٤٣)، وأحمد في مسنده (٤/١٢٧).

(٢) أورده البغوي في تفسيره (١/٢٨٤) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

وقُوَّتِه- بجمعِ أقوالِهم في علمِ التوحيدِ في هذا الكتابِ الموسومِ بـ «الدُّرَرُ البَهِيَّةُ» وحرَصتُ في كلِّ مسألةٍ أن أذكرَ الأدلةَ من الكتابِ والسُّنَّةِ ثم نقلِ أقوالِ الأئمةِ.

وأنا أعلمُ أن أكابرَ من أهلِ العلمِ والفضلِ سبقوني إلى هذا الأمرِ، ففي كلِّ زمانٍ ومكانٍ يقيِّضُ اللهُ تعالى علماءَ ربانيين مخلصين لحمايةِ جنابِ التوحيدِ، غيرَ أني أرغبُ في الثوابِ ونيلِ شرفِ تعريفِ الخلقِ بربِّهم- جلَّ في علاه- فمعذرةً إلى اللهِ إنْ قصَّرتُ.

وأخيرًا أتقدمُ بالشكرِ – بعدَ شكرِ اللهِ تعالى – إلى كلِّ منْ ساهمَ في إخراجِ هذا الكتابِ على هذا الوجهِ.

وختامًا: أسألَ اللهَ تعالى بأسمائهِ الحُسنى وصفاتِه العلى أن يتقبلَ منِّي هذا العملَ، وأن يجعلَه ذخرًا لي يومَ العرضِ عليه، وأن ينفعَ به المسلمينَ في مشارقِ الأرضِ ومغاربِها، إنه كريمٌ قريبٌ مجيبُ الدعاءِ.

وصلِّ اللهمَّ على نبيِّنا محمدٍ وعلى آلِه وصحبِه وسلِّمْ

كتبتُه

أمُّ تميمٍ

عزَّةُ بنتُ محمدِ رشادِ بنِ حسنِ شاهينَ

جُمادَى الأُولَى ١٤٣٥ هـ

البابُ الأولُ التوحيدُ

ويحوي تمهيدًا وخمسةَ مباحثَ:

المبحث الأول: الإيمانُ بوجودِ اللهِ تعالى.

المبحث الثاني: توحيدُ الربوبيةِ.

المبحث الثالث: توحيدُ الألوهيةِ.

المبحث الرابع: تعريفُ بعضِ أنواع العبادةِ، وأنَّ من صرفَ منها شيئًا لغيرِ اللهِ فقد أشركَ.

المبحث الخامس: في أمورٍ شركيةٍ كان أهلُ الجاهليةِ يفعلونها ويعتقدونها، حرَّمها الإسلامُ ونهي عنها.

التمهيد

ويحوي بيانَ معنى التوحيدِ لغةً وشرعًا وبيانَ ركني كلمةِ التوحيدِ، وأهميتِه وفضلِه، وما تضمنتْه هذه الكلمةُ.

معنى التوحيدِ لغةً: وَحِدَ: الواو والحاء والدال: أصلٌ واحدٌ يدلُّ على الانفراد، من ذلك الوحدةُ(١).

قال الفيروز آبادي(٢): وحِد، كَعلم وكَرُمَ، يحد فيهما، وحادةً، ووحودةً، ووُحودًا، ووَحْدًا، ووُحَدةً، ووحِدَةً: بَقِيَ مفرَدًا، كتوحَّد ووَحَّدَهُ توحيدًا: جعله واحدًا (٣).

وشرعًا: إفرادُ اللهِ تعالى بالربوبيةِ والألوهيةِ والأسماءِ والصفاتِ، وهذا التقسيمُ قسَّمه أئمةُ السلفِ المتقدمين، وقد دلَّتْ نصوصُ الكتابِ والسُّنَّةِ عليه، وعلمه العلماءُ باستقراءِ النصوصِ.

قال ابنُ بطةَ العكبريﷺ(٤) : أصلُ الإيمانِ باللهِ الذي يجبُ على الخلقِ اعتقادُه في إثباتِ الإيمانِ به ثلاثةُ أشياءَ:

---

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (٦/ ٩٠) مادة (وحد)

(٢) هو محمد بن يعقوب الفيروز آبادي الشيرازي ذاع صيته في الآفاق حتى كان مرجع عصره في اللغة والحديث والتفسير. تولى قضاء زبيد. وظل في منصبه حتى وفاته، له مصنفات كثيرة أشهرها: القاموس المحيط، والسيرة النبوية، توفي سنة ثمانمائة وسبع عشرة. الأعلام للزركلي (٧/١٤٦)، وطبقات النسابين للشيخ بكر أبو زيد (١/ ١٥٠).

(٣) القاموس المحيط (٢٩٣).

(٤) هو الإمام عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري الفقيه لكنه ذو أوهام، لحق البغوي، وابن صاعد. ومع قلة إتقان ابن بطة في الرواية كان إماما في السنة، إماما في الفقه، صاحب أحوال وإجابة دعوة رضي الله عنه. ميزان الاعتدال للإمام الذهبي (٣/ ١٥).

أحدُها: أنْ يعتقدَ العبدُ ربانيتَه، ليكونَ بذلك مباينًا لمذهبِ أهلِ التعطيلِ الذين لا يثبتون صانعًا.

الثاني: أن يعتقدَ وحدانيتَه، وليكونَ مباينًا بذلك مذاهبَ أهلِ الشركِ الذين أقرُّوا بالصانعِ، وأشركوا معه في العبادةِ غيرَه.

والثالث: أن يعتقدَه موصوفًا بالصفاتِ التي لا يجوزُ إلا أن يكونَ موصوفًا بها من العلمِ والقدرةِ والحكمةِ وسائرِ ما وصفَ به نفسَه في كتابِه؛ إذْ قدْ علمنا أنَّ كثيرًا ممَّن يقرُّ به ويوحدُه بالقولِ المطلقِ قد يلحدُ في صفاته، فيكونُ إلحادُه في صفاتِه قادحًا في توحيدِه. ولأنَّا نجدُ اللهَ تعالى قدْ خاطبَ عبادَه بدعائِهم إلى اعتقادِ كلِّ واحدةٍ في هذه الثلاثِ والإيمانِ بها، فأمَّا دعاؤُه إياهم إلى الإقرارِ بربانيتِه ووحدانيتِه، فلسنا نذكرُ هذا ههنا لطولِه وسعةِ الكلامِ فيه، ولأنَّ الجهميَّ(١) يدَّعى لنفسِه الإقرارَ بهما، وإن كان جحدُه الصفاتِ أبطلَ دعواه لهما(٢).

قال القرطبي رحمه الله(٣) في معرضِ شرحِه اسمِ "الله": فاللهُ اسمٌ

---

(١) سيأتي بيان عقيدة الجهمية في الباب الثاني بإذن الله تعالى.

(٢) الإبانة لابن بطة (٤/٣٥٦، ٣٥٧).

(٣) هو الإمام المفسر: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري القرطبي، من أهل قرطبة، ولد في أواخر القرن السادس، أو مستهل القرن السابع، ثم رحل إلى صعيد مصر واستقر فيها إلى أن توفي في شوال سنة ٦٧١ هـ. أشعري في باب الأسماء والصفات؛ فقد ذكر في كتابه "الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى" منهج السلف وأنه لا يقول به ولا يختاره، قال ابن تيمية: أبو عبد الله القرطبي وهو من أكابر علماء الأشعرية .

الفتاوى الكبرى لابن تيمية (١٠/٤٣٧)، الأعلام للزركلي (٥/٣٢٢)، مناهج =

للموجودِ الحقِّ الجامعِ لصفاتِ الإلهيةِ، المنعوتِ بنعوتِ الربوبيةِ، المنفردِ بالوجودِ الحقيقيِّ، لا إلَهَ إلا هو سبحانَه... إلى أن قال: إنَّما سُمِّيَ (اللهُ) إلهًا لأنَّ الخلقَ يتألهون إليه في حوائجِهم ويتضرعون إليه عندَ شدائدِهم ... فاللهُ سبحانَه معناه: المقصودُ بالعبادةِ، ومنه قولُ الموحدين: لا إله إلا الله، معناه لا معبودَ غيرُ اللهِ [(١)].

ركنا كلمةِ التوحيدِ: الإثباتُ والنفيُ

قال اللهُ تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾[الإسراء: ٢٣].

«والتوحيدُ لا يتمُّ إلا بركنين، وهما: ١- الإثباتُ ٢- النفيُ؛ إذ النفيُ المحضُ تعطيلٌ محضٌ، والإثباتُ المحضُ لا يمنعُ المشاركةَ»[(٢)].

قال ابنُ القيم رحمه الله[(٣)]: والنفيُ المحضُ ليس توحيدًا، وكذلك الإثباتُ، وهذا هو حقيقةُ التوحيدِ[(٤)] انتهى.

= المفسرين للشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (ص١٥).

(١) الجامع لأحكام القرآن (١/١١٨-١٢٠) باختصار.

(٢) كتاب التوحيد للإمام محمد بن عبد الوهاب (١/١٤) بشرح ابن العثيمين.

(٣) هو: الشيخ الإمام العلامة شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي ثم الدمشقي الفقيه الحنبلي بل المجتهد المطلق المفسر النحوي الأصولي، الشهير بابن قيم الجوزية، وإمامها. ولد سنة إحدى وتسعين وستمائة. سمع الحديث واشتغل بالعلم، وبرع في علوم متعددة لا سيما علم التفسير والحديث. كان جريء الجنان، واسع العلم، عارفا بالخلاف ومذاهب السلف، توفي سنة إحدى وخمسين وسبعمائة.
البدر الطالع بمحاسن ما بعد القرن السابع للإمام الشوكاني (٢/١٤٣)، الأعلام للزركلي (٦/٥٦).

(٤) انظر فتح المجيد (ص: ٣٠) لعبد الرحمن بن حسن آل الشيخ.

أهميةُ التوحيدِ:

اعلمْ أنَّ أصلَ أصولِ الاعتقادِ هو توحيدُ اللهِ الواحدِ الأحدِ الصمدِ، فالتوحيدُ هو الغايةُ التي من أجلِها أرسلَ اللهُ الرسلَ وأنزلَ الكتبَ وشرعَ الشرائعَ لقيامِه، وقد بيَّنَ القرآنُ أنَّ جميعَ الرسلِ - من أولِ نوحٍ إلى النبيِّ ﷺ كلُّهم كانوا يدعون إلى التوحيدِ.

قال عزَّ ذكرُه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾[الأنبياء: ٢٥].

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[النحل: ٣٦].

وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾[الأعراف: ٥٩].

وقال هودٌ وصالحٌ وشعيبٌ- عليهم السلام ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٦٥، ٧٣، ٨٥].

وقد قَالَ رسولُ الله: «**أُمِرتُ أَن أُقاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدْوا أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله**»(١).

«ولهذا كان الصحيحُ أن أولَ واجبٍ يجبُ على المكلفِ، شهادةُ أن لا إلهَ إلا اللهُ ... بل إن أئمةَ السلفِ كلِّهم متفقون على أن أولَ ما يؤمرُ به العبدُ الشهادتان، ومتفقون على أن منْ فعلَ ذلك قبلَ البلوغِ لم يؤمرْ بتجديدِ ذلك عقيبَ بلوغِه، بل يؤمرُ بالطهارةِ والصلاةِ إذا بلغَ أو ميَّز عند من يرى ذلك، ولم يوجِبْ أحدٌ منهم على وليِّه أن يخاطبَه حينئذ بتجديدِ

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥) ومسلم (٢٢) وغيرهما.

الشهادتين وإنْ كان الإقرارُ بالشهادتين واجبًا باتفاقِ المسلمين»[١].

والتوحيدُ يتضمنُ ثلاثةَ أقسامٍ، توحيدَ الربوبيةِ وتوحيدَ الألوهيةِ وتوحيدَ الأسماءِ والصفاتِ، وسنفردُ لكلِّ قسمٍ مبحثًا بإذنِ اللهِ.

فضلُ كلمةِ التوحيدِ وما تضمنته من شهادةِ أنّ محمدًا رسولُ الله:

قال اللهُ تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾[الأنعام: ٨٢].

قال رسولُ اللهِ ﷺ: «... **مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ**»[٢].

وعن عثمانَ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ**»[٣].

وعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، قَال: قَال رَسُول الله ﷺ: « **مَنْ شَهِدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ الجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ العَمَلِ**»[٤].

قال الحافظ رحمه الله[٥]: معنى قولِه: «**على ما كانَ من العملِ**» أي من

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية (٢٦) لأبي جعفر الطحاوي بشرح محمد بن أبي العز الحنفي.

(٢) جزء من حديث أخرجه مسلم (٢٩-٤٧) والترمذي (٢٦٣٨) وغيرهما.

(٣) أخرجه مسلم (٢٦-٤٣).

(٤) أخرجه البخاري (٣٤٣٥) ومسلم (٢٨).

(٥) هو: حافظ الوقت العلامة شيخ الإسلام شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد العسقلاني الشافعي انتهى إليه علم الأثر والمعرفة بالعلل =

صلاحٍ أو فسادٍ، لكنَّ أهلَ التوحيدِ لابد لهم من دخولِ الجنةِ، ويُحتملُ أن يكونَ معنى قولِه: «**على ما كانَ من العملِ**» أي: يدخلُ أهلُ الجنةِ الجنةَ على حسبِ أعمالِهم، كلٌّ منهم في الدرجاتِ (١).

قال القاضي عياض(٢) رحمه الله : اختلفَ الناسُ فيمنْ عصى اللهَ تعالى منْ أهلِ الشهادتين، فقالت المرجئةُ: لا تضرُّه المعصيةُ مع الإيمانِ، وقالت الخوارجُ: تضرُّه ويكفرُ بها، وقالت المعتزلةُ: يخلَّدُ في النار إذا كانت معصيتُه كبيرةً ولا يوصفُ بأنه مؤمنٌ ولا كافرٌ ولا يوصفُ بأنه فاسقٌ، وقالت الأشعريةُ: بل هو مؤمنٌ، وإن لم يُغفرْ له وعُذبَ فلا بدَ من إخراجِه من النارِ وإدخالِه الجنةَ(٣)،

=

وأسماء الرجال وأحوال الرواة والجرح والتعديل والناسخ والمنسوخ والمشكلات، وله مع جلالة قدره تأويلات لجملة من صفات الله عز وجل -كما يظهر في فتح الباري وقد نبه عليها العلماء- منها تأويله لصفة العين، وصفة الوجه، كما تردد في الصوت بين التفويض والتأويل، وتبنيه لقول الأشاعرة في القرآن ونفيه الصوت والحرف. ولد سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة، ولي قضاء الديار المصرية مرتين، وتوفي سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة بالقاهرة.

ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد لأبي الطيب المكي (١/ ٣٥٢)، الأعلام للزركلي (١/ ١٧٨).

(١) فتح الباري للحافظ ابن حجر العسقلاني (٦/ ٥٤٨).

(٢) هو الإمام القدوة الثبت شيخ الإسلام، الزاهد الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي اليربوعي، أبو علي: شيخ الحرم المكي، أخذ عنه خلق منهم الإمام الشافعي. ولد في سمرقند، ودخل الكوفة وهو كبير، وأصله منها. ثم سكن مكة وتوفي بها في أول سنة سبع وثمانين ومائة في خلافة هارون وكان ثقة ثبتا فاضلا عابدا ورعا كثير الحديث.

الطبقات الكبرى لابن سعد (٥/ ٥٠٠)، وفيات الأعيان لابن خلكان البرمكي الإربلي (٤/ ٤٧)، الأعلام للزركلي (٥/ ١٥٣).

(٣) سيأتي بيان عقائد هذه الفرق الضالة – الباب الثاني: حقيقة الإيمان.

قال: وهذا الحديثُ حجةٌ على الخوارجِ والمعتزلةِ، وأما المرجئةُ فإن احتجتْ بظاهرِه قلنا: محملُه على أنه غُفرَ له أو أُخرجَ من النارِ بالشفاعةِ ثم أُدخلَ الجنةَ.

قال النوويُّ رحمه الله(١): ومذهبُ أهلِ السنةِ: أن المعرفةَ مرتبطةٌ بالشهادتين، لا تنفعُ إحداهما، ولا تنجِّي من النارِ دونَ الأخرى (٢).

قال ابنُ القيِّم رحمه الله: والمقصودُ أن كلمةَ التوحيدِ إذا شهدَ بها المؤمنُ عارفًا لمعناها وحقيقتِها نفيًا وإثباتًا، متصفًا بموجبِها قائمًا قلبُه ولسانُه وجوارحُه بشهادتِه، فهذه الكلمةُ من هذا الشاهدِ أصلُها ثابتٌ راسخُ في قلبِه، وفروعُها متصلةٌ في السماءِ، وهي مخرجةٌ لثمرتِها كلَّ وقتٍ (٣). انتهى.

واعلمْ أنَّ من أصولِ اعتقادِ أهلِ السنةِ والجماعةِ أنَّ أهلَ التوحيدِ لا يخلدون في النارِ (٤).

---

(١) هو الشيخ الإمام العلامة محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري بن حسن بن حسين محمد بن جمعة بن حرام الحزامي النووي الحافظ الفقيه الشافعي شيخ الإسلام أستاذ المتأخرين وحجة الله على اللاحقين، محرر المذهب ومهذبه وضابطه ومرتبه، ولد سنة إحدى وثلاثين وست مائة، ونشأ ببلده نوى، وقد ولي الشيخ محيي الدين مشيخة دار الحديث الأشرفية بعد الشيخ شهاب الدين أبي شامة سنة خمس وستين، إلى أن توفي. قال الذهبي: إن مذهبه في الصفات السمعية السكوت، وإمرارها كما جاءت، وربما تأول قليلا في شرح مسلم. وقال السخاوي: وصرح اليافعي والتاج السبكي رحمهما الله أنه أشعري. طبقات الشافعيين للإمام ابن كثير (٩٠٩/١)، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي (٣٥٤/٥ - ٣٥٥)، الأعلام (١٤٩/٨).

(٢) انظر شرح مسلم للنووي (٢٥٧/١) كتاب الإيمان.

(٣) انظر فتح المجيد (٥٧).

(٤) سيأتي بيان هذه المسألة تفصيلاً في الباب الثاني: حقيقة الإيمان.

المبحثُ الأولُ: الإيمانُ بوجودِ اللهِ تعالى:

مَنْ تأملَ في مخلوقاتِ اللهِ تعالى علمَ أنَّ لها خالقًا ولا بدَّ، فكلُّ ما في الكونِ يدلُّ على اللهِ الواحدِ الأحدِ، فالعقلُ الصريحُ لا يسعُه إلا الإيمانُ بوجودِ اللهِ، والفطرةُ السليمةُ التي لم تنحرفْ تقرُّ بذلك، والآياتُ الكونيةُ من أعظمِ الدلائلِ على وجودِ اللهِ عزَّ وجلَّ وقد دعا اللهُ سبحانَه في كتابِه العزيزِ عبادَه إلى النظرِ والتأملِ والتفكرِ في مخلوقاتِه حتى يتبينَ لهم عظمةُ الخالقِ فيزدادَ الذين آمنوا إيمانًا، وتقامُ الحجةُ على الجاحدِ المعاندِ فيستحقُّ بذلك الخلودَ في النارِ- إنْ لم يتبْ- والآياتُ الدالةُ على هذا كثيرةٌ جدًّا، نذكرُ منها :

قولَه تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَـٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَـٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَـٰهُ حُطَـٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [الواقعة: ٥٨-٦٩]

وقولَه تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾﴾ [الغاشية: ١٧-٢٤].

وقولَه جلَّ في علاه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ

ﭐلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾﴾ [الحج: ٧٣، ٧٤].

وقولَه سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾﴾[النور: ٤٥].

وقولَه جلَّ ثناؤُه: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ﴾[إبراهيم: ١٠].

قال ابنُ كثيرٍ رحمه الله[(١)]: قالت الرسلُ «أَفِي اللهِ شكٌّ» وهذا يحتملُ شيئين، أحدَهما: أفي وجودِ اللهِ شكٌّ؛ فإنَّ الفِطَرَ شاهدةٌ بوجودِه ومجبولةٌ على الإقرارِ به، فإن الاعترافَ به ضروريٌّ في الفطرِ السليمةِ، ولكنْ قد يعرضُ لبعضِها شكٌّ واضطرابٌ فتحتاجُ إلى النظرِ في الدليلِ الموصلِ إلى وجودِه، ولهذا قالت لهم الرسلُ ترشدُهم إلى طريقِ معرفتِه بأنه (فاطرُ السمواتِ والأرضِ) الذي خلقَها وابتدعَها على غيرِ مثالٍ سبقَ، فإنَّ

---

(١) هو الإمام العلامة، ثقة المحدثين وعمدة المؤرخين وعلم المفسرين، الحافظ الكبير إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير بن درع القرشي الأموي صاحب التفسير والتاريخ. توفي سنة أربع وسبعين وسبعمائة.
شذرات الذهب لابن العماد (٦/٢٣١)، الدرر الكامنة لابن حجر (١/٣٧٣)، الأعلام للزركلي (١/٣٢٠).

شواهدَ الحدوثِ والخلقِ والتسخيرِ ظاهرةٌ عليهما، فلا بد لهما من صانعٍ، وهو اللهُ لا إلهَ إلا هو، خالقُ كلِّ شيءٍ وإلهُه ومليكُه.

والمعنى الثاني: في قولهم «أَفِي اللهِ شكٌّ» أي: في إلهيتِه وتفردِه بوجودِ العبادةِ له شكٌّ، وهو الخالقُ لجميعِ الموجوداتِ ولا يستحقُّ العبادةَ إلا هو وحدَه لا شريكَ له (١) انتهى.

ومِن أعظمِ الدلائلِ الدالةِ على الخالقِ سبحانَه وتعالى خلقُ الإنسانَ، ولذا ندبَ اللهُ سبحانَه وتعالى إلى التفكرِ في هذا المخلوقِ في أكثرَ من موضعٍ في القرآنِ.

قال جلَّ ذكرُه: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ مِمَّ خُلِقَ﴾ [الطارق: ٥].

وقال تعالى: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الذاريات: ٢١].

وقال جلَّ وعلا: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾[القيامة: ٣٦-٤٠].

وقال تباركَ وتعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾[المؤمنون: ١٢-١٤].

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/٥٢٢).

قال ابنُ القيمِ رحمه الله: وهذا كثيرٌ في القرآنِ، يدعو العبدَ إلى النظرِ والفكرِ، في مبدأ خلقِه ووسطِه وآخرِه؛ إذ نفسُه وخلقُه من أعظمِ الدلائلِ على خالقِه وفاطرِه، وأقربُ شيءٍ إلى الإنسانِ نفسُه، وفيه من العجائبِ الدالةِ على عظمةِ اللهِ ما تنقضي الأعمارُ في الوقوفِ على بعضِه وهو غافلٌ عنه، معرضٌ عن التفكرِ فيه، ولو فكرَ في نفسِه لزجرَه ما يعلمُ من عجائبَ خلقِها عن كفرِه، قال تعالى: ﴿قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنۡ أَيِّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطۡفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقۡبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾﴾[عبس: ١٧-٢٢].

فلم يكررْ سبحانَه على أسماعِنا وعقولِنا ذكرَ هذا لنسمعَ لفظَ النطفةِ والعلقةِ والمضغةِ والترابِ، ولا لنتكلمَ بها فقط، ولا لمجردِ تعريفِنا بذلك، بلْ لأمرٍ وراءَ ذلك كلِّه هو المقصودُ بالخطابِ وإليه جرى ذلك الحديثُ(١): فانظرْ الآنَ إلى النطفةِ بعينِ البصيرةِ، وهي قطرةٌ من ماءٍ مهينٍ ضعيفٍ مستقذرٍ، لو مرَّتْ بها ساعةٌ من الزمانِ فسدتْ وأنتنتْ كيفَ استخرجَها ربُّ الأربابِ العليمُ القديرُ من بينِ الصلبِ والترائبِ منقادةً لقدرتِه، مطيعةً لمشيئتِه...

---

(١) يشير إلى حديث ابن مسعود رضي الله عنه وفيه أن رسول الله ﷺ قال: "إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، وَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ عَمَلَهُ، وَرِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ، فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ لَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجَنَّةِ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ كِتَابُهُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ ". أخرجه البخاري (٣٢٠٨)، ومسلم (٢٦٤٣).

وقال رحمه الله: سَل المعطلَ الجاحدَ: ما تقولُ في دولابٍ دائرٍ على نهرٍ قد أُحكمتْ آلاتُه، وأُحكم تركيبُه، وقُدِّرتْ أدواتُه أحسنَ تقديرٍ وأبلغه بحيثُ لا يرى الناظرُ فيه خللاً في مادتِه ولا في صورتِه، وقد جُعلَ على حديقةٍ عظيمةٍ فيها من كلِّ أنواعِ الثمارِ والزروعِ يسقيها حاجتَها وفي تلك الحديقةِ من يَلُمُّ شعثَها ويحسنُ مراعاتَها وتعهدَها والقيامَ بجميعِ مصالحِها، فلا يختلُّ منها شيءٌ ولا تتلفُ ثمارُها، ثم يقسمُ قيمتَها عند الجذاذِ على سائرِ المخارجِ بحسبِ حاجاتِهم وضروراتِهم، فيقسمُ لكلِّ صنفٍ منهم ما يليقُ به، ويقسمُه هكذا على الدوامِ... أترى هذا اتفاقًا بلا صانعٍ، ولا مختارٍ ولا مدبرٍ؟؟

بل اتفقَ وجودُ ذلك الدولابِ والحديقةِ وكلِّ ذلك اتفاقًا من غيرِ فاعلٍ ولا قيمٍ ولا مدبرٍ.. أفترى ما يقولُ لك عقلُك في ذلك لو كان؟ وما الذي يفتِيكَ به؟ وما الذي يرشدُك إليه؟

ولكنَّ من حكمةِ العزيزِ الحكيمِ أنْ خلقَ قلوبًا عميًا لا بصائرَ لها- فلا ترى هذه الآياتِ الباهرةَ إلا رؤيةَ الحيواناتِ البهيميةِ- كما خلق أعيُنًا عميًا لا أبصارَ لها والشمسُ والقمرُ والنجومُ مسخراتٌ بأمرِه وهي لا تراها، فما ذنبُها إن أنكرتْها، وجحدتْها فهي تقولُ في ضوءِ النهارِ: هذا دليلٌ! ولكنَّ أصحابَ الأعينِ لا يعرفون شيئًا...

ثم تأمل الممسكَ للسمواتِ والأرضِ الحافظَ لهما أن تزولَا أو تقعَا أو يتعطلَ بعضُ ما فيهما، أفترى من الممسكُ لذلك؟ ومن القيِّمُ بأمرِه؟ ومن المقيمُ له؟ فلو تعطلتْ بعضُ آلاتِ هذا الدولابِ العظيمِ والحديقةِ العظيمةِ فمنْ يصلحُه؟

وماذا كانَ عندَ الخلقِ كلِّهم من الحيلةِ في ردَّه كما كان؟ فلو أمسكَ

عنهم قيِّمُ السمواتِ والأرضِ الشمسَ فجعلَ عليهمُ الليلَ سرمدًا فمن ذا الذي كانَ يطلعُها عليهم ويأتيهم بالنهارِ؟ ولو حبسَها في الأفقِ ولم يُسيِّرْها، فمن الذي كانَ يسيِّرُها ويأتيهم بالليلِ؟ ولو أنَّ السماءَ والأرضَ زالتَا، فمنْ ذا الذي كانَ يمسكُهما من بعدِه؟؟ [(١)] انتهى

وقال اللهُ تعالى: ﴿أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمۡ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾﴾[الطور: ٣٥، ٣٦].

قال ابنُ القيمِ رحمه الله في معرضِ شرحِه للآيتين:

فتأملْ هذا الترددَ والحصرَ المتضمنَ لإقامةِ الحجةِ بأقربِ طريقٍ وأفصحِ عبارةٍ، يقول تعالى: هؤلاءِ مخلوقون بعدَ أنْ لم يكونوا، فهل خُلقوا من غيرِ خالقٍ خلقَهم؟ فهذا باطلٌ من المحالِ الممتنعِ عندَ كلِّ منْ له فهمٌ وعقلٌ أن يكونَ مصنوعٌ من غيرِ صانعٍ، ومخلوقٌ من غيرِ خالقٍ، ولو مرَّ رجلٌ بأرضٍ قفرٍ لا بناءَ فيها ثم مرَّ فيها فرأى بنيانًا، وقصورًا وعماراتٍ محكمةً لم يتخالجْه شكٌ ولا ريبَ أن صانعًا صنعها، وبانيًا بناها، ثم قال: ﴿أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ﴾[الطور: ٣٥] وهذا أيضًا من المستحيلِ أنْ يكونَ العبدُ مُوجدًا خالقًا لنفسِه فإنَّ من لا يقدرُ أنْ يزيدَ في حياتِه- بعدَ وجودِه وتعاطيه أسبابَ الحياةِ- ساعةً واحدةً ولا أصبعًا ولا ظفرًا ولا شعرةً، كيف يكون خالقًا لنفسِه في حالِ عدمِه، وإذا بطلَ القسمانِ تعيَّنَ أنَّ لهم خالقًا خلقَهم، وفاطرًا فطرَهم فهو الإلهُ الحقُّ الذي يستحقُّ عليهم العبادةَ والشكرَ...

---

(١) انظر مفتاح دار السعادة (٢/٥-٧١) باختصار.

فإنْ قيل فما موقعُ قولِه: ﴿أَمۡ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ [الطور: ٣٦] مِن هذه الحجةِ؟ قيل أحسنُ موقعٍ فإنه بيَّنَ بالقسمين الأولين أنْ لهم خالقًا وفاطرًا وأنهم مخلوقون، وبيَّنَ بالقسم الثالثِ أنهم بعد أن وُجِدوا وخُلِقوا هم عاجزون غيرُ خالقين، فإنهم لم يخلقوا نفوسَهم، ولم يخلقوا السمواتِ والأرضَ، وأن الواحدَ القهارَ هو الذي لا إله غيرُه ولا ربَ سواه هو الذي خلقهم وخلق السمواتِ والأرضَ، فهو المتفردُ بخلقِ المسكنِ والساكنِ، بخلقِ العالمِ العلويِّ والسفليِّ وما فيه [(١)].

قال السعدي رحمه الله[(٢)]: وهذا استدلالٌ عليهم بأمرٍ لا يمكنُهم فيه إلا التسليمُ للحقِ، أو الخروجُ عن موجبِ العقلِ والدينِ، وبيانُ ذلك أنهم منكرون لتوحيدِ اللهِ، مكذبون لرسولِه وذلك مستلزمٌ لإنكارِ أن اللهَ خلقَهم.

وقد تقرَّرَ في العقلِ مع الشرعِ أن المسألةَ لا تخلو من ثلاثةِ أمورٍ: إمَّا أنهم خُلقوا من غيرِ شيءٍ، أي لا خالقَ خلقَهم، بل وُجدوا من غيرِ إيجادٍ

---

(١) بدائع التفسير (٤/٢٦٨، ٢٦٩).

(٢) هو: العلامة عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد، أبو عبد الله السعدي.
ولد في بلدة عنيزة في عام سبع وثلاثمائة من الهجرة النبوية، وكان والده واعظا وإماما، اشتغل بالعلم منذ صغره، ففاق الأقران، وكانت له عناية كبيرة بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، وكتب أخرى في التفسير والحديث والتوحيد، والفقه والأصول. من قرأ كتبه عرف فضله وعلمه وعنايته بالدليل فرحمه الله رحمة واسعة، توفي رحمه الله سنة ست وسبعين وثلاثمائة وألف.
الأعلام (٣/٣٤٠)، مشاهير علماء نجد للشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبدالله بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب (ص:٢٥٦).

ولا موجدٍ، وهذا عينُ المحالِ.

أم همْ الخالقون لأنفسِهم، وهذا أيضًا محالٌ، فإنه لا يُتصورُ أنْ يُوجدوا أنفسَهم. فإذا بطلَ هذان الأمران، وبانَ استحالتُهما تعيَّن القسمُ الثالثُ أنَّ اللهَ الذي خلقَهم، وإذا تعيَّن ذلك عُلِمَ أنَّ اللهَ تعالى هو المعبودُ وحدَه، الذي لا تنبغي العبادةُ ولا تصلحُ إلا له تعالى.

وقوله: ﴿أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الطور: ٣٦] وهذا استفهامٌ يدلُّ على تقريرِ النفيِ، أي: ما خَلقوا السمواتِ والأرضَ، فيكونوا شركاءَ للهِ، وهذا أمرٌ واضحٌ جدًّا [١].

قال ابنُ أبي العز رحمه الله [٢]: وانتظامُ أمرِ العالمِ كلِّه وإحكامُ أمرِهِ من أدلِّ دليلٍ على أنَّ مدبرَه إلهٌ واحدُ، وملكٌ واحدٌ وربٌّ واحدٌ لا إلهَ للخلقِ غيرُه، ولا ربَّ لهم سواه [٣].

---

(١) تفسير الكريم الرحمن (٨١٦).

(٢) هو القاضي علي بن علي بن محمد بن أبي العز، الحنفي الدمشقي، ولد سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة، وتوفي سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة، وكان قاضي القضاة بدمشق، ثم بالديار المصرية، ثم بدمشق. من أُسْرَة متزعمة للمذهب الحنفي في دمشق، فأبوه هو القاضي علاء الدين علي بن أبي العز الحنفي، وجده هو القاضي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن أبي العز، كان من مشايخ الحنفية وأئمتهم، وكذا أبو جده محمد بن أبي العز، كان مدرسا بالمرشدية.
يكثر من النقول عن أئمة السلف كالإمام ابن القيم وشيخه ابن تيمية
الدرر الكامنة (٣/٨٧)، شذرات الذهب (٦/٣٢٦).

(٣) شرح العقيدة الطحاوية (٣٦).

قال ابن تيمية رحمه الله[1] -في معرضِ كلامِه عن جهلِ المبتدعةِ وحيرتِهم، وذكرِه الطريقةَ الصحيحةَ الموافقةَ للفطرةِ في إثباتِ وجودِ اللهِ تعالى:

وهؤلاءِ – كما ذكرتُ- انقسموا إلى أصحابِ نظرٍ وفكرٍ وبحثٍ واستدلالٍ، وأصحابِ إرادةٍ وعبادةٍ وتألهٍ وزهدٍ، فكان منتهى أولئك الشكُّ، ومنتهى هؤلاءِ الشطحُ ، فأولئك يشكُّون في ثبوتِ واجبِ الوجودِ

(١) هو الشيخ، الإمام، العلامة، المفتي، المفسر، أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الخضر ابن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله ابن تيمية الحراني، الحنبلي. ولد: في شعبان، سنة اثنتين وأربعين، بحران. ختم القران صغيرا ثم اشتغل بحفظ الحديث والفقه والعربية حتى برع في ذلك مع ملازمة مجالس الذكر وسماع الأحاديث، ولقد سمع غير كتاب على غير شيخ من ذوي الروايات الصحيحة العالية، أما دواوين الإسلام الكبار كمسند أحمد وصحيح البخاري ومسلم وجامع الترمذي وسنن أبي داود السجستاني والنسائي وابن ماجة والدارقطني فقد سمع كل واحد منها عدة مرات، أما غزارة علومه فمنها ذكر معرفته بعلوم القرآن المجيد واستنباطه لدقائقه ونقله لأقوال العلماء في تفسيره واستشهاده بدلائله وما أودعه الله تعالى فيه من عجائبه وفنون حكمه وغرائب نوادره وباهر فصاحته وظاهر ملاحته، وكذلك في الفقه والأصول ولا تجد علما إلا وابن تيمية قد بلغ فيه مبلغا، ورد على الفلاسفة وأهل المنطق، وكان حربا على البدع. فطلب إلى مصر من أجل فتوى أفتى بها، فقصدها، فتعصب عليه جماعة من أهلها فسجن مدة، ونقل إلى الإسكندرية. ثم أطلق فسافر إلى دمشق سنة ٧١٢ هـ واعتقل بها سنة ٧٢٠ وأطلق، ثم أعيد، ومات معتقلا بقلعة دمشق، فخرجت دمشق كلها في جنازته. توفي سنة اثنتين وعشرين وستمائة.

سير أعلام النبلاء (٢٨٨/٢٢)، وفيات الأعيان (٣٨٦/٤)، الأعلام للزركلي (١٤٤/١)، الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية لأبي حفص عمر بن علي البغدادي الأزجي .

أو يعجزون عن إقامةِ الدلالةِ عليه.

وإذا لم يكنْ في الوجودِ واجبٌ لم يُوجد شيءٌ، فتكونُ الموجوداتُ كلُّها معدوماتٍ، فيفضي بهم سوءُ النظرِ إلى جعلِ الموجوداتِ معدوماتٍ أو تجويزِ كونِها معدوماتٍ وجعلِ الموجودِ الواجبِ ممكنًا، وجعل الواجبِ ممكنًا غايةُ التعطيل.

والآخرون يجعلون كلَّ موجودٍ واجبَ الوجودِ، ويجعلون وجودَ كلِّ موجودٍ هو نفسَ وجودِ واجبِ الوجودِ فلا يكونُ في الوجود – هذا عندهم- مخلوقٌ ولا مصنوعٌ ولا مفتقرٌ إلى غيرِه، ولا محتاجٌ إلى سواه، فلا يكونُ في الوجودِ ما وُجد بعدَ عدمِه، ولا ما عُدم بعد وجودِه، وهذا فيه من جعلِ المعدومِ موجودًا ومن جعلِ الممكنِ واجبًا، وجعلِ العبدِ ربًّا، وجعلِ المحدَثِ قديمًا ، ما هو غاية الكفرِ والشركِ والضلالِ.

أمَّا ثبوتُ الموجودِ المفتقرِ المحدَثِ الفقيرِ فيما نشاهده من كونِ بعضِ الموجوداتِ يوجد بعدَ عدمِه ويعدم بعدَ وجودِه من الحيواناتِ والنباتاتِ والمعدنِ، وما بين السماءِ والأرضِ من السحابِ والمطرِ والرعدِ والبرقِ وغيرِ ذلك، وما نشاهدُه من حركاتِ الكواكبِ وحدوثِ الليلِ بعدَ النهارِ والنهارِ بعد الليلِ، فهذا كلُّه فيه من حدوثِ موجودٍ بعد عدمِه، ومعدومٍ بعد وجودِه، وما هو مشهودٌ لبني آدمَ يرَوْنَه بأبصارِهم.

وأيضًا فالموجودُ: إمَّا أن يكونَ محدَثًا، وإمَّا أن يكونَ قديمًا، والمحدثُ لا بدَ له من قديمٍ فلزمَ وجودُ القديمِ(١) على التقديرين.

(١) القديم: ليس من أسماء الله ولكن الشيخ يذكر ذلك من باب الإخبار عن الله كما =

وأيضًا فالموجودُ إمَّا أن يكونَ محدَثًا وإمَّا أن لا يكونَ، والمحدثُ لا بد له من قديمٍ، فلزم وجودُه على التقديرين.

وأيضًا، فإمَّا أن يكونَ خالقًا، وإمَّا أن لا يكونَ، وقد عُلم فيما ليس بخالقٍ – كالموجوداتِ التي عُلم حدوثُها – أنها مخلوقةٌ، والمخلوقاتُ لا بد لها من خالقٍ، فعُلم ثبوتُ الخالقِ على التقديرين.

وأيضًا فالموجودُ إمَّا غنيٌّ عن كلِّ ما سواه، وإمَّا مفتقرٌ إلى غيرِه، والفقيرُ إلى غيرِه لا بد له من غنيٍّ بنفسِه، فعُلم ثبوتُ الغنيِّ بنفسه على التقديرين.

فهذه البراهينُ وأمثالُها كلٌّ منها يُوجب العلمَ بوجودِ الربِّ سبحانَه وتعالى الغنيِّ القديمِ الواجبِ بنفسِه(١).

= استعمل هو وغيره من الأئمة في الإخبار عن الله بـ "موجود" وسيأتي بيان ذلك تفصيلا إن شاء الله في باب: الصفات.

(١) درء تعارض العقل والنقل (٢/٧٣) لشيخ الإسلام ابن تيمية.

المبحثُ الثاني: توحيدُ الربوبيةِ:

معنى الربوبيةِ في اللغةِ: العبادُ مربوبون للهِ عزَّ وجلَّ، أي: مملوكون، وَرَبيْتُ القوم: سُسْتُهم أي كنتُ فوقَهم، وقال أبو النصر: هو من الربوبيةِ، والعربُ تقولُ: لَأَنْ يربَني فلانٌ أحبُّ إليَّ من أن يربَني فلانٌ، تعني أن يكونَ ربًّا فوقي وسيدًا يملكُني.

قال ابنُ الأنباريِّ(١) رحمه الله: الربُّ ينقسم على ثلاثةِ أقسامٍ: يكونُ الربُّ المالكَ، ويكون الربُّ السيدَ المطاعَ، قال تعالى: ﴿فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا﴾ [يوسف: ٤١]، ويكون الربُّ المصلحَ(٢).

قال ابنُ فارسٍ(٣) رحمه الله: الربُّ: المصلحُ للشيءِ، واللهُ جلَّ ثناؤُه الربُّ، لأنه مصلحُ أحوالِ خلقِه(٤).

---

(١) هو الإمام الحافظ اللغوي ذو الفنون، أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار بن الأنباري، المقرئ النحوي. ولد سنة اثنتين وسبعين ومائتين. كان صدوقا ديِّنًا من أهل السنة. صنف في القراءات، والغريب والمُشْكل، والوقف والابتداء. سمع من خلق كثير وحمل عن والده، وألف الدواوين الكبار مع الصدق والدين، وسعة الحفظ.
سير أعلام النبلاء للذهبي (١١/ ٤٨٩)، تاريخ بغداد للخطيب (٧/ ٥٦٤).

(٢) لسان العرب (٤/ ٢٤) مادة (ربب).

(٣) هو الإمام، العلامة، اللغوي، المحدث أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، من أئمة اللغة والأدب، من أعيان البيان. أصله من قزوين، وأقام مدة في همذان، ثم انتقل إلى الري فتوفي فيها، وإليها نسبته. وكان من رؤوس أهل السنة المجردين على مذهب أهل الحديث. مات بالري سنة خمس وتسعين وثلاث مائة.
معجم الأدباء لـ "ياقوت الحموي" (١/ ٤١٢)، الوافي بالوفيات للصفدي (١٧/ ١٠٣)، الأعلام للزركلي (١/ ١٩٣).

(٤) مقاييس اللغة لابن فارس (٢/ ٣٨٢) مادة (رب).

وفي الشرعِ: هو إفرادُ اللهِ سبحانَه وتعالى في أمورٍ ثلاثةٍ: في الخلقِ والملكِ والتدبيرِ، أو إفرادُ اللهِ بأفعالِه، ومنها الخلقُ والرزقُ والعطاءُ والمنعُ والتدبيرُ والإحياءُ والإماتةُ وغيرُها من أفعالِه سبحانَه وتعالى وعزَّ وجلَّ.

دليلُ انفرادِه بالخلقِ والتدبيرِ: قولُه تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، ووجهُ الدلالةِ من الآيةِ: أنه قدَّم فيها الخبرَ الذي من حقِّه التأخيرُ، والقاعدةُ البلاغيةُ: أن تقديمَ ما حقُّه التأخيرُ يفيدُ الحصرَ(١)؟

ثم تأملْ افتتاحَ هذه الآيةِ بـ "ألا" الدالةِ على التنبيهِ والتوكيدِ ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ لا لغيرِه، فالخلقُ هذا هو، والأمرُ هو التدبيرُ.

أمَّا المُلكُ: فدليلُه مثلُ قولِه تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الجاثية: ٢٧]، فإنَّ هذا يدلُّ على انفرادِه سبحانَه وتعالى بالملكِ، ووجهُ الدلالةِ من هذه الآيةِ كما سبق تقديمُ ما حقُّه التأخيرُ ليفيدَ الحصرَ؛ إذًا: فالربُّ عزَّ وجلَّ منفردٌ بالخلقِ والملكِ والتدبيرِ.

فإن قلتَ: كيف تجمعُ بين ما قررتَ وبين إثباتِ الخلقِ لغيرِ اللهِ، مثل قولِه تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤]، ومثل قولِه ﷺ في المصوِّرين: «**يُقَالُ لَهُمْ أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ**»(٢) ومثل قولِه تعالى في الحديثِ القدسيِّ: «**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي**»(٣)، فكيف تجمعُ

---

(١) كقول الله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ومن المعلوم أن الاستعانة بالله تكون قبل العبادة، فذكره سبحانه وتعالى العبادة قبل الاستعانة أفاد حصر جميع أنواع العبادة لله تعالى وحده لا شريك له؛ والله أعلم.

(٢) جزء من حديث أخرجه البخاري (٢١٠٥) ومسلم (٩٦-٢١٠٧) وغيرهما.

(٣) جزء من حديث أخرجه البخاري (٥٩٥٣) ومسلم (٢١١١).

بين قولِك: إن اللهَ منفردٌ بالخلقِ وبينَ هذه النصوصِ؟

فالجوابُ: إن الخلقَ هو الإيجادُ، وهذا خاصٌ باللهِ تعالى، أمَّا تحويلُ الشيءِ من صورةٍ إلى أخرى فإنَّه ليس بخلقٍ حقيقةً وإن سُمِّيَ خلقًا باعتبارِ التكوينِ، لكنَّه في الواقعِ ليس بخلقٍ تامٍ، فمثلاً: هذا النجارُ صنعَ من الخشبِ بابًا، فيُقال: خلق بابًا، لكنَّ مادةَ هذه الصناعةِ الذي خلقَها هو اللهُ عزَّ وجلَّ، لا يستطيعُ الناسُ كلُّهم مهما بلغوا في القدرةِ أن يخلقُوا عودَ أراكٍ أبدًا، ولا أن يخلقُوا ذرَّةً، ولا أن يخلقُوا ذبابًا.

واستمعْ إلى قولِ اللهِ عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ [الحج: ٧٣].

" **الَّذِينَ** ": اسمٌ موصولٌ يشملُ كلَّ ما يُدعى من دونِ اللهِ من شجرٍ وحجرٍ وبشرٍ وملكٍ وغيرِه، كلُّ الذينَ يدعون من دونِ اللهِ ﴿لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ﴾ ولو انفردَ كلُّ واحدٍ بذلك لكان عجزُه من بابِ أولى، ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ﴾ حتى الذينَ يدعون من دونِ اللهِ لو سلبَهم الذبابُ شيئًا ما استطاعوا أنْ يستنقذُوه من هذا الذبابِ الضعيفِ، ولو وقعَ الذبابُ على أقوى ملكٍ في الأرضِ ومصَّ من طيبِه، لا يستطيعُ هذا الملكُ أن يستخرجَ الطيبَ من هذا الذبابِ، وكذلك لو وقعَ على طعامِه، فإذًا اللهُ عزَّ وجلَّ هو الخالقُ وحدَه.

فإن قلتَ: كيف تجمعُ بين قولِك: إن اللهَ منفردٌ بالملكِ وبين إثباتِ الملكِ للمخلوقين، مثل قولِه تعالى: ﴿أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ﴾ [النور:

٦١]، وقوله: ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ﴾ [المؤمنون: ٦]؟

فالجوابُ: أنَّ الجمعَ بينهما من وجهين:

الأول: أنَّ ملكَ الإنسانِ للشيءِ ليس عامًّا شاملاً، لأنني أملكُ ما تحتَ يدي ولا أملكُ ما تحتَ يدِك، والكلُّ ملكٌ للهِ عزَّ وجلَّ، فمن حيثُ الشمولُ: ملكُ اللهِ عزَّ وجلَّ أشملُ وأوسعُ وهو ملكٌ تامٌ.

الثاني: أن ملكِي لهذا الشيءِ ليس ملكًا حقيقيًّا أتصرفُ فيه كما أشارَ وإنما أتصرفُ فيه كما أمرَ الشرعُ، وكما أذِنَ المالكُ الحقيقيُّ وهو اللهُ عزَّ وجلَّ، ولو بعتُ درهمًا بدرهمين لم أملكْ ذلك، ولا يحلُّ لي ذلك، فإذًا ملكي قاصرٌ، وأيضًا لا أملكُ فيه شيئًا من الناحيةِ القدريةِ، لأن التصرفَ للهِ، فلا أستطيعُ أن أقولَ لعبدي المريضِ: ابرأْ فيبرأَ، ولا أستطيعُ أن أقولَ لعبدي الصحيحِ الشحيح: امرضْ! فيمرضَ،لكنَّ التصرفَ الحقيقيَّ للهِ عزَّ وجلَّ، فلو قال له ابرأْ، برأَ، ولو قالَ: امرضْ مرضَ.

فإذا كنتُ لا أملكُ التصرفَ المطلقَ شرعًا ولا قدرًا فملكي هنا قاصرٌ من حيثُ التصرفُ وقاصرٌ من حيثُ الشمولُ والعمومُ، وبذلك يتبينُ لنا كيفَ كان انفرادُ اللهِ عزَّ وجلَّ بالملكِ.

أمَّا التدبيرُ: فللإنسانِ تدبيرٌ ولكنْ نقولُ: هذا التدبيرُ قاصرٌ، كالوجهين السابقين في الملكِ، ليس كلُّ شيءٍ أملُك تدبيرَه..."(١) انتهى.

اعلمْ أن هذا النوعَ من التوحيدِ لم ينكرْه جُلُّ بني آدمَ، بل القلوبُ مفطورةٌ على الإقرارِ به، وأشهرُ من أنكرَهُ هو فرعونُ وكان مستيقنًا بهِ في الباطنِ، قال تعالى عنه وعن قومِه: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ

(١) العقيدة الواسطية (١/١٥-١٧) لشيخ الإسلام ابن تيمية بشرح العثيمين -بتصرف يسير.

ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ﴾ [النمل: ١٤].

وقال له موسى عليه السلامُ: ﴿قَالَ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ بَصَآئِرَ﴾ [الإسراء: ١٠٢].

أمَّا المشركون: من العربِ فكانوا يقرُّون بتوحيدِ الربوبيةِ وأنَّ خالقَ السمواتِ والأرضِ واحدٌ – وأدلةُ ذلكَ من القرآنِ كثيرةٌ، نذكرُ منها:

قولَ اللهِ سبحانَه: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَهُمۡ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ﴾ [الزخرف: ٨٧].

وقولَه تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ﴾ [لقمان: ٢٥].

وقولَه سبحانه: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨٤ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٨٥ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ٨٦ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٨٧ قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨٨ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ﴾ [المؤمنون ٨٤-٨٩].

وقولَه جلَّ ثناؤُه: ﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١].

قال الشنقيطيُّ [(١)] رحمه الله: صرَّحَ اللهُ تعالى في هذه الآيةِ الكريمةِ، بأنَّ الكفارَ يقرُّون بأنَّه جلَّ وعلا هو ربُّهم الرازقُ المدبرُ للأمورِ المتصرفُ في ملكِه بما يشاءُ، وهو صريحٌ في اعترافِهم بربوبيِّتِه، ومع هذا أشركُوا به جلَّ وعلا.

والآياتُ الدالةُ على أن المشركين مقرُّون بربوبيِّتِه جلَّ وعلا – ولم ينفعْهم ذلك لإشراكِهم معهُ غيرَه في حقوقِه جلَّ وعلا – كثيرةٌ، كقولِه: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧].

وقولِه: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ۝٩﴾ [الزخرف: ٩، ١٠]

وقال سبحانه: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ... ﴾ [المؤمنون ٨٤-٨٩].

وقال سبحانه: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف ١٠٦].

(١) هو العلامة محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الشنقيطي المدني. ولد بموريتانيا عام ١٣٢٥ هـ، عرف عنه الذكاء واللباقة والاجتهاد والهيبة. اجتهد في طلب العلم فأصبح من علماء موريتانيا، وتولى القضاء في بلده فكان موضع ثقة حكامها ومحكوميها.. وكان من أوائل المدرسين في الجامعة الإسلامية سنة ١٣٨١هـ، ثم عين عضوا في مجلس الجامعة، كما عين عضوا في مجلس التأسيس لرابطة العالم الإسلامي، وعضوا في هيئة كبار العلماء ١٣٩١/٧/٨ هـ. توفي بمكة بعد أدائه الحج سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة وألف من الهجرة. وصلي عليه بالمسجد الحرام
من كتاب: "مع صاحب الفضيلة والدنا الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله" للعلامة عطية محمد سالم رحمه الله فالكتاب في ترجمة الشيخ .

والآياتُ المذكورةُ صريحةٌ في أن الاعترافَ بربوبيِّتِه جلَّ وعلا، لا يكفي في الدخولِ في دينِ الإسلامِ إلا بتحقيقِ معنى لا إله إلا اللهُ نفيًا وإثباتًا[١]. انتهى.

قال اللهُ تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣].

قال القرطبيُّ رحمه الله: قولُه تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ يعني: الأصنامَ والخبرُ محذوفٌ، أي قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ قال قتادةُ[٢]: كانوا إذا قيل لهم: منْ ربُّكم وخالقُكم؟ ومن خلقَ السمواتِ والأرضَ وأنزلَ من السماءِ ماءً؛ قالوا: اللهُ فيقالُ لهم: ما معنى عبادتِكم الأصنامَ؟ قالوا: ليقربُونا إلى اللهِ زلفى، ويشفعوا لنا عندَه.

قال الكلبيُّ[٣] رحمه الله: جوابُ هذا الكلامِ في الأحقافِ ﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ

---

(١) أضواء البيان (٢/ ١٥٤) للشنقيطي.

(٢) هو: قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز السدوسي حافظ عصر، قدوة المفسرين والمحدثين، أبو الخطاب السدوسي، البصري، الضرير، الأكمه. وكان ثقة مأمونا حجة في الحديث. وكان يقول بشيء من القدر. ولد سنة ستين. مات سنة سبع عشرة ومائة. سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٦٩)، الطبقات الكبرى (٧/ ١٧١).

(٣) هو: الفقيه المفسر الأصولي الحافظ المحدث: محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن يوسف بن جزي الكلبي الغرناطي يكنى بأبي القاسم، ولد سنة ثلاثة وتسعين وستمائة بعد الهجرة، في غرناطة. وقد وقع في التأويل في الأسماء والصفات وفي الكثير غيرها مثل الإرجاء.
ذكره صاحب نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب لشهاب الدين التلمساني (٣/ =

ﱡﭐ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرۡبَانًا ءَالِهَةَۢ ﱠ [الأحقاف: ٢٨](١) انتهى.

ومن الآياتِ الجامعةِ الدالةِ على ربوبيّته:

قولُه سبحانه وتعالى: ﴿وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلۡأَرۡضُ ٱلۡمَيۡتَةُ أَحۡيَيۡنَٰهَا وَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهَا حَبّٗا فَمِنۡهُ يَأۡكُلُونَ ٣٣ وَجَعَلۡنَا فِيهَا جَنَّٰتٖ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَٰبٖ وَفَجَّرۡنَا فِيهَا مِنَ ٱلۡعُيُونِ ٣٤ لِيَأۡكُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتۡهُ أَيۡدِيهِمۡۚ أَفَلَا يَشۡكُرُونَ ٣٥ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ وَمِنۡ أَنفُسِهِمۡ وَمِمَّا لَا يَعۡلَمُونَ ٣٦ وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ٣٧ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٣٨ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ٣٩ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ٤٠ وَءَايَةٞ لَّهُمۡ أَنَّا حَمَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ٤١ وَخَلَقۡنَا لَهُم مِّن مِّثۡلِهِۦ مَا يَرۡكَبُونَ ٤٢﴾[يس: ٣٣-٤٢].

وقولُه جلَّ ذكرُه: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٞ تَنتَشِرُونَ ٢٠ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةًۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٢١ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ ٢٢ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبۡتِغَآؤُكُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ

=

٢٧٢)، الأعلام (٥/٣٢٥).

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٥/٢٢٣) للقرطبي.

﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾﴾[الروم: ٢٠-٢٥].

وقولُه تباركَ وتعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [النمل: ٦٠-٦٤].

وقولُه سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١].

قال ابنُ أبي العزِّ رحمه الله: فلما كانَ الشركُ في الربوبيةِ موجودًا في الناسِ، بيَّنَ القرآنُ بطلانَه كما في قولِه تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ

سُبۡحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ [المؤمنون: ٩١] فتأملْ هذا البرهانَ الباهرَ بهذا اللفظِ الوجيزِ الظاهرِ فإنَّ الإلهَ الحقَّ لابدَ أنْ يكونَ خالقًا فاعلاً يوصلُ إلى عابدِه النفعَ، ويدفعُ عنه الضرَّ، فلو كان معه سبحانَه إلهٌ آخرُ يشركُه في ملكِه، لكانَ له خلقٌ وفعلٌ، وحينئذٍ فلا يرضَى تلكَ الشراكةَ، بل إنْ قدَرَ على قهرِ ذلك الشريكِ وتفردَّ بالملكِ والإلهيةِ دونَه فَعَلَ، وإنْ لم يقدرْ على ذلك، انفردَ بخلقِه، وذهبَ بذلك الخلقِ كما ينفردُ ملوكُ الدنيا بعضُهم عن بعضٍ بممالكِه إذا لم يقدرْ المنفردُ منهم على قهرِ الآخرِ والعلوِّ عليه، فلا بد من أحدِ ثلاثةِ أمورٍ:

- إمَّا أن يذهبَ كلُّ إلهٍ بخلقِه وسلطانِه.
- وإمَّا أن يعلوَ بعضُهم على بعضٍ.
- وإمَّا أن يكونوا تحتَ قهرِ ملكٍ واحدٍ يتصرفُ فيهم كيف شاءَ، ولا يتصرفونَ فيه، بل يكونَ وحدَه هو الإلهَ وهم العبيدُ المربوبون المقهورون من كلِّ وجهٍ.

وانتظامُ أمرِ العالمِ كلِّه، وإحكامُ أمرِه من أدلِّ دليلٍ على أنَّ مدبرَه إلهٌ واحدٌ، وملكٌ واحدٌ، وربٌّ واحدٌ لا إلهَ للخلقِ غيرُه، ولا ربَّ لهم سواه(١).

(١) شرح العقيدة الطحاوية (٣٦).

المبحثُ الثالثُ: توحيدُ الألوهيةِ:

في اللغةِ: ألهَ إلاهَةً وأُلُوهَةً وأُلُوهِيَّةً: عبدَ عبادةً، ومنه لفظُ الجلالةِ... والتألُّهُ: التنسُّكُ والتعبدُ(١).

قال ابنُ فارس رحمه الله: ألهَ... وهو التعبدُ، فالإلهُ: اللهُ تعالى، سُمِّي بذلك لأنه المعبودُ، ويقالُ تألَّهَ الرجلُ: إذا تعبدَّ(٢).

قال ابنُ منظور رحمه الله: الإلهُ: اللهُ عزَّ وجلَّ، وكلُّ ما اتُّخِذَ معبودًا إلهٌ عند متخِّذِه، والجمعُ آلهةٌ، ... قال ابنُ سِيدَه: الإلاهةُ والألوهةُ والألوهيةُ: العبادةُ...واللهُ أصلُه إلاه على فِعال بمعنى مفعول؛ لأنه مألوهٌ أي معبودٌ(٣).

وفي الشرعِ: هي عبادةُ اللهِ وحدَه لا شريكَ له، ونفيُ العبادةِ عمَّن سواه كائنًا من كان.

قال اللهُ تعالى: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [المؤمنون: ٢٣].

وقال جلَّ ذكرُه: ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣].

وقال اللهُ تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١].

---

(١) القاموس المحيط للفيروز آبادي (ص: ١١١٩) مادة (أله).
(٢) مقاييس اللغة (١/١٢٧) مادة (أله).
(٣) لسان العرب (١/١٩٦-١٩٨).

وقال جلَّ ثناؤه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣].

وقال سبحانَه وتعالى: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦].

قال شيخُ الإسلامِ رحمه الله - في معرضِ كلامِهِ عن التوحيدِ-:

توحيدُ الألوهيةِ هو توحيدُ اللهِ بأفعالِ العبادةِ، كالدعاءِ والنذرِ والنحرِ والخوفِ والرجاءِ والتوكلِ والرغبةِ، والرهبةِ والإنابةِ (١).

فائدةٌ:

ذكر أهلُ التفسيرِ أنَّ العبادةَ في القرآنِ على وجهين:

أحدِهما: التوحيدُ، كما في قولِه تعالى: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾[النساء: ٣٦].

قال ابنُ كثيرٍ رحمه الله: يأمرُ تبارك وتعالى بعبادتِه وحدَه لا شريكَ له، فإنَّه هو الخالقُ الرازقُ المنعمُ المتفضلُ على خلقِه في جميعِ الآناتِ والحالاتِ فهو المستحقُّ منهم أن يوحِّدُوه ولا يشركوا به شيئًا من مخلوقاتِه (٢).

والثاني: الطاعةُ، لقولِه تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٦٠ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝٦١﴾ [يس: ٦٠، ٦١].

وقال إبراهيمُ عليه السلامُ لأبيه: ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ

(١) مجموع التوحيد لابن تيمية (٧، ٨).
(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٤٧١).

ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴿٤٤﴾﴾[مريم: ٤٤].

قال القرطبيُّ رحمه الله: أي لا تطعْه فيما يأمرُك به من الكفرِ، ومن أطاعَ شيئًا في معصيةٍ فقد عبدَه.

قال الشنقيطيُّ رحمه الله: ومعنى عبادتِه للشيطانِ، في قولِه ﴿لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَ﴾ طاعتُه للشيطانِ في الكفرِ والمعاصي، فذلك الشركُ شركُ طاعةٍ كما قال تعالى: ﴿أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٦٠﴾﴾[يس: ٦٠]. (١)(٢).

توحيدُ الألوهيةِ هو محورُ الخصومةِ بين الرسلِ وأممِهم، وبيانُ أن توحيدَ الربوبيةِ يستلزمُ توحيدَ الألوهيةِ:.

التوحيدُ الذي بعثَ اللهُ به الرسلَ وأنزلَ به الكتبَ هو توحيدُ الألوهيةِ قال جلَّ ذكرُه: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ [النحل: ٣٦].

وقال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾[الأنبياء: ٢٥].

والآياتُ في ذلك كثيرةٌ وقد تقدمَ ذكرُها (٣).

---

(١) تفسير القرطبي (١١/١١٧).

(٢) أضواء البيان (٣/٤٢٦).

(٣) راجع التمهيد – بيان أهمية التوحيد.

وقدمْنَا الأدلةَ أنَّ المشركين كانوا يقرُّون بتوحيدِ الربوبيةِ[١] وهو حجةٌ عليهم لإثباتِ توحيدِ الألوهيةِ، فمن أقرَّ أن اللهَ تعالى هو الخالقُ، الرازقُ، مالكُ الملكِ، فكيف يَعبدُ غيرَه؟ كيف يَعبدُ ما لا يملكُ له نفعًا ولا ضرًّا ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا؟ كيف يَعبدُ مخلوقًا مثلَه؟ وقد يكونُ هذا المخلوقُ أضعفَ منه كمن يسألُ الأمواتَ، والميتُ يحتاجُ إلى دعاءِ غيرِه له.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ [يونس: ١٠٦].

وقال سبحانه: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ﴾ [يونس: ١٨].

وقال جلَّ ذكرُه: ﴿أَيُشۡرِكُونَ مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ١٩١ وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ لَهُمۡ نَصۡرٗا وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ١٩٢ وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمۡۚ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡ أَدَعَوۡتُمُوهُمۡ أَمۡ أَنتُمۡ صَٰمِتُونَ ١٩٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٩٤ أَلَهُمۡ أَرۡجُلٞ يَمۡشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَيۡدٖ يَبۡطِشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَعۡيُنٞ يُبۡصِرُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۗ قُلِ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ١٩٥ إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩٦ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَطِيعُونَ

---

(١) راجع المبحث الثاني.

نَصۡرَكُمۡ وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾﴾ [الأعراف: ١٩١-١٩٧].

وقال تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾﴾ [الحج: ٧٣، ٧٤].

والآياتُ التي تقررُ هذا المعنى كثيرةٌ جدًّا.

قال ابنُ تيميةَ رحمه الله: أمَّا توحيدُ الربوبيةِ، فقد أقرَّ به المشركون وكانوا يعبدون مع اللهِ غيرَه، ويحبونهم كما يحبونه، فكان ذلك التوحيدُ- الذي هو توحيدُ الربوبيةِ- حجةً عليهم فإذا كان اللهُ هو ربَّ كلِّ شيءٍ ومليكَه، ولا خالقَ ولا رازقَ إلا هو، فلماذا يعبدون غيرَه معه، وليس له عليهم خلقٌ ولا رزقٌ، ولا بيدِه لهم منعٌ ولا عطاءٌ بل هو عبدٌ مثلُهم، لا يملكُ لنفسِه ضرًا ولا نفعًا، ولا موتًا، ولا حياةً ولا نشورًا! فإن قالوا: ليشفعَ، فقد قال اللهُ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥] فلا يشفعُ من له شفاعةٌ- من الملائكةِ والنبين- إلا بإذنِه، وأمَّا قبورُهم وما نُصبَ عليها من قبابٍ وأنصابٍ- أو تماثيلُهم التي مُثلتْ على صورِهم- مجسدةً أو مرقومةً- فجعل الاستشفاعَ بها استشفاعًا بهم، فهذا باطلٌ عقلاً وشرعًا، فإنها لا شفاعةَ لها بحالٍ ولا لسائرِ الأصنامِ التي عُملتْ للكواكبِ والجنِ والصالحين وغيرِهم(١).

قال ابنُ أبي العزِّ رحمه الله: والقرآنُ مملوءٌ من تقريرِ هذا التوحيدِ، وبيانِه

(١) مجموع الفتاوى (١٤/ ٣٨٠).

وضربِ الأمثالِ له، ومن ذلك: أنه يقررُ توحيدَ الربوبيةِ، ويبيِّنُ أنَّه لا خالقَ إلا اللهُ وأنَّ ذلك مستلزمٌ أن لا يُعبدَ إلا اللهُ فيجعلُ الأولُ دليلاً على الثاني إذ كانوا يسَلِّمُون في الأولِ وينازعون في الثاني فبيَّن لهم سبحانه: أنكم إذا كنتم تعلمون أنَّه لا خالقَ إلا اللهُ وحدَه، وأنَّه هو الذي يأتي العبادَ بما ينفعُهم، ويدفعُ عنهم ما يضرُّهم، ولا شريكَ له في ذلك، فلِمَ تعبدون غيرَه، وتجعلون معه آلهةً أخرَى؟ كقولِه تعالى: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَـٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٥٩ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ [النمل: ٥٩، ٦٠].(١).

قال ابنُ بطةَ العكبري رحمه الله: أخبرَنا اللهُ تبارك وتعالى أنه أرسلَ المرسلين إلى الناسِ يدعونهم إلى عبادةِ ربِّ العالمين ثم أرسلَ الشياطين على الكافرين تحرِّضُهم على تكذيبِ المرسلين، ومن أنكرَ ذلك فهو من الفرقِ الهالكةِ(٢).

ما هي العبادةُ؟

العبادةُ في اللغةِ: أصلُ العبوديةِ الخضوعُ والتذللُ،...وتَعَبَّدَ اللهُ العبدَ بالطاعةِ أي: استعبَدَه، والعبادةُ: الطاعةُ مع الخضوعِ، ومنه طريقٌ مُعَبَّدٌ إذا كان مُذلَّلاً بكثرةِ الوطءِ(٣).

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية (٣٤، ٣٥).

(٢) الإبانة (٢/ ٤٦٤).

(٣) اللسان (٦/ ٤٨-٥٠) مادة عبد..

قال شيخُ الإسلامِ رحمه الله: العبادةُ: هي اسمٌ جامعٌ لكلِّ ما يحبُّه اللهُ ويرضاه من الأقوالِ والأعمالِ الباطنةِ والظاهرةِ.

ثم ذكرَ جملةً من أنواعِ العبادةِ - عبادةِ القلبِ وعبادةِ الجوارحِ - فقال: كالصلاةِ، والزكاةِ، والصيامِ، والحجِ، وصدقِ الحديثِ وأداءِ الأمانةِ وبرِّ الوالدينِ وصلةِ الأرحامِ، والوفاءِ بالعهودِ، والأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المنكرِ، والجهادِ للكفارِ والمنافقينَ، والإحسانِ إلى الجارِ واليتيمِ والمسكينِ وابنِ السبيلِ، والمملوكِ من الآدميينَ والبهائمِ، والدعاءِ والذكرِ والقراءةِ، وأمثالِ ذلك من العبادةِ.

وكذلك حبُّ اللهِ ورسولِه، وخشيةُ اللهِ والإنابةُ إليه، وإخلاصُ الدينِ له، والصبرُ لحكمِه، والشكرُ لنعمِه والرضا بقضائِه، والتوكلُ عليه، والرجاءُ لرحمتِه، والخوفُ لعذابِه، وأمثالُ ذلك هي من العبادةِ لله(١).

وجوبُ العبادةِ على العبدِ حتى الموتِ:

إذا اعترفَ العبدُ أنَّ اللهَ سبحانه ربُّه وإلهُّه وسيدُّه ومولاه، وأنَّه جلَّ ذكرُه له الأسماءُ الحسنى والصفاتُ العلى، وعلمَ أن كلَّ صفاتِه كمالٌ وكلَّ أفعالِه كمالٌ، وأنَّها لحكمةٍ سواءٌ علمَها أم لم يعلمْها، إذا اعترفَ بذلك علمَ أنه لا يليقُ باللهِ جل وعلا أن يخلقَ اللهُ الخلقَ سُدىً ويتركَهم هملاً، بل خلقَهم لحكمةٍ ولغايةٍ محبوبةٍ له ومرضيَّةٍ له، رتَّبَ عليها الجزاءَ في الآخرةِ إمَّا إلى الجنةِ وإمَّا إلى النارِ، ألا وهي العبادةُ.

قال جلَّ ذكرُه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/١٤٩- ١٥٠) لشيخ الإسلام ابن تيمية.

[الذاريات: ٥٦].

قال الشنقيطيُّ رحمه الله: التحقيقُ إن شاءَ اللهُ في معنى هذه الآية الكريمةِ ﴿إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ أي: إلا لآمرَهم بعبادتي وأبتليَهم أي: أختبرَهم بالتكاليفِ ثم أجازيَهم على أعمالِهم، إن خيرًا فخيرٌ، وإن شرًّا فشرٌ... فقد صرَّحَ تعالى في آياتٍ من كتابه أنَّه خلقَهم ليبتليَهم أيُّهم أحسنُ عملاً، وأنه خلقَهم ليجزيَهم بأعمالِهم. قال تعالى في أولِ سورةِ هودٍ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ﴾ [هود: ٧]، ثم بيَّنَ الحكمةَ من ذلك فقال: ﴿لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۗ وَلَئِن قُلۡتَ إِنَّكُم مَّبۡعُوثُونَ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡمَوۡتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ﴾ [هود: ٧].

وقال تعالى في أولِ سورةِ الملكِ: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ﴾ [الملك: ٢].

وقال تعالى في أولِ سورةِ الكهفِ: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةٗ لَّهَا لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا﴾ [الكهف: ٧].

فتصريحُه جلَّ وعلا في هذه الآياتِ المذكوراتِ بأنَّ حكمةَ خلقِه للخلقِ هي ابتلاؤُهم أيُّهم أحسنُ عملاً، يفسرُ قولَه: ﴿لِيَعۡبُدُونِ﴾ وخيرُ ما يُفسرُ به القرآنُ القرآنُ[1]. انتهى.

فالعبادةُ هي الغايةُ التي من أجلِها أرسلَ جميعَ الرسلِ، كما قال نوحٌ لقومِه: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [المؤمنون: ٢٣]، وكذلك

---

(١) أضواء البيان (٧/٤٤٥ – ٤٤٦) للشنقيطي.

قالها هودٌ وصالحٌ وشعيبٌ وغيرُهم من الأنبياءِ والمرسلين.

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [النحل: ٣٦]

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء٢٥].

إلى غيرِ ذلك من الآياتِ.

وقد جعلَ اللهُ سبحانه العبادةَ لزامًا لجميعِ البشرِ إلى الموتِ، بمن فيهم الرسلُ.

قال جلَّ وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: ٥١].

وقال لنبيِّنا ﷺ: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩]. قال جماهيرُ السلفِ من المفسرين: اليقينُ: هو الموتُ.

قال ابنُ جريرٍ رحمه الله[1]: يقول تعالى ذكرُه لنبيِّه ﷺ: واعبدْ ربَّك حتى

---

(١) هو الإمام الجليل المجتهد المطلق أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري، من أهل آمل طبرستان، ومولده سنة أربع أو خمس وعشرين ومائتين.
كان ابن جرير أحد الأئمة يحكم بقوله، ويرجع إلى رأيه؛ جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، فكان حافظا لكتاب الله، بصيرا بالمعاني فقيها في أحكام القرآن عالما بالسنن وطرقها صحيحها وسقيمها وناسخها ومنسوخها عارفا بأقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من المخالفين في الأحكام ومسائل الحلال والحرام =

يأتيَك الموتُ، الذي هو موقَنٌ به(١).

قال ابنُ كثيرٍ رحمه الله: ويُستدلُ بها على تخطئةِ مَنْ ذهبَ من الملاحدةِ إلى أن المرادَ باليقينِ المعرفةُ، فمتى وصلَ أحدُهم إلى المعرفةِ سقطَ عنه التكليفُ عندهم، وهذا كفرٌ وضلالٌ وجهلٌ، فإن الأنبياءَ عليهم السلامُ كانوا هم وأصحابُهم أعلمَ الناسِ باللهِ وأعرفَهم بحقوقِه وصفاتِه وما يستحقُّ من التعظيمِ، وكانوا مع هذا أعبدَ وأكثرَ الناسِ عبادةً ومواظبةً على فعلِ الخيراتِ إلى حين الوفاةِ، وإنما المرادُ باليقينِ ههنا: الموتُ(٢).

قال القرطبيُّ رحمه الله: إن اليقينَ: الموتُ...

فإن قيلَ كيفَ قالَ سبحانَه: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ ولم يقلْ أبدًا، فالجوابُ: أن اليقينَ أبلغُ من قولِه: أبدًا، لاحتمالِ لفظِ الأبدِ للَّحظةِ الواحدةِ ولجميعِ الأبدِ... والمرادُ استمرارُ العبادةِ مدةَ حياتِه، كما قالَ العبدُ الصالحُ: ﴿وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيًّا﴾(٣). انتهى.

ولمَّا أمرَ اللهُ تعالى نبيَّنا ﷺ بلزومِ العبادةِ إلى الموتِ - وهو الذي غُفرله ما تقدمَ من ذنبِه وما تأخرَ - كانَ لزومُ العبادةِ لمن دونَه من العبادِ من بابِ الأَوْلَى.

= عارفا بأيام الناس وأخبارهم، توفي سنة عشر وثلاثمائة، ودفن في داره ببغداد. طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٣/١٢٩)، تاريخ دمشق (٥٢/١٨٨).

(١) جامع البيان (٨/٩٩) لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري.

(٢) تفسير ابن كثير (٢/٥٦١).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٠/٦٩) لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي.

قال ابنُ تيميةَ رحمه الله -في معرضِ كلامِه عن العبوديةِ-:

العبدُ بمعنى العابدِ، فيكونُ عابدًا للهِ لا يعبدُ إلا إياه، فيطيعُ أمرَه وأَمْرَ رسلِه، ويوالي أولياءَه المؤمنينَ المتقينَ ويعادِي أعداءَه، وهذه العبادةُ متعلقةٌ بإلهيَّته، ولهذا كان عنوانُ التوحيدِ لا إلهَ إلا اللهُ، بخلافِ ما يقرُّ بربوبيَّتِه ولا يعبدُه أو يعبدُ معه إلهًا آخرَ.

فالإلهُ الذي يأْلَهُهُ القلبُ بكمالِ الحبِّ والتعظيمِ والإجلالِ والإكرامِ والخوفِ والرجاءِ ونحوِ ذلك.

وهذه هي العبادةُ التي يحبُّها اللهُ ويرضَاها، وبها وَصَفَ المصطَفَيْنَ من عبادِهِ، وبها بعثَ رسلَه.

وأمَّا العبدُ بمعنى المُعَبَّدِ، سواءٌ أقرَّ بذلك أو أنكرَ، فتلك يشتركُ فيها المؤمنُ والكافرُ[1].

قال ابنُ تيميةَ رحمه الله: **حاجةُ العبدِ إلى العبادةِ:**

اعلمْ أن فقرَ العبدِ إلى اللهِ أن يعبدَ اللهَ لا يشركُ به شيئًا، ليس له نظيرٌ فيقاسُ به، لكنْ يشبُه من بعضِ الوجوهِ حاجةَ الجسدِ إلى الطعامِ والشرابِ، وبينهما فروقٌ كثيرةٌ.

فإن حقيقةَ العبدِ قلبُه وروحُه، وهي لا صلاحَ لهَا إلا بإلهِها الذي لا إلهَ إلا هو، فلا تطمئنُ في الدنيا إلا بذكرِه، وهي كادحةٌ إليه كدحًا فملاقيَتُه، ولا بدَ لها من لقائِه، ولا صلاحَ لها إلا بلقائِه.

ولو حَصَلَ للعبدِ لذَّاتٌ أو سرورٌ بغيرِ اللهِ فلا يدومُ ذلك، بل ينتقلُ

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ١٥٧-١٥٨).

من نوعٍ إلى نوعٍ ومن شخصٍ إلى شخصٍ ويتنعمُ بهذا في وقتٍ وفي بعضِ الأحوالِ، وتارةً أخرى يكون ذلك الذي يتنعمُ به والتذَّ غيرَ منعَّمٍ به ولا ملتذٍ له، بل قد يؤذيه اتصالُه به ووجودُه عندَه، ويضرُّه ذلك.

وأمَّا إلهُه فلا بدَ له منه في كلِّ حالٍ وكلِّ وقتٍ وأينما كان فهو معه ولهذا قال إمامُنا إبراهيمُ الخليلُ عليه السلامُ: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ﴾ [الأنعام ٧٦]، وكان أعظمُ آيةٍ في القرآنِ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [البقرة ٢٥٥](١).

---

(١) مجموع الفتاوى (١/ ٢٤).

المبحثُ الرابعُ: تعريفُ بعضِ أنواعِ العبادةِ، وأنَّ منْ صرفَ منها شيئًا لغيرِ اللهِ فقدْ أشركَ:

سبقَ بيانُ أنَّ العبادةَ هي اسمٌ جامعٌ لكلِّ ما يحبُّه اللهُ تعالى ويرضاه، من الأقوالِ والأفعالِ الظاهرةِ والباطنةِ، ونذكرُ ههنا بعضَ أنواعِ العبادةِ.

الخوفُ والرّجاءُ:

الخوفُ لغةً: الخاء والواو والفاء أصلٌ واحدٌ يدلُّ على الذعرِ والفزعِ، يقال: خِفتُ الشيءَ خوفًا وخِيفةً [(١)].

خافَ يخافُ خوفًا وخِيفةً، ومخافةً فهو خائفٌ.. والأمرُ منه خَفْ بفتح الخاء.. والإخافةُ: التخويفُ، يقالُ: وجعٌ مخيفٌ أي يخيفُ من رآه[(٢)].

واصطلاحًا: الخوفُ توقُّعُ حلولِ مكروهٍ أو فواتِ محبوبٍ [(٣)] .

قال الراغبُ الأصفهانيُّ رحمه الله: الخوفُ توقُّعُ مكروهٍ عن أمارةٍ مظنونةٍ أو معلومةٍ، ويضادُّه الأمنُ، ويستعملُ ذلك في الأمورِ الدنيويةِ والأخرويةِ[(٤)].

قال اللهُ تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾[آل عمران: ١٧٥].

وقال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾[الرحمن: ٤٦].

---

(١) مقياس اللغة لابن فارس (٢/ ٢٣٠).

(٢) مختار الصحاح (٨٦) مادة (خ و ف).

(٣) التعريفات للجرجاني (١٠١).

(٤) المفردات (١٦١، ١٦٢) بتصرف.

وقال جلَّ ذكرُه: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم: ١٤]. وقال سبحانه: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾[الإنسان: ١٠]. وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٤١﴾[النازعات: ٤٠].

عَنْ حُذَيْفَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «كَانَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ يُسِيءُ الظَّنَّ بِعَمَلِهِ، فَقَالَ لِأَهْلِهِ: إِذَا أَنَا مُتُّ فَخُذُونِي فَذَرُّونِي فِي البَحْرِ فِي يَوْمٍ صَائِفٍ، فَفَعَلُوا بِهِ، فَجَمَعَهُ اللَّهُ ثُمَّ قَالَ: مَا حَمَلَكَ عَلَى الَّذِي صَنَعْتَ؟ قَالَ: مَا حَمَلَنِي إِلَّا مَخَافَتُكَ، فَغَفَرَ لَهُ»(١).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَدْلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»(٢).

الرجاءُ لغةً: مصدرُ قولِهم رجوتُ فلانًا أرجُوه، وهو مأخوذٌ من مادةِ (ر ج و) التي تدلُّ على الأملِ الذي هو نقيضُ اليأسِ، يقالُ: رجوتُ فلانًا رجْوًا ورجاءً ورجاوةً(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٨٠) ومسلم (٢٧٥٧).

(٢) أخرجه البخاري (١٤٢٣) ومسلم (١٠٣١).

(٣) انظر مختار الصحاح (٦/٢٣٥٢) واللسان (١٤/٣٠٩).

واصطلاحًا: النظرُ إلى سعةِ رحمةِ اللهِ، وقيل:هو الاستبشارُ بجودِ وفضلِ الربِّ تبارك وتعالى، والارتياحُ لمطالعةِ كرمِه.

وقيل: هو الثقةُ بجودِ الربِّ تعالى (١).

وقال المناويُّ رحمه الله: الرجاءُ ترقُّبُ الانتفاعِ بما تقدمَ له سببٌ (٢).

قال جلَّ وعلا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢١٨﴾[البقرة: ٢١٨].

وقال تبارك وتعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ٥٧﴾[الإسراء: ٥٧].

وقال سبحانه: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١﴾[الأحزاب: ٢١].

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠﴾[الكهف: ١١٠].

وعن أَنَس بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ، وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا**

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم (١/٣٧).

(٢) التوقيف على كلمات التعريف (١٧٤).

تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً»: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الوَجْهِ(١).

عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، قَبْلَ وَفَاتِهِ بِثَلَاثٍ، يَقُولُ: «**لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ بِاللهِ الظَّنَّ**» الحديثُ(٢).

والخوفُ والرجاءُ من أعمالِ القلوبِ، وهما عبادتان يسيرُ بهما العبدُ إلى اللهِ، فمنْ عبدَ اللهَ بالخوفِ وحدَه ساءَ ظنُّه بربِّه ويئسَ وقنطَ من رحمتِه، وقد وصفَ اللهُ القانطَ من رحمتِه بأنَّه ضالٌّ ووصفَ اليائسَ من رحمتِه بأنه كافرٌ، قال جلَّ ذكرُه: ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

وكذا منْ عبدَ اللهَ بالرجاءِ وحدَه تجرَّأَ على اللهِ بمعصيتِه وتعدَّى حدودَ اللهِ لأنه أَمِنَ من مكرِ اللهِ، قال جلَّ وعلا: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩].

فمنْ أَمِنَ مكرَ اللهَ بكثرةِ الرجاءِ خسرَ، ومن يئسَ من رحمةِ اللهِ كفرَ، فينبغِي للمؤمنِ الكيِّسِ أنْ يجتهدَ في الفهمِ عن اللهِ حتى لا يقعَ في الإفراطِ ولا التفريطِ، ومنْ فهمَ عن اللهِ علمَ أنه لا بدَ له من عبادةِ الخوفِ والرجاءِ معًا ولا قوامَ للعبدِ إلا بهما.

---

(١) صحيح سنن الترمذي (٣٥٤٠).

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٧٧).

قال سبحانه وتعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ [الزمر: ٩]. وقال جل ثناؤه: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء: ٥٧].

قال ابنُ كثيرٍ رحمه الله: لا تتمُّ العبادةُ إلا بالخوفِ والرجاءِ، فبالخوفِ ينكفُّ عن المناهِي، وبالرجاءِ يكثرُ من الطاعاتِ[١]. انتهى.

الرغبةُ والرهبةُ والخشوعُ:

معنى الرغبةِ لغةً: الحرصُ، قال ابنُ منظورٍ: رَغِبَ يَرْغَبُ رغبةً: إذا حَرَصَ على الشيءِ، وطمِعَ فيه، والرغبةُ: السؤالُ والطمعُ[٢].

واصطلاحًا: إرادةُ الشيءِ بالحرصِ عليه.[٣]

الرهبةُ في اللغةِ: الخوفُ والفزعُ المثمرُ للهروبِ من المَخوفِ.

قال ابنُ الأثيرِ رحمه الله[٤]: الرهبةُ: الخوفُ[٥].

ومعنى الخشوعِ: الذلُّ والخضوعُ[٦].

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/٦٥١).

(٢) اللسان (٤/١٨٣) مادة (رغب).

(٣) الكليات للكفوى(ص ٤٨٢).

(٤) هو: القاضي، الرئيس، العلامة، البارع، الأوحد، البليغ، مجد الدين، أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، الجزري، ثم الموصلي، الكاتب، ابن الأثير، ولد سنة أربع وأربعين وخمسمائة، قرأ الحديث والعلم والأدب، توفي في سنة ست وستمائة بالموصل.
سير أعلام النبلاء (٢١/٤٨٨)، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٨/٣٦٦).

(٥) اللسان(٤/٢٦٨).

(٦) مختار الصحاح (ص:٨٠) مادة (خ ش ع).

قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾ [الشرح : ٧].

وقال جلَّ ذكرُه: ﴿إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ﴾ [التوبة :٥٩].

وقال سبحانه : ﴿ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَـٰنِ﴾ [طه: ١٠٨].

وقال تبارك وتعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَـٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١].

قال اللهُ تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

قال القرطبيُّ رحمه الله: قولُه تعالى: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ أي يفزعونَ إلينَا فيدعُوننا في حالِ الرخاءِ وحالِ الشدةِ، وقيل يدعون وقتَ تعبدِّهم وهم بحالِ رغبةٍ ورجاءٍ ورهبةٍ وخوفٍ، لأن الرغبةَ والرهبةَ متلازمان(١).

قال السعديُّ رحمه الله: أي: يسألوننا الأمورَ المرغوبَ فيها، من مصالحِ الدنيا والآخرةِ، ويتعوذُون بنا من الأمورِ المرهوبِ منها، راهبونَ لا غافلونَ لاهونَ ولا مُدِلُّونَ ﴿وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ﴾ أي: خاضعين متذلِّلين متضرِّعين، وهذا لكمالِ معرفتِهم بربِّهم(٢).

وقد استعاذَ رسولُ اللهِ ﷺ من عدمِ خشوعِ القلبِ، قال ﷺ: «**اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ،**

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١١/٣٥٣).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٥٣٠) للسعدي.

وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا »[(١)].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى ثَلَاثِ طَرَائِقَ: رَاغِبِينَ رَاهِبِينَ، وَاثْنَانِ عَلَى بَعِيرٍ، وَثَلَاثَةٌ عَلَى بَعِيرٍ، وَأَرْبَعَةٌ عَلَى بَعِيرٍ، وَعَشَرَةٌ عَلَى بَعِيرٍ، وَيَحْشُرُ بَقِيَّتَهُمُ النَّارُ، تَقِيلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا، وَتَبِيتُ مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوا، وَتُصْبِحُ مَعَهُمْ حَيْثُ أَصْبَحُوا، وَتُمْسِي مَعَهُمْ حَيْثُ أَمْسَوْا » "[(٢)]

قال رسُولَ اللهِ ﷺ: «مَا مِنَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلاَةٌ مَكْتُوبَةٌ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهَا وَخُشُوعَهَا وَرُكُوعَهَا، إِلَّا كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ مَا لَمْ يُؤْتِ كَبِيرَةً وَذَلِكَ الدَّهْرَ كُلَّهُ»[(٣)].

الخشية :

في اللغةِ: خَشِيَ: الخاء والشين والحرف المعتلُ يدلُّ على خوفٍ وذعرٍ، ثم يُحملُ عليه المجازُ، فالخشيةُ الخوفُ[(٤)].

واصطلاحًا: خوفٌ يشوبُهُ تعظيمٌ، وأكثرُ ما يكونَ ذلك عن علمٍ بما يُخشَى منه ولذلك خُصَّ العلماءُ بها في قولِه تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨]، وقولِه سبحانه: ﴿مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [ق: ٣٣].

---

(١) أخرجه مسلم (٧٣/٢٧٢٢).

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٢٢)، ومسلم (٢٨٦١).

(٣) أخرجه مسلم (٢٢٨).

(٤) مقاييس اللغة (٢/ ١٨٤) لابن فارس.

أي خافَ خوفًا اقتضاه معرفتُه بذلك من نفسِهِ (١)

وقيلَ هو الخوفُ المقرونُ بإجلالٍ، وقيلَ هو تألُّمُ القلبِ بسببِ توقُّعِ مكروهٍ في المستقبلِ، يكون تارةً بكثرةِ الجنايةِ من العبدِ وتارةً بمعرفتِه جلالَ اللهِ وهيبتَه(٢) ، وقد أمرَ اللهُ تعالى عبادَه بالخشيةِ وأثنَى على عبادِه المؤمنينَ الذين يَخْشَوْنَ ربَّهمْ بالغيبِ.

قال جلَّ ذكرُه: ﴿هَـٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ۝٣٢ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَـٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾ [ق: ٣٢، ٣٣].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِي﴾ [المائدة: ٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحْمَـٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [يس: ١١].

وقال جلَّ وعلا: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَـٰبًا مُّتَشَـٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

وقال سبحانه: ﴿ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ...﴾ [لقمان: ٣٣].

وقال جلَّ ذكرُه: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ﴾ [النازعات: ٢٦].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحْمَـٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ﴾

[يس: ١١]

(١) المفردات للراغب (ص ١٤٩).

(٢) التعريفات للجرجاني (ص ١٠٣).

وقد أخرجَ البخاريُّ ومسلمٌ في صحيحيْهِما من حديثِ عَائِشَةَ رضيَ الله عنها أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «... **أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ**»[(١)].

وفي حديثِ جِبْرِيل الطويل عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي الله عَنه وفيه: «... مَا الْإِحْسَانُ؟ قَالَ: **أَنْ تَخْشَى الله كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنَّكَ إِنْ لَا تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»[(٢)].

وفي دعاءِ رسولِ اللهِ ﷺ: «**وَأَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ**»[(٣)].

وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**عَيْنَانِ لَا تَمَسُّهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**»[(٤)].

وفي دعائِه ﷺ: «**اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ**»[(٥)].

التوكُّلُ:

في اللغةِ: إظهارُ العجزِ، والاعتمادُ على غيرِك، والاسمُ التكلانُ، واتَّكلَ على فلانٍ في أمرِه إذا اعتمدَه[(٦)].

والمتوكِّلُ على اللهِ: الذي يعلمُ أن اللهَ كافلٌ رزقَه وأمرَه فيركنُ إليهِ

---

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١١٠٨).
(٢) جزء من حديث أخرجه البخاري (٥٠) ومسلم (١٠) واللفظ له.
(٣) أخرجه النسائي (٣/ ٥٤، ٥٥).
(٤) صحيح سنن الترمذي (١٦٣٩).
(٥) صحيح سنن الترمذي (٣٥٠٢) والحاكم (١/ ٥٢٨)
(٦) مختار الصحاح (ص: ٣٠٥) مادة (و ك ل).

وحدَه ولا يتوكَّلُ على غيرِه، قال ابنُ سيده: وكلَ باللهِ وتوكَّلَ عليه واتَّكلَ: استسلمَ إليه(١).

واصطلاحًا: قال الجرجانيُّ: هو الثقةُ بما عندَ اللهِ واليأسُ عمَّا في أيدي الناسِ(٢).

وقال ابنُ رجبٍ رحمه الله(٣): صِدقُ اعتمادِ القلبِ على اللهِ عزَّ وجلَّ في استجلابِ المصالحِ ودفعِ المضارِّ من أمورِ الدنيا والآخرةِ وَكِلَةُ الأمورِ كلِّها إليه، وتحقيقُ الإيمانِ بأنه لا يعطِي ولا يمنعُ ولا يضرُّ ولا ينفعُ سواه(٤)

والتوكُّلُ عبادةٌ من عباداتِ القلبِ وقد جعلَه اللهُ صفةً من صفاتِ الأنبياءِ والمؤمنين.

قال اللهُ تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٢].

وقد أمرَ نبيُّ اللهِ موسى عليه السلامُ قومَه بالتوكُّلِ: ﴿إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ﴾ [يونس: ٨٤].

---

(١) اللسان (٩/٣٩٢).

(٢) التعريفات (ص ٧٤).

(٣) هو: الإمام الحافظ زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن حسن بن رجب البغدادي ثم الدمشقي المعروف بابن رجب الحنبلي. أكثر الاشتغال حتى مهر وصنف شرح الترمذي وشرح علل الترمذي وشرح قطعة من البخاري، وطبقات الحنابلة، مات في رجب سنة خمس وتسعين وسبعمائة بدمشق.
ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد (٢/٧٢)، طبقات الحفاظ للسيوطي (٥٤٠).

(٤) جامع العلوم والحكم (ص ٤٠٩)

وقال سبحانه حكايةً عن نبيِّه هودٍ عليه السلامُ: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾ [هود: ٥٦].

وقال تعالى عن نبيِّه نوحٍ عليه السلامُ إذ قال لقومه: ﴿يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ [يونس: ٧١].

وقال جلَّ ذكرُه عن نبيِّه شعيبٍ: ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨].

قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلاً﴾ [الأحزاب: ٣، ٤٨].

وقال سبحانه: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]

وقد أمرَ اللهُ تعالى نبيَّنا محمدًا ﷺ بالتوكُّلِ: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ﴾ [النمل: ٧٩].

قال ابنُ القيِّمِ رحمه الله في تفسيرِ هذه الآيةِ:

وفي ذكرِ أمرِه بالتوكُّلِ مع إخبارِه بأنه على الحقِّ دلالةٌ على أن الدينَ بمجموعِه في هذين الأمرين: أنْ يكونَ العبدُ على الحقِّ في قولِه وعملِه واعتقادِه ونيَّتِه، وأن يكونَ متوكلاً على اللهِ واثقًا به، فالدينُ كلُّه في هذين المقامين، وقال رسلُ اللهِ وأنبياؤُه: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [إبراهيم: ١٢]، فالعبدُ آفتُهُ إمَّا عدمُ الهدايةِ وإمَّا عدمُ التوكُّلِ، فإذا جمعَ التوكُّلَ إلى الهدايةِ فقد جمعَ الإيمانَ كلَّه[١]. انتهى.

---

(١) تهذيب مدارج السالكين (ص: ٣٣٥).

وقد تكفَّلَ اللهُ سبحانه عبادَه المتوكِّلين، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣].

قال السعديُّ رحمه الله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ أي: في أمرِ دينِه ودنياهُ بأنْ يعتمدَ على اللهِ في جلبِ ما ينفعُه ودفعِ ما يضرُّه، ويثقُ به في تسهيلِ ذلك ﴿فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ أي: كافيهِ الأمرَ الذي توكَّلَ عليه بِهِ، وإذا كان الأمرُ في كفالةِ الغنيِّ القويِّ العزيزِ الرحيمِ، فهو أقربُ إلى العبدِ من كلِّ شيءٍ(١).

ورسولُنا ﷺ سمَّاه اللهُ تعالى المتوكِّلَ في التوراةِ كما في صحيح البخاريِّ من حديثِ عبدِ اللهِ بنِ عمرِو بنِ العاصِ رضيَ اللهُ عنه أنَّ هذه الآيةَ التي في القرآنِ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾﴾ [الأحزاب: ٤٥] قَالَ فِي التَّوْرَاةِ: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَحِرْزًا لِلأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ المُتَوَكِّلَ، لَيْسَ بِفَظٍّ وَلاَ غَلِيظٍ، وَلاَ سَخَّابٍ بِالأَسْوَاقِ، وَلاَ يَدْفَعُ السَّيِّئَةَ بِالسَّيِّئَةِ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ المِلَّةَ العَوْجَاءَ، بِأَنْ يَقُولُوا: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَيَفْتَحَ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا، وَآذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا»(٢).

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ، قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ ﷺ حِينَ قَالُوا: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣](٣).

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٨٧٠).
(٢) أخرجه البخاري (٤٨٣٨).
(٣) أخرجه البخاري (٤٥٦٣).

وعن عمرانَ بنِ حصينٍ رضيَ اللهُ عنهما قال: لا رقيةَ إلا منْ عينٍ أو حمةٍ فذكرتُ لسعيدِ بنِ جبيرٍ فقالَ: حدثنَا ابنُ عباسٍ: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ وَالنَّبِيَّانِ يَمُرُّونَ مَعَهُمُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، حَتَّى رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ، قُلْتُ: «مَا هَذَا أُمَّتِي هَذِهِ؟!» قِيلَ: هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ. قِيلَ: انْظُرْ إِلَى الأُفُقِ. فَإِذَا سَوَادٌ يَمْلأُ الأُفُقَ، ثُمَّ قِيلَ لِي: انْظُرْ هَا هُنَا وَهَا هُنَا فِي آفَاقِ السَّمَاءِ فَإِذَا سَوَادٌ قَدْ مَلأَ الأُفُقَ، قِيلَ: هَذِهِ أُمَّتُكَ وَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ هَؤُلاَءِ سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ**، ثُمَّ دَخَلَ وَلَمْ يُبَيِّنْ لَهُمْ فَأَفَاضَ الْقَوْمُ، وَقَالُوا: نَحْنُ الَّذِينَ آمَنَّا بِاللَّهِ، وَاتَّبَعْنَا رَسُولَهُ، فَنَحْنُ هُمْ أَوْ أَوْلاَدُنَا الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الإِسْلاَمِ؛ فَإِنَّا وُلِدْنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ. فَبَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ فَخَرَجَ فَقَالَ: «**هُمُ الَّذِينَ لاَ يَسْتَرْقُونَ، وَلاَ يَتَطَيَّرُونَ، وَلاَ يَكْتَوُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**». فَقَالَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ: أَمِنْهُمْ أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «**نَعَمْ**». فَقَامَ آخَرُ فَقَالَ: أَمِنْهُمْ أَنَا قَالَ: «**سَبَقَكَ عُكَّاشَةُ**»(١).

وعن عُمَرَ بنِ الخطابِ قال سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «**لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرُزِقْتُمْ كَمَا يُرْزَقُ الطَّيْرُ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا**»(٢).

حكمُ التداوِي، هل التداوِي ينافِي التوكّلَ؟

قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠].

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ، هُمُ الَّذِينَ لاَ يَسْتَرْقُونَ، وَلاَ يَتَطَيَّرُونَ، ولا يَكْتَوونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ**

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٠٥) ومسلم (٢٢٠).

(٢) صحيح سنن الترمذي (٢٣٤٤) ومسند أحمد (١/ ٣٠) وابن ماجه (٤١٦٤).

يَتَوَكَّلُونَ»(١).

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أنه قَالَ: «**لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ فَإِذَا أَصِابَ دَوَاءٌ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ**»(٢).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَا أَنْزَلَ اللَّهُ دَاءً إِلاَّ أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً**»(٣).

وعَن ابن مَسْعُودٍ عَن النَّبي ﷺ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يُنْزِلْ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً، عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ، وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ**»(٤).

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**الْحُمَّى مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ، فَأَبْرِدُوهَا بِالْمَاءِ**»(٥).

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: احْتَجَمَ النَّبِيُّ ﷺ فِي رَأْسِهِ وَهْوَ مُحْرِمٌ مِنْ وَجَعٍ كَانَ بِهِ بِمَاءٍ يُقَالُ لَهُ لَحْيُ جَمَلٍ(٦).

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَنْفُثُ عَلَى نَفْسِهِ فِي المَرَضِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ، فَلَمَّا ثَقُلَ كُنْتُ أَنْفِثُ عَلَيْهِ بِهِنَّ، وَأَمْسَحُ بِيَدِ نَفْسِهِ لِبَرَكَتِهَا، فَسَأَلْتُ الزُّهْرِيَّ: كَيْفَ يَنفِثُ؟ قَالَ: كَانَ يَنفِثُ عَلَى

---

(١) متفق عليه: تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٠٤).

(٣) أخرجه البخاري (٥٦٧٨).

(٤) أخرجه أحمد في المسند (١/٣٧٧)، وابن ماجه (٣٤٣٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (٩/٣٤٣).

(٥) أخرجه البخاري (٣٢٦٣)، ومسلم (٢٢١٠).

(٦) أخرجه البخاري (٥٧٠٠)، ومسلم (١٢٠٢) مختصرًا.

يَدَيْهِ، ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ[(١)]

عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ، قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ: أَلاَ أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ قُلْتُ: بَلَى. قَالَ: هَذِهِ الْمَرْأَةُ السَّوْدَاءُ أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ: إِنِّي أُصْرَعُ، وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ فَادْعُ اللَّهَ لِي. قَالَ: «**إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الْجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَكِ**». فَقَالَتْ: أَصْبِرُ. فَقَالَتْ: إِنِّي أَتَكَشَّفُ فَادْعُ اللَّهَ أَنْ لاَ أَتَكَشَّفَ، فَدَعَا لَهَا[(٢)].

ذهبَ جماهيرُ العلماءِ إلى أنَّ التداوِي مباحٌ، ومنهم من قال يُستحَبُّ، وحجتُهم هذه الأحاديثُ وغيرُها، وأنَّ التداوِي لا ينافِي التوكُّلَ إذا اعتقَدَ العبدُ اعتقادًا جازمًا أنَّ الدواءَ سببٌ وأنَّ الشافيَ هو اللهُ سبحانه.

وذهبَ قومٌ إلى أنَّ تركَ التداوِي أفضلُ، وحجتُهم حديثُ المرأةِ السوداءِ وحديثُ عمرانَ بنِ حصينٍ، وهذا مذهبُ أحمدَ[(٣)] وغيره.

ومن أهلِ العلمِ من أوجبِ التداوِيَ، وحجتُهم أحاديثُ البابِ وأنَّ

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٣٥)، ومسلم (٢١٩٢).

(٢) أخرجه البخاري (٥٦٥٢) ومسلم (٢٥٧٦).

(٣) هو الإمام حقًّا وشيخ الإسلام صدقًا أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الذهلي الشيباني المروزي ثم البغدادي أحد الأئمة الأعلام، وكان إمام المحدثين، صنف كتابه المسند، وجمع فيه من الحديث ما لم يتفق لغيره، وقيل: إنه كان يحفظ ألف ألف حديث، قال الشافعي: خرجت من العراق، فما تركت رجلا أفضل ولا أعلم ولا أورع ولا أتقى من أحمد بن حنبل. ولد في شهر ربيع الأول سنة أربع وستين ومائة توفي رحمه الله سنة إحدى وأربعين ومائتين.

الطبقات الكبرى لابن سعد (٧/ ٣٥٤)، وفيات الأعيان (١/ ٦٣)، تذكرة الحفاظ للذهبي (١/ ٤٣١).

تركَ الأسبابِ طعنٌ في الشريعةِ، كما أنَّ الاعتمادَ على الأسبابِ شركٌ، وهذا مذهبُ ابنِ القيِّمِ وطائفةٌ من الحنابلةِ وغيرُهم.

ومن أهلِ العلمِ من فصَّلَ في المسألةِ، وهو اختيارُ شيخِ الإسلامِ.

قال ابنُ القيِّمِ رحمه الله: وفي الأحاديثِ الصحيحةِ الأمرُ بالتداوِي وأنَّه لا ينافِي التوكُّلَ، كما لا ينافِيه دفعُ داءِ الجوعِ والعطشِ والحرِّ بأضدادِها، بل لا تتمُّ حقيقةُ التوحيدِ إلا بمباشرةِ الأسبابِ التي نصبَها اللهُ مقتضياتٍ لمسبباتِها قدرًا وشرعًا، وأنَّ تعطيلَها يقدحُ في نفسِ التوكُّلِ، كما يقدحُ في الأمرِ والحكمةِ ويضعفُه من حيثُ يظنُّ معطلُها أن ترْكَها أقوى في التوكُّلِ، فإنَّ ترْكَها عجزًا ينافِي التوكُّلَ الذي حقيقتُه اعتمادُ القلبِ على اللهِ في حصولِ ما ينفعُ العبدَ في دينِه ودنياه، ودفعِ ما يضرُّه في دينِه ودنياه، ولا بدَّ مع هذا الاعتمادِ من مباشرةِ الأسبابِ، وإلا كانَ معطِّلاً للحكمةِ والشرعِ، فلا يجعلُ العبدُ عجزَه توكُّلاً، ولا توكُّلَه عجزًا[(١)].

قال ابنُ مفلحٍ[(٢)] رحمه الله: التداوِي مباحٌ وتركُه أفضلُ، واختارَ جماعةٌ فعلَه، وقيلَ يجبُ، زادَ بعضُهم: إنْ ظنَّ نَفْعَه[(٣)].

---

(١) زاد المعاد (٤/ ١٥).

(٢) هو شمس الدين أبي عبد الله محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج الرامينى المقدسى الدمشقى، من تلاميذ الإمام المزي، وأحمد بن تيمية أبرز فقهاء الحنابلة. توفي ليلة الخميس ثاني رجب عام ثلاث وستون وسبعمائة بسكتة بالصالحية ودفن بالروضة بالقرب من الشيخ موفق الدين ولم يدفن بها حاكم قبله وله بضع وخمسون سنة.
الدرر الكامنة (٤/ ٢٦١)، الأعلام (٧/ ١٠٧).

(٣) المبدع شرح المقنع لابن مفلح (٢/ ٢١٧).

قال المرداويُّ[١] رحمه الله: تركُ التداوِي أفضلُ، ونصَّ عليه، وقدَّمَه في الفروعِ وغيرِه، واختارَ القاضِي ابنُ عقيلٍ[٢] وابنُ الجوزيِّ[٣] وغيرُهم فعلَه أفضلَ وجزمَ به في الإفصاحِ، وقيل يجبُ زادَ بعضُهم إنْ ظنَّ نَفْعَه[٤].

---

(١) هو: الإمام الفقيه الحبر علي بن سليمان بن أحمد بن محمد العلاء المرداوي ثم الدمشقي الصالحي الحنبلي شيخ المذهب. ولد قريبا من سنة عشرين وثمانمائة بمردا فحفظ القرآن، وأخذ الفقه ثم تحول منها وهو كبير إلى دمشق حوالي سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة فجود القرآن بل يقال أنه قرأه بالروايات. وقد نص أنه على عقيدة أهل السنة في كتابه التحبير في شرح التعبير. توفي سنة خمسة وثمانين وثمانمائة.
الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (٥/٢٢٥)، الأعلام للزركلي (٤/٢٩٢).

(٢) هو عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد القرشي، بهاء الدين بن عقيل من أئمة النحاة. من نسل عقيل بن أبي طالب. وكان عالما بالفقه والعربية والمعاني والبيان والتفسير والأصول، قارئا بالسبع، إلا أنه كان قوي النفس، قال ابن حيان: ما تحت أديم السماء أنحى من ابن عقيل. كان مهيبا، مترفعا عن غشيان الناس ولا يخلو مجلسه من المترددين إليه، كثير العطاء لتلاميذه. ولي قضاء الديار المصرية مدة قصيرة.
طبقات المفسرين (١/٢٤٠)، الأعلام (٤/٩٦).

(٣) هو: الشيخ، الإمام، العلامة، الحافظ، المفسر، صاحب التصانيف شيخ الإسلام، جمال الدين، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن عبد الله ينتهي نسبه بـ القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق. ولد سنة تسع وخمسمائة، حامل لواء الوعظ، كان بحرا في التفسير، علامة في السير والتاريخ، ومعرفة فنونه، فقيها، عليما بالإجماع والاختلاف، جيد المشاركة، إليه انتهت معرفة الحديث وعلومه، والوقوف على صحيحه من سقيمه. توفي سنة سبع وتسعين وخمسمائة.
سير أعلام النبلاء للذهبي (٢١/٣٦٥)، وفيات الأعيان (٣/١٤٠)، تاريخ الإسلام للذهبي (١٢/١١٠٠).

(٤) الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف للمرداوي (٢/٤٦٣).

قال المرغينانيُّ[(١)] رحمه الله: التداوِي مباحٌ بالإجماعِ[(٢)].

قال ابنُ رشدٍ[(٣)] رحمه الله: لا خلافَ فيما أعلمُه في أنَّ التداويَ بما عدا الكيِّ والحجامةِ وقطعِ العروقِ، وأخذِ الدواءِ مباحٌ في الشريعةِ غيرُ محظورٍ، وقد كرِهَهُ بعضُ السلفِ ورأى ترْكَه اتِّكالاً على اللهِ أفضلَ "[(٤)].

قال القاضي[(٥)] رحمه الله: وفي جملةِ هذه الأحاديثِ ما حوَاه – عليه السلام– من علومِ الدينِ والدنيا وصحةِ علمِ الطبِّ، وجوازِ التطبُّبِ في

---

(١) العلامة، عالم ما وراء النهر، برهان الدين، أبو الحسن علي بن أبي بكر بن عبد الجليل المرغيناني الحنفي، من أكابر فقهاء الحنفية نسبته إلى مرغينان (من نواحي فرغانة) كان حافظا مفسرا محققا أديبا، من المجتهدين.
سير أعلام النبلاء (٢١/ ٢٣٢)، الأعلام (٤/ ٢٦٦).

(٢) الهداية في شرح بداية المبتدي (٤/ ٣٨١).

(٣) هو: الإمام، العلامة ابن رشد أبو الوليد محمد بن أحمد بن أحمد شيخ المالكية، القاضي، جد الفليسوف، درس الفقه على المذهب المالكي، وكان عارفا بالفتوى، بصيرا بأقوال أئمة المالكية، نافذا في علم الفرائض، والأصول، مع الدين والفضل، والوقار والحلم، سار في القضاء بأحسن سيرة، وأقوم طريقة، ثم استعفى منه، فأعفي.
سير أعلام النبلاء (١٩/ ٥٠٢)، الأعلام (٥/ ٣١٦).

(٤) المقدمات الممهدات (٣/ ٤٦٦).

(٥) هو: الإمام، العلامة، الحافظ الأوحد، شيخ الإسلام، القاضي، أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض اليحصبي، الأندلسي، ثم السبتي، المالكي. ولد: في سنة ست وسبعين وأربعمائة.
استبحر من العلوم، وجمع، وألف، وسارت بتصانيفه الركبان، واشتهر اسمه في الآفاق جلس القاضي للمناظرة وله نحو من ثمان وعشرين سنة، وولي القضاء وله خمس وثلاثون سنة، كان هينا من غير ضعف، توفي في سنة أربع وأربعين وخمسمائة.
سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٢١٢)، وفيات الأعيان (٣/ ٤٨٣).

الجملةِ... وردٌّ على من أنكرَ ذلكَ من غُلاةِ الصوفيةِ، وإنَّ كانَ كلُّ شيءٍ بقضاءٍ وقدرٍ، فلا حاجةَ للتداوِي.

وحجةُ العلماءِ هذه الأحاديثُ، ويعتقدونَ أنَّ اللهَ تعالى هو الفاعلُ، وأنَّ التداويَ هو أيضًا من قدرةِ اللهِ، وهذا كالأمرِ بالدعاءِ وكالأمرِ بقتالِ الكفارِ، وبالتحصنِ ومجانبةِ الإلقاءِ باليدِ إلى التهلكةِ مع أن الأجلَ لا يتغيرُ، والمقاديرُ لا تتأخرُ ولا تتقدمُ عن أوقاتِها، ولابدَ من وقوعِ المقدراتِ، واللهُ أعلمُ(١).

قال ابنُ تيميةَ رحمه الله: فإنَّ الناسَ قد تنازعُوا في التداوِي، هل هو مباحٌ أو مستحبٌّ أو واجبٌ؟

والتحقيقُ: أنَّ منه ما هو محرَّمٌ، ومنه ما هو مكروهٌ، ومنه ما هو مباحٌ، ومنه ما هو مستحبٌّ، وقد يكون منه ما هو واجبٌ، وهو ما يُعلمُ أنه يحصلُ به بقاءُ النفسِ لا بغيرِه، كما يجبُ أكلُ الميتةِ عندَ الضرورةِ، فإنَّه واجبٌ عندَ الأئمةِ الأربعةِ وجمهورِ العلماءِ(٢). انتهى.

تعقيبٌ وترجيحٌ:

ما رجَّحهُ شيخُ الإسلامِ من أنَّ التداويَ فيه تفصيلٌ هو ما أختارُه وأرجِّحُهُ، لما فيه من الجمعِ بينَ أحاديثِ البابِ، واختلافِ درجاتِ التوكُّلِ عندَ الناسِ بحسبِ قوةِ اليقينِ والدينِ.

فالتداوِي المحرَّمُ: هو التداوِي بحرامٍ أو بخبيثٍ.

---

(١) شرح مسلم للنووي (٧/٤٥٢)، وانظر إكمال المعلم للقاضي عياض (٧/٥٩).
(٢) مجموع الفتاوى (١٨/١٢).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الدَّوَاءِ الْخَبِيثِ(١).

وعَنْ طَارِقِ بْنِ سُوَيْدٍ الْجُعْفِيِّ، سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الْخَمْرِ، فَنَهَاهُ - أَوْ كَرِهَ - أَنْ يَصْنَعَهَا، فَقَالَ: إِنَّمَا أَصْنَعُهَا لِلدَّوَاءِ، فَقَالَ: «**إِنَّهُ لَيْسَ بِدَوَاءٍ، وَلَكِنَّهُ دَاءٌ**»(٢).

قال أبو العباس(٣) رحمه الله: "ولكنَّه داءٌ" دليلٌ على أنَّه لا يجوزُ التداوِي بالخمرِ، ولا بما حرَّمه اللهُ تعالى من النجاساتِ والميتاتِ وغيرِهما أكلاً ولا شربًا، وبه قال كثيرٌ من أهلِ العلمِ(٤).

وأمَّا التداوِي المكروه : كالكيِّ بالنارِ إلا لضرورةٍ، وقد جاءتْ أحاديثُ تدلُّ على ذلك، منها: قولُ رَسُولِ الله ﷺ: «**إِنْ كَانَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَدْوِيَتِكُمْ شِفَاءٌ فَفِي شَرْطَةِ مِحْجَمٍ أَوْ لَذْعَةٍ بِنَارٍ، وَمَا أُحِبُّ أَنْ أَكْتَوِيَ**»(٥)، وعَنْ جَابِرٍ، قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ طَبِيبًا، فَقَطَعَ مِنْهُ

---

(١) أخرجه أحمد (٢/٣٠٥، ٤٤٦)، أبو داود (٣٨٧٠)، والترمذى (٢٠٤٥)، وابن ماجه(٣٤٥٩).

(٢) أخرجه مسلم (١٩٨٤) وأبو داود (٣٨٧٣) وابن ماجه (٣٥٠٠)، والترمذي (٢٠٤٦).

(٣) هو: أبو العباس ضياء الدين أحمد بن عمر بن إبراهيم بن عمر الأنصارى الأندلسىّ القرطبى المالكى الفقيه المحدث. رحل مع أبيه من الأندلس وهو صغير إلى فاس وتلمسان، ثم الإسكندرية، والمدينة ومكّة، والقدس وفى أبو العباس القرطبي رحمه الله في الرابع من ذي القعدة من عام ٦٥٦هـ، ودفن بالإسكندرية.
الوافي بالوفيات (٧/١٧٣)، وتذكرة الحفاظ (٤/١٥٤)، الجواهر المضية في طبقات الحنفية (٢/٤٤٣).

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٥/٢٦١).

(٥) أخرجه البخاري (٥٧٠٤) ومسلم (٢٢٠٥).

عِرْقًا(١). ومن التداوِي المكروهِ أنْ يعتقدَ أنَّه لا يُشْفَى إذا لم يتعاطَ الدواءَ.

قال الحافظ رحمه الله: قولُه: "باب: من اكْتوَى أو كَوَى غيرَه، وفضلُ من لم يكتوِ" كأنَّه أرادَ أنَّ الكيَّ جائزٌ للحاجةِ، وأنَّ الأَوْلَى تركُه إذا لم يتعيَّنْ... وفضلُ تركِهِ من قولِهِ: " **وَمَا أُحِبُّ أَنْ أَكْتَوِيَ**"... والنهيُ محمولٌ على الكراهةِ أو على خلافِ الأَوْلَى لِمَا يقتضِيه مجموعُ الأحاديثِ(٢).

قال الخطابيُّ(٣) رحمه الله: وأما حديثُ عمرانَ بنِ حصينٍ(٤) في النهيِ عن الكَيِّ فقد يحتملُ وجوهًا، أحدُها: أنْ يكونَ من أجلِ أنَّهم كانوا يعظمون أمرَه ويقولون آخرُ الدواءِ الكيُّ، ويروْنَ أنَّه يحسمُ الداءَ ويبرِئُه، وإذا لمْ يفعلْ ذلكَ عطبَ صاحبُه وهلكَ، فنهاهمْ عن ذلكَ إذا كان ذلكَ على هذا الوجهِ، وأباحَ لهم استعمالَه على معنى التوكُّلِ على اللهِ سبحانه وطلبِ الشفاءِ والترجِّي للبدءِ بما يُحدثُ اللهُ عزَّ وجلَّ من صنعِه فيه، ويجلبُه من الشفاءِ على أثرِه فيكونُ الكيُّ والدواءُ سببًا لا علةً(٥).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٠٧).

(٢) فتح الباري (١٠/ ٢٦٤).

(٣) هو: الإمام العلامة المفيد المحدث الرحال، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي الخطابي، صاحب التصانيف. ولد سنة بضع عشرة وثلاثمائة. وكان ثقة متثبتا من أوعية العلم، وقد تكلم البعض في عقيدته إلا أنه صرح بعقيدته في رسالته "الغنية عن الكلام وأهله". وقال ابن رجب: وهذا يدل على أن ما يؤخذ من كلامه في كثير من كتبه مما يخالف ذلك ويوافق طريقة المتكلمين "فقد رجع عنه" فتح الباري (٧/ ٢٣٧) يعني بذلك رجوعه عن ما يخالف عقيدة السلف.
تذكرة الحفاظ (٣/ ١٤٩)، شذرات الذهب (٣/ ١٢٧).

(٤) متفق عليه: تقدم تخريجه قريبًا.

(٥) معالم السنن (٤/ ٢٠٢).

وقال النوويُّ رحمه الله -في معرضِ شرحِه لحديثِ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ-: وقد تكلَّم أصحابُ المعاني على هذا، فذهبَ أبو سليمان الخطابيُّ وغيرُه إلى أن المرادَ: مَنْ تَرَكَها توكلاً على اللهِ ورضاءً بقضائِه وبلائِه، قال الخطابيُّ: وهذهِ من أرفعِ درجاتِ المحققينَ بالإيمانِ، قال: وإلى هذا ذهبَ جماعةٌ سمَّاهم...

وقال رحمه الله: والظاهرُ من معنى الحديثِ ما اختارَه الخطابيُّ ومَنْ وافقَهُ كما تقدَّمَ، وحاصلُه: أنَّ هؤلاءِ كَمُلَ تفويضُهم إلى اللهِ عزَّ وجلَّ فلم يتسبَّبُوا في دفعِ ما أدفعُهُ بهم، ولا شكَّ في فضيلةِ هذه الحالةِ ورجحانِ صاحبِها وأمَّا تطببُ النبيِّ ﷺ ففعَله ليبيِّنَ لنا الجوازَ، واللهُ أعلمُ[1].

قال ابنُ الملقنِ[2] رحمه الله: قولُه: "**لا يسترْقُونَ**" قيل: فيه دليلٌ على كراهيةِ التداوِي، وقيلَ: ليسَ فيه دليلٌ على منعِ الرقيةِ، ووجهُه أنْ يكونَ تركُها توكلاً على اللهِ ورضًا بالبلاءِ والقضاءِ وهذهِ أرفعُ الدرجاتِ، وذهبَ إلى هذا أبو الدرداءِ وغيرُه من الصحابةِ، ورُوِيَ ذلك عن الصِدِّيقِ وابنِ مسعودٍ.

---

(١) شرح مسلم للنووي (٢/ ٩٤ – ٩٥).

(٢) هو الإمام أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الأنصاري الشافعي، سراج الدين، المعروف بابن الملقن وابن النحوي، ولد سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة صاحب المؤلفات الكثيرة المشهورة، من أكابر العلماء بالحديث والفقه وتاريخ الرجال. أصله من وادي آش (بالأندلس) ومولده ووفاته في القاهرة. له نحو ثلاثمائة مصنف. ومات سنة أربع وثمانمائة بالقاهرة.
الضوء اللامع (٦/ ١٠٠)، طبقات ابن قاضي شهبة (٤/ ٤٣)، الأعلام (٥/ ٥٧).

ويُحتمَلُ أنْ يكونَ كَرِهَ من الرقيةِ ما كانَ على مذهبِ التمائمِ التي كانوا في الجاهليةِ يعلِّقونها، والعوزِ التي كانوا في الجاهليةِ يتعاطوْنَهَا يزعمون أنَّها تُذْهِبُ الآفاتِ عنهم، وكانوا يروْنَ معظمَ السببِ في ذلك الجنُّ ومعونتُهم، وهذا محظورٌ محرمٌ التصديقُ بِهِ[١]. انتهى.

أمَّا التداوِي المباحُ والمستحبُّ والواجبُ: فعلى التفصيلِ الذي ذكرَه أهلُ العلمِ كما تقدَّمَ، واللهُ تعالى أعلمُ.

الخلاصةُ في حكمِ التداوِي:

١- أن التداوِيَ بغيرِ محرم مباحٌ لأحاديثِ البابِ.

٢- تركُ التداوِي أفضلُ لمنْ حقَّقَ منزلةَ التوكُّلِ ولهُ القدرةُ على تحمُّلِ آلامِ المرضِ، فقد يكونُ الإنسانُ متوكِّلاً ولكنْ ليسَ له طاقةٌ على تحمُّلِ الألمِ، فيلجأُ إلى التداوِي مع كاملِ توكُّلِهِ وحسنِ اعتقادِهِ.

٣- يُستحَبُّ التداوِي لمنْ علمَ أنَّ المرضَ يحولُ بينَه وبينَ القيامِ بأمورِ الدينِ والدنيا، وأيضًا لمنْ علمَ مِنْ حالِه أنَّ استمرارَ المرضِ قد يُفضِي به إلى السُخْطِ والجزعِ فيُستحَبُّ له التداوِي، حتى لا يتركَ مُباحًا ويقعَ في محذورٍ.

٤- يجبُ التداوِي لمنْ علمَ أنَّ هلاكَهُ في تركِ التداوِي، لأنَّ من مقاصدِ الشريعةِ حفظُ النفسِ.

واعلمْ أنَّ الأخذَ بالأسبابِ – مع اليقينِ الكاملِ على أنَّ السببَ لا ينفعُ ولا يضرُّ بذاتِه، وأنَّ الشافيَ هو اللهُ وحدَه – لا ينافِي التوكُّلَ، وهذا

(١) التوضيح (٢٧/ ٤٠٨).

خلاصةُ ما تكلَّمَ به أهلُ العلمِ في هذا البابِ كما سبقَ بيانُ ذلكَ، واللهُ أعلمُ وأحكمُ.

الدعاءُ:

لغةً (دَعَوَ): الدال والعين والحرف المعتلُ أصلٌ واحدٌ، وهو أنَّ تُميلَ الشيءَ إليكَ بصوتٍ وكلامٍ يكونُ منك، تقولُ: دعوْتُ أدعُو دعاءً(١).

قال المناويُّ رحمه الله: هو لسانُ الافتقارِ بشرحِ الاضطرارِ، وقيل: هو شفيعُ الحاجةِ ونُجْحُها باللجاجةِ، وقيل: طلبُ كشفِ الغمةِ لتطلعَ موضوعَ القسمةِ (٢).

قال ابنُ حجر رحمه الله: الدعاءُ الطلبُ، والدعاءُ إلى الشيءِ: الحثُ على فعلِه، ودعوتُ فلانًا: سألتُه، ودعوتُه استغثتُه ويُطلقُ أيضًا على رفعةِ القدرِ كقولِه تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [غافر: ٤٣].

كذا قال الراغبُ، ويكونُ ردُّه إلى الذي قبلَه، ويُطلقُ الدعاءُ أيضًا على العبادةِ، والدَّعوى بالقصرِ، الدعاءُ كقولِه تعالى: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ﴾ [يونس: ١٠] والادعاءُ كقولِه تعالى: ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ﴾ [الأعراف: ٥]

وقال الراغبُ رحمه الله: الدعاءُ على التسميةِ كقولِه تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾[النور: ٦٣].

---

(١) مقاييس اللغة (٢/٢٧٩).

(٢) التوقف على كلمات التعريف (١٦٦).

وقال الراغبُ رحمه الله: الدعاءُ والنداءُ واحدٌ، لكنْ قد يتجردُ النداءُ عن الاسمِ والدعاءُ لا يكادُ يتجردُ.

وقال أبو القاسم القشيريُّ رحمه الله(١): في شرحِ الأسماءِ الحسنى ما ملخصُه: جاءَ الدعاءُ في القرآنِ على وجوهٍ:

منها العبادةُ: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ [يونس: ١٠٦]

ومنها الاستغاثةُ: ﴿وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم﴾ [البقرة: ٢٣]

ومنها السؤالُ: ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]

ومنها القولُ: ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ﴾ [يونس: ١٠]

والنداءُ: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ﴾ [الإسراء: ٥٢]

والثناءُ: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ﴾ [الإسراء: ١١٠](٢).

وشرعًا: قال الطيبيُّ رحمه الله: الدعاءُ هو إظهارُ غايةِ التذللِ والافتقارِ إلى اللهِ والاستكانةِ له، وما شُرعتْ العباداتُ إلا للخضوعِ للبارِي وإظهارِ

---

(١) هو الإمام أبو القاسم عبد الكريم بن هوزان بن عبد الملك بن طلحة بن محمد القشيري الفقيه الشافعي؛ كان علامة في الفقه والتفسير والحديث والأصول والأدب والشعر والكتابة وعلم التصوف، جمع بين الشريعة والحقيقة. وكان ثقة، وكان يقص وكان حسن الوعظ، مليح الإشارة، وكان يعرف الأصول على مذهب الأشعري، والفروع على مذهب الشافعي. ولد في ربيع الأول سنة ستّ وسبعين وثلاثمائة، مات سنة خمس وستّين وأربعمائة.
وفيات الأعيان (٣/٢٠٥)، طبقات الشافعية (٥/١٥٣).

(٢) فتح الباري (١١/٩٧).

الافتقارِ إليه [(١)].

قال اللهُ تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

قال سبحانه: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥].

وقال تعالى: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٦٣].

وقال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وقال جلَّ ذكرُه: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل: ٦٢] إلى غير ذلك من الآيات.

فالدعاءُ منْ أفضلِ أنواعِ العبادةِ لأنَّه يدلُّ على افتقارِ العبدِ لربِّه واعتقادِه أنه على كلِّ شيءٍ قديرٌ وأنَّه سبحانه عندَه خزائنُ السماواتِ والأرضِ، فيتبرأُ من حولِه وقوتِه في تحصيلِ مطلبِه، ويلجأُ إلى اللهِ فيسألُه حاجتَه لأنَّه يعلمُ أنَّه عظيمُ المنِّ كريمُ الصفحِ واسعُ المغفرةِ، فيدعوه سبحانه طلبًا لثوابِه وخوفًا من عقابِه ففيه تحقيقُ العبوديةِ للهِ وحدَه، لعلمِه أنَّ الذي يكشفُ الضرَ ويجلبُ النفعَ هو اللهُ، ولذلك كان صرفُ الدعاءِ

(١) المصدر السابق.

لغيرِ اللهِ شركٌ أكبرُ مخرجٌ من الملةِ، فلا يجوزُ أنْ يلجأُ العبدُ إلى غيرِ اللهِ فيدعُوه، سواءٌ كان المدعوُّ حيًّا أو ميتًا، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

قال الشوكانيُّ[(١)] رحمه الله: أي: ذلِيلينَ صاغرينَ، وهذا وعيدٌ شديدٌ لمن استكبرَ عن دعاءِ اللهِ، وفيهِ لطفٌ بعبادِه وإحسانٌ إليهم جليلٌ، حيثُ توعَّدَ من تركَ طلبَ الخيرِ منه واستدفاعَ الشرِّ به بهذا الوعيدِ البالغِ وعقابِه بهذه العقوبةِ العظيمةِ[(٢)]. انتهى.

وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [يونس: ٦].

وقال: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٧].

فلابدَ أنْ يعتقدَ العبدُ أنَّه إذا مسَّه ضرٌّ فلا يستطيعُ أحدٌ أنْ يكشفَه إلا

---

(١) هو: الإمام محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، الفقيه المجتهد من كبار علماء اليمن، من أهل صنعاء. ولد سنة ثلاث وسبعين ومائة وألف نشأ بصنعاء. وولي قضاءها سنة ١٢٢٩ ومات حاكما بها. وكان يرى تحريم التقليد. له ١١٤ مؤلفا. ومع استفادته من عقيدة السلف غير أنه في باب الأسماء والصفات كما يتضح لمن نظر في تفسيره: 'فتح القدير' يجد الرجل على طريقة المؤولة. وتوفي سنة خمسين ومائتين وألف.
البدر الطالع بمحاسن ما بعد القرن السابع (٢/ ٢١٤)، الأعلام للزركلي (٦/ ٢٩٨).

(٢) فتح القدير (٤/ ٧٠٩).

إذا أَذِنَ اللهُ ويسَّرَ له الأسبابَ، وإنْ أرادَ اللهُ بالعبدِ خيرًا فلا يستطيعُ أحدٌ أنْ يردَّ هذا الخيرَ ولو ملك كلَّ الأسبابِ.

وعن النُّعْمَانِ بن بَشِيرٍ عَن النَّبي ﷺ في قوله: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ قَال: الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ(١) وقرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ إلى قولِه: ﴿دَاخِرِينَ﴾.

وقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «... **وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ الله**»(٢).

وعَن عَبْدِ اللَّهِ بْنَ مُغَفَّلٍ، سَمِعَ ابْنَهُ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْقَصْرَ الْأَبْيَضَ، عَنْ يَمِينِ الْجَنَّةِ إِذَا دَخَلْتُهَا، فَقَالَ: أَيْ بُنَيَّ، سَلِ اللَّهَ الْجَنَّةَ، وَتَعَوَّذْ بِهِ مِنَ النَّارِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّهُ سَيَكُونُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الطَّهُورِ وَالدُّعَاءِ**»(٣).

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلْيَعْزِمِ المَسْأَلَةَ، وَلاَ يَقُولَنَّ: اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ فَأَعْطِنِي، فَإِنَّهُ لاَ مُسْتَكْرِهَ لَهُ**»(٤).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ، وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ**»(٥).

---

(١) أخرجه أبو داود (١٤٧٩)، وابن ماجه (٣٢٤٧)، وانظر صحيح سنن الترمذي (٢٩٦٩).
(٢) أخرجه الترمذي (٢٥١٦) وأحمد (١/٢٩٣) وغيرهما.
(٣) صحيح سنن أبي داود (٩٦) وابن ماجه (١٣٨٦٤).
(٤) أخرجه البخاري (٦٣٣٨) ومسلم (٢٦٧٨).
(٥) أخرجه مسلم (٤٨٢).

عَنْ سَلْمَانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ رَبَّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَيِيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ، أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا**»(١).

إلى غيرِ ذلكَ في الأحاديثِ الكثيرةِ في هذا البابِ.

الإخلاصُ:

في اللغةِ: هو تنقيةُ الشيءِ.

قال ابنُ فارسٍ رحمه الله**:** خَلَصَ: الخاء واللام والصاد أصلٌ واحدٌ مطَّردٌ، وهو تنقيةُ الشيءِ وتهذيبُه، يقولون: خلصتُه من كذا وخَلَصَ هو(٢).

وفي الشَّرعِ:

قال الكفويُّ رحمه الله**:** هو القصدُ بالعبادةِ إلى أن يُعبدَ بها المعبودُ وحدَه.

وقيل: تصفيةُ السرِّ والقولِ والعملِ(٣).

وقال الجرجاني رحمه الله**:** الإخلاصُ أَلَّا تطلبَ لعملِ شاهدًا غيرَ اللهِ تعالى(٤).

فينبغِي أنْ يكونَ قصدُ العبدِ بجميعِ أعمالِه الظاهرةِ والباطنةِ ثوابَ اللهِ تعالى لا غيرَه، فلا يبتغِي بعملِه مدحَ الناسِ ولا جاهًا ولا رئاسةً ولا مالًا ولا أي أمرٍ من أمورِ الدنيا سواءٌ كان ماديًّا أو معنويًّا.

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ١٩ إِلَّا

---

(١) صحيح سنن أبي داود (١٤٨٨) والترمذي (٣٥٥٦) وابن ماجه (٣٨٦٥).

(٢) مقاييس اللغة (٢/٢٠٨) مادة (خلص).

(٣) الكليات (ص ٦٤).

(٤) التعريفات (ص١٣).

﴿ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [الليل: ١٩، ٢٠]

قال اللهُ تعالى لنبيِّه ﷺ: ﴿قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر: ١١].

وقال: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى﴾ [الزمر: ١٤].

وقال تعالى: ﴿وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [الأعراف: ٢٩].

وقال جلَّ ذكرُه: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٢-٣].

وقال سبحانه: ﴿فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [غافر: ١٤].

وقال جلَّ ذكرُه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥].

قال القاسميُّ[(١)] رحمه الله: في تفسيرِ هذه الآيةِ، أي: الإذعانُ والخضوعُ، وذلكَ بتنقيتِه منْ أنْ يشركَه فيه شيءٌ، لا واسطةَ ولا مالَ ولا كرامةَ ولا جاهَ[(٢)].

قال القرطبيُّ رحمه الله: ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ أي: العبادةَ... وفي هذا

---

(١) هو العلامة الشيخ أبو الفرج محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم بن صالح بن إسماعيل بن أبي بكر، المعروف بالقاسمي، نسبة إلى جده، ولد سنة ثلاث وثمانين ومائتين وألف فى دمشق. توفى سنة ١٣٣٢ هـ بدمشق.
كان سلفى المنهج على منهج أهل السنة والجماعة والقارئ فى تفسيره يرى منهج السلف ظاهرا، فهو يكثر النقل عن علماء السلف، ويورد حججهم وأدلتهم، وردودهم على شبه الخصوم. معجم المؤلفين (٣/١٥٧)، الأعلام (٢/١٣٥).

(٢) محاسن التأويل (٧/٣٦٧).

دليلٌ على وجوبِ النيةِ في العباداتِ، فإن الإخلاصَ من عملِ القلبِ، وهو الذي يرادُ به وجهَ اللهِ تعالى لا غيرَه[١].

وفي الحديثِ القدسيِّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**»[٢].

وقال ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا، وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ** »[٣].

وقال ﷺ: «**ثَلَاثٌ لَا يُغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَالنُّصْحُ لِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَلُزُومُ جَمَاعَتِهِمْ**» [٤].

وقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَإِنَّمَا لِامْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ**»[٥].

الاتباعُ:

في اللغةِ: مصدرُ اتبَّعَ، مأخوذٌ من مادةِ (ت ب ع) التي تدلُّ على التُّلُوِّ والعفوِ، يقال: تبعتُ القومَ تبعًا وتباعةً بالفتحِ، إذا مشيتَ خلفَهم أو مرَّوا بك فمضيتَ معهم، وتبعتَ الشيءَ: سرتَ في أثرِه، والتابعُ: التالي،

(١) تفسير القرطبي (٢٠/١٤٣).
(٢) أخرجه مسلم (٢٩٨٥).
(٣) النسائي (٦/٢٥)
(٤) صحيح سنن ابن ماجه (٢٣٠).
(٥) أخرجه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧).

والجمعُ: تُبَّعٌ وتُبَّاعٌ وتبعةٌ والتبعُ اسمٌ للجمعِ.

وقال أبو عبيدٍ(١): أتبعتُ القومَ إذا كانوا قد سبقوكَ فلحقتَهم.

وقال الفراءُ(٢): أتبعَ أحسنُ من اتبعَ، لأن الاتباعَ أن يسيرَ الرجلُ وأنت تسيرُ وراءَه، فإذا قلتَ أتبعتَه فكأنك قفوتَهُ (٣).

وفي الشرعِ:

قال الإمامُ أحمدُ رحمه الله: هو أنْ يتَّبعَ الرجلُ ما جاءَ عن النبيِّ ﷺ وعنْ أصحابِه ثم هو من بعدُ في التابعينَ مخيَّرٌ.

وقال ابنُ عبدِ البرِّ رحمه الله(٤): الاتباعُ ما ثبتَ عليه الحجةُ، وهو اتباعُ كلِّ

---

(١) هو: الإمام الفقيه القاضي الحافظ المجتهد، صاحب التصانيف: القاسم بن سلام البغدادي اللغوي، ولد سنة **١٥٧**هـ وكان أبوه عبدًا روميًّا لبعض أهل هراة. قال ابن حبان: «كان أحد أئمة الدنيا، صاحب حديث، وفقه، ودين، وورع، جمع وصنف، واختار». له من المصنفات الكثير منها: «غريب الحديث»، و«الأمثال» مات بمكة سنة **٢٢٤**هـ على أصح الأقوال، وكان عمره يوم وفاته **٧٣** سنة.

تهذيب التهذيب لابن حجر (٨/ ٣١٥)، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٩٠).

(٢) هو: العلامة، صاحب التصانيف، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظورٍ الأسديّ مولاهم، الكوفيّ، النّحويّ، صاحب الكسائيّ، وكان ثقة إماما، نزل بغداد، وأملى بها كتبه في معاني القرآن، وعلومه، مات الفرّاء: بطريق الحجّ، سنة سبعٍ ومائتين، وله ثلاثٌ وستّون سنةً -رحمه الله-

سير أعلام النبلاء (١٠/١١٨)، تاريخ بغداد (١٦/٢٢٤)، معجم الأدباء (٦/٢٨١٢).

(٣) اللسان (١/٤١٦-٤١٨) معجم مقاييس اللغة (١/٣٦٢).

(٤) هو: شيخ الإسلام حافظ المغرب، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي المالكي، من كبار حفاظ الحديث، فقيه حافظ مكثر، عالم بالقراءات =

من أَوجبَ عليكَ الدليلُ اتباعَ قولِه، فالرسولُ ﷺ هو المثلُ الأعلى في اتباعِ ما أُمرَ بهِ (١).

اعلمْ أنَّ العملَ لا يُقبلُ إلا إذا تحقَّقَ فيه شرطان: الإخلاصُ والاتباعُ. فالعملُ إذا كانَ خالصًا للهِ وغيرَ موافقٍ للسُّنَّةِ فهو بدعةٌ مردودٌ على صاحِبه، وإن كان وفقَ السُّنَّةِ وليس خالصًا للهِ– كالعملِ الذي يخالطُهُ الرياءُ وحظُ النفسِ والشيطانِ – لا يُقبَلُ، فلابدَ من تحقيقِ الإخلاصِ والاتباعِ معًا حتى يُقبَلَ العملُ، وقد جاءت نصوصٌ كثيرةٌ في الكتابِ والسُّنَّةِ تأمرُ باتباعِ النبيِّ ﷺ نذكرُ منها:

قولَ اللهِ تعالى: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ﴾ [آل عمران: ٣١].

وقولَه تعالى: ﴿وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ﴾ [الأعراف: ١٥٧-١٥٨].

وقولَه جلَّ ذكرُه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٤].

وقولَه سبحانه: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ

=

وبالخلاف. ولد سنة ثمان وستين وثلاثمائة. وكان دينا ثقة حجة صاحب سنة واتباع، وكان أولا ظاهريا أثريا ثم صار مالكيا مع ميل كثير إلى فقه الشافعي. توفي سنة ثلاث وستين وأربعمائة.

تذكرة الحفاظ للذهبي (٣/٢١٧)، الأعلام (٨/٢٤٠).

(١) أضواء البيان للشنقيطي (٧/٥٤٨) .

ﭐلۡعَزِيزُ ﭐلۡغَفُورُ﴾ [الملك: ١، ٢].

قال الفضيلُ بنُ عياضٍ ﷺ: ﴿أَحۡسَنُ عَمَلاً﴾ أخلصُه وأصوبُه وقال: العملُ لا يُقبَلُ حتى يكونَ خالصًا صوابًا، والخالصُ إذا كانَ للهِ، والصوابُ إذا كان على السُّنَّةِ(١).

وقد أخرجَ البخاريُّ ومسلمٌ في صحيحيْهما من حديثِ عَائِشَةَ رضيَ اللهُ عنها أنها قالتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « **مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ، فَهُوَ رَدٌّ** »(٢).

وفي رواية: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا، فَهُوَ رَدٌّ**»(٣).

الصدقُ:

في اللغةِ: الصدقُ: ضدُّ الكذبِ، وقدْ صدقَ في الحديثِ يَصدُقُ بالضمِّ صدقًا، ويقالُ أيضًا: صَدَقَهُ الحديثَ وفي المودةِ والمُصدَّقُ: الذي يُصدقُكَ في حديثِكَ (٤).

وفي الشرعِ: قال ابنُ الملقنِ: الذين يصْدقُونَ في قولِهم وعملِهم، وقيلَ: في إيمانِهم يوفُون بما عاهدُوا (٥).

---

(١) تفسير البغوي (٨/١٧٦).

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٩٧) ومسلم (١٧١٨).

(٣) أخرجه مسلم (١٧١٨).

(٤) مختار الصحاح (١٥٤) مادة (ص د ق).

(٥) التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٢٨/٤٥٩) عمدة القاري للبدر العيني (١٥/٢٣٩).

فبالصدقِ يتميزُ أهلُ الإيمانِ من أهلِ النفاقِ، وهو الباعثُ على تحملِ الصعابِ، فإذا صدقَ العبدُ في حبِّه للهِ ورسولِه، وطلبِه للجنةِ وخوفِه من النارِ، استعدَّ ليومِ الرحيلِ، فتراهُ زاهدًا في الدنيا ساعيًا للآخرةِ مستقيمًا على طاعةِ اللهِ في الظاهرِ والباطنِ بحسبِ قدرتِه، فقد قالَ تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ [التغابن: ١٦]، فالعبدُ الصادقُ يبذلُ الجهدَ ويستفرغُ الوقتَ لتحقيقِ العبوديةِ للهِ، بفعلِ الأمرِ وتركِ النهي ومتابعةِ النبيِّ ﷺ، واللهُ سبحانه يختبرُ عبادَه ويبتليهم حتى يعلمَ الصادقينَ منهم ويعلمَ الكاذبينَ.

قال جلَّ ذكرُه: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ١ -٣].

وقد أمرَ اللهُ تعالى أهلَ الإيمانِ بالصدقِ وأثنى على الصادقينَ منهم.

قال تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

وقال سبحانه: ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ۝٢٣ لِّيَجۡزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدۡقِهِمۡ﴾ [الأحزاب: ٢٣- ٢٤].

وقد أخبرَ سبحانه أنَّ نجاةَ العبدِ يومَ القيامةِ من النارِ وفوزَه بالجنةِ يكونُ بالصدقِ قال تعالى: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [المائدة: ١١٩].

وقد أمرَ نبيَّنا ﷺ أنْ يسألَه أنْ يجعلَ مدخلَه ومخرجَه على الصدقِ أي في مرضاةِ اللهِ.

قال جلَّ ثناؤُه: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا﴾ [الإسراء: ٨٠].

وقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى البِرِّ، وَإِنَّ البِرَّ يَهْدِي إِلَى الجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا**»(١).

وكان الصدقُ صفتَه ﷺ، قالت له خديجةُ رضيَ اللهُ عنها: " .... إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتُكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ "(٢)

وكان يأمرُ بالصدقِ كما في حديثِ هرقلَ مع أبي سفيانَ لمَّا قال له: مَاذَا يَأْمُرُكُمْ؟ قُلْتُ: يَقُولُ: اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَاتْرُكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّدْقِ وَالعَفَافِ وَالصِّلَةِ.(٣)

الإنابةُ:

في اللغةِ: قال ابنُ فارسٍ رحمه الله: النونُ والواوُ والباءُ كلمةٌ واحدةٌ تدلُّ على اعتيادِ مكانٍ ورجوعٍ إليه(٤).

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧).

(٢) أخرجه البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠) واللفظ له.

(٣) أخرجه البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣).

(٤) مقاييس اللغة (٥/٣٦٧).

وقال الجوهريُّ رحمه الله: أنابَ إلى اللهِ أي: أقبلَ وتابَ [(١)].

وقال ابنُ الأثيرِ رحمه الله: أنابَ يُنيبُ إنابةً فهو منيبٌ إذا أقبلَ ورجعَ [(٢)].

واصطلاحًا: إخراجُ القلبِ من الظلماتِ والشبهاتِ، وقيلَ: الرجوعُ من الكلِّ إلى منْ له الكلُّ، وقيلَ: الرجوعُ من الغفلةِ إلى الذكرِ، ومن الوحشةِ إلى الأنسِ [(٣)].

وقال الكفويُّ رحمه الله: الإنابةُ الرجوعُ عن كلِّ شيءٍ إلى اللهِ تعالى [(٤)].

قال اللهُ تبارك وتعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ﴾[الزمر: ١٧].

وقال سبحانه:﴿وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ٨٨﴾ [هود: ٨٨].

وقال: ﴿رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾[الممتحنة: ٤].

وقال جلَّ وعلا: ﴿مَّنۡ خَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ وَجَآءَ بِقَلۡبٖ مُّنِيبٍ﴾ [ق: ٣٣].

وقال جلَّ ثناؤه: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [الزمر: ٥٤].

أي: ارجِعوا إلى اللهِ واستسلموا له ﴿مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ

---

(١) الصحاح (١/ ٢٢٩).

(٢) النهاية (٥/ ١٢٣).

(٣) التعريفات للجرجاني (ص: ٣٩).

(٤) الكليات (ص: ٣٠٨).

﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ أي: بادروا بالتوبةِ والعملِ الصالحِ قبلَ حلولِ النقمةِ(١).

قال البغويُّ رحمه الله(٢): قولُه عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ أقبلُوا وارجعوا إليه بالطاعةِ ﴿وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ﴾ أخلصُوا له التوحيدَ(٣).

وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**اللَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ سَقَطَ عَلَى بَعِيرِهِ، وَقَدْ أَضَلَّهُ فِي أَرْضِ فَلَاةٍ**»(٤).

وكان يقولُ ﷺ في دعاءِ قيامِ الليلِ: « ...**اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت**»(٥).

وقال ﷺ: «**رَبِّ اجْعَلْنِي لَكَ شَكَّارًا، لَكَ ذَكَّارًا، لَكَ رَهَّابًا، لَكَ مُطِيعًا، إِلَيْكَ مُخْبِتًا، إِلَيْكَ أَوَّاهًا مُنِيبًا**... »(٦).

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/٥٤ – ٥٥).

(٢) هو: الشيخ، الإمام، العلامة، القدوة، الحافظ، شيخ الإسلام، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي، الشافعي، المفسر، صاحب التصانيف، وكان البغوي يلقب بمحيي السنة وبركن الدين، وكان زاهدا قانعا باليسير، بورك له في تصانيفه، ورزق فيها القبول التام، لحسن قصده، وصدق نيته، وتنافس العلماء في تحصيلها، على منهاج السلف حالا وعقدا، وله القدم الراسخ في التفسير.
سير أعلام النبلاء (١٩/٤٣٩)، طبقات الشافعيين (١/٥٤٨).

(٣) تفسير البغوي (٧/١٢٨).

(٤) أخرجه البخاري (٦٣٠٩) ومسلم (٢٧٤٧).

(٥) أخرجه البخاري (٧٣٨٥)، ومسلم (٧٦٩).

(٦) صحيح سنن أبي داود (١٥١٠)، والترمذي (٣٥٥١)، وابن ماجه (٣٨٣٠) واللفظ له.

الذَّبحُ:

في اللغةِ: الذَّبْحُ: قطعُ الحلقومِ من باطنٍ عندَ النصيلِ وهو موضعُ الذبحِ من الحلقِ...

وقال الأزهريُّ رحمه الله: الذِّبْحُ: ما أُعِدَّ للذبحِ، وأصلُ الذبحِ الشقُّ(١).

قال الراغبُ رحمه الله: أصلُ الذبحِ شقُّ حلقِ الحيواناتِ(٢).

وفى الشَّرعِ: إزهاقُ الروحِ بإراقةِ الدَّمِ، ويقعُ على وجوهٍ:

الأولُ: أنْ يقصدَ تعظيمَ المذبوحِ له والتقربَ إليه، وهذا لا يكونُ إلا للهِ الواحدِ الأحدِ – سواءٌ كان الذبحُ نسكًا واجبًا أو مستحبًا – وصرفُهُ لغيرِ اللهِ تعالى شركٌ أكبرُ، سواءٌ كان للأوثانِ أو الملائكةِ أو للأولياءِ أو غيرِهم.

قال اللهُ تبارك وتعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

قال ابنُ كثيرٍ رحمه الله: يأمرُه تعالى أن يخبرَ المشركينَ الذينَ يعبدون غيرَ اللهِ ويذبحونَ لغيرِ اسمِه، أنه مخالفٌ لهم في ذلك، فإن صلاتَه للهِ ونسكَه على اسمِه وحدَه لا شريكَ لهُ، وهذا كقولِه تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ أي: أَخلصْ له صلاتَك وذبحَك، فإنَّ المشركينَ كانوا يعبدُون الأصنامَ ويذبحون لها، فأمرَه اللهُ تعالى بمخالفتِهم والانحرافِ عما همْ فيه، والإقبالِ بالقصدِ والنيَّةِ والعزمِ على الإخلاصِ للهِ تعالى.

---

(١) لسان العرب (٣/ ٤٨٦ – ٤٨٧) مادة (ذبح).

(٢) المفردات (ص ١٨٢)

قال بعضُ العلماءِ في قولِه: ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ النُّسكُ: الذبحُ في الحجِّ والعمرةِ، وقال آخرون: ﴿وَنُسُكِي﴾ قال: ذبْحِي[(١)].

قال أبو جعفرٍ رحمه الله[(٢)]: ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ يقول: وذبحِي ﴿وَمَحْيَايَ﴾ يقول: حياتي ﴿وَمَمَاتِي﴾ يقول: ووفاتي ﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يعني أنَّ ذلكَ كلَّه خالصٌ دونَ ما أشركتُم به أيُّها المشركون من الأوثانِ ﴿لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ في شيءٍ من ذلكَ من خلقِه ولا لشيءٍ منهم فيه نصيبٌ، لأنَّه لا ينبغِي أن يكونَ ذلكَ إلا له خالصًا[(٣)].

فكلُّ ما أُهلَّ لغيرِ اللهِ بهِ فهو شركٌ، قال سبحانه: ﴿وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ [المائدة: ٣].

قال ابنُ عطيةَ رحمه الله: وقولُه: ﴿وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ يعني: ما ذُبحَ لغيرِ اللهِ تعالى، وقُصِدَ به صنمٌ أو بشرٌ من الناسِ كما كانت العربُ تفعلُ، وكذلك النصارى، وعادةُ الذبحِ أن يُسمِّيَ مقصودَه ويصيحَ به فذلك إهلالُه[(٤)].

وكذلك الذبحُ عندَ الأنصابِ والأوثانِ، وإنْ ذُكرَ اسمُ اللهِ عليها فهو من المحرماتِ، لقولِه تعالى: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾ [المائدة: ٣].

قال ابنُ كثيرٍ رحمه الله: وحُرمَ عليهم أكلُ هذه الذبائحِ التي فُعلت عند النُّصُبِ حتى ولو كان يُذكرُ عليها اسمُ اللهِ في الذبحِ عندَ النُّصُبِ، فهو من

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٩٩).
(٢) هو الإمام الطبري صاحب التفسير.
(٣) تفسير الطبري (٥/ ١٤٧).
(٤) المحرر الوجيز (٥/ ٢١).

الشركِ الذي حرَّمَه اللهُ ورسولُه(١).

وفي الصحيح من حديثِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قال: «**لَعَنَ اللهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَهُ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الْأَرْضِ**»(٢).

قال النوويُّ رحمه الله: وأمَّا الذبحُ لغيرِ اللهِ، فالمرادُ به أنْ يذبحَ باسمِ غيرِ اللهِ تعالى، كمنْ ذبحَ للصنمِ، أو للصليبِ، أو لموسى أو لعيسى -صلى الله عليهما- أو للكعبةِ ونحوِ ذلك، فكلُّ ذلك حرامٌ ولا تحلُّ هذه الذبيحةُ... فإنْ قصدَ مع ذلك تعظيمَ المذبوحِ له غيرَ اللهِ تعالى والعبادةَ له كانَ ذلك كفرًا، فإنْ كانَ الذابحُ مسلمًا قبلَ ذلك صارَ بالذبحِ مرتدًّا(٣). انتهى.

الثاني: أن يُقصدَ بالذبحِ الأكلُ أو الاتجارُ به أو ما أشبهَ ذلك، فهذا من أقسامِ المباحِ إذا كان بالضوابطِ الشرعيةِ، أي ليس فيه ما يخالفُ شرعَ اللهِ عندَ إزهاقِ روحِ الذبيحةِ.

قال اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ ۝٧١ وَذَلَّلْنَـٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾ [يس: ٧١، ٧٢].

النَّذرُ:

في اللغةِ: تقولُ: نذَرْتُ وأَنذرُ وأَنْذُرًا نذْرًا: إذا أوجبتَ على نفسِك

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/٩٩).

(٢) أخرجه مسلم (١٩٧٨) وغيره.

(٣) مسلم بشرح النووي (٧/١٥٦ – ١٥٧).

شيئًا تبرعًا من عبادةٍ أو صدقةٍ أو غيرِ ذلك (١).

قيل: وهو الوعدُ بخيرٍ أو شرٍ، وكذا إيجابُ الإنسانِ على نفسِه ما ليس بواجبٍ لحدوثِ أمرٍ (٢).

وفي الشرعِ: قال الشوكانيُّ: هو ما أوجبَه المكلفُ على نفسِه تعظيمًا للهِ تعالى (٣).

وقال الجرجانيُّ رحمه الله: هو إيجابُ عينِ الفعلِ المباحِ على نفسِه تعظيمًا للهِ تعالى(٤).

قال جلَّ ثناؤُه: ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓ﴾[آل عمران:٣٥].

وقال سبحانه: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾﴾ [مريم: ٢٦].

واعلمْ أنَّ النذرَ عبادةٌ من العباداتِ لايجوزُ صرفُه لغيرِ اللهِ تعالى.

قال شيخُ الإسلامِ رحمه الله: والنذرُ للمخلوقاتِ أعظمُ من الحلفِ بها فمن نَذَرَ لمخلوقٍ لم ينعقدْ نذرُه، ولا وفاءَ عليه باتفاقِ العلماءِ ، مثلُ منْ ينذرُ لميِّتٍ من الأنبياءِ والمشايخِ وغيرِهم... وكذلك من نذرَ لغيرِ هؤلاءِ زيتًا أو شمعًا أو ستورًا أو نقدًا ذهبًا أو دراهمَ، أو غيرَ ذلك، فكلُّ هذه

(١) اللسان (٨/٥١٢).
(٢) المفردات للراغب (٤٨٧).
(٣) فتح القدير (٥/٣٤٧).
(٤) التعريفات (٣٠٨).

النذورِ محرمةٌ باتفاقِ المسلمينَ ولا يجبُ بل ولا يجوزُ الوفاءُ بها باتفاقِ المسلمينَ وإنما يُوفَى بالنذرِ إذا كان للهِ عزَّ وجلَّ وكان طاعةً فإن النذرَ لا يجوزُ إلا إذا كان عبادةً ولا يجوزُ أن يعبدَ اللهُ إلا بما شرعَ، فمن نذرَ لغيرِ اللهِ فهو مشركٌ أعظمُ من شركِ من حلفَ بغيرِ اللهِ، وهو كالسجودِ لغيرِ اللهِ (١).

قال الصنعانيُّ رحمه الله: وأمَّا النذورُ المعروفةُ في هذه الأزمنةِ على القبورِ والمشاهدِ والأمواتِ فلا كلامَ في تحريمِها؛ لأنَّ الناذرَ يعتقدُ في صاحبِ القبرِ أنه ينفعُ ويضرُّ، ويجلبُ الخيرَ ويدفعُ الشرَّ، ويعافي الألمَ، ويشفي السقيمَ، وهذا هو الذي كان يفعلُه عُبَّادُ الأوثانِ بعينِه فيحرمُ كما يحرمُ النذرُ على الوثنِ ويحرمُ قبضُه لأنَّه تقريرٌ على الشركِ، ويجبُ النهيُ عنه وإبانةُ أنَّه من أعظمِ المحرماتِ، وأنَّه الذي كان يفعلُه عُبَّادُ الأصنامِ، لكنْ طالَ الأمرُ حتى صارَ المعروفُ منكرًا والمنكرُ معروفًا وصارتْ تعقدُ اللواءاتُ لقباضِ النذورِ على الأمواتِ، ويُجعلُ للقادمين إلى محلِّ الميتِ الضيافاتُ، ويُنحرُ في بابِه النحائرُ من الأنعامِ، وهذا بعينِه الذي كان عليه عُبَّادُ الأصنامِ، فإنَّا للهِ وإنَّا إليه راجعونَ (٢) انتهى.

أمَّا نذرُ الطاعةِ فيجبُ الوفاءُ به.

قال جلَّ ذكرُه: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا﴾ [الإنسان: ٧].

---

(١) مجموع الفتاوى (٣٣/١٢٣).

(٢) سبل السلام (٤/٥٥٨).

وقال تعالى: ﴿وَلۡيُوفُواْ نُذُورَهُمۡ﴾[الحج: ٢٩].

قال الشنقيطيُّ رحمه الله: قولُه تعالى: ﴿وَلۡيُوفُواْ نُذُورَهُمۡ﴾ صيغةُ الأمرِ في هذه الآيةِ الكريمةِ تدلُّ على وجوبِ الإيفاءِ بالنذرِ، كما قدَّمنا مرارًا أنَّ صيغةَ الأمرِ تقتضي الوجوبَ على الأصحِّ، إلا لدليلٍ صارفٍ.

ومما يدلّ من القرآنِ على لزومِ الإيفاءِ بالنذرِ:

أنَّه سبحانه أشارَ إلى أنَّه هو والخوفُ من أهوالِ يومِ القيامةِ من أسبابِ الشربِ من الكأسِ الممزوجةِ بالكافورِ، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٖ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرٗا﴾ [الإنسان: ٥، ٦] ثم أشارَ إلى بعضِ أسبابِ ذلك فقال ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا﴾ [الإنسان: ٧].

فالوفاءُ بالنذرِ ممدوحٌ على كلِّ حالٍ[١]. انتهى.

ودليلُ وجوبِ الوفاءِ بنذرِ الطاعةِ من السّنّةِ:

قَوْلُ رَسُولِ الله ﷺ: «**مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ فَلْيُطِعْهُ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَهُ فَلاَ يَعْصِهِ**»[٢].

وقد بوَّبَ البخاريُّ في صحيحِهِ بابًا بعنوانِ: إثمُ منْ لا يفي بالنذرِ، وقد ذكرَ حديثِ عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ، وفيه أن النَّبِيَ ﷺ قَالَ: «**خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ** - قَالَ عِمْرَانُ لاَ أَدْرِي ذَكَرَ ثِنْتَيْنِ أَوْ ثَلاَثًا بَعْدَ قَرْنِهِ - **ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ يَنْذُرُونَ وَلاَ يَفُونَ، وَيَخُونُونَ وَلاَ يُؤْتَمَنُونَ،**

(١) أضواء البيان (٥/٢٣٣).

(٢) أخرجه البخاري (٦٧٠٠) - كتاب الأيمان والنذور.

وَيَشْهَدُونَ وَلاَ يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ»[(١)].

وعَنِ عُمَرَ بنَ الخطابِ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي نَذَرْتُ فِي الجَاهِلِيَّةِ أَنْ أَعْتَكِفَ لَيْلَةً فِي المَسْجِدِ الحَرَامِ، قَالَ: «**أَوْفِ بِنَذْرِكَ**»[(٢)].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ الله عَنْهُما قال: أَتَى رَجُلٌ النَّبِيﷺ فَقَالَ لَهُ إِنَّ أُخْتِي نَذَرَتْ أَنْ تَحُجَّ وَإِنَّهَا مَاتَتْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ «**لَوْ كَانَ عَلَيْهَا دَيْنٌ أَكُنْتَ قَاضِيَهُ**». قَالَ: نَعَمْ. قَالَ «**فَاقْضِ اللَّهَ، فَهْوَ أَحَقُّ بِالْقَضَاءِ**»[(٣)].

ولا وفاءَ في نذرِ المعصيةِ، لقَوْلِ رَسُولِ الله ﷺ: «**مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ فَلْيُطِعْهُ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَهُ فَلاَ يَعْصِهِ**»[(٤)].

وهل ينعقدُ نذرُ المعصيةِ؟ وهل فيه الكفارةُ؟ فيه نزاعٌ بين أهلِ العلمِ، وهذه المسألةُ وغيرُها من المسائلِ المتعلقةِ بفقهِ النذورِ مبسوطةٌ في كتبِ الفقهِ.

وبالجملةِ فالنذرُ لغيرِ اللهِ شركٌ، والنذورُ الواقعةُ من عُبَّادِ القبورِ – تقربًا بها إليهم ليقضُوا لهم حوائجَهم أو ليشفعُوا لهم – شركٌ في العبادةِ.

قال شيخُ الإسلامِ رحمه الله: وأمَّا النذرُ للموتَى من الأنبياءِ والمشايخِ وغيرِهم، أو لقبورِهم أو المقيمينَ عند قبورِهم فهو نذرُ شركٍ ومعصيةٍ للهِ تعالى، سواءٌ كان النذرُ نفقةً أو ذهبًا أو غيرَ ذلك، وهو شبيهٌ بمن ينذرُ

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦٩٥) ومسلم (٢٥٣٥).

(٢) أخرجه البخاري (٦٦٩٧) ومسلم (١٦٥٦).

(٣) أخرجه البخاري (٦٦٩٩).

(٤) صحيح: تقدم تخريجه قريبًا.

للكنائسِ والرهبانِ وبيوتِ الأصنامِ...[١].

قال الشيخُ قاسمٌ الحنفيُّ[٢] ~رحمه الله~: النذرُ الذي ينذرُه أكثرُ العوامِ على ما هو مشاهدٌ، كأنْ يكونَ لإنسانٍ غائبٍ أو مريضٍ، أو له حاجةٌ فيأتيَ إلى قبرِ بعضِ الصلحاءِ ويجعل على رأسِه سترةً ويقول: يا سيدي فلان! إن ردَّ اللهُ غائبي أو عُوفيَ مريضي أو قُضيتْ حاجتي، فلكَ من الذهبِ كذا أو من الفضةِ كذا، أو من الطعامِ كذا أو من الشمعِ والزيتِ كذا، فهذا النذرُ باطلٌ بالإجماعِ، لوجوهٍ:

منها: أنه نذرٌ لمخلوقٍ، والنذرُ للمخلوقِ لا يجوزُ لأنه عبادةٌ والعبادةُ لا تكون لمخلوقٍ.

ومنها: أنَّ المنذورَ له ميتٌ، والميتُ لا يملكُ.

ومنها: أنَّه ظنَّ أن الميتَ يتصرفُ في الأمورِ دونَ اللهِ واعتقادُ ذلك كفرٌ.

نقلَه عنه ابنُ نُجيمٍ[٣] في "البحرِ الرائقِ" ونقلَه المرشديُّ[١] في "تذكرته"

---

(١) مجموع الفتاوى (١١/٥٠٤).

(٢) الإمام العلامة المحدث الفقيه الحافظ زين الدين أبو العدل قاسم بن قطلوبغا بن عبدالله المصري، عرف بقوة الحافظة والذكاء، مهر في العربية، والقراءات، والتفسير، والحديث، ونقد الرجال، والفقه والأصول، والمنطق والكلام، وغير ذلك، فأقبل على التأليف في وقت مبكر، وسنه لم تتجاوز الثامنة عشرة. ولد في المحرم من سنة اثنتين وثمانمائة في القاهرة.

الضوء اللامع للسخاوي (٦/١٨٥)، الفوائد البهية في تراجم الحنفية للكنوي (٩٩).

(٣) هو الإمام الفقيه الأصولي زين الدين بن إبراهيم بن محمد بن محمد المصري، الحنفي، الشهير بابن نجيم. ولد سنة ٩٢٦هـ.

كان إماما، عالما عاملا، ما له في زمنه نظير. حَصَّل، وتفرد، وتفنن، وأفتى ودرس.
=

وغيرُهما عنه، وزاد: وقد ابتُلِيَ الناسُ بهذا، لا سيما في مولدِ البدويِّ[٢].

الاستعاذةُ:

في اللغةِ: الاستجارةُ والتحيزُ إلى الشيءِ، على معنى الامتناعِ بهِ من المكروهِ، يقالُ: عذتُ بفلانٍ واستعذتُ بهِ، أي: لجأتُ إليه، وهو عياذِي أي ملجئِي... ويقالُ عَوذٌ باللهِ منكَ: أي: أعوذُ باللهِ منكَ[٣].

وفي الشرعِ:

قال الطبريُّ رحمه الله: الاستعاذةُ: الاستجارةُ، وتأويلُ قولِ القائلِ: "أَعُوذُ بِالله مِنَ الشَّيْطَانِ الرجيم" أستجيرُ باللهِ - دونَ غيرِه من خلقِه- من الشيطانِ أنْ يضرَّني في ديني، أو يصدَّني عن حقٍّ يلزمنِي ربي[٤].

قال ابنُ كثيرٍ رحمه الله: الاستعاذةُ هي: الالتجاءُ إلى اللهِ تعالى والالتصاقُ بجنابِه من شرِّ كل ذي شرٍّ، العياذةُ تكونُ لدفعِ الشرِّ، واللياذُ يكونُ لطلبِ

=

اشتهر بتصانيفه الفائقة. ومن خلال النظر في كتبه نتبين أنه كان أشعري العقيدة.
شذرات الذهب (٨/٣٥٨)، الأعلام (٣/٦٤).

(١) هو: أحمد بن عيسى المرشدي، المكي، الحنفي، الأديب، والشاعر. ولد بمكة وبها نشأ وقرأ القرآن وحفظه، حصل طرفا صالحا في مذهب الإمام الأعظم، ولي القضاء بمكة، توفي سنة سبع وأربعين وألف.
معجم المؤلفين (٢/٣٩)، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر للحموي (١/٤٢٥).

(٢) شرح درر البحار – فتح المجيد (ص: ١٦٨) لعبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب.

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١/١٠٥).

(٤) جامع البيان (١/٧٥).

جلبِ الخيرِ(١).

فالاستعاذةُ عبادةٌ من العباداتِ أمرَ اللهُ بها عبادَه في غيرِ موضعٍ في القرآنِ.

قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٧، ٩٨].

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ [الفلق: ١، ٢].

وقد أمرَ اللهُ تعالى بالاستعاذةِ قبلَ تلاوةِ القرآنِ قال جلَّ ثناؤُه: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨]، أي: إذا شرعَ في القراءةِ.

وأمرَ عبادَه بالاستعاذةِ من شرِّ الشيطانِ، قال جلَّ ذكرُه: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾ [الناس: ١-٤].

وعن سُلَيْمَانِ بْنُ صُرَدٍ ﷺ قال: اسْتَبَّ رَجُلاَنِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ عِنْدَهُ جُلُوسٌ، وَأَحَدُهُمَا يَسُبُّ صَاحِبَهُ مُغْضَبًا قَدِ احْمَرَّ وَجْهُهُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنِّي لأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ لَوْ قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**». فَقَالُوا لِلرَّجُلِ أَلاَ تَسْمَعُ مَا يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: «إِنِّي

(١) تفسير ابن كثير (١/١٨).

لَسْتُ بِمَجْنُونٍ»[(١)].

ومما تقدَّمَ يتبينُ لنا أنَّ الاستعاذةَ من العباداتِ، فمن صرفَ شيئًا من العبادةِ لغيرِ اللهِ فقد أشركَ، فلا يجوزُ الاستعاذةُ بالجنِّ ولا بأيِّ مخلوقٍ وقد ذمَّ اللهُ تعالى الكافرين على فعلِ ذلكَ.

قال اللهُ تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦].

قال قتادةُ رحمه الله: قال اللهُ: ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ أي: إثمًا: وازدادت الجنُّ عليهم بذلك جراءةً[(٢)].

قال الربيعُ بنُ أنسٍ[(٣)] رحمه الله: كانوا يقولون: فلانٌ من الجنِّ ربُّ هذا الوادِي، فكان أحدُهم إذا دخلَ الوادي يعوذُ بربِّ الوادي من دونِ الله، قال: فيزيدُهم ذلك رهقًا وهو الفَرَقُ[(٤)].

وقال ابنُ زيدٍ رحمه الله: كانَ الرجلُ في الجاهليةِ إذا نزلَ بوادٍ قبلَ الإسلامِ قال: إنِّي أعوذُ بكبيرِ هذا الوادي، فلما جاءُ الإسلامِ، عاذوا باللهِ وتركُوهم.

قال القاسميُّ رحمه الله: لأنَّ ذلك من الشركِ، ولذا نزلتْ سورتا المعوَّذتين لتعليمِ الاستعاذةِ باللهِ تعالى وحدَه والتبرؤ من الاستعاذةِ

---

(١) أخرجه البخاري (٦١١٥) ومسلم (٢٦١٠).

(٢) رواه الطبري (١٤/١٣٥) من طريق سعيد عن قتادة.

(٣) هو: الربيع بن أنس البكري، ويقال الحنفي، البصري ثم الخراساني، من صغار التابعين، قال ابن حجر: صدوق له أوهام، ورُمي بالتشيع. توفي سنة ١٤٠هـ أو قبلها. تهذيب الكمال (٩/ ٦٠)، الطبقات الكبرى لابن سعد (٧/ ٢٦١).

(٤) الفَرَقُ: الخوف. مختار الصحاح (ص: ٢١٢).

بغيرِه[(١)]. انتهى.

وفي حديثِ خَوْلَةَ بِنْتَ حَكِيمِ السُّلَمِيَّةَ قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ نَزَلَ مَنْزِلاً ثُمَّ قَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ. لَمْ يَضُرُّهُ شَيءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ**»[(٢)].

قال أبو إسحاقَ الهرويُّ[(٣)] رحمه الله وغيرُه: الكلماتُ هي القرآنِ، والتاماتُ: قيلَ هي الكاملاتُ، والمعنى أنَّه لا يدخلُها نقصٌ ولا عيبٌ كما يدخلُ في كلامِ الناسِ، وقيلَ هي النافعاتُ الكافياتُ الشافياتُ من كلِّ ما يُتعوَّذُ منه "**حتى يرتحلَ**" أي ينتقلَ، وفيه ردٌّ على ما كان يفعلُه أهلُ الجاهليةِ من كونِهم إذا نزلوا قالوا: نعوذُ بسيِّد هذا الوادي يعنُون به كبيرَ الجنِّ[(٤)].

وقد استعاذَ رسولُ اللهِ ﷺ من أشياءَ كثيرةٍ، منها: العجزُ والكسلُ والجبنُ والبخلُ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ وَالْهَرَمِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ، اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلاَهَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لاَ يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ**

---

(١) محاسن التأويل (٧/ ١٩٠ – ١٩١).

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٠٨) والترمذي (٣٤٣٧) وابن ماجه (٣٥٤٧).

(٣) هو الحافظ، الإمام، شيخ الإسلام، أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن حاتم الهروي البغدادي، المعروف: بالهروي، وكان صالحا، زاهدا، عابدا، صواما، قواما، متعففا، كبير القدر، توفي في شهر رمضان سنة أربع وأربعين ومائتين.
سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٧٨)، الوافي بالوفيات (٦/ ٢٢).

(٤) تحفة الأحوذي (٩/ ٢٧٩) أبواب الدعوات.

لاَ يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لاَ تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لاَ يُسْتَجَابُ لَهَا»(١).

واستعاذَ من سخطِ اللهِ وعقوبتِه، قَالَ ﷺ: «**اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لاَ أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ**»(٢).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَعَوَّذُ مِنْ جَهْدِ الْبَلاَءِ، وَدَرَكِ الشَّقَاءِ، وَسُوءِ الْقَضَاءِ، وَشَمَاتَةِ الأَعْدَاءِ(٣).

وكان رسولُ اللهِ ﷺ يتعوَّذُ من فتنةِ القبرِ وعذابِ النارِ وفتنةِ المحيا والمماتِ وفتنةِ الدجالِ، فقال ﷺ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ النَّارِ وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْغِنَى، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْفَقْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ**»(٤).

الاستعانةُ:

في اللغةِ: مصدرُ استعانَ وهو من العوْنِ، بمعنى: المعاونةِ والمظاهرةِ على الشيءِ، يقالُ: فلانٌ عونِي أي: معيني وقد أعنتُه، والاستعانةُ: طلبُ العونِ(٥).

وفي الشرعِ: طلبُ العونِ من اللهِ، ويطلبُ من المخلوقِ ما يقدرُ عليه

---

(١) أخرجه مسلم (١٠٥).
(٢) أخرجه مسلم (٤٨٦).
(٣) أخرجه البخاري (٦٣٤٧) ومسلم (٢٧٠٧).
(٤) أخرجه البخاري (٦٣٧٦) ومسلم (٥٨٩) باختلاف.
(٥) اللسان (٥/٣٧٩).

من الأمورِ [(١)].

فالاستعانةُ هي طلبُ العونِ من اللهِ على كلِّ ما يحتاجُ إليه العبدُ في دينِه ودنياه، لأنَّ المؤمنَ يعلمُ أن كشفَ الضرِّ وجلبَ النفعِ لا يكونُ إلا بإذنِ اللهِ وبحولِه وقوتِه سبحانه، لذا كان قولُ "**لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلا بالله كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ**"[(٢)] كما أخبرَنَا رسولُ اللهِ ﷺ ولأنَّ فيها إقرارًا من العبدِ بعجزِه واعترافِه بأنَّ القوةَ كلَّها للهِ، وأنَّه ضعيفٌ ولولا إعانةُ اللهِ له ما استطاعَ القيامَ بالعبوديةِ فحينئذٍ يلجأُ إليه بطلبِ العونِ على العبادةِ.

قال تعالى عن نبيِّ اللهِ موسى: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟﴾ [الأعراف: ١٢٨].

وقال نبيُّ اللهِ يعقوبُ: ﴿وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨].

وقال سبحانه: ﴿وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ١١٢].

قال اللهُ تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

قال ابنُ القيمِ رحمه الله: قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ يتضمنُ معرفةَ الطريقِ الموصلةِ إليه، وأنَّها ليستْ إلا عبادتَه وحدَه بما يحبُّه ويرضاه واستعانتَه على عبادتِه[(٣)].

(١) مجموع الفتاوى (١/١٠٣).

(٢) أخرجه البخاري (٤٢٥٠)، ومسلم (٢٧٠٤) من حديث أبي موسى.

(٣) بدائع التفسير (١/١٠٩).

قال الشنقيطيُّ رحمه الله: قولُه تعالى: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أي لا نطلبُ العونَ إلا منكَ وحدَك، لأنَّ الأمرَ كلَّه بيدِك وحدَك، لا يملِك أحدٌ منه معك مثقالَ ذرَّةٍ، وإتيانُه بقوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ بعدَ قولِه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ فيه إشارةٌ إلى أنَّه لا ينبغِي أن يتوكلَّ إلا على منْ يستحقُّ العبادةَ، لأن غيرَه ليس بيدِه الأمرُ(١).

وكان رسولُ اللهِ ﷺ يقولُ في خطبِه: «**إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ...**»(٢).

وقال ﷺ: «**الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلاَ تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ**»(٣).

وقولُه ﷺ: «**وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ**»(٤).

الاستغاثة:

الاستغاثةُ: في اللغةِ قال ابنُ سيده: وغوَّثَ الرجلُ واستغاثَ: صاحَ واغوثاه، وأغاثَهُ اللهُ، وغاثَه غوْثًا وغِياثًا، والأُولى أعلَى (٥).

قال الجوهريُّ رحمه الله: الاستغاثةُ: طلبُ الغوثِ والنصرِ، غوَّثَ الرجلُ:

---

(١) أضواء البيان (١/ ٧).
(٢) مسلم (٨٦٨).
(٣) مسلم (٢٦٦٤).
(٤) مسلم (٢٦٩٩).
(٥) اللسان (٦/٦٩٣).

قال: واغوثَاهُ والاسمُ: الغوثُ والغُواثُ، والغِواثُ، واستغاثني فلانٌ فأغثتُه والاسمُ الغياثُ [(١)].

وفي الشرعِ: طلبُ الغوثِ، وهو إزالةُ الشدةِ، كالاستنصارِ: طلبُ النصرِ والاستعانةِ: طلبُ العونِ والمخلوقُ يُطلبُ منه من هذه الأمورِ ما يقدرُ عليه منها ، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ﴾ [الأنفال: ٧٢] كما قال: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص: ١٥] وكما قال: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢].

وأمَّا ما لا يقدرُ عليه إلا اللهُ فلا يُطلَبُ إلا من اللهِ [(٢)].

فالاستغاثةُ كالاستعانةِ وغيرِها من العباداتِ لا تكونُ إلا للهِ ويطلبُ من العبدِ الحيِّ ما يقدرُ عليه، وقد دلَّت النصوصُ على ذلك.

قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝٩﴾ [الأنفال: ٩].

وعن ابنِ عباسٍ قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَنْشُدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ، اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ لَمْ تُعْبَدْ**» فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ بِيَدِهِ، فَقَالَ: حَسْبُكَ، فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ [القمر: ٤٥]» [(٣)].

---

(١) أحكام القرآن (٧/٣٥٣).
(٢) الفتاوى (١/١٠٤).
(٣) أخرجه البخاري (٣٩٥٣).

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ، وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلاً، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ الْقِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ: «**اللهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ**» ، فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ، مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ، فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ، وَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩] فَأَمَدَّهُ اللهُ بِالْمَلَائِكَةِ(١).

قال النوويُّ رحمه الله: قولُه: «فاستقبلَ نبيُّ اللهِ ﷺ القبلةَ ثم مدَّ يديهِ فجعلَ يهتفُ بربِّه: **اللهمَّ أنجزْ لي مَا وَعَدتْنِي**» ... ومعناه يصيحُ ويستغيثُ باللهِ بالدعاءِ(٢).

قال ابنُ تيميةَ رحمه الله: ولا يجوزُ لأحدٍ أن يستغيثَ بأحدِ المشايخِ الغائبين، ولا الميتين، مثلَ أن يقولَ: يا سيدي فلانًا أغثْنِي، وانصُرْني، وادفعْ عنِّي، أو أنا في حُبِّكَ ونحوَ ذلك بل كلُّ هذا من الشركِ الذي حرَّمَ اللهُ ورسولُه، وتحريمُه مما يُعلمُ بالاضطرارِ من دينِ الإسلامِ، وهؤلاءِ المستغيثون بالغائبين والميِّتين عندَ قبورِهم وغيرِ قبورِهم لـمَّا كانوا من جنسِ عبادِ الأوثانِ - صارَ الشيطانُ يضلُّهم ويُغويهم كما يضلُّ عبادَ الأوثانِ ويُغويهم فتتصورُ الشياطينُ في صورةِ ذلك المستغاثِ بهِ، وتخاطبُهم بأشياءَ

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٦٣).

(٢) مسلم بشرح النووي (٦/ ٣٢٩).

على سبيلِ المكاشفةِ، كما تخاطبُ الشياطينُ الكهانَ، وبعضُ ذلكَ يصدقُ، لكنْ لا بدَ أنَّ في ذلك ما هو كذبٌ بل الكذبُ أغلبُ عليهِ من الصدقِ.

وقد تقضِي الشياطينُ بعضَ حاجاتِهم، وتدفعُ عنهم بعضَ ما يكرهُونَه، فيظنُّ أحدُهم أنَّ الشيخَ هو الذي جاءَ من الغيبِ حتى فعلَ ذلكَ، أو يظنُّ أنَّ اللهَ تعالى صوَّرَ مَلَكًا على صورتِه فعلَ ذلكَ، ويقولُ أحدُهم: هذا سرُّ الشيخِ وحالُه، وإنما هو الشيطانُ تمثَّلَ على صورتِه ليضلَّ المشركَ به المستغيثَ به(١).

---

(١) مجموع الفتاوى (١/ ٣٦٠).

المبحثُ الخامسُ: في أمورٍ شركيةٍ كانَ أهلُ الجاهليةِ يفعلونَها ويعتقدونَها حرّمَها الإسلامُ ونهى عنْهَا

من هذهِ الأمورِ السحرُ، ورُقَى الجاهليةِ والتمائمِ والكهانةِ، والطيرةِ وغيرِ ذلكَ من الأشياءِ التي يقعُ فيهَا كثيرٌ من المسلمينَ، وهي أشياءُ محرمةٌ، فمنها ما هو شركٌ أكبرُ ومنها ما هو كبائرُ ومنها ما دونَ ذلكَ، وبالجملةِ فهي من الذنوبِ والمعاصِي التي تنافِي سلامةَ التوحيدِ، وقد تفسدُه بالكليَّةِ، وينبغِي على العاقلِ أن يحرصَ دائمًا على تحقيقِ التوحيدِ وحسنِ الاعتقادِ، فتحصلُ له السعادةُ في الدنيا والنجاةُ في الآخرةِ، ونذكرُ ههنا حقيقةَ هذه الأشياءِ وحكمَها.

السِّحْرُ:

السحرُ لغةً: كلُّ ما لَطُف مأخذُهُ ودَقَّ(١).

والسحرُ، مصدرُ قولِهم: سحرَه يسحرِهُ أي: خدعَه، والسحرُ: هو إخراجُ الباطلِ في صورةِ الحقِّ، ويقالُ: هو الخديعةُ.

والسحرُ: عملٌ تُقُرِّبَ فيه إلى الشيطانِ وبمعونةِ منه، وأصلُ السحرِ: صرفُ الشيءِ عن حقيقتِهِ إلى غيرِه، وسحرَهُ بكلامِه، استمالَهُ برقَّتِهِ وحسنِ تركيبِه(٢).

وفي الاصطلاحِ: "هو عقدٌ ورُقًى وكلامٌ يَتكلمُ بِهِ، أو يكتبُهُ الساحرُ أو يعملُ شيئًا يؤثرِ في بدنِ المسحورِ، أو قلبِه، أو عقلِه من غيرِ مباشرةٍ له،

---

(١) القاموس المحيط (ص:٣٦٥) مادة (س ح ر).

(٢) انظر مقاييس اللغة (١٣٨/٣) واللسان (٥٠٩/٤) والصحاح (٦٧٩/٣).

وله حقيقةٌ، فمنه ما يقتلُ وما يُمرضُ وما يأخذُ الرجلَ عن امرأتِه فيمنعُهُ وطأَهَا، ومنه ما يفرِّقُ بين المرءِ وزوجِه وما يبغضُ أحدَهما إلى الآخرِ، أو يحببُ بين اثنينِ"(١).

قال النوويُّ رحمه الله: والصحيحُ أنَّ له حقيقةً، وبه قطعَ الجمهورُ وعليه عامةُ العلماءِ، ويدلُّ عليه الكتابُ والسُّنَّةُ الصحيحةُ المشهورةُ(٢).

فالسحرُ لهُ حقيقةٌ: وله تأثيرٌ وقد جاءَ ذلكَ في كتابِ اللهِ تعالى، وفي سُنَّةِ نبيِّنا ﷺ، وكلُّ ذلكَ يقعُ بقدرِ اللهِ تعالى.

قال اللهُ تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنۡ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ فَلَا تَكۡفُرۡۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦ﴾ [البقرة: ١٠٢].

وقال جلَّ ذكرُه: ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ٱئۡتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٖ﴾ [يونس: ٧٩].

وقال سبحانه عن سحرةِ فرعونَ: ﴿سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ وَجَآءُو بِسِحۡرٍ عَظِيمٖ﴾ [الأعراف: ١١٦].

وقال قومُ صالحٍ لنبيِّهم عليه السلامُ: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ﴾ [الشعراء: ١٥٣]، وكذا قالَه قومُ شعيبٍ له.

---

(١) ما بين القوسين من المغني (٨/١٠٥).

(٢) المجموع للنووي (١٩/٢٤٠).

وقال سبحانه عن كفارٍ قريشٍ أنَّهم قالُوا عن نبيِّنا ﷺ: ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ [الفرقان: ٨].

وقال تبارك وتعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾ [الفلق: ١-٤].

قال ابنُ كثيرٍ رحمه الله: قولُه تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾ يعني: السواحرَ إذا رقيْنَ ونفثْنَ في العُقَدِ[(١)].

قال المازريُّ[(٢)] رحمه الله: أهلُ السُّنَّةِ وجمهورُ العلماءِ من الأمَّةِ على إثباتِ السحرِ وأنَّ له حقيقةً كحقائقِ غيرِه من الأشياءِ الثابتةِ، خلافًا لمن أنكرَهُ ونفى حقيقتَهُ[(٣)]، وأضافَ ما يتفقُ منه إلى خيالاتٍ باطلةٍ لا حقائقَ لهَا، وقد ذكرَه اللهُ سبحانه في كتابِهِ العزيزِ وذكرَ أنه ممَا يُتعلمُ وذكرَ ما يشيرُ إلى أنَّه مما يكفرُ بِهِ وأنَّه يفرِّقُ به بينَ المرءِ وزوجِه، وهذا كلُّه مما لا يمكنُ أن لا يكونَ فيما لا حقيقةَ لَهُ، وكيفَ يتعلمُ ما لا حقيقةَ لَهُ[(٤)].

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/٧٠٨).

(٢) هو: الشيخ، الإمام، العلامة، البحر، المتفنن، أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر بن محمد التميمي، المازري، المالكي. وله تواليف في الأدب، وكان أحد الأذكياء الموصوفين، والأئمة المتبحرين، ولد سنة ست وثلاثين وخمسمائة، وله ثلاث وثمانون سنة.
سير أعلام النبلاء (٢٠/١٠٤)، الوافي بالوفيات للصفدي (٤/١١٠).

(٣) ذهب عامة المعتزلة وأبو إسحاق الاستراباذي من أصحاب الشافعي: إلى أن السحر لا حقيقة له.
راجع الجامع لأحكام القرآن (٢/٥١) تفسير ابن كثير (١/٣٦٦).

(٤) المعلم بفوائد مسلم (٣/٩٣).

قال القرطبيُّ رحمه الله: إنَّ النبيَّ ﷺ قال لما حُلَّ السحرُ "**إنَّ الله شَفَاني**"(١) والشفاءُ إنَّما يكونُ برفعِ العلَّةِ وزوالِ المرضِ، فدلَّ أنَّ له حقيقةً، فهو مقطوعٌ به بإخبارِ اللهِ تعالى ورسولِه على وجودِه ووقوعِه، وعلى هذا أهلُ الحلِّ والعقدِ الذين ينعقدُ بهم الإجماعُ، ولا عبرةَ مع اتفاقِهم بحثالةِ المعتزلةِ ومخالفتِهم لأهلِ الحقِّ، ولقد شاعَ السحرُ وذاعَ في سابقِ الزمانِ وتكلمَّ الناسُ فيه ولم يبدُ من الصحابةِ ولا من التابعين إنكارٌ لأصلِه(٢). انتهى.

وقال جلَّ ذكرُه: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٢٨].

قال ابنُ القيِّمِ رحمه الله: ﴿رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ يعنونَ استمتاعَ كلِّ نوعٍ بالنوعِ الآخرِ، فاستمتاعُ الجنِّ بالإنسِ: طاعتُهم لهم فيما يأمرونَهم بِهِ من الكفرِ والفسوقِ والعصيانِ، فإن هذا أكثرُ أغراضِ الجنِّ من الإنسِ، فإذا أطاعُوهم فيه فقد أعطَوْهُم مُناهم، واستمتاعُ الإنسِ بالجنِّ: أنهم أعانُوهم على معصيةِ اللهِ تعالى والشركِ بِهِ بكلِّ ما يقدِرُونَ عليه: من التحسينِ والتزينِ والدعاءِ، وقضاءِ كثيرٍ من حوائجِهم، واستخدامِهم بالسحرِ والعزائمِ وغيرِها، فأطاعتْهم الإنسُ فيما يرضِيهم من الشركِ والفواحشِ والفجورِ وأطاعتْهم الجنُّ فيما يرضِيهم من التأثيراتِ والإخبارِ

(١) صحيح: سيأتي تخريجه قريبا بإذن الله.
(٢) تفسير القرطبي (٢/ ٥١).

ببعضِ المغيباتِ فتمتعَ كلٌّ من الفريقينِ بالآخرِ(١).

عملُ السحرِ وحكمُ الساحرِ:

عملُ السحرِ حرامٌ وهو من الكبائرِ بالإجماعِ.. ورسولُ اللهِ ﷺ عدَّهُ من السبعِ الموبقاتِ.. ومختصرُ ذلكَ أنَّه قدْ يكونُ كفرًا، وقد لا يكونُ كفرًا بل معصيةً كبيرةً، فإنْ كانَ فيه قولٌ أو فعلٌ يقتضِي الكفرَ كَفَرَ، وإلا فلاَ ، وأمَّا تعلُّمُه وتعليمُه فحرام(٢).

أمّا حكمُ الساحرِ:

قال جلَّ ثناؤُه: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنۡ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ فَلَا تَكۡفُرۡۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ [البقرة: ١٠٢].

وقال جلَّ ذكرُه: ﴿وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ﴾ [طه: ٦٩].

فللعلماءِ في هذهِ المسألةِ ثلاثةُ أقوالٍ:

الأولُ: أنَّ الساحرَ يكفرُ بسحرِه ويكونُ مرتدًّا يجبُ قتلُه ولا تقبلُ توبتُه، لأنَّه زنديقٌ يستترُ بالكفرِ، وهذا مذهبُ مالكٍ وأبي حنيفةَ.

الثاني: الساحرُ لا يكفرُ، ولكنْ يحبسُ ويعزرُ ويستتابُ لعلَّه يرجعُ، وهذا قولٌ لأحمدَ.

---

(١) بدائع التفسير (٢/١٨١ – ١٨٢).

(٢) انظر شرح مسلم للنووي (٧/٤٣٢).

الثالثُ: الساحرُ لا يكونُ كافرًا بالسحرِ، إلا أن يكونَ ما يسحرُ به كفرًا، فيُقتلُ بالكفرِ كمن يُسَخِّرُ الشياطينَ ويعتقدُ أنها تفعلُ له ما يشاءُ، وهذا مذهبُ الشافعيِّ وغيرُه.

أقوالُ الفقهاءِ في المسألةِ:

قال مالكٌ رحمه الله[(١)] وأصحابُه: إنَّ الساحرَ كافرٌ باللهِ تعالى. قال مالكٌ: هو كالزنديقِ إذا عملَ السحرَ بنفسِه قُتِلَ ولم يستتبْ، ومنْ لمْ يباشرْ عملَ السحرِ وجعلَ من يعملُه له ففي الموَّازيَّة: يُؤدَبَ أدبًا شديدًا.

قال الباجيُّ رحمه الله[(٢)]: لا يُقتَلُ الساحرُ حتى يثبتَ أنَّ ما يفعلُه هو من السحرِ الذي وصفهُ اللهُ بأنَّه كفرٌ[(٣)].

مذهبُ أبي حنيفةَ: أنَّ الساحرَ يجبُ قتلُه ولا تقبلُ توبتُه[(٤)].

---

(١) هو: شيخ الإسلام، حجة الأمة، أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث، إمام دار الهجرة وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، وإليه تنسب المالكية. ولد على الأصح: في سنة ثلاث وتسعين، وتوفي: صبيحة أربع عشرة من ربيع الأول، سنة تسع وسبعين ومائة.
سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٨)، الأعلام (٥/ ٢٥٧).

(٢) هو: القاضي أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي، الأندلسي، القرطبي، الباجي، الذهبي، المالكي أشعرى (كما يظهر في شرح المنتقى)، صاحب التصانيف. توفي سنة أربع وسبعين وأربعمائة
الوافي بالوفيات (١٥/ ٢٢٩)، سير أعلام النبلاء (١٨/ ٥٣٥).

(٣) مواهب الجليل شرح مختصر خليل (٦/ ٣٢٤).

(٤) انظر عمدة القاري (١٠/ ٥٤ – ٥٥)، والحاوي (١٣/ ١٦٥) للماوردي.

قال الماورديُّ(١) رحمه الله: اختلافُ الفقهاءِ في حكمِ الساحرِ على ثلاثةِ مذاهبَ:

مذهبُ الشافعيِّ(٢): أنَّ الساحرَ لا يكونُ كافرًا بالسحرِ ولا يجبُ به قتلُه إلا أنْ يكونَ به كفرٌ فيصيرَ باعتقادِ الكفرِ كافرًا يجبُ قتلُه بالكفرِ لا بالسحرِ(٣).

قال ابنُ قدامةَ(٤) رحمه الله: ويكفرُ الساحرُ بتعلُّمِهِ وفعلِه، سواءٌ لمعتقدِ

---

(١) هو القاضي أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب أقضى القضاة الشافعي، صاحب التصانيف المليحة الجيدة، روى عنه الخطيب ووثقه، ومات في شهر ربيع الأول سنة خمسين وأربعمائة، وكان عظيم القدر متقدما عند السلطان.
قال أبو عمرو ابن الصلاح: وهو متهم بالاعتزال، وكنت أتأول له، وأعتذر عنه حتى وجدته يختار في بعض الأوقات أقوالهم.
الوافي بالوفيات (٢١/٢٩٧)، سير أعلام النبلاء (١٨/٦٤).

(٢) هو الإمام فقيه الملة، ناصر الحديث محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هشام بن المطلب بن عبد مناف بن قصي بن كلاب ابن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب، أبو عبد الله القرشي، ثم المطلبي، الشافعي، المكي، الغزي المولد، نسيب رسول الله ﷺ وابن عمه، فالمطلب هو أخو هاشم والد عبد المطلب، صاحب المذهب، ولد سنة خمسين ومائة، كان مسلم بن خالد الزِّنجي، وهو مفتي مكة يحثه علَى الْفُتيا وهو ابن خمس عشرة سنة، توفي سنة أربع ومائتين.
سير أعلام النبلاء (١٠/٥)، تاريخ بغداد (٣٩٢).

(٣) الحاوي الكبير (١٣/١٦٥) للماوردي.

(٤) هو: الشيخ، الإمام، القدوة، العلامة، المجتهد، شيخ الإسلام، موفق الدين، أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة بن مقدام بن نصر المقدسي، الجماعيلي، ثم الدمشقي، الصالحي، الحنبلي، صاحب (المغني) وكان ثقة، حجة، نبيلا، غزير الفضل، نزها، ورعا، عابدا، على قانون السلف، عليه النور والوقار، ينتفع الرجل
=

تحريمِه أو إباحتِه، ورُوِيَ عن أحمدَ ما يدلُّ على أنَّه لا يكفرُ، فإنَّ حنبلاً روى عنْه، قال: قال عمِّي في العرافِ والكاهنِ والساحرِ: أرى يستتابُ من هذه الأفاعيلِ كلِّها، فإنَّه عندي في معنى المرتد، فإنْ تابَ ورجعَ يعني يُخلى سبيلُه، قلت له: يقتلُ؟ قال: لا، لعلَّه يرجعُ، وهذا يدلُّ على أنَّه لم يكفرْه، لأنَّه لو كفَّرَه لقتلَه، وقولُه في معنى المرتدِ: يعني في الاستتابةِ... ولم يرَ الشافعيُّ عليه القتلَ بمجردِ السحرِ وهو قولُ ابنِ المنذرِ(١) وروايةٌ عن أحمدَ(٢).

قال السيوطيُّ(٣) رحمه الله: لا يكفرُ ولا يُقتلُ من يسحرُ بأدويةٍ وتدخينٍ

=

برؤيته قبل أن يسمع كلامه. توفي إلى رحمة الله يوم الفطر، سنة عشرين وستمائة.
سير أعلام النبلاء (٢٢/١٦٥)، فوات الوفيات (٢/٢٥٨).

(١) هو: الإمام، الحافظ، العلامة، شيخ الإسلام، أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري، نزيل مكة، وصاحب التصانيف، فقيه مجتهد، من الحفاظ. كان شيخ الحرم بمكة، وفاته في سنة ثماني عشرة وثلاثمائة.
سير أعلام النبلاء (١٤/٤٩٢)، طبقات الشافعيين (١/٢١٦)، الأعلام (٥/٢٩٤).

(٢) المغني (٨/١٠٥) لابن قدامة.

(٣) هو: الإمام الحافظ عبد الرحمن بن الكمال بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين بن الفخر عثمان بن ناظر الدين محمد بن خضر بن نجم الدين أيوب بن محمد بن همام الدين الهمام الخضيري الأسيوطي، وترجع نسبته إلى أسيوط لاستقرار أجداده بها، وكان أبوه من العلماء الصالحين ذوي المكانة وتولى الوصاية عليه بعد وفاة والده الكمال بن الهمام الحنفي، وهو من كبار فقهاء عصره، أخذ السيوطي العلم عن خيرة علماء عصره، وأخذ من كل فنّ، وبرز في جميع الفنون، وفاق الأقران، وهو صوفي درس التصوف وانطبعت به نفسه، دافع عن التصوف طيلة حياته، وألف فيه عديدا من الكتب والرسائل وولي مشيخته، وأراد أن يطبق الجانب العملي للتصوف فتجرد للعبادة، والاعتكاف، والانقطاع إلى الله، والتأليف عندما بلغ سن الأربعين وصنف
=

وسقي شيءٍ يضرُّ، لأن الأصلَ العصمةُ، ولم يثبتْ ما يزيلُها (ويعزرُ) ساحرٌ بذلك (بليغًا) لينكفَّ هو ومن مثلُه بحيثُ لا يبلغُ به القتلَ على الصحيحِ من المذهبِ[(١)].

قال الشنقيطيُّ رحمه الله: التحقيقُ في هذه المسألةِ هو التفصيلُ، فإن كان السحرُ مما يُعظَّمُ فيه غيرُ اللهِ، الكواكبُ والجنُّ و غيرُ ذلك، مما يؤدي إلى الكفرِ فهو الكفرُ بلا نزاعٍ.

ومن هذا النوعِ سحرُ هاروتَ وماروتَ المذكورُ في سورةِ البقرةِ فإنَّه كفرٌ بلا نزاعٍ، كما دلَّ عليه قولُه تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾[البقرة: ١٠٢] وقولُه: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلْأَخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾[البقرة: ١٠٢] وقولُه تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾[طه: ٦٩].

وإنْ كانَ السحرُ لا يقتضي الكفرَ كالاستعانةِ بخواصِّ بعضِ الأشياءِ من دهاناتٍ وغيرِها، فهو حرامٌ حرمةً شديدةً ولكنَّه لا يبلغُ بصاحبِه الكفرَ، وهذا هو التحقيقُ إنْ شاءَ اللهُ تعالى في هذه المسألةِ التي اختلفَ فيها العلماءُ[(٢)].

=

التصانيف المفيدة النافعة؛ فقد استفاد بمصنفاته من عاصره، ومن جاء بعده إلى عصرنا الحاضر، وتوفي سنة أحد عشر وتسعمائة.

حسن المحاضرة للسيوطي نفسه ترجمة رقم (٧٧)، الأعلام للزركلي (٣/٣٠١)، جلال الدين السيوطي عصره وحياته وآثاره للدكتور طاهر سليمان حمودة (١/١١٧).

(١) مطالب أولى النهى (٩/٩٨) للسيوطي.

(٢) أضواء البيان (٤/٥٠).

وهذا هو الراجحُ عندِي: وهو ما ذهبَ إليه الشافعيُّ وابنُ المنذرِ والنوويُّ وهو الصحيحُ من مذهبِ أحمدَ وغيرُهم واللهُ أعلمُ.

مطلبٌ: هل سُحِرَ النبيّ ﷺ؟

عَنْ عَائِشَةَ - رضيَ اللهُ عنها - قَالَتْ: سُحِرَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى كَانَ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَمَا يَفْعَلُهُ، حَتَّى كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ دَعَا وَدَعَا، ثُمَّ قَالَ: «**أَشَعَرْتِ أَنَّ اللَّهَ أَفْتَانِي**[١] **فِيمَا فِيهِ شِفَائِي، أَتَانِي رَجُلاَنِ، فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي وَالآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: لِلآخَرِ مَا وَجَعُ الرَّجُلِ؟ قَالَ: مَطْبُوبٌ**[٢]**. قَالَ: وَمَنْ طَبَّهُ. قَالَ: لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ. قَالَ: فِي مَاذَا؟ قَالَ: فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ**[٣] **وَجُبِّ**[٤] **طَلْعَةِ ذَكَرٍ. قَالَ: أَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: فِي بِئْرِ ذَرْوَانَ**[٥]». فَخَرَجَ إِلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ لِعَائِشَةَ حِينَ رَجَعَ: «**نَخْلُهَا كَأَنَّهَا رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ**». فَقُلْتُ: اسْتَخْرَجْتَهُ فَقَالَ: «**لاَ أَمَّا أَنَا فَقَدْ شَفَانِي اللَّهُ، وَخَشِيتُ أَنْ يُثِيرَ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ شَرًّا**»، ثُمَّ دُفِنَتِ الْبِئْرُ[٦].

---

(١) أي: أجابني فيما دعوته، فسمى الدعاء: استفتاء، والجواب: فتيا لأن الداعي طالب، والمجيب مسعف. المفهم (٥/ ٥٧١).

(٢) المطبوب: المسحور، يقال: طب الرجل إذا سُحر. المصدر السابق.

(٣) المشاطة: الشعر الذي يسقط من الرأس أو اللحية عند تسريحه. مسلم بشرح النووي (٧/ ٤٣٢).

(٤) جب: بالجيم وبالباء الموحدة، وفي بعضها (جف) بالجيم والفاء، وهي بمعنى، وهو طلع النخل وهو الغشاء الذي يكون عليه، ويطلق على الذكر والأنثى، فلهذا قيده في الحديث بقوله (طلعة ذكر). المصدر السابق.

(٥) بئر ذروان: بئر في المدينة في بستان بني زريق. نفس المصدر.

(٦) أخرجه البخاري (٣٢٦٨) ومسلم (٢١٨٩) واللفظ لمسلم.

مذهبُ جماهيرِ علماءِ أهلِ السُّنَّةِ أنَّ النبيَّ ﷺ سُحِرَ وحجتُهم هذا الحديثُ، وهذا لا يقدحُ في النُّبوَّةِ، لأنَّ اللهَ سبحانَه عصمَ نبيَّنَا ﷺ من الخطأِ في التبليغِ وعصمَهُ ممَّا يحولُ بينَه وبينَ الرسالةِ وتبليغِها دونَ العوارضِ التي تجوزُ على الأنبياءِ كغيرِهم من البشرِ، وهذا من البلاءِ الذي يزيدُه اللهُ بهِ رفعةً في درجاتِه وأشدُ الناسِ بلاءً الأنبياءُ، قد ابتليَ رسولُ اللهِ ﷺ بصنوفٍ من الابتلاءِ كغيرِه من الرسلِ.

واتخذتْ طائفةٌ من أهلِ البدعِ هذا الحديثَ وسيلةً للطعنِ في عصمتِه ونبوتِه ﷺ. وأنكرَ آخرون هذا الحديثَ، لأنهم يرَوْنَ أنَّه طعنٌ في النبوةِ، وتصديقًا لقولِ الكفارِ كما قالَ اللهُ عنهم: ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ [الفرقان: ٨]، وقولُهم: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ﴾ [الشعراء: ١٥٣].

ويردُّ على قولِهم أنَّ المرادَ بِهِ: من سُحِرَ حتى صارَ كالمجنونِ الذي زالَ عقلُهُ، إذْ المسحورُ الذي لا يُتَّبعُ هو من فَسَدَ عقلُه بحيثُ لا يدري ما يقولُ فهو كالمجنونِ، ولذلك قالُوا: ﴿مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ﴾ [الدخان: ١٤]، أمَّا ما أصابَ النبيَّ ﷺ فليسَ كذلكَ.

قال ابنُ القيِّمِ رحمه الله: وأمَّا قولُكم إنَّ سحرَ الأنبياءِ ينافِي حمايةَ اللهِ تعالى لهم، فإنَّه سبحانه كما يحميهم ويصونُهم ويحفظُهم ويتولاهم فيبتليهم بما شاءَ من أذى الكفارِ لهم ليستوجبُوا كمالَ كرامتِه، وليتسلَّى بهم مَنْ بعدَهم من أممِهم وخلفائِهم إذا أوذُوا من الناسِ، فرأوْا ما جرَى على الرسلِ والأنبياءِ صبرُوا ورضُوا وتأسَوْا بهم[1].

(١) بدائع الفوائد (٢/١٩٣).

قال أبو العباسِ القرطبيُّ رحمه الله: في معرضِ شرحِه للحديثِ، و(قولُها: حتى كانَ يخيلُ إليهِ أنَّه يفعلُ الشيءَ ولا يفعلُه) قد جعلَ هذا بعضُ أهلِ الزيغِ مطعنًا في النبوةِ، وقال: إذا انتهى الحالُ إلى هذا لم يوثقْ بقولِ من كانَ كذلكَ.

الجوابُ: إنَّ هذا صدرَ عن سوءِ فهمٍ وعدمِ علمٍ، أمَّا سوءُ الفهمِ، فلأنَّها إنما أرادتْ أنَّه ﷺ أُخِذَ عن النساءِ، فكانَ قبلَ مقاربةِ الجماعِ يخيلُ إليه أنَّه يتأتَّى له ذلك، فإذا لا يأتِيه لمْ ينهضْ لغلبةِ مرضٍ السحرِ عليه. وقد جاءَ هذا المعنى منصوصًا في غيرِ كتابِ مسلمٍ، فقالتْ: حتى كانَ يخيلُ إليه أنَّه يأتِي النساءِ فلا يأتيهنَّ[(١)]، ولو لمْ ينقلْ أنَّ ذلكَ في الجماعِ لصحَّ في غيرِه كما صحَّ فيه، فيخيلُ إليه أنَّه يُقدمُ على الأكلِ أو المشيِ مثلاً لأنَّه لا يحسُّ بمانعٍ يمنعُه منه، فإذا رامَ ذلكَ وأخذَ فيه لم يتأتَّ له ذلكَ لغلبةِ المرضِ الناشئِ عن السحرِ لا أنَّه ﷺ أوجبَ له[(٢)] خللاً في عقلِه، ولا تخليطًا في قولِه، إذ قد قامَ برهانُ المعجزةِ على صدقِه وعصمةِ اللهِ تعالى له عن الغلطِ فيما يبلِّغُهُ بقولِه وفعلِه.

وأمَّا عدمُ علمِ الطاعنِ: فقدْ سلبَه اللهُ تعالى العلمَ بأحكامِ النبواتِ وما تدلُّ عليه المعجزاتُ، فكأنَّهم لم يعلمُوا أنَّ الأنبياءَ من البشرِ، وأنَّه يجوزُ عليهم من الأمراضِ، والآلامِ، والغضبِ، والضجرِ، والعجزِ، والسحرِ، والعينِ وغيرِ ذلكَ ما يجوزُ على البشرِ، لكنَّهم معصومون عمَّا يناقضُ دلالةَ المعجزةِ من معرفةِ اللهِ تعالى، والصدقِ والعصمةِ عن الغلطِ في التبليغِ،

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٦٥).
(٢) أي المرض الناشئ عن السحر.

وعن هذا المعنَى عبَّرَ اللهُ تعالى بقولِه: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ [الكهف: ١١٠] من حيثُ البشريةُ يجوزُ عليهم ما يجوزُ عليهم ومن حيثُ الخاصةُ النبويةُ: امتازَ عنهم، وهو الذي شهدَ له العليُّ الأعلَى بأنَّ بصرَه ما زاغَ وما طغَى(١) وبأنَّ فؤادَه ما كذبَ ما رأَى(٢)، وبأنَّ قولَه وحيٌ يُوحَى وأنَّه ما ينطقُ عن الهَوَى(٣).

قال المهلبُ رحمه الله: إنَّ ذلك السحرَ لم يضرَّه، لأنَّه لم يُفقدْه شيئًا من الوحيِ، ولا دخلت عليه داخلةٌ في الشريعةِ وإنَّما اعتراه شيءٌ من التخيُّلِ والتوهمِ، ثمَّ لم يتركْه اللهُ على ذلكَ، بل تداركَه وعصمَه وأعلمَهُ بموضعِ السحرِ وأمرَهُ باستخراجِه وحلَّ عنه، فعصمَه اللهُ تعالى من الناسِ ومن شرِّهم كما وعدَه، وكما دفعَ عنه أيضًا ضرَّ السمِّ(٤).

قال المازريُّ رحمه الله: وقد أنكرتْ بعضُ المبتدعةِ هذا الحديثَ من طرقٍ ثابتةٍ وزعموا أنه يحطُّ منصبَ النبوةِ ويشكِّكُ فيها، وكلُّ ما أدَّى إلى ذلكَ فهو باطلٌ، وزعمُوا أنَّ تجويزَ هذا يُعدم الثقةَ بما شرعُوه من الشرائعِ... وهذا الذي قالُوه باطلٌ، وذلكَ أن الدليلَ قد قامَ على صدقِه فيما يبلِّغُه عن اللهِ سبحانه وعلى عصمتِه فيه والمعجزةُ شاهدةٌ بصدقِه، وتجويزُ ما قام الدليلُ على خلافِه باطلٌ، وما يتعلقُ ببعضِ أمورِ الدنيا التي لم يبعثْ بسببِها ولا كان رسولًا مفضَّلاً من أجلِها هو في كثيرٍ منه عرضةٌ لما يعترضُ البشرَ، فغيرُ

---

(١) قال الله تعالى: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ النجم: ١٧.

(٢) قال تعالى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ النجم: ١١.

(٣) قال سبحانه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ النجم: ٣، ٤.

(٤) التوضيح لابن الملقن (١٨/ ٦٣٠).

بعيدٍ أنْ يخيلَ إليه في أمورِ الدنيا ما لا حقيقةَ له، وقد قالَ بعضُ الناسِ إنَّما المرادُ بالحديثِ أنَّه كان يخيلُ إليه أنَّه وَطِئَ زوجاتِه(١)، وليسَ بواطئٍ...(٢).

قال القاضي عياضٌ رحمه الله: إنَّ هذا الحديثَ صحيحٌ متفقٌ عليه، وقد طعنتْ فيه المُلحدةُ وتدرعتْ به لسُخفِ عقولِها وتلبيسِها على أمثالِها إلى التشكيكِ في الشرعِ، وقد نزَّهَ اللهُ الشرعَ والنبيَّ ﷺ عمَّا يُدخلُ في أمرِه لبسًا، وإنما السحرُ مرضٌ من الأمراضِ، وعارضٌ من العللِ، يجوزُ عليه كأنواعِ الأمراضِ مما لا ينكرُ ولا يقدحُ في نبوتِه.

وأمَّا ما وردَ أنه كان يخيلُ إليه أنَّه فعلَ الشيءَ ولا يفعلُه، فليس في هذا ما يُدخلُ عليه داخلةً في شيءٍ من تبليغِه أو شريعتِه أو يقدحُ في صدقِه، لقيامِ الدليلِ والإجماعِ على عصمتِه من هذا، وإنَّما هذا فيما يجوزُ طرؤُه عليه في أمرِ دنياه التي لم يُبعثْ بسببِها ولا فُضِّلَ من أجلِها، وهو فيها عرضةٌ للآفاتِ كسائرِ البشرِ، فغيرُ بعيدٍ أنْ يخيلَ إليه من أمورِها ما لا حقيقةَ له ثم ينجلِي عنه كما كان ... إلى أنْ قال: فقد استبانَ لكم مضمونُ هذه الرواياتِ أنَّ السحرَ إنَّما تسلطَ على ظاهرِه وجوارحِه لا على قلبِه واعتقادِه وعقلِه، وأنَّه إنَّما أثَّرَ في بصرِه، وحبسَه عن وطءِ نسائِه وطعامِه وأضعفَ جسمَه وأمرضَه (٣).

---

(١) كذا جاء في حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: "كان رسول الله ﷺ سُحر حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن" أخرجه البخاري (٥٧٦٥).

(٢) المعلم بفوائد مسلم (٣/٩٣).

(٣) الشفا (٢/١٩٤-١٩٦).

بمَ يذهبُ السحرُ؟

قال ابنُ كثيرٍ رحمه الله: أنفعُ ما يستعملُ لإذهابِ السحرِ ما أنزلَ اللهُ على رسولِه في إذهابِ ذلكَ، وهما المعوَّذتان وفي الحديثِ: «**لَمْ يَتَعَوَّذِ الْمُتَعَوِّذُونَ بِمِثْلِهِ**»[(١)] وكذلكَ قراءةُ آيةِ الكرسيِّ فإنه مطردةٌ للشيطانِ[(٢)][(٣)].

قال ابنُ القيمِ رحمه الله: من أنفعِ الأدويةِ وأقوى ما يوجدُ من النشرةِ[(٤)] مقاومةُ السحرِ – الذي هو من تأثيراتِ الأرواحِ الخبيثةِ – بالأدويةِ الإلهيةِ من الذكرِ والدعاءِ والقراءةِ، فالقلبُ إذا كان ممتلئًا من اللهِ معمورًا بذكرِه وله وردٌ من الذكرِ والدعاءِ والتوجُّهِ لا يخلُّ به، كان ذلك من أعظمِ الأسبابِ المانعةِ من إصابةِ السحرِ له[(٥)].

---

(١) رواه النسائي في السنن (٨/ ٢٥١) من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه.

(٢) يشير إلى حديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّه قَال: "وَكَّلَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ، فَأَتَانِي آتٍ، فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ، فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَصَّ الحَدِيثَ، فَقَالَ: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ، لَنْ يَزَالَ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلاَ يَقْرَبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ، ذَاكَ شَيْطَانٌ" أخرجه البخاري معلقًا (٥٠١٠).

(٣) تفسير ابن كثير (١/ ١٣٤).

(٤) النشرة: النشرة بضم نون وسكون شين معجمة: نوع من الرقية يعالج بها المجنون، ولعله كان مشتملا على أسماء الشياطين، أو كان بلسان غير معلوم، فلذلك جاء أنها سحر، وسمى نشرة لانتشار الداء وانكشاف البلاء. انظر شرح السنة للبغوى (١٤/ ١٥٩) وفتح الباري (١٠/ ٢٣٢-٢٣٣).

(٥) فتح الباري (١٠/ ٢٤٦).

مطلبٌ: هل يسألُ المسحورُ حلاً لسحرِه؟

عن سعيدِ بن المسيبِ أنَّه كان لا يرى بأسًا إذا كان بالرجلِ سحرٌ أن يمشيَ إلى من يطلقُ عنه، فقال: هو صلاحٌ.

قال قتادةُ ؒ: وكان الحسنُ يكرهُ ذلكَ، يقولُ: لا يعلمُ ذلكَ إلا ساحرٌ، قال: فقال سعيدُ بن المسيبِ: إنما نهى اللهُ عما يضرُّه ولم ينهَ عمَّا ينفعُ، وقد أخرجَ أبو داود في "المراسيل" عن الحسنِ رفعَه: «**النُّشْرَةُ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ**»[1] ووصلَه أحمدُ وأبو داودَ بسندٍ حسنٍ عن جابرٍ.

قال ابنُ الجوزيِّ ؒ: النشرةُ حلُّ السحرِ عن المسحورِ، ولا يكادُ يقدرُ عليه إلا من يعرفُ السحرَ.

وقد سُئلَ أحمدُ ؒ: عمَّن يطلقُ السحرَ عن المسحورِ فقال: لا بأسَ به، وهذا هو المعتمدُ.

ويجابُ عن الحديثِ والأثرِ بأنَّ قولَه: «**النُّشْرَةُ مِن الشَّيْطَانِ**» إشارةٌ إلى أصلِها، ويختلفُ الحكمُ بالقصدِ.

فمنْ قصدَ بها خيرًا كان خيرًا وإلا فهو شرٌّ، ثم الحصرُ المنقولُ عن الحسنِ ليس على ظاهرِه لأنَّه قد ينحلُّ بالرُّقَى والأدعيةِ والتعاويذِ، ولكنْ يحتملُ أن تكونَ النشرةُ نوعين... ويوافقُ قولَ سعيدِ بنِ المسيبِ ما تقدَّمَ في "بابِ الرُّقيةِ" في حديثِ جابرٍ عند مسلمٍ مرفوعًا: «**مَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَنْفَعَ**

(١) أخرجه أحمد (٣/٢٩٤) وأبو داود (٣٨٦٨) وعبد الرزاق في مصنفه (١٩٧٦٢)، والبيهقى (٩/٣٥١).

أَخَاهُ فَلْيَفْعَلْ»[١] ويؤيدُ مشروعيةَ النشرةِ ما تقدمَ في حديثِ: «العَيْنُ حَقٌّ»[٢] في قصةِ اغتسالِ العائنِ... وممَّن صرَّح بجوازِ النشرةِ المزنيُّ صاحبُ الشافعيِّ وأبو جعفر الطبريّ وغيرُهما[٣].

تنبيهٌ:

لا يجوزُ حلُّ السحرِ عن المسحورِ بمعاونةِ قسيسٍ أو ساحرٍ أو كاهنٍ أو استخدامِ الجنِّ، كلُّ ذلكَ من أعمالِ الكفرِ[٤]، وقد تقدمَ بيانُ أنَّ حلَّ السحرِ يكونُ بالأخذِ بالأسبابِ المشروعةِ من الكتابِ والسُّنَّةِ، فالذي يكشفُ الضرَّ هو اللهُ سبحانه قال جلَّ وعلا: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ١٧]، و[يونس: ١٠٧].

فالنشرةُ المشروعةُ التي تكون بالرُّقَى والأدعيةِ والتعاويذِ من الكتابِ أو السُّنَّةِ.

الرُّقَى:

في اللغةِ: رَقَى: الراء والقاف والحرفُ المعتلُّ أصولٌ ثلاثةٌ متباينةٌ: أحدُها الصعودُ، والآخرُ عوذةٌ يُتعوَّذُ بها، والثالثُ بقعةٌ من الأرضِ[٥].

قال محمدُ بنُ أبي بكرٍ: الرُّقْيَةُ: العوذةُ، والجمع: رُقَىً[٦].

---

(١) أخرجه مسلم (٦٢ – ٢١٩٩).
(٢) أخرجه البخاري (٥٧٤٠) ومسلم (٢١٨٧).
(٣) فتح الباري (١٠/٢٤٤).
(٤) تقدم بيان حكم الساحر.
(٥) مقاييس اللغة لابن فارس (٢/٤٢٦) مادة (رقى).
(٦) مختار الصحاح (ص:١١١).

الرُّقَى نوعان: الأولُ: رُقَى الجاهليةِ التي أبطلَهَا الإسلامُ وسيأتي بيانُ ذلك، والثاني: الرُّقَى المشروعةُ الثابتةُ عن رسولِ اللهِ ﷺ في أحاديثَ صحيحةٍ نذكرُ منها:

حديثَ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَت: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، إِذَا اشْتَكَى مِنَّا إِنْسَانٌ، مَسَحَهُ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ قَالَ: «**أَذْهِبِ الْبَاسَ، رَبَّ النَّاسِ، وَاشْفِ أَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا**» فَلَمَّا مَرِضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَثَقُلَ، أَخَذْتُ بِيَدِهِ لِأَصْنَعَ بِهِ نَحْوَ مَا كَانَ يَصْنَعُ، فَانْتَزَعَ يَدَهُ مِنْ يَدِي، ثُمَّ قَالَ: «**اللهُمَّ اغْفِرْ لِي وَاجْعَلْنِي مَعَ الرَّفِيقِ الْأَعْلَى**» قَالَتْ: فَذَهَبْتُ أَنْظُرُ، فَإِذَا هُوَ قَدْ قَضَى(١).

عن ابنِ أَبِي الْعَاصِ الثَّقَفِيِّ أَنَّهُ شَكَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَجَعًا يَجِدُهُ فِي جَسَدِهِ مُنْذُ أَسْلَمَ. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « **ضَعْ يَدَكَ عَلَى الَّذِي تَأَلَّمَ مِنْ جَسَدِكَ وَقُلْ بِاسْمِ اللَّهِ. ثَلاَثًا. وَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ أَعُوذُ بِاللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ** »(٢).

وعن عَائِشَةَ قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا مَرِضَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِهِ نَفَثَ عَلَيْهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ فَلَمَّا مَرِضَ مَرَضَهُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ جَعَلْتُ أَنْفُثُ عَلَيْهِ وَأَمْسَحُهُ بِيَدِ نَفْسِهِ لأَنَّهَا كَانَتْ أَعْظَمَ بَرَكَةً مِنْ يَدِي(٣).

قال النوويُّ رحمه الله: وفي هذا الحديثِ استحبابُ الرقيةِ بالقرآنِ وبالأذكارِ، وإنما رَقَى بالمعوذاتِ لأنهنَّ جامعاتٌ للاستعاذةِ من كلِّ المكروهاتِ جملةً وتفصيلاً، ففيها الاستعاذةُ من شرِّ ما خلقَ، فيدخلُ فيه

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦٧٥) ومسلم (٢١٩١).

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٠٢) وأبو داود (٣٨٩١) والترمذي (٢٠٨٠).

(٣) أخرجه البخاري (٤٤٣٩) ومسلم (٢١٩٢).

كلُّ شيءٍ، ومن شرِّ النفاثاتِ في العقدِ من شرِّ السواحرِ، ومن شرِّ الحاسدين، ومن شرِّ الوسواسِ الخناسِ، واللهُ أعلم[١].

عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ إِذَا اشْتَكَى الْإِنْسَانُ الشَّيْءَ مِنْهُ، أَوْ كَانَتْ بِهِ قَرْحَةٌ أَوْ جُرْحٌ، قَالَ: النَّبِيُّ ﷺ بِإِصْبَعِهِ هَكَذَا، وَوَضَعَ سُفْيَانُ سَبَّابَتَهُ بِالْأَرْضِ، ثُمَّ رَفَعَهَا: «**بِاسْمِ اللهِ، تُرْبَةُ أَرْضِنَا، بِرِيقَةِ بَعْضِنَا، لِيُشْفَى بِهِ سَقِيمُنَا، بِإِذْنِ رَبِّنَا**»[٢].

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أَتَوْا عَلَى حَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ فَلَمْ يَقْرُوهُمْ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ، إِذْ لُدِغَ سَيِّدُ أُولَئِكَ، فَقَالُوا: هَلْ مَعَكُمْ مِنْ دَوَاءٍ أَوْ رَاقٍ؟ فَقَالُوا: إِنَّكُمْ لَمْ تَقْرُونَا، وَلاَ نَفْعَلُ حَتَّى تَجْعَلُوا لَنَا جُعْلًا، فَجَعَلُوا لَهُمْ قَطِيعًا مِنَ الشَّاءِ، فَجَعَلَ يَقْرَأُ بِأُمِّ الْقُرْآنِ، وَيَجْمَعُ بُزَاقَهُ وَيَتْفِلُ، فَبَرَأَ فَأَتَوْا بِالشَّاءِ، فَقَالُوا: لاَ نَأْخُذُهُ حَتَّى نَسْأَلَ النَّبِيَّ ﷺ، فَسَأَلُوهُ فَضَحِكَ وَقَالَ: «**وَمَا أَدْرَاكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ، خُذُوهَا وَاضْرِبُوا لِي بِسَهْمٍ**»[٣].

قال ابنُ بطالٍ[٤] رحمه الله: وإذا جازت الرقيةُ بالمعوَّذتين وهما سورتان

---

(١) مسلم بشرح النووي (٧/٤٣٨).

(٢) أخرجه البخاري (٥٧٤٥) ومسلم (٢١٩٤).

(٣) أخرجه البخاري (٥٧٣٦)، ومسلم (٢٢٠١).

(٤) هو: العلامة، أبو الحسن علي بن خلف بن بطال البكري، القرطبي، ثم البلنسي، ويعرف: بابن اللجام. قال ابن بشكوال: كان من أهل العلم والمعرفة، عني بالحديث العناية التامة. قال الذهبي في تاريخ الإسلام: قلت: وكان ينتحل الكلام على طريقة الأشعري. توفي في صفر، سنة تسع وأربعين وأربعمائة.
سير أعلام النبلاء (١٨/٤٧)، تاريخ الإسلام للذهبي (٩/٧٤١).

من القرآنِ كانت الرقيةُ بسائرِ القرآنِ مثلَها في الجوازِ إذْ كلُّهُ قرآنٌ.

قال المهلبُ رحمه الله: في (الحمد لله) من معنى الرُّقَى شبيهٌ بمعنى ما في المعوذاتِ وهو قولُه: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ والاستعانةُ به في دعاءِ كشفِ الضرِّ وسؤالِ الفرجِ(١).

لا بأسَ بالرّقَى ما لم يكنْ فيه شركٌ:

عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنِ الرُّقَى، فَجَاءَ آلُ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّهُ كَانَتْ عِنْدَنَا رُقْيَةٌ نَرْقِي بِهَا مِنَ الْعَقْرَبِ، وَإِنَّكَ نَهَيْتَ عَنِ الرُّقَى، قَالَ: فَعَرَضُوهَا عَلَيْهِ، فَقَالَ: «**مَا أَرَى بَأْسًا مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَنْفَعْهُ**»(٢).

عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ، قَالَ: كُنَّا نَرْقِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ تَرَى فِي ذَلِكَ فَقَالَ: «**اعْرِضُوا عَلَيَّ رُقَاكُمْ لَا بَأْسَ بِالرُّقَى مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شِرْكٌ**»(٣).

قال الشافعيُّ رحمه الله: لا بأسَ أن يرقِي الرجلُ بكتابِ اللهِ وما يعرفُ من ذكرِ اللهِ(٤).

قال السيوطيُّ رحمه الله: وأجمعَ العلماءُ على جوازِ الرُّقَى، عندَ اجتماعِ ثلاثةِ شروطٍ:

---

(١) شرح صحيح البخاري (٩/٤٢٩) لابن بطال.
(٢) أخرجه مسلم (٢١٩٩).
(٣) أخرجه مسلم (٢٢٠٠)، وأبو داود (٣٨٨٦).
(٤) السنن الكبرى للبيهقي (١٤/٣٦٥).

- أنْ يكونَ بكلامِ اللهِ أو بأسمائِه وصفاتِه.

- وباللسانِ العربيِّ وبما يُعرفَ معناه.

- وأنْ يعتقدَ أنَّ الرقيةَ لا تؤثرُ بذاتِها، بلْ بتقديرِ اللهِ تعالى[١].

الرّقى من العينِ والأدلةُ على أنّ العينَ حقٌّ:

العينُ حقٌّ، وقدْ جاءتْ أدلةٌ من الكتابِ والسُّنَّةِ تدلُّ أنَّ العينَ والحسدَ لهما حقيقةٌ وتأثيرٌ.

قال اللهُ تعالى: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ﴾ [القلم: ٥١].

قال البغويُّ رحمه الله: وذلكَ أن الكفارَ أرادُوا أنْ يصيبوا رسولَ اللهِ ﷺ بالعينِ فنظرَ إليه قومٌ من قريشٍ وقالوا: ما رأينَا مثلَه ولا مثلَ حججِه.

قال ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: معناه: ينفذونك، ويُقالُ: زلقَ السهمُ: إذا أنفذَ.

وقال السُّديُّ[٢] رحمه الله: يصيبُونك بعيونِهم[٣].

وقالَ سبحانه عن يعقوبَ عليه السلامُ: ﴿يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍ﴾ [يوسف: ٦٧].

---

(١) انظر فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد (ص:١٣٣).

(٢) هو: إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السدي، أبو محمد القرشي الكوفي الأعور مولى زينب بنت قيس بن مخرمة، وقيل: مولى بني هاشم صاحب التفسير، صدوق يهم ورمي بالتشيع.
تقريب التهذيب (٣/١٣٢)، سير أعلام النبلاء (٥/٢٦٤).

(٣) معالم التنزيل (٨/٢٠١ – ٢٠٢).

الأدلةُ من السّنّة على أنّ العينَ حقٌ:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**الْعَيْنُ حَقٌّ، وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ سَابَقَ الْقَدَرَ سَبَقَتْهُ الْعَيْنُ، وَإِذَا اسْتُغْسِلْتُمْ فَاغْسِلُوا**»(١).

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدري أَنَّ جِبْرِيلَ، أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ اشْتَكَيْتَ؟ فَقَالَ: «**نَعَمْ**» قَالَ: «**بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ أَوْ عَيْنِ حَاسِدٍ، اللهُ يَشْفِيكَ بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ**»(٢).

عَنِ ابْنِ شَدَّادٍ، عَنْ عَائِشَةَ: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَأْمُرُهَا أَنْ تَسْتَرْقِيَ مِنَ الْعَيْنِ»(٣).

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله قال: رَخَّصَ النَّبِيُّ ﷺ لِآلِ حَزْمٍ فِي رُقْيَةِ الْحَيَّةِ، وَقَالَ لِأَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ: «**مَا لِي أَرَى أَجْسَامَ بَنِي أَخِي ضَارِعَةً تُصِيبُهُمُ الْحَاجَةُ**» قَالَتْ: لَا، وَلَكِنِ الْعَيْنُ تُسْرِعُ إِلَيْهِمْ، قَالَ: «**ارْقِيهِمْ**» قَالَتْ: فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «**ارْقِيهِمْ**»(٤).

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنها قَالَتْ: كَانَ يُؤْمَرُ الْعَائِنُ فَيَتَوَضَّأُ ثُمَّ يَغْتَسِلُ مِنْهُ الْمَعِينُ(٥).

وحديثُ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ وكيفَ اتَّجَهَ بعينِه إلى سَهْل بن حُنَيْفٍ والحديثُ رواه أحمدُ في المسندِ وغيرِه وفيه: أنَّ سَهْلَ بْنُ حُنَيْفٍ اغْتَسَلَ

---

(١) أخرجه مسلم (٢١٨٨) والترمذي (٢٠٦٢).

(٢) أخرجه مسلم (٢١٨٦) وابن ماجه (٣٥٢٣).

(٣) أخرجه البخاري (٥٧٣٨) ومسلم (٢١٩٥).

(٤) أخرجه مسلم (٢١٩٨).

(٥) أخرجه أبو داود (٣٨٨٠).

وَكَانَ رَجُلاً أَبْيَضَ، حَسَنَ الْجِسْمِ، وَالْجِلْدِ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ أَخُو بَنِي عَدِيِّ بْنِ كَعْبٍ وَهُوَ يَغْتَسِلُ، فَقَالَ: مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ، وَلَا جِلْدَ مُخَبَّأَةٍ فَلُبِطَ سَهْلٌ، فَأُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ لَكَ فِي سَهْلٍ؟ وَاللَّهِ مَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ، وَمَا يُفِيقُ، قَالَ: «**هَلْ تَتَّهِمُونَ فِيهِ مِنْ أَحَدٍ؟**» قَالُوا: نَظَرَ إِلَيْهِ عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَامِرًا، فَتَغَيَّظَ عَلَيْهِ وَقَالَ: «**عَلَامَ يَقْتُلُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ؟ هَلاَّ إِذَا رَأَيْتَ مَا يُعْجِبُكَ بَرَّكْتَ؟**» ثُمَّ قَالَ لَهُ: «**اغْتَسِلْ لَهُ**» فَغَسَلَ وَجْهَهُ، وَيَدَيْهِ، وَمِرْفَقَيْهِ، وَرُكْبَتَيْهِ، وَأَطْرَافَ رِجْلَيْهِ، وَدَاخِلَةَ إِزَارِهِ فِي قَدَحٍ، ثُمَّ صُبَّ ذَلِكَ الْمَاءُ عَلَيْهِ، يَصُبُّهُ رَجُلٌ عَلَى رَأْسِهِ، وَظَهْرِهِ مِنْ خَلْفِهِ، يُكْفِئُ الْقَدَحَ وَرَاءَهُ، فَفَعَلَ بِهِ ذَلِكَ، فَرَاحَ سَهْلٌ مَعَ النَّاسِ لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ(١).

التمائمُ:

في اللغةِ: جمعُ تميمةٍ: وهي خرزاتٌ كانت العربُ تعلقُها على أولادِها يتَّقون بها العينَ في زعمِهم فأبطلَها الإسلامُ(٢).

ومعنَاها عندَ أهلِ العلمِ: ما عُلِّقَ في الأعناقِ من القلائدِ خشيةَ العينِ أو غيرِها من أنواعِ البلاءِ(٣). انتهى.

ولا يجوزُ تعليقُ التمائمِ والعلائقِ اعتقادًا من صاحبِها أنَّها تدفعُ عنه شرَّ عينِ الحاسدِ، وبعضُ النساءِ يتخذنَ قلادةً تعلقُ بها خرزةٌ زرقاءُ اللونِ

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٣/٤٨٥) وابن ماجه (٥٠٦) ومالك في الموطأ (٢/٦١٧) وابن حبان (١١٠٠).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (ص: ١١٢).

(٣) التمهيد (١٠/١٢٠) لابن عبد البر.

اعتقادًا منها أنَّ الحاسدَ يتجهُ بنظرِه إلى القلادةِ فيندفعُ عنَّها شرَّ الحسدِ، وهذا كلُّه من الشركِ، وقال ابنُ مَسْعُودٍ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ الرُّقَى**(١)**، وَالتَّمَائِمَ، وَالتِّوَلَةَ**(٢) **شِرْكٌ**»(٣).

عَنْ عَبَّادِ بْنِ تَمِيمٍ أَنَّ أَبَا بَشِيرٍ الأَنْصَارِيَّ رضي الله عنه أَخْبَرَهُ أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ - قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ: - وَالنَّاسُ فِي مَبِيتِهِمْ، فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَسُولاً أَنْ لاَ يَبْقَيَنَّ فِي رَقَبَةِ بَعِيرٍ قِلاَدَةٌ مِنْ وَتَرٍ أَوْ قِلاَدَةٌ إِلاَّ قُطِعَتْ(٤).

قال مالكٌ رحمه الله: أرى ذلكَ من العينِ(٥).

قال ابنُ عبدِ البرِّ رحمه الله: في معرضِ كلامِه عن التمائمِ: وهذا كلُّه تحذيرٌ ومنعٌ مما كانَ أهلُ الجاهليةِ يصنعون من تعليقِ التمائمِ والقلائدِ، يظنونَ أنَّها تقيهم وتصرفُ البلاءَ عنهم، وذلكَ لا يصرفُه إلا اللهُ عزَّ وجلَّ، وهو المعافِي والمبتلِي لا شريكَ له، فنهاهم رسولُ اللهِ ﷺ عمَّا كانوا يصنعونَ من ذلكَ في جاهليتِهم(٦).

---

(١) المقصود رقى الجاهلية، وقد دلت السنة على جواز الرقى ما لم تكن شركًا، وقد سبقت المسألة.

(٢) التولة: ما يحبب المرأة إلى زوجها من السحر وغيره، جعلها من الشرك لاعتقادهم أن ذلك يؤثر ويفعل خلاف ما قدر الله تعالى. النهاية (ص: ١١٣).

(٣) أخرجه أبو داود (٣٨٨٣) وأحمد (١/ ٣٨١) وأبو يعلى (٥٢٠٨) والبغوى(٣٢٤٠) والبيهقى(٩/ ٣٥٠)والحاكم (٤/ ٤١٨،٤١٧).

(٤) أخرجه البخاري (٣٠٠٥) ومسلم (٢١١٥).

(٥) الموطأ (٢/ ٦١٦).

(٦) التمهيد (١٠/ ١٢٠).

قال ابنُ الملقنِ رحمه الله: ففسَّرَ المعنى الذي من أجلِه أمرَ الشارعُ بقطعِ القلائدِ، وذلكَ أنَّ الذي قلَّدها إذا اعتقدَ أنها تردُّ العينَ فقد ظنَّ أنها تردُّ القدرَ، ولا يجوزُ اعتقادُ هذا، ولهذا رُويَ[١]: أنَّ الرُّفْقَةَ التي فِيْهَا الجَرَسُ لا تَصْحَبْهَا المَلائِكَةُ[٢].

مطلبٌ: هل يجوزُ تعليقُ التمائمِ من القرآنِ؟

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: "مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيْمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ"[٣].

وَعَنْ زَيْنَبَ امْرَأَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ رَأَى فِي عُنُقِي خَيْطًا فَقَالَ: مَا هَذَا؟ فَقُلْتُ: خَيْطٌ رُقِيَ لِي فِيهِ قَالَتْ: فَأَخَذَهُ فَقَطَعَهُ ثُمَّ قَالَ: أَنْتُمْ آلَ عَبْدِ اللَّهِ لَأَغْنِيَاءُ عَنِ الشِّرْكِ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُول: «**إِنَّ الرُّقَى وَالتَّمَائِمَ وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ**» فَقُلْتُ: لِمَ تَقُولُ هَكَذَا؟ لَقَدْ كَانَتْ عَيْنِي تُقْذَفُ وَكُنْتُ أَخْتَلِفُ إِلَى فُلَانٍ الْيَهُودِيِّ فَإِذَا رَقَاهَا سَكَنَتْ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: إِنَّمَا ذَلِكِ عَمَلُ الشَّيْطَانِ كَانَ يَنْخَسُهَا بِيَدِهِ فَإِذَا رُقِيَ كُفَّ عَنْهَا إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيكِ أَنْ تَقُولِي كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**أَذْهِبِ الْبَاسَ رَبَّ النَّاسِ وَاشْفِ أَنْتَ الشَّافِي لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سقمًا**»[٤].

اختلفَ العلماءُ من الصحابةِ والتابعين فمَنْ بعدَهم في جوازِ تعليقِ

---

(١) الحديث أخرجه مسلم (٢١١٣) وفيه: أن رسول الله ﷺ قال "لا تَصْحَبُ الْمَلاَئِكَةُ رُفْقَةً فِيهَا كَلْبٌ وَلَا جَرَس ".

(٢) التوضيح لشرح الجامع الصحيح (١٨/ ١٥٤).

(٣) رواه أحمد (٤/١٥٦) والحاكم (٤/٢١٩) والطحاوي في شرح معاني الآثار (٤/٣٢٥) وأبو يعلى (١٧٥٩) وابن حبان (٦٠٨٦).

(٤) أخرجه أبو داود (٣٨٨٣) وأحمد (١/ ٣٨١) وابن ماجه (٣٥٣٠).

التمائمِ من القرآنِ، فذهبَ فريقٌ إلى المنعِ مطلقًا وحجتُهم الأحاديثُ التي جاءَ فيه المنعُ من تعليقِ التمائمِ، وهذا ما ذهبَ إليه ابنُ مسعودٍ وعقبةُ بنُ عامرٍ وغيرُهما.

وقال آخرون: يجوزُ تعليقُ التمائمِ من القرآنِ، وحجتُهم أنَّ التمائمَ المنهيَّ عنها التي فيها شركٌ، أمَّا التمائمُ من القرآنِ منهم من أجازَها مطلقًا، ومنهم من أجازَها مع الكراهةِ، وهذا ما ذهبَ إليه عبدُ اللهِ بنِ عمرو بنِ العاص وظاهرُ قولِ عائشةَ رضي الله عنها.

قال ابنُ جزي الكلبيُّ[(١)] رحمه الله: يجوزُ تعليقُ التمائمِ، وهي العوذةُ التي تُعلَّقُ على المريضِ والصبيانِ وفيها القرآنُ وذكرُ اللهِ تعالى... ويجوزُ تعليقُها على المريضِ والصحيحِ خوفًا من المرضِ والعينِ عندَ الجمهورِ، وقال قومٌ لا يعلِّقها الصحيحُ[(٢)].

قال البيهقيُّ[(٣)] رحمه الله: وقد يحتملُ أن يكونَ ذلك وما أشبهَه من النهيِ

---

(١) هو: الفقيه المفسر الأصولي الحافظ المحدث: محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن يوسف بن جزي الكلبي الغرناطي يكنى بأبي القاسم، ولد سنة ثلاث وتسعين وستمائة بعد الهجرة، في غرناطة. وقد وقع في التأويل في الأسماء والصفات وفي الكثير غيرها مثل الإرجاء.

وذكره شهاب الدين التلمساني في نفح الطيب (٣/ ٢٧٢)، الأعلام (٥/ ٣٢٥).

(٢) القوانين الفقهية لابن جزي (ص: ٢٩٤).

(٣) هو: الحافظ العلامة، الثبت، الفقيه، شيخ الإسلام، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي ابن موسى الخسروجردي، الخراساني. قرأ علم الكلام على مذهب الأشعري، اشتغل بالتصنيف بعد أن صار أوحد زمانه وفارس ميدانه وأحذق المحدثين، وَأَحَدَّهم ذهنا، وأسرعهم فهما وأجودهم قريحة، وبلغت تصانيفه ألف جزء ولم يتهيأ لأحد مثلها. ولد: في سنة أربع وثمانين وثلاثمائة في شعبان.

=

والكراهيةِ فيمن تعلقها وهو يرى تمامَ العافيةِ وزوالَ العلةِ منها على ما كان أهلُ الجاهليةِ يصنعون، فأمَّا من تعلقها متبركًا بذكرِ اللهِ تعالى فيها وهو يعلمُ أنْ لا كاشفَ إلا اللهُ ولا دافعَ عنه سواه، فلا بأسَ إنْ شاءَ اللهُ[(١)].

قال ابنُ رشدٍ رحمه الله: وأمَّا تعليقُ التمائمِ بالقرآنِ وذكرِ اللهِ فأجازها مالكٌ مرةً في المرض وكَرِهها في الصحةِ مخافةَ العينِ أو ما يُتقَى من المرضِ، وأجازها مرةً بكل حالٍ – في حالةِ الصحةِ والمرضِ – ومن أهلِ العلمِ من كرهِ التمائمَ على كلِّ حالٍ، وكان فيها ذكرُ اللهِ أو لم يكن، في حال الصحةِ وحال المرضِ... ومنهم من أجازها في حالِ المرضِ ومنعَ منها في حال الصحةِ[(٢)].

قال الكوسجُ[(٣)] رحمه الله: قلت لأحمدَ: منْ يعلقُ شيئًا من القرآنِ؟

قال: التعاليقُ كلُّها مكروهٌ، وقال إسحاقُ بنُ راهويهِ: كما قال، إلا أنْ يكونَ بعدَ وقوعِ البلاءِ[(٤)].

= سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٦٣)، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٤/ ٨).

(١) السنن الكبرى (٩/ ٣٥٠ – ٣٥١) للبيهقي.

(٢) البيان والتحصيل (١٨/ ٤٢٧) والمقدمات الممهدات كلاهما لابن رشد (٣/ ٤٦٥).

(٣) هو الإمام أبو يعقوب إسحاق بن منصور بن بهرام الكوسج، التميمي المروزي، نزيل نيسابور وهو أحد الأئمة من أصحاب الحديث، وكان من الزهاد المتمسكين بالسنة مات بنيسابور يوم الاثنين، ودفن يوم الثلاثاء، لعشر خلون من جمادى الأولى سنة إحدى وخمسين ومائتين.
تهذيب الكمال (٢/ ٤٧٤)، سير أعلام (١٢/ ٢٥٨)، طبقات الحنابلة (١/ ١١٣).

(٤) مسائل الإمام أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه (٢/ ٧٥٥). لإسحاق بن منصور الكوسج.

الراجحُ: جوازُ تعليقِ التمائمِ من القرآنِ مع الكراهةِ، فتركُها أولَى من بابِ سدِّ الذرائعِ، فقد يُفضِي ذلك إلى تعليقِ التمائمِ المحرمةِ أو تعلّقِ القلبِ بالتمائمِ، وأيضًا لا يأمَنُ أن تُمتهَن بحملِها عندَ قضاءِ الحاجةِ وما أشبهَ ذلك، وهذا اختيارُ الإمامِ أحمدَ بنِ حنبلٍ وغيرُه، واللهُ تعالى أعلمُ.

الكهانةُ:

في اللغةِ: كَهَنَ له، كمنع ونصر وكرم، كَهانة بالفتح وتَكَهَّن، تكهُّنًا: قضَى له بالغيبِ، فهو كاهنٌ، وكَهَنةٌ وكُهَّانٌ وحرفتُه: الكِهانةُ(١).

واصطلاحًا: هو الذي يخبرُ عن المغيباتِ في المستقبلِ وقيل هو الذي يخبرُ عمَّا في الضميرِ(٢).

تحريمُ الكهانةِ وإتيانُ الكهانِ:

قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاَةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً**»(٣).

وفي روايةٍ: "**مَنْ أَتَى عَرَّافًا أَوْ كَاهِنًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ**"(٤)

عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله! أُمُورًا كُنَّا

---

(١) القاموس المحيط (ص: ١١٠٧) مادة (ك هـ ن).

(٢)فتح المجيد (ص ١٣٣)

(٣) أخرجه مسلم (٢٢٣٠).

(٤) أخرجه أحمد (٢/٤٢٩) والحاكم(١/٨)، وصححه على شرط الشيخين، والبيهقي (٨/١٣٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٨١٨).

نَصْنَعُهَا فِي الجَاهِلِيَّة: كُنَّا نَأْتِي الكُهَّانَ، قَال «**فَلا تَأْتُوا الكُهَّانَ**»(١).

قال القاضي رحمه الله: كانت الكهانةُ في العربِ ثلاثةَ أضربٍ:

أحدَها: أن يكونَ للإنسانِ وليٌّ من الجنِّ يخبرُه بما يسترقُه من السمعِ من السماءِ، وهذا القسمُ بطلَ من حينِ بعثَ اللهُ النبيَّ ﷺ.

الثاني: أن يخبرَه بما يطرأُ أو يكونُ في أقطارِ الأرضِ، وخفيَ عنه مما قَرُبَ أو بَعُدَ، وهذا لا يبعدُ وجودُه.

الثالثَ: المُنَجِّمُون، وهذا الضربُ يخلقُ اللهُ تعالى فيه لبعضِ الناسِ قوةً ما، لكنَّ الكذبَ فيه أغلبُ.

ومن هذا الفنِّ: العِرافةُ، وصاحبُها عرَّافٌ، وهو الذي يستدلُّ على الأمورِ بأسبابٍ ومقدماتٍ يدَّعِي معرفتَه بها، وقد يعتضدُ بعضُ هذا الفنِّ ببعضٍ في ذلك، بالزجرِ والطرقِ والنجومِ، وأسبابٍ معتادةٍ، وهذه الأضربُ كلُّها تسمَّى كهانةٌ، وقد أكذبَهم كلَّهم الشرعُ، ونهى عن تصديقِهم وإتيانِهم(٢).

الأدلةُ على أنّ الغيبَ لا يعلمُه إلا اللهُ تعالى:

من اعتقدَ أنَّ أحدًا يعلمُ الغيبَ – سواءٌ أكان جنًّا أم إنسًا – فقد كفرَ – لأنَّ في هذا الادعاءِ تكذيبًا للقرآنِ.

قال اللهُ تبارك وتعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩].

---

(١) أخرجه مسلم (٥٣٧).

(٢) مسلم بشرح النووي (٧/ ٤٨٥).

وقال جلَّ ذكرُه: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥].

وقال اللهُ تعالى لرسولِه ﷺ: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ٥٠].

﴿وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾ أي: ولا أقولُ لكم إنِّي أعلمُ الغيبَ إنَّما ذاك من علمِ اللهِ جلَّ وعلا، ولا أطَّلِعُ منه إلا على ما أطْلَعَني عليه[1].

وقال تعالى حكايةً عن نبيِّه ﷺ: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

وقال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦].

قال أبو جعفرٍ رحمه الله: وقولُه: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ يعني بعالِمِ الغيبِ: عالِمِ ما غابَ عن أبصارِ خلقِه، فلم يرَوْهُ، فلا يظهرُ على غيبِه أحدًا، فيعلمُه أو يريهِ إياهُ، إلا منْ ارتضَى من رسولٍ، فإنَّه يظهرُه على ما شاءَ من ذلكَ، وبنحوِ الذي قلنَا في ذلكَ قالَ أهلُ التأويلِ[2].

وقال جلَّ ثناؤُه: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/٢٢).

(٢) جامع البيان (١٤/١٥٠).

إِلَّا دَآبَّةُ ٱلۡأَرۡضِ تَأۡكُلُ مِنسَأَتَهُۥۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلۡجِنُّ أَن لَّوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٱلۡغَيۡبَ مَا لَبِثُواْ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلۡمُهِينِ﴾ [سبأ: ١٤].

قال ابنُ الجوزيِّ رحمه الله: قال المفسرون: كانت الإنسُ تقولُ إنَّ الجنَّ تعلمُ الغيبَ الذي يكونُ في غدٍ، فوقفَ سليمانُ في محرابِه متوكئًا على عصاه فماتَ فمكثَ كذلكَ حولًا والجنُّ تعملُ تلك الأعمالَ الشاقةَ ولا تعلمُ بموتِه حتى أكلت الأرضةُ عصَا سليمانَ فخرَّ فعلمُوا بموتِه، وعلمَ الإنسُ أنَّ الجنَّ لا تعلمُ الغيبَ(١).

قال السعديُّ رحمه الله: فلم يزلْ الشياطينُ يعملونَ لسليمانَ عليه الصلاةُ والسلامُ كلَّ بناءٍ، وكانوا قد موَّهوا على الإنسِ وأخبروهم أنَّهم يعلمونَ الغيبَ ويطَّلعُون على المكنوناتِ، فأرادَ اللهُ تعالى أن يُرِيَ العبادَ كذبَهم في هذه الدعوى، فمكثُوا يعملونَ على عملِهم، وقضى اللهُ الموتَ على سليمانَ عليه السلامُ، واتكأَ على عصاه وهي المنسأةُ، فصارُوا إذا مرُّوا به وهو متكئٌ عليها ظنُّوه حيًّا وهابُوه، فغدَوْا على عملِهم كذلكَ سنةً كاملةً على ما قيل حتى سُلِّطتْ دابةُ الأرضِ على عصاه، فلم تزلْ ترعاهَا حتى بادَ وسقطَ، فسقطَ سليمانُ عليه السلامُ وتفرَّقت الشياطينُ، وتبيَّنتْ الإنسُ أن الجنَّ ﴿لَّوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٱلۡغَيۡبَ مَا لَبِثُواْ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلۡمُهِينِ﴾ وهو العملُ الشاقُّ عليهم(٢).

قال ابنُ أبي العزِّ رحمه الله: ولا نصدِّقُ كاهنًا ولا عرافًا، ولا من يدَّعِي

---

(١) زاد المسير (٦/ ٤٤١).

(٢) تسيير الكريم الرحمن (ص: ٦٧٧).

شيئًا يخالفُ الكتابَ والسُّنَّة وإجماعَ الأمَّةِ.

قال أبو جعفرٍ الطحاويُّ[(١)] رحمه الله: وفي الصحيح عنه ﷺ قال: « ثَمَنُ الْكَلْبِ حَرَامٌ، وَمَهْرُ الْبَغِيِّ حَرَامٌ وَحُلْوَانِ الْكَاهِنِ خَبِيثٌ»[(٢)].

وحلوانُه: الذي تسميه العامةُ: حلاوتَه.

ويدخلُ في هذا المعنى ما يُعطَاهُ المنجمُ وصاحبُ الأزلامِ التي يُستقسمُ بها، مثلَ الخشبةِ المكتوبِ عليها "ا ب ج د" والضاربِ بالحصى، والذي يخطُّ في الرملِ، وما يُعطاه هؤلاءِ حرامٌ، وقد حَكَى الإجماعَ على تحريمِه غيرُ واحدٍ من العلماءِ، كالبغويِّ والقاضِي عياضٍ وغيرِهما.

وفي صحيح البخاريِّ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: كَانَ لِأَبِي بَكْرٍ غُلاَمٌ يُخْرِجُ لَهُ الخَرَاجَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يَأْكُلُ مِنْ خَرَاجِهِ، فَجَاءَ يَوْمًا بِشَيْءٍ فَأَكَلَ مِنْهُ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ لَهُ الغُلاَمُ: أَتَدْرِي مَا هَذَا؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: كُنْتُ تَكَهَّنْتُ لِإِنْسَانٍ فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَمَا أُحْسِنُ الكِهَانَةَ، إِلَّا أَنِّي خَدَعْتُهُ، فَلَقِيَنِي فَأَعْطَانِي بِذَلِكَ، فَهَذَا الَّذِي أَكَلْتَ مِنْهُ، فَأَدْخَلَ أَبُو بَكْرٍ

---

(١) هو: الإمام، العلامة، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزدي الطحاوي، الحافظ الكبير، محدث الديار المصرية وفقيهها، انتهت إليه رياسة الحنفية بمصر. ولد ونشأ في (طحا) من صعيد مصر، وتفقه على مذهب الشافعي، ثم تحول حنفيا. وكان ثقة ثبتا فقيها عاقلا، لم يخلف مثله ولد سنة ثمان وثلاثين ومائتين. قال: ومات سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة.
سير أعلام النبلاء (١٥/ ٢٧)، وفيات الأعيان (١/ ٧١)، الأعلام (١/ ٢٦٠).

(٢) أخرجه البخاري (٥٧٦١) من حديث أبي مسعود البدري رضي الله عنه قال "نهى رسول الله ﷺ عن ثمن الكلب ومهر البغي وحلوان الكاهن" ومسلم (١٥٦٧).

يَدَهُ، فَقَاءَ كُلَّ شَيْءٍ فِي بَطْنِهِ(١).

والواجبُ على وليِّ الأمرِ، وكلِّ قادرٍ أنْ يسعَى في إزالةِ هؤلاءِ المنجمينَ والكهانِ والعرافينَ وأصحابِ الضربِ بالرملِ والحصى والقرعِ والغالاتِ، ومنعِهم من الجلوسِ في الحوانيتِ والطرقاتِ، أو أن يدخلُوا على الناسِ في منازلِهم لذلك، ويكفِي منْ يعلمُ تحريمَ ذلكَ ولا يسعَى في إزالتِه – مع قدرتِه على ذلك – قولُه تعالى: ﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٩]، وهؤلاء الملاعينُ يقولون الإثمَ ويأكلون السحتَ بإجماعِ المسلمين(٢).

رميُ النجومِ للشياطينِ عندَ استراقِ السمعِ:

قال اللهُ تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّـٰهَا لِلنَّـٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَـٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَـٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾ [الحجر: ١٦ – ١٨].

قال ابنُ كثيرٍ رحمه الله: وجعلَ الشهبَ حرسًا من مردةِ الشياطينِ لئلا يسمعُوا إلى الملأ الأعلى، فمنْ تمردَّ وتقدَّمَ منهم لاستراقِ السمعَ جاءه شهابٌ مبينٌ فأتلفَه، فربَّما يكونُ قد ألقَى الكلمةَ التي سمعَها قبلَ أنْ يدركَه الشهابُ إلى الذي هو دونَه، فيأخذَها الآخرُ ويأتيَ بها إلى وليِّه كما جاءَ مصرَّحًا به في صحيحِ البخاريِّ(٣) في تفسيرِ هذه الآيةِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا قَضَى اللَّهُ الأَمْرَ فِي السَّمَاءِ، ضَرَبَتِ المَلاَئِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا**

(١) أخرجه البخاري (٣٨٤٢).
(٢) شرح العقيدة الطحاوية (ص: ٥٠١ – ٥٠٢).
(٣) أخرجه البخاري (٤٧٠١).

خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ، كَالسِّلْسِلَةِ عَلَى صَفْوَانٍ - قَالَ عَلِيٌّ: وَقَالَ غَيْرُهُ: صَفْوَانٍ يَنْفُذُهُمْ ذَلِكَ - فَإِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ، قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ، قَالُوا لِلَّذِي قَالَ: الحَقَّ، وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ، فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرِقُو السَّمْعِ، وَمُسْتَرِقُو السَّمْعِ هَكَذَا وَاحِدٌ فَوْقَ آخَرَ - وَوَصَفَ سُفْيَانُ بِيَدِهِ، وَفَرَّجَ بَيْنَ أَصَابِعِ يَدِهِ اليُمْنَى، نَصَبَهَا بَعْضَهَا فَوْقَ بَعْضٍ - فَرُبَّمَا أَدْرَكَ الشِّهَابُ المُسْتَمِعَ قَبْلَ أَنْ يَرْمِيَ بِهَا إِلَى صَاحِبِهِ فَيُحْرِقَهُ، وَرُبَّمَا لَمْ يُدْرِكْهُ حَتَّى يَرْمِيَ بِهَا إِلَى الَّذِي يَلِيهِ، إِلَى الَّذِي هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُ، حَتَّى يُلْقُوهَا إِلَى الأَرْضِ - وَرُبَّمَا قَالَ سُفْيَانُ: حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى الأَرْضِ - فَتُلْقَى عَلَى فَمِ السَّاحِرِ، فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ، فَيُصَدَّقُ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ يُخْبِرْنَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، يَكُونُ كَذَا وَكَذَا، فَوَجَدْنَاهُ حَقًّا؟ لِلْكَلِمَةِ الَّتِي سُمِعَتْ مِنَ السَّمَاءِ»(١).

قال ابنُ الملقنِ ﵀: والاستثناءُ في قولِه: ﴿إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ﴾ منقطعٌ أو ﴿إِلَّا﴾ بمعنَى لكنْ أو متصلٌ، أيْ حفِظنا السماءَ من الشياطينِ أن تسمعَ شيئًا من الوحيِ وغيرِه إلا من استرقَه، فإنَّا لم نحفظْها منه أنْ يسمعَه إلا الوحيَ، لقولِه: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ [الشعراء: ٢١٢]... وفي روايةٍ قال: فإذا سمعَ الشيطانُ شيئًا فإنَّه يلقيه إلى الكاهنِ في أسرعِ من طرفةِ عينٍ، فإنْ لحقَه الشهابُ قبلَ أنْ يومئَ بالكلمةِ إلى صاحبِه فيحرقَهُ، وما لم يدركْه حتى يرميَ بها إلى الذي يليه حتى يلقوها إلى الأرضِ فيكذبَ عليها مائةَ كذبةٍ ويصدقَ في واحدةٍ(٢).

(١) تفسير ابن كثير (٢/٥٤٥ - ٥٤٦).

(٢) يشير إلى حديث عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالت: قُلتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ الْكُهَّانَ كَانُوا يُحَدِّثُونَنَا بِالشَّيْءِ فَنَجِدُهُ حَقًّا قَالَ: "تِلْكَ الْكَلِمَةُ الْحَقُّ، يَخْطَفُهَا الْجِنِّيُّ فَيَقْذِفُهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ، وَيَزِيدُ فِيهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ" أخرجه البخاري (٥٧٦٢) ومسلم (٢٢٢٨).

ثم قيل: إنَّ الشهابَ كواكبُ تضيءُ، قالَ تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ﴾ [الصافات: ٦ – ٧]، وسُميَ شهابًا لبريقِه وشبهِه بالنارِ، وقيل: بل الشهابُ شعلةُ نارٍ(١).

تنبيهٌ:

تقدَّمَ أنَّ معنى الكهانةِ: أنْ يقضيَ الإنسانُ بالغيبِ، أي: يدَّعِي أنَّه يعلمُ الغيبَ، فكلُّ عملٍ يدَّعِي فيه الإنسانُ معرفةَ الغيبِ فهو من بابِ الكهانةِ، على سبيلِ المثالِ قراءةُ الكفِّ، وقراءةُ الفنجانِ، وما يكتبُ في الصحفِ تحتَ عنوانِ "حظُّكَ اليومَ" أي يقولُ لهُ ماذا يحدثُ لكَ في هذا اليومِ، كلُّ هذه الأمورِ وما شابهَهَا من الكهانةِ المحرمةِ لأنَّ فحواها ادعاءُ معرفةِ الغيبِ... فانتبهْ.

قال السعديُّ رحمه الله: إنَّ اللهَ المنفردَ بعلمِ الغيبِ، فمن ادَّعى مشاركةَ اللهِ في شيءٍ من ذلك بكهانةٍ أو عرافةٍ أو غيرِها أو صدَّق من ادَّعى ذلك فقد جعلَ للهِ شريكًا فيما هو من خصائصِه، وقد كذَّبَ اللهَ ورسولَه(٢).

قال الشنقيطيُّ رحمه الله: لَمَّا جاءَ القرآنُ العظيمُ بأنَّ الغيبَ لا يعلمُه إلا اللهُ، كان جميعُ الطرقِ التي يُرادُ بها التوصلُ إلى شيءٍ من علمِ الغيبِ غيرَ الوحيِ من الضلالِ المبينِ.(٣)

---

(١) التوضيح (٢٢/ ٥١٣، ٥١٤).
(٢) القول السديد (ص ٧٧-٧٨).
(٣) أضواء البيان (٢/١٩٧).

الطِّيَرَةُ:

قال ابنُ الأثيرِ رحمه الله: الطِّيَرَةُ – بكسرِ الطاءِ وفتحِ الياءِ – وقد تسكَّنُ: هي التشاؤمُ بالشيءِ، وهو مصدرُ تطيَّرَ، يقالُ: تطيَّرَ طِيَرَةً، وتخيَّرَ خيَرَةً(١).

وأصلُه أنَّ العربَ في الجاهليةِ كانوا يعتمدونَ على الطيرِ، فإذا خرجَ أحدُهم لأمرٍ ، فإنْ رأى الطيرَ طارَ يمنةً تيمَّنَ به، وإنْ رآه طار يسرةً تشاءمَ به ورجعَ(٢)

قال اللهُ تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٣١].

قال الشنقيطيُّ رحمه الله: قولُه: ﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ﴾ ذكرَ تعالى في هذهِ الآيةِ الكريمةِ: أنَّ فرعونَ وقومَه إنْ أصابتْهم سيئةٌ أي قحطٌ وجدبٌ ونحوُ ذلك، تطيَّرُوا بموسى وقومِه، فقالوا: ما جاءَنا هذا الجدبُ والقحطُ إلا من شؤمِكم، وذكرَ مثلَ هذا عن بعضِ الكفارِ مع نبيِّنا ﷺ في قولِه: ﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِكَ﴾ [النساء: ٧٨]، وذكرَ نحوَه أيضًا عن قومِ صالحٍ مع صالحٍ في قولِه: ﴿قَالُواْ ٱطَّيَّرۡنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ﴾ [النمل: ٤٧].. وبيَّنَ تعالى شؤمَهم من قِبَلِ كفرِهم ومعاصيهم، لا من قِبَلِ الرسلِ(٣).

---

(١) النهاية (ص: ٥٧٤).

(٢) القاموس المحيط (٣/١١٦) والفتح (١٠/٢٢٣).

(٣) أضواء البيان (٢/٣٩).

قال البغويُّ رحمه الله: ﴿فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ﴾ يعني: الخصبَ والسعةَ والعافيةَ ﴿قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦ﴾ أي: نحنُ أهلُها ومستحقُّوها على العادةِ التي جرتْ لنا في سعةِ أرزاقِنا ولم يروْهَا تفضلاً من اللهِ عزَّ وجلَّ فيشكرُوا عليها ﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ﴾ أي جدبٌ وبلاءٌ ورأَوْا ما يكرهون ﴿يَطَّيَّرُواْ﴾ يتشاءمُوا ﴿بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾ وقالوا: ما أصابَنَا بلاءٌ حتى رأيناهم، فهذا من شؤمِ موسى وقومِه... قال تعالى: ﴿طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: أنصباؤُهم من الخصبِ والجدبِ والخيرِ والشرِّ كلُّه من اللهِ(١).

وقد جاءَ في السُّنَّة أحاديثُ تنهَى عن الطيرةِ، منها:

عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ، قَالَ لِرَسُوْلِ الله ﷺ: وَمِنَّا رِجَالٌ يَتَطَيَّرُون قَالَ: «**ذَاكَ شَيْءٌ يَجِدُونَهُ فِي صُدُورِهِمْ، فَلاَ يَصُدَّنَّهُمْ**»(٢).

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ لَا يَتَطَيَّرُ مِنْ شَيْءٍ، وَكَانَ إِذَا بَعَثَ عَامِلاً سَأَلَ عَنِ اسْمِهِ، فَإِذَا أَعْجَبَهُ اسْمُهُ فَرِحَ بِهِ وَرُئِيَ بِشْرُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ، وَإِنْ كَرِهَ اسْمَهُ رُئِيَ كَرَاهِيَةُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ، وَإِذَا دَخَلَ قَرْيَةً سَأَلَ عَنِ اسْمِهَا فَإِنْ أَعْجَبَهُ اسْمُهَا فَرِحَ وَرُئِيَ بِشْرُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ، وَإِنْ كَرِهَ اسْمَهَا رُئِيَ كَرَاهِيَةُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ(٣).

قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**لاَ طِيَرَةَ، وَخَيْرُهَا الْفَأْلُ**». قَالَ: وَمَا الْفَأْلُ يَا

---

(١) معالم التنزيل للبغوي (٣/٢٦٨).

(٢) أخرجه مسلم (٣٣/٥٣٧).

(٣) أخرجه أحمد (٥/٣٤٧) وأبو داود (٣٩٢٠) والنسائي في الكبرى (٨٧٧١) وابن حبان (٥٨٢٧) وحسنه الحافظ في الفتح (١٠/٥١٢) وصححه الألباني في الصحيحة (٧٦٢).

رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ « الْكَلِمَةُ الصَّالِحَةُ يَسْمَعُهَا أَحَدُكُمْ »[(١)].

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ الله عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «لاَ عَدْوَى وَلاَ طِيَرَةَ، وَالشُّؤْمُ فِي ثَلاَثٍ فِي الْمَرْأَةِ، وَالدَّارِ، وَالدَّابَّةِ»[(٢)].

وقد سبقَ حديثُ السبعينَ ألفًا الذين يدخلُون الجنَّةَ بغيرِ حسابٍ وهم:«الَّذِينَ لاَ يَسْتَرْقُونَ، وَلاَ يَتَطَيَّرُونَ، وَلاَ يَكْتَوُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ»[(٣)]

اعلمْ أنَّ الطيرةَ من أمورِ الجاهليةِ التي نفَاها الشرعُ وأبطلَها لأنَّها من أنواعِ الشركِ، فقد كانوا في الجاهليةِ يعتقدون أنَّ التطيرَ يجلبُ لهم نفعًا أو يدفعُ عنهم ضرًّا فبيَّن اللهُ تعالى في الكتابِ وبيَّن لنا رسولُنا في السُّنَّةِ فسادَ هذا الاعتقادِ، لأنَّ الذي يكشفُ الضرَّ ويجلبُ النفعَ هو اللهُ وحدَه لا شريكَ له.

قال الخطابيُّ رحمه الله: قد أَعلمَ النبيُّ ﷺ أنَّ الفألَ إنَّما هو أنْ يسمعَ الإنسانُ الكلمةَ الحسنةَ فيفألَ بها، أي: يتبركُ بها ويتأولُها على المعنى الذي يطابقُ اسمَها، وأنَّ الطيرةَ بخلافِها، وإنما أُخذتْ من اسمِ الطيرِ وذلك أنَّ العربَ كانت تتشاءمُ ببروحِ الطيرِ إذا كانوا في سفرٍ أو مسيرٍ، ومنهم من كانَ يتطيرُ بسنوحِها فيصدُّهم ذلكَ عن المسيرِ ويردُّهم عن بلوغِ ما يمَّموه من مقاصدِهم، فأبطلَ ﷺ أن يكونَ لشيءٍ منها تأثيرٌ في اجتلابِ ضررٍ أو نفعٍ، واستُحبَّ الفألُ بالكلمةِ الحسنةِ يسمعُها من ناحيةِ حسنِ الظنِّ باللهِ.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٥٥) ومسلم (٢٢٢٣).

(٢) أخرجه البخاري (٥٧٥٣) ومسلم (٢٢٢٥).

(٣) متفق عليه ، تقدم تخريجه.

ونُقلَ عن الأصمعيِّ رحمه الله [(١)] أنَّه قال: سألتُ ابنَ عون عن الفألِ، قال: هو أن تكونَ مريضًا فتسمعَ يا سالمُ، أو تكونَ طالبًا فتسمعَ يا واجدُ... وأمَّا قولُه: «**إنْ تكن الطيرةُ في شيءٍ ففي المرأةِ والفرسِ والدارِ**»[(٢)] فإنَّ معناه: إبطالُ مذهبِهم في الطيرِ بالسوانحِ والبوارحِ[(٣)] من الطيرِ والظباءِ ونحوِها[(٤)].

وفي الحديثِ: «**الطِّيَرَةُ شِرْكٌ -وَمَا مِنَّا إلا- وَلَكِنَّ اللَّهَ يُذْهِبُهُ بالتوكل**»[(٥)].

---

(١) هو: عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن على بن أصمع بن مظهر بن رباح بن عمرو ابن عبد شمس أبو سعيد الأصمعي، أحد أئمة اللغة والنحو ، والغريب والأخبار، والملح والنوادر، روى عن الشافعي، والحمادين، وشعبة، ومالك، ومعتمر بن سليمان، وغيرهم، كان أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، يثنيان على الأصمعي في السنة. مات سنة خمس عشرة ومائتين، أو نحوها.

إنباه الرواة على أنباه الرواة (٢/١٩٧)، طبقات الشافعيين (١/١٤٤).

(٢) متفق عليه: تقدم تخريجه، والذي ذكره المصنف لفظ أبي داود (١٥٣٨).

(٣) السوانح والبوارح: فالسانح ما ولاك ميامنه بأن يمر عن يسارك إلى يمينك، والبارح العكس، وكانوا يتيمنون بالسانح ويتشاءمون بالبارح، لأنه لا يمكن رميه إلا بأن ينحرف إليه في شيء من سنوح الطير بروحها ما يقتضي ما اعتقدوه، وإنما هو تكلف بتعاطي ما لا أصل له، إذ لا نطق للطير ولا تمييز فيستدل بفعله على مضمون معنى فيه، وطلب العلم من غير مظانه جهل من فاعله. الفتح (١٠/٢٢٣).

(٤) معالم السنن (٤/٢١٧ – ٢١٨)، وانظر التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٢٧/ ٥٠٦).

(٥) أخرجه أبو داود (٣٩١٠) والترمذي (١٦١٤) والطيالسي (٣٥٦) وأحمد (١/٣٨٩) وابن ماجه (٣٥٣٨) والحاكم (١/١٧،١٨) ولفظ " وما منا إلا "مدرجة من كلام ابن مسعود –انظر علل الترمذي (ص ٢٢٦) والفتح (١٠/٢٢٢).

مطلبٌ: الجمعُ بين أحاديثٍ جاءت في هذا البابِ ظاهرُها يُوهمُ التعارضَ وليست كذلك:

أولًا: الجمعُ بين حديثِ "**لا طِيرةَ**" وحديثِ "**الشُّؤمُ في ثلاثٍ**":

لا تعارضَ بين الحديثين كما زعمَ بعضُ المعتزلةِ والملاحدةِ، لأنَّ حديثَ "**لا طيرةَ**" عامٌّ وحديثَ "**لا شُؤمَ إلا في ثَلاث**" خاصٌّ.

قال النوويُّ رحمه الله في معرضِ شرحِه لحديثِ: "**الشُّؤمُ في ثلاثٍ...**" واختلفَ العلماءُ في هذا الحديثِ:

فقال مالكٌ رحمه الله **وطائفةٌ:** هو على ظاهرِه، وإنَّ الدارَ قد جعلَ اللهُ تعالى سكنَاها سببًا للضررِ أو الهلاكِ، وكذا اتخاذُ المرأةِ المعيَّنةِ أو الفرسِ أو الخادمِ، قد يحصلُ الهلاكُ عندَه بقضاءِ اللهِ تعالى، ومعناه: قد يحصلُ الشؤمُ في هذه الثلاثةِ كما صرَّح به في رواية: "**إنْ يَكُنِ الشُّؤم في شيءٍ**".

وقال الخطابيُّ رحمه الله **وكثيرون:** هو في معنَى الاستثناءِ من الطيرةِ أي: الطيرةِ المنهيِّ عنها إلا أن يكونَ له دارٌ يكرَه سكناها، أو امرأةٌ يكرَه صحبتَها، أو فرسٌ أو خادمٌ، فليفارقْ الجميعَ بالبيعِ ونحوِه وطلاقِ المرأةِ.

وقال آخرون: شؤمُ الدارِ ضيقُها، وسوءُ جيرانِها وأذاهم، وشؤمُ المرأةِ: عدمُ ولادتِها وسلاطةُ لسانِها، وتعرضُها للرِّيَبِ، وشؤمُ الفرسِ: إلا أنْ يغزَى عليها، وقيل: حِرانُها وغلاءُ ثمنِها، وشؤمُ الخادمِ: سوءُ خلقِه، وقلةُ تعهدِه لما فُوِّضَ إليه، وقيل المرادُ بالشؤمِ هنا: عدمُ الموافقةِ، واعترضَ بعضُ الملاحدةِ بحديثِ "لا طيرةَ" على هذا.

فأجاب ابنُ قتيبةَ[(١)] **رحمه الله:** بأنَّ هذا مخصوصٌ من حديثِ: «**لا طِيَرَة إِلَّا فِي هَذِهِ الثَّلاَثِ**»[(٢)(٣)].

قال ابنُ مفلح رحمه الله: في معرضِ شرحِه لحديثِ: "لا عدْوَى": واختارَ جماعةٌ من العلماءِ أنَّه مخصوصٌ من النهيِ عن الطيرةِ[(٤)].

ثانيًا: الجمعُ بينَ قولِ رسولِ اللهِ ﷺ: «**لا عَدْوَى وَلا طِيَرَةَ وَلا هَامَّةَ**[(٥)] **وَلا صَفَرَ**[(٦)] **وَفِر مِن المجْذُوم كما تَفِر مِن الأَسَد**» [(٧)] وكذا قولُه:ﷺ: «لا

(١) هو: العلامة، الكبير، ذو الفنون، أبو محمد، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينَوَريّ، ولد ببغداد وسكن الكوفة. ثم ولي قضاء الدينور مدة، فنسب إليها. قال أبو بكر البيهقي: كان يرى رأي الكرامية. ونقل صاحب "مرآة الزمان"، عن الدارقطني أنه قال: كان ابن قتيبة يميل إلى التشبيه. ورد الذهبي هذا القول. توفي سنة ست وسبعين ومائتين.
سير أعلام النبلاء (١٣/٢٩٧)، تاريخ العلماء النحويين للتنوخي ص (٢١٠)، الأعلام (٤/١٣٧).

(٢) متفق عليه: تقدم تخريجه.

(٣) شرح مسلم للنووي (٧/ ٤٨١)، وانظر معالم السنن (٤/٢١٨) والتوضيح (٢٧/ ٥٠٧).

(٤) الآداب الشرعية (٣/ ٢٧٠) لأبي عبد الله محمد بن مفلح الحنبلي.

(٥) الهامة: طائر كانوا يتشاءمون به، وهو من طير الليل، وقيل: البومة... وصوب الطبري أنه ذكر البوم، وقيل: كانت العرب تزعم أن روح القتيل الذي لا يدرك بثأره تصير هامة، فتقول: اسقوني اسقوني، فإذا أدرك بثأره طارت، وقيل: كانوا يزعمون أن عظام الميت وقيل: روحه – تصير هامة فتطير... فنفاه الإسلام ونهاهم عنه. التوضيح (٢٧/٤٤٤).

(٦) لا صفر: قال رؤبة بن العجاج: هي حية تكون في البطن تصيب الماشية والناس، وهي أعدى من الجرب عند العرب... وقيل: المراد به شهر صفر. الفتح (١٠/١٨١)، قيل الصفر: داء يأخذ البطن – شرح البخاري لابن بطال (٧/٤١٧).

(٧) أخرجه البخاري (٥٧٠٧) ومسلم (٢٢٢٠) باختلاف.

يُورِدُ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ»[(١)].

نَفْيُ العدوَى على الوجهِ الذي كانَ يعتقدُه أهلُ الجاهليةِ ومن اعتقدَ بعقائدِهم من أنَّ هذه الأمورَ تضرُّ بذاتِها، وهذا من الشركِ لنفيهم أنَّها تقعُ بقدرِ اللهِ، فأبطلَ النبيُّ ﷺ هذا الاعتقادَ الفاسدَ فقالَ: «**لا عدْوَى**» يعني لا عدْوَى إلا بإذنِ اللهِ كما جاءَ في الحديثِ: « **لاَ عَدْوَى وَلاَ صَفَرَ وَلاَ هَامَةَ** ». فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ: يَا رَسُولَ اللهِ! فَمَا بَالُ إِبِلِي تَكُونُ فِي الرَّمْلِ كَأَنَّهَا الظِّبَاءُ فَيَأْتِي الْبَعِيرُ الأَجْرَبُ فَيَدْخُلُ بَيْنَهَا فَيُجْرِبُهَا. فَقَالَ: «**فَمَنْ أَعْدَى الأَوَّلَ**» [(٢)].

أمَّا قولُه ﷺ: «**لا يُورِدُ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ**» وقوله: «**فِرْ مِنَ المجْذُومِ**» وكذا حديثُ الطاعونِ وفيه: «**الطَّاعُونُ رِجْزٌ أَوْ عَذَابٌ أُرْسِلَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَوْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَإِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ، فَلاَ تَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا، فَلاَ تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْه**»[(٣)].

فهذا من بابِ الأخذِ بالأسبابِ وحفظِ النفسِ من الهلاكِ مع اليقينِ أنَّ كلَّ هذه الأمورِ تقعُ أو لا تقعُ بإذنِ اللهِ وكما يشاءُ اللهُ وحدَه.

قال ابنُ القيمِ رحمه الله في معرضِ جمعِه بينَ أحاديثِ البابِ: وبالجملةِ ففي النهيِ عن الدخولِ في أرضِه[(٤)] بالحذرِ والحميةِ والنهيِ عن التعرضِ لأسبابِ التلفِ، وفي النهيِ عن الفرارِ منه، الأمرُ بالتوكلِ والتسليمِ والتفويضِ.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٧١) ومسلم (٢٢٢١).

(٢) أخرجه البخاري (٥٧١٧) ومسلم (١٠١ - ٢٢٢٠).

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٧٤) ومسلم (٢٢١٨).

(٤) يعني: الأرض التي وقع بها الطاعون.

فالأولُ: تأديبٌ وتعليمٌ.

والثاني: تفويضٌ وتسليمٌ(١).

قال الطبريُّ رحمه الله: (لا عدْوَى) وأنَّه لا يصيبُ نفسًا إلا ما كتبَ عليها، فأمَّا دنوُّ عليلٍ من صحيحٍ فإنَّه غيرُ موجوبٍ للصحيحِ علةً وسقمًا، غيرَ أنَّه لا ينبغِي لذي صحةِ الدنوِّ من الجذامِ والعاهةِ التي يكرهُها الناسُ لا أنَّ ذلكَ حرامٌ، ولكنْ حذارِ من أنْ يظنَّ الصحيحُ إنْ نزلَ ذلك الداءُ يومًا أنَّ ما أصابَه لدنوِّه منه فيوجبُ له ذلك الدخولُ فيما نهَى عنه عليه السلامُ وأبطلَه من أمرِ الجاهليةِ في العدْوَى(٢).

قال النوويُّ رحمه الله: قالَ جمهورُ العلماءِ: يجبُ الجمعُ بينَ هذين الحديثينِ وهما صحيحانِ، قالوا: وطريقُ الجمعِ أنَّ حديثَ (لا عدْوَى) المرادُ به نفيُ ما كانت الجاهليةُ تزعمُه وتعتقدُه أَنَّ المرضَ والعاهةَ تُعدِي بطبعِها لا بفعلِ اللهِ تعالى.

وأمَّا حديثُ "**لا يُورِدُ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ**" فأرشدَ فيه إلى مجانبةِ ما يحصلُ الضررُ عندَه في العادةِ بفعلِ اللهِ تعالى وقدرِه، فنفَى في الحديثِ الأولِ العدْوَى بطبعِها، ولم ينفِ حصولَ الضررِ عندَ ذلكَ بقدرِ اللهِ تعالى وفعلِه، وأرشدَ في الثاني إلى الاحترازِ مما يحصلُ عندَه الضررُ بفعلِ اللهِ وإرادتِه وقدرِه، فهذا الذي ذكرنَاه من تصحيحِ الحديثين والجمعِ بينهما هو الصوابُ الذي عليه جمهورُ العلماءِ ويتعينُ المصيرُ إليه(٣).

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (٤/ ٤٥ – ٤٦).

(٢) شرح البخاري لابن بطال (٩/ ٤١١).

(٣) مسلم بشرح النووي (٧/ ٤٧٤).

قال ابنُ مفلحٍ ﵀: حديثُ "لا عَدْوَى ولا طِيَرَة" نفيٌ لاعتقادِ الجاهليةِ أنَّ ذلكَ يُعدِي بطبعِه، ولم ينفِ حصولَ الضررِ عندَ ذلك بفعلِ اللهِ تعالى وقدرِه، فيكونُ قولُه: **لا يُورِدُ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ** " إرشادًا منه عليه السلامُ إلى الاحترازِ وفي شرحِ مسلمٍ أنَّ هذا قولُ الجمهورِ، وزعمَ بعضُ العلماءِ أنَّ الخبرَ منسوخٌ بخبرِ "لا عدْوَى" وليسَ بالقويِّ(١).

فائدةٌ:

التشاؤمُ قد يكونُ بمكانٍ أو زمانٍ أو مسموعٍ أو مرئيٍّ.

فالتشاؤمُ بالمكانِ: كمثلِ الذي يذهبُ إلى مكانٍ مَا، وفي كلِّ مرةٍ يذهبُ إليه يحدثُ لهُ مكروهٌ فيتشاءمُ من هذا المكانِ ويعزمُ على عدمِ الذهابِ إليه، وهذا من الشركِ لأنَّه اعتقدَ أنَّ المكانَ يضرُّه، والذي يملكُ الضرَّ والنفعَ هو اللهُ وحدَه.

وأمَّا التشاؤمُ بالزمانِ: بأنْ يحدثَ له مكروهٌ في يومٍ من أيامِ الأسبوعِ أو شهرٍ من الأشهرِ أو في ساعةٍ من الليلِ أو النهارِ، فيكرَهَ هذا الوقتَ من الزمنِ، وينتظرَ وقوعَ مكروهٍ له كلَّما جاءَ اليومُ أو الشهرُ أو الساعةُ التي يتشاءمُ منها.

فأمَّا التشاؤمُ بمسموعٍ: كمثلِ رجلٍ يريدُ أنْ يتقدمَ لخطبةِ امرأةٍ فيسمعَ بموتِ شخصٍ فيتشاءمَ منها ويعرضَ عن خطبتِها.

وأمَّا التشاؤمُ بمرئيٍّ: كرجلٍ أرادَ أنْ يشتريَ سيارةً فيجدَ في الطريقِ سيارةً تحترقُ، فيعرضَ عن شراءِ تلك السيارةِ، وهذا كلُّه من التطيرِ المنهيِ عنه كما تقدمَ بيانُ ذلك.

---

(١) الآداب الشرعية (٣/ ٢٧١).

الرياءُ:

في اللغة: الرِّياءُ: مشتقٌّ من الرؤيةِ، ومقصودُ المرائِي طلبُ المنزلةِ في قلوبِ العبادِ، والسعيُ وراءَ لذةِ المحمدةِ والفرارُ من ألمِ الذمِّ والطمعُ فيما عندَ الناسِ.

قال ابنُ منظورٍ رحمه الله: وأمَّا قولُ اللهِ عزَّ وجلَّ: ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ﴾ وقولُه: ﴿يُرَآءُونَ ۝ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝﴾ فليسَ من المشاورةِ، ولكنْ معناه: إذا أبصرَهم الناسُ صلُّوا، وإذا لم يروْهم تركُوا الصلاةَ ومن هذا قولُ اللهِ عزَّ وجلَّ: ﴿بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ وهو المرائِي: كأنَّه يُري الناسَ أنَّه يفعلُ ولا يفعلُ بالنيَّة.

وأَرْأَى الرجلُ: إذا أظهرَ عملاً صالحًا رياءً وسمعةً(١).

وفي الاصطلاحِ:

قال الجرجانيُّ رحمه الله: الرياءُ تركُ الإخلاصِ في العملِ بمراعاةِ غيرِ اللهِ فيه(٢).

وقال ابنُ حجرِ الهيثميُّ رحمه الله: حدُّ الرياءِ المذمومِ: إرادةُ العاملِ بعبادتِه غيرَ وجهِ اللهِ تعالى، كأنْ يقصدَ إطلاعَ الناسِ على عبادتِه وكمالِه، فيحصلَ له منهم نحوُ مالٍ أو جاهٍ أو ثناءٍ (٣).

فالرياءُ من الشركِ ومن الذنوبِ التي تُحبطِ العملَ.

---

(١) لسان العرب (١٤/ ٢٠) مادة (رأى).

(٢) التعريفات (١١٩).

(٣) الزواجر (١/ ٤٣).

قال جلَّ ذكرُه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدًاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٍ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِى ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَـٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيۡطَـٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾﴾[النساء: ٣٨].

وقال سبحانه: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَـٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِى ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَـٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾[هود: ١٥-١٦].

قال اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

ومن قواعدِ الأصولِ: "أنَّ النكرةَ في سياقِ النهيِ تفيدُ العمومَ" فقولُه تعالى: ﴿أَحَدَۢا﴾ نكرةٌ في سياقِ النهيِ فتعمُّ، وهذا العمومُ يتناولُ الأنبياءَ والملائكةَ والصالحينَ والأولياءَ وغيرَهم، فلا يجوزُ لأحدٍ أنْ يشركَ مع اللهِ أحدًا في أيِّ عبادةٍ.

قال ربُّ العزةِ في الحديثِ القدسيِّ كما أخبرَنا رسولُ اللهِ ﷺ: «**أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**»(١).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٨٥) وغيره.

وقال رسولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ» قَالُوا: وَمَا الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الرِّيَاءُ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ فِي الدُّنْيَا فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً»(١).

وقال ﷺ: «مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللَّهُ بِهِ، وَمَنْ رَاءَى رَاءَى اللَّهُ بِهِ»(٢).

قال المازريُّ رحمه الله: يريدُ أنَّ من راءَى بعملِه، وسمعَ به الناسُ ليكرمُوه ويعظمُوه، شهَّر اللهُ به يومَ القيامةِ حتى يرى الناسُ ويسمعوا ما يحلُّ به من الفضيحةِ(٣).

وَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِذَا جَمَعَ اللَّهُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ لِيَوْمٍ لاَ رَيْبَ فِيهِ نَادَى مُنَادٍ: مَنْ كَانَ أَشْرَكَ فِي عَمَلٍ عَمَلَهُ لِلَّهِ فَلْيَطْلُبْ ثَوَابَهُ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ»(٤).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٥/٤٢٨)، والبيهقي في الشعب (٦٤٠٨).

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٩٩) ومسلم (٢٩٨٦).

(٣) المعلم بفوائد مسلم (٣/٢١٧ - ٢١٨).

(٤) أخرجه أحمد في المسند (٣/ ٤٦٦، ٤/٢١٥) والترمذي (٣١٥٤) وابن ماجه (٤٢٠٣) والطبراني في الكبير (٢٢/ ٧٧٨).

فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ، وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ»[(١)].

مطلبٌ: هل يحبطُ العملُ إذا كانَ أصلُه للهِ ثم طرأتْ عليه نيّةُ الرياءِ؟

بينَ العلماءِ من السلفِ والخلفِ خلافٌ في هذه المسألةِ.

قال ابنُ رجبٍ رحمه الله: واعلمْ أنَّ العملَ لغيرِ اللهِ أقسامٌ: فتارةً يكونُ رياءً محضًا ، بحيثُ لا يرادُ به إلا مراءاةُ المخلوقين؛ لغرضٍ دنيويٍّ كحالِ المنافقين في صلاتِهم، قال اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [النساء: ١٤٢].

وهذا الرياءُ المحضُ، لا يكادُ يصدرُ عن مؤمنٍ في فرضِ الصلاةِ والصيامِ وقد يصدرُ في الصدقةِ أو الحجِّ الواجبِ أو غيرِها من الأعمالِ الظاهرةِ التي يتعدى نفعُها، فإنَّ الإخلاصَ فيها عزيزٌ، وهذا العملُ لا يشكُّ مسلمٌ أنَّه حابطٌ وأنَّ صاحبَه يستحقُّ المقتَ من اللهِ والعقوبةَ.

وتارةً يكونُ العملُ للهِ ويشاركُه الرياءُ، فإنْ شاركَه من أصلِه فالنصوصُ الصحيحةُ تدلُّ على بطلانِه وحبوطِه أيضًا.

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٠٥).

وأمَّا إنْ كانَ أصلُ العملِ للهِ ثم طرأتْ عليه نيَّةُ الرياءِ، فإنْ كان خاطرًا ودفعَه، فلا يضرُّه بغيرِ خلافٍ، وإنْ استرسلَ معه، فهلْ يحبطُ به عملُه أو لا يضرُّه ذلكَ ويجازِى على أصلِ نيَّتِه؟

في ذلك اختلافٌ بينَ العلماءِ من السلفِ، قد حكاهُ الإمامُ أحمدُ وابنُ جريرٍ الطبريُّ، ورجَّحا أنَّ عملَه لا يبطلُ بذلكَ وأنَّه يجازَى بنيَّتِه الأُولى، وهو مرويٌّ عن الحسنِ البصريِّ وغيرِه.

وذكرَ ابنُ جريرٍ أنَّ هذا الاختلافَ إنَّما هو في عملٍ يرتبطُ آخرُه بأولِه، كالصلاةِ والصيامِ والحجِّ.

فأمَّا ما لا ارتباطَ فيه كالقراءةِ والذكرِ وإنفاقِ المالِ ونشرِ العلمِ، فإنَّه ينقطعُ بنيَّةِ الرياءِ الطارئةِ عليه، ويحتاجُ إلى تجديدِ نيَّةٍ.

فأمَّا إذا عمِلَ العملَ للهِ خالصًا، ثم ألقى اللهُ له الثناءَ الحسنَ في قلوبِ المؤمنينَ بذلكَ، ففرحَ بفضلِ اللهِ ورحمتِه واستبشرَ بذلكَ لم يضرَّه ذلكَ، وفي هذا المعنى جاءَ حديثُ أَبِي ذَرٍّ عَنِ النَّبِي ﷺ أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يَعْمَلُ الْعَمَلَ مِنَ الْخَيْرِ وَيَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيْهِ قَالَ: «**تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ**»[(١)].

وبهذا المعنى فسَّره الإمامُ أحمدُ، وإسحاقُ بنُ راهويهِ وابنُ جريرٍ الطبريُّ وغيرُهم[(٢)].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٤٢) وابن ماجه (٤٢٢٥).

(٢) جامع العلوم والحكم (ص: ٤٨ – ٤٩) لابن رجب الحنبلي.

بناءُ المساجدِ على القبورِ والغلوّ في تعظيمِ الصالحينَ:

اعلمْ أنَّ أصلَ عبادةِ الأصنامِ كانت بسببِ تعظيمِ قومٍ صالحينَ من قوم نوحٍ، فلمَّا ماتوا صنعُوا تماثيلَ لهم وعكفُوا على قبورِهم. قال اللهُ تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢٣].

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، "صَارَتِ الأَوْثَانُ الَّتِي كَانَتْ فِي قَوْمِ نُوحٍ فِي العَرَبِ بَعْدُ أَمَّا وَدٌّ كَانَتْ لِكَلْبٍ بِدَوْمَةِ الجَنْدَلِ، وَأَمَّا سُوَاعٌ كَانَتْ لِهُذَيْلٍ، وَأَمَّا يَغُوثُ فَكَانَتْ لِمُرَادٍ، ثُمَّ لِبَنِي غُطَيْفٍ بِالْجَوْفِ، عِنْدَ سَبَإٍ، وَأَمَّا يَعُوقُ فَكَانَتْ لِهَمْدَانَ، وَأَمَّا نَسْرٌ فَكَانَتْ لِحِمْيَرَ لِآلِ ذِي الكَلاَعِ، أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ، أَنِ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ، فَفَعَلُوا، فَلَمْ تُعْبَدْ، حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَتَنَسَّخَ العِلْمُ عُبِدَتْ"(١)

قال ابنُ الجوزيِّ رحمه الله: جاءَ في التفسيرِ أنَّ هذه أسماءُ قومٍ صالحينَ كانوا بينَ آدمَ ونوحٍ ونشأَ قومٌ بعدَهم يأخذُون بأخذِهم في العبادةِ، فقال لهم إبليسُ لو صوَّرتوهم كان أنشطَ لكم وأشوقَ للعبادةِ ففعلوا ثم نشأَ قومٌ بعدَهم فقال لهم إبليسُ إنَّ الذينَ من قبلِكم كانوا يعبدونهم فعبدوهم وكانَ ابتداءُ عبادةِ الأوثانِ من ذلكَ الوقتِ(٢).

قال ابنُ تيميةَ رحمه الله: قال غيرُ واحدٍ من الصحابةِ والتابعينَ: هذه

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٢٠)

(٢) زاد المسير (٨/ ٣٧٣) لابن الجوزي.

أسماءُ قوم كانوا قومًا صالحين في قوم نوحٍ، فلما ماتُوا عكفُوا على قبورِهم ثم صوَّروا تماثيلَ لهم، ولهذا قال النبيُّ ﷺ: «**اللَّهُمَّ لا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ، اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**»[1][2]. انتهى.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لاَ تَجْلِسُوا عَلَى الْقُبُورِ وَلاَ تُصَلُّوا إِلَيْهَا**»[3].

عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ أُمَّ حَبِيبَةَ وَأُمَّ سَلَمَةَ ذَكَرَتَا كَنِيسَةً رَأَيْنَهَا بِالْحَبَشَةِ فِيهَا تَصَاوِيرُ، فَذَكَرَتَا لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «**إِنَّ أُولَئِكَ إِذَا كَانَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فَمَاتَ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ، فَأُولَئِكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[4].

قال الحافظُ ابنُ رجبٍ رحمه الله: هذا الحديثُ يدلُّ على تحريمِ بناءِ المساجدِ على قبورِ الصالحينَ، وتصويرِ صورِهم فيها كما يفعلُه النصارى، ولا ريبَ أنَّ كلَّ واحدٍ منها محرَّمٌ على انفرادٍ، فتصويرُ صورِ الآدميين محرمٌ، وبناءُ القبورِ على المساجدِ بانفرادِه محرمٌ كما دلتْ عليه نصوصٌ أخرُ[5].

وَعَنْ جُنْدَبٍ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِخَمْسٍ، وَهُوَ

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٢/ ٢٤٦)، ومالك في الموطأ (١/ ١٧٢)وابن سعد في الطبقات (٢/٢٤١-٢٤٢) والحميدى في مسنده(١٠٢٥) وأبو نعيم في الحلية (٦/٢٨٣)،(٧/٣١٧) وله شاهد آخر عند عبد الرزاق في مصنفه (١٥٨٧) وابن أبي شيبة في المصنف (٤/١٤١) عن زيد بن أسلم وصححه الألباني في تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد (ص ١٨).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٤/ ٣١٩).

(٣) أخرجه مسلم (٩٧٢).

(٤) أخرجه البخاري (٤٢٧) ومسلم (٥٢٨).

(٥) فتح الباري (٢/٤٠٤).

يَقُولُ: «**إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللهِ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ، فَإِنَّ اللهِ تَعَالَى قَدِ اتَّخَذَنِي خَلِيلاً، كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلاً لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلاً، أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلاَ تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، إِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِك**»(١).

عَنْ عَائِشَةَ - رضي الله عنها - قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي مَرَضِهِ الَّذِي لَمْ يَقُمْ مِنْهُ: «**لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**». لَوْلاَ ذَلِكَ أُبْرِزَ قَبْرُهُ، غَيْرَ أَنَّهُ خَشِيَ أَوْ خُشِيَ أَنَّ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا(٢).

وعن عَائِشَةَ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ، قَالاَ: لَمَّا نَزَلَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً لَهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَإِذَا اغْتَمَّ بِهَا كَشَفَهَا عَنْ وَجْهِهِ، فَقَالَ وَهُوَ كَذَلِكَ: «**لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى اليَهُودِ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**» يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا(٣)

قال الحافظُ ابنُ حجرٍ رحمه الله: وفائدةُ التنصيصِ على زمنِ النهيِ، الإشارةُ إلى أنَّه من الأمرِ المحكمِ الذي لم ينسخْ لكونِه صدرَ في آخرِ حياتِه ﷺ.

وقال رحمه الله: كَأَنَّهُ ﷺ عَلِمَ أَنَّهُ مُرْتَحِلٌ مِنْ ذَلِكَ الْمَرَضِ فَخَافَ أَنْ يُعَظَّمَ قَبْرُهُ كَمَا فَعَلَ مَنْ مَضَى فَلَعَنَ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى إِشَارَةً إِلَى ذَمِّ مَنْ يَفْعَلُ فِعْلَهُم(٤)

قال شيخُ الإسلامِ رحمه الله: وأمَّا بناءُ المساجدِ على القبورِ، وتُسمَّى

---

(١) أخرجه مسلم (٥٣٢).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٩٠) ومسلم (٥٢٩).

(٣) أخرجه البخاري (٤٣٥، ٤٣٦)، ومسلم (٥٣١).

(٤) الفتح (١/٦٢٥-٦٣٤).

"مشاهدَ" فهذا غيرُ سائغ، بل جميعُ الأئمةِ ينهَوْنَ عن ذلكَ لِمَا ثبتَ في الصحيحين... وساقَ الأحاديثَ كما تقدَّمَ ثمَّ قال: وقد اتفقَ أئمةُ المسلمينَ على أنَّ الصلاةَ في المشاهدِ ليس مأمورًا بها، لا أمرَ إيجابٍ ولا أمرَ استحبابٍ، وليسَ في الصلاةِ في المشاهدِ التي على القبورِ ونحوِها فضيلةٌ على سائرِ البقاعِ فضلاً عن المساجدِ باتفاقِ أئمةِ المسلمين.

فمن اعتقدَ أنَّ الصلاةَ عندَها فيها فضلٌ على الصلاةِ على غيرِها أو أنَّها أفضلُ من الصلاةِ في بعضِ المساجدِ فقد فارقَ جماعةَ المسلمينِ ومرقَ من الدينِ، بل الذي عليه الأمةُ أنَّ الصلاةَ فيها منهيٌّ عنها نهيَ تحريمٍ، وإنْ كانوا متنازعين في الصلاةِ في المقبرةِ: هل هي محرمةٌ أو مكروهةٌ أو مباحةٌ أو يفرَّقُ بين المنبوشةِ والقديمةِ؟ فذلكَ لأجلِ تعليلِ النهيِ بالنجاسةِ لاختلاطِ الترابِ بصديدِ الموتى... ولا يشرعُ باتفاقِ المسلمينَ- أنْ يَنْذِرَ للمشاهدِ التي على القبورِ، لا زيتَ ولا شمعَ ولا دراهمَ ولا غيرَ ذلك ولا للمجاورين عندَها وخدامِ القبورِ(١).

قال النوويُّ رحمه الله: قال العلماءُ: إنَّما نهَى النبيُّ ﷺ عن اتخاذِ قبرِه وقبرِ غيرِه مسجدًا خوفًا من المبالغةِ في تعظيمِه والافتتانِ به، فربَّما أدَّى ذلك إلى الكفرِ كما جرى لكثيرٍ من الأممِ الخاليةِ(٢). انتهى.

ولا يخفَى ما يقعُ من القبُوريين عبادِ القبورِ الذين يتمسحون بالقبورِ ويتبركُون بها، ويتخذُونهم أندادًا من دونِ اللهِ تعالى، فإذا عرَضتْ له حاجةٌ قصدَ صاحبَ القبرِ لأجلِ أن يقضيَ له حاجتَه، فقد تشبَّهوا بالكفارِ عبادِ

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٤/٣١٨).
(٢) شرح مسلم (٣/١٧).

الأصنامِ الذين كانوا يعتقدُون أنَّ الأصنامَ تقرِّبهم إلى اللهِ، قال سبحانه ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣].

وقال جلَّ وعلا: ﴿وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَۖ فَإِن فَعَلۡتَ فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠٦ وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرٖ فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٦، ١٠٧].

وقال جلَّ ذكرُه: ﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ﴾ [الأحقاف: ٥].

وغيرُ ذلك من الآياتِ التي تدلُّ على أنَّ مثلَ هذه الأفعالِ من الشركِ.

قال شيخُ الإسلامِ رحمه الله: وأمَّا التمسحُ بالقبرِ، أو الصلاةُ عندَه، أو قصدُه لأجلِ الدعاءِ عندَه، معتقدًا أنَّ الدعاءَ هناك أفضلِ من الدعاءِ في غيرِه، أو النذرِ له ونحوِ ذلكَ، فليسَ هذا من دينِ المسلمينَ، بل هو مما أُحدثَ من البدعِ القبيحةِ التي هي من شُعَبِ الشركِ، واللهُ أعلمُ وأحكمُ[1].

---

(١) الفتاوى (٢٤/ ٣٢١).

مشروعيةُ زيارةِ القبورِ، وبيانُ أنّ الزيارةَ تنقسمُ إلى زيارةٍ شرعيةٍ، وزيارةٍ بدعيةٍ:

اعلمْ أنَّ النبيَّ ﷺ قد نهى عن زيارةِ القبورِ ثم أذِنَ فيها وبيَّن أنَّ الحكمةَ من ذلكَ هي أنْ يَذكرَ العبدُ الموتَ، وبناءً على ذلكَ فيجوزُ زيارةُ القبورِ- سواءٌ أكان المقبورُ مسلمًا أم كافرًا- ولكنْ يدعو للميتِ المسلمِ، ولا يدعو للكفارِ، ولا يصلِّي عليهم.

الدليلُ على مشروعيةِ زيارةِ قبورِ المسلمينَ، وما يقالُ عندَ الزيارةِ:

حَدِيْثُ ابْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا**»(١).

وفي روايةٍ: « **فَزُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْمَوْتَ** »(٢).

الذي يقالُ عندَ زيارةِ القبورِ هو ما علَّمَه رسولُ اللهِ ﷺ لأصحابِه إذا زاروا القبورَ، ونقلَ الإمامُ النوويُّ الإجماعَ على أنَّ زيارةَ القبورِ سنةٌ (٣).

عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ - كُلَّمَا كَانَ لَيْلَتُهَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ - يَخْرُجُ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ إِلَى الْبَقِيعِ، فَيَقُولُ: «**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَأَتَاكُمْ مَا تُوعَدُونَ غَدًا مُؤَجَّلُونَ، وَإِنَّا -إِنْ شَاءَ اللهُ- بِكُمْ لَاحِقُونَ، اللهُمَّ اغْفِرْ لِأَهْلِ بَقِيعِ الْغَرْقَدِ**»(٤).

فلا يجوزُ للزائرِ أن يقولَ أو يفعلَ ما يغضبُ اللهَ عزَّ وجلَّ،كدعاءِ

---

(١) أخرجه مسلم (٩٧٧) وغيره.

(٢) أخرجه مسلم (١٠٦-٩٧٦).

(٣) انظر مسلم بشرح النووي (٤/٥٣).

(٤) أخرجه مسلم (٩٧٤).

المقبورِ، والاستغاثةِ بهِ، والذبحِ له، وتلاوةِ القرآنِ عندَ قبرِه والتمسحِ بالقبرِ- وإنْ كان قبرُ النبيِّ ﷺ - والتوجهِ إلى قبرِه للصلاةِ، ونحوِ ذلكَ مما يخالفُ الشريعةَ وهديَ النبيِّ ﷺ.

الدليلُ على عدمِ جوازِ الدعاءِ لموتى الكفارِ ولا الصلاةِ عليهم وجوازِ زيارةِ قبورِهم:

قولُ اللهِ تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ إِنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمۡ فَٰسِقُونَ ٨٤﴾[التوبة: ٨٤].

وقولُه سبحانه: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ١١٣﴾[التوبة:١١٣].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: زَارَ النَّبِيُّ ﷺ قَبْرَ أُمِّهِ، فَبَكَى وَأَبْكَى مَنْ حَوْلَهُ، فَقَالَ:«**اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي، وَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأُذِنَ لِي، فَزُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْمَوْتَ**»(١).

واعلمْ أنَّ زيارةَ قبورِ المسلمين على وجهين: زيارةٍ شرعيةٍ، أو زيارةٍ بدعيةٍ.

قال ابنُ تيميةَ رحمه الله: **فالزيارةُ الشرعيةُ**: أنْ يكونَ مقصودُ الزائرِ الدعاءَ للميتِ كما يقصدُ بالصلاةِ على جنازتِه الدعاءَ لهُ، فالقيامُ على قبرِه من جنسِ الصلاةِ عليه، قال اللهُ تعالى في المنافقينَ: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ﴾[التوبة: ٨٤] فنهى نبيَّه عن الصلاةِ عليهم

---

(١) أخرجه مسلم (١٠٥-٩٧٦) وغيره.

والقيامِ على قبورِهم، لأنَّهم كفرُوا باللهِ ورسولِه، وماتُوا وهم كافرون، فلمَّا نهى عن هذا وهذا لأجلِ هذه العلةِ، وهي الكفرُ دلَّ ذلك على انتفاءِ هذا النهيِ عندَ انتفاءِ العلةِ.. ولهذا كانت الصلاةُ على الموتى من المؤمنينَ والقيامُ على قبورِهم من السُّنَّةِ المتواترةِ.

فكان النبيُّ ﷺ يصلِّي على موتى المسلمينَ وشرَعَ ذلكَ لأمتِه.. وكانَ يزورُ قبورَ أهلِ البقيعِ والشهداءِ بأحدٍ ويعلِّمُ أصحابَه إذا زاروا القبورَ أن يقولَ أحدُهم: " **السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَإِنَّا، إِنْ شَاءَ اللهُ لَلَاحِقُونَ، أَسْأَلُ اللهَ لَنَا وَلَكُمُ الْعَافِيَةَ**"(١) وساق أحاديثَ أخرى ثم قال: والأحاديثُ في ذلكَ معروفةٌ فهذه الزيارةُ لقبورِ المؤمنينَ مقصودُها الدعاءُ لهم.

وهذه غيرُ الزيارةِ المشتركةِ التي تجوزُ في قبورِ الكفارِ كما ثبتَ في صحيحِ مسلمٍ وأبي داود والنسائيِّ وابنِ ماجةَ عن أبي هريرةَ أنَّه قال: «**اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لِأُمِّي فَلَمْ يَأْذَنْ لِي، وَاسْتَأْذَنْتُهُ أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأَذِنَ لِي**» (٢). فهذه الزيارةُ التي يُقصدُ بها الدعاءُ للميتِ، فتلكَ لا تشرعُ إلا في حقِّ المؤمنينَ (٣).

وأمَّا الزيارةُ البدعيةُ: فهي يقصدُ بهَا أنْ يطلبَ من الميتِ الحوائجَ، أو يطلبَ منه الدعاءَ والشفاعةَ، أو يقصدَ الدعاءَ عندَ قبرِه لظنَّ القاصدِ أنَّ ذلك أجوبُ للدعاءِ، فالزيارةُ على هذه الوجوهِ كلِّها مبتدعةٌ لم يشرعها

---

(١) أخرجه مسلم (٩٧٥).

(٢) أخرجه مسلم (٩٧٦) وأبو داود (٣٢٣٤) والنسائي (٤/ ٩٠).

(٣) قدمنا الأدلة على عدم جواز الدعاء لموتى الكفار ولا الصلاة عليهم.

النبيُّ ﷺ، ولا فعلَها الصحابةُ لا عندَ قبرِ النبيِّ ﷺ ولا عندَ غيرِه، وهي من جنسِ الشركِ وأسبابِ الشركِ (١).

وقال رحمه الله: في موضعٍ آخرَ: اتفقَ العلماءُ على أنْ من سلَّم على النبيِّ ﷺ عندَ قبرِه أنَّه لا يتمسحُ بحجرتِه، ولا يقبِّلُها، لأنَّ التقبيلَ والاستلامَ إنما يكونُ لأركانِ بيتِ اللهِ الحرامِ، فلا يُشبَهُ بيتُ المخلوقِ ببيتِ الخالقِ.

وكذلك الطوافُ والصلاةُ والاجتماعُ للعباداتِ إنما تقصدُ في بيوتِ اللهِ وهي المساجدُ (٢) التي أذنَ اللهُ أن ترفعَ ويذكرَ فيها اسمُه، فلا تقصدُ بيوتُ المخلوقينَ فتتخذَ عيدًا (٣).

وقال رحمه الله: وإذا تبيَّنَ ما أمرَ اللهُ بِهِ ورسولُه ، وما نَهَى عنه اللهُ ورسولُه، في حقِّ أشرفِ الخلقِ وأكرمِهم على اللهِ عزَّ وجلَّ وسيدِ ولدِ آدمَ وخاتمِ الرسلِ والنبيين وأفضلِ الأولين والآخرين، وأرفعِ الشفعاءِ منزلةً وأعظمِهم جاهًا عندِ اللهِ تبارك وتعالى، تبيَّن أنَّ مَنْ دونَه من الأنبياءِ والصالحين أولى بألَّا يُشركَ به ولا يتخذَ قبرُه وثنًا يُعبدُ، ولا يُدعى من دونِ اللهِ، لا في حياتِه ولا بعدَ مماتِه (٤).

---

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص: ٢٣-٢٥) والتناد (١/١٦٥، ١٦٦) واقتضاء الصراط المستقيم (٢/١٨٠-١٩٧).

(٢) المساجد التي ليس بها قبر قال شيخ الإسلام: اتفق أئمة الإسلام على أنه لا يشرع بناء المساجد على القبور ولا تشرع الصلاة عند القبور بل كثير من العلماء يقولون: إن الصلاة عنده باطلة- الفتاوى (٣/٣٩٨).

(٣) الفتاوى (٣/٣٩٩).

(٤) مجموع الفتاوى (١/٣٥٩).

كيفيةُ زيارةِ قبرِ النبيّ ﷺ والدعاءِ عندَه:

قال الإمامُ أحمدُ رحمه الله وغيرُه: إنَّه يستقبلُ القبلةَ ويجعلُ الحجرةَ عن يسارِه لئلا يستدبرَه، وذلكَ بعدَ تحيتِه والصلاةِ والسلامِ ثم يدعو لنفسِه، وذكرَ أنَّه إذا حيَّاه وصلَّى عليه يستقبلُ وجهَه - بأبي هو وأمِّي - ﷺ فإذا أرادَ الدعاءَ جعلَ الحجرةَ عن يسارِه واستقبلَ القبلةَ ودعَا، وهذا مراعاةً منهم لذلك، فإنَّ الدعاءَ عندَ القبرِ لا يُكرَه مطلقًا، بلْ يُؤمرُ به، كمَا جاءت به السُّنَّةُ فيما تقدَّمَ ضمنًا وتبعًا، وإنَّمَا المكروهُ أن يتحرَى المجيءَ إلى القبرِ للدعاءِ عندَه.

وكذلكَ ذكرَ أصحابُ مالكٍ، قالوا: يدنُو من القبرِ، فيسلِّم على النبيِّ ﷺ ثم يدعُو مستقبلَ القبلةِ، يوليه ظهرَه، وقيل لا يوليه ظهرَه، وإنَّما اختلفُوا لما فيه من استدبارِه فأمَّا إذا جعلَ الحجرةَ عن يسارِه، فقد زال المحذورُ بلا خلافٍ وصارَ في الروضةِ أو أمامَها، ولعلَّ هذا الذي ذكرَه الأئمةُ، أخذُوه من كراهةِ الصلاةِ إلى القبرِ.

وقال مالكٌ رحمه الله في المبسوطِ: لا أرى أن يقفَ عندَ قبرِ النبيِّ ﷺ يدعو، لكنْ يسلمُ ويمضِي (١).

ولهذا كرِه مالكٌ رضيَ اللهُ عنه، وغيرُه من أهلِ العلمِ، لأهلِ المدينةِ كلَّما دخلَ أحدُهم المسجدَ أن يجيءَ فيسلَّمَ على قبرِ النبيِّ ﷺ وصاحبيْه، وقال: «وإنَّما يكونُ ذلكَ لأحدِهم إذا قدِمَ من سفرٍ، أو أرادَ سفرًا ونحوَ ذلكَ».

---

(١) انظر الشفا للقاضي عياض (٢/ ٨٤).

ورخَّصَ بعضُهم في السلامِ عليه إذا دخلَ المسجدَ للصلاةِ ونحوِها، وأمَّا قصدُه دائمًا للصلاةِ والسلامِ، فما علمتُ أحدًا رخَّصَ فيه، لأنَّ هذا نوعٌ من اتخاذِه عيدًا، مع أنَّا قد شُرِعَ لنا إذا دخلْنَا المسجدَ أن نقولَ: «السلامُ عليكَ أيُّها النبيُّ ورحمةُ اللهِ وبركاتِه» كما نقولُ ذلكَ في آخرِ صلاتِنا..

فخاف مالكٌ وغيرُه أن يكونَ فعلُ ذلكَ عندَ القبرِ كلَّ ساعةٍ، نوعًا من اتخاذِ القبرِ عيدًا.

وأيضًا فإنَّ ذلكَ بدعةٌ، فقد كان المهاجرون والأنصارُ على عهدِ أبي بكرٍ وعمرَ وعثمانَ وعليٍّ رضيَ اللهُ عنهم- يجيئون إلى المسجدِ كلَّ يومٍ خمسَ مراتٍ يصلُّون، ولم يكونُوا يأتون معَ ذلكَ إلى القبرِ يسلِّمون عليه، لعلمِهم رضيَ اللهُ عنهم- بما كانَ النبيُّ ﷺ يكرهُهُ من ذلكَ، وما نهاهم عنه وأنَّهم يسلِّمون عليه حينَ دخولِ المسجدِ وحينَ الخروجِ منه وفي التشهدِ، كما كانُوا يسلِّمون عليه كذلكَ في حياتِه والمأثورُ عن ابنِ عمرَ يدلُّ على ذلكَ.. أنَّه كانَ إذا قَدِمَ من سفرٍ أتى قبرَ النبيِّ ﷺ وقالَ: «السلامُ عليكَ يا أبا بكرٍ السلامُ عليكَ يا أبتاهُ»..

وما أحسنَ ما قالَ مالكٌ «لن يُصلِحَ آخرَ هذه الأمةِ إلا ما أصلحَ أوَّلَها»(١).

تنبيهٌ:

قصدُ القبورِ للدعاءِ عندَها، ورجاءُ الإجابةِ بالدعاءِ هناك رجاءً أكثرَ

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/٢٣٩-٢٤٣) والشفا للقاضي عياض (٢/٨٨).

من رجائِها بالدعاءِ في غيرِ ذلك الموطنِ، أمرٌ لم يشرعْه اللهُ ولا رسولُه، ولا فعلَه أحدُ الصحابةِ، ولا التابعونَ ولا أئمةُ المسلمينَ، ولا ذكرَه أحدٌ من العلماءِ، ولا الصالحون المتقدمون، بل أكثرُ ما ينقلُ من ذلكَ عن بعضِ المتأخرين بعدَ المائةِ الثانيةِ، وأصحابُ رسولِ اللهِ ﷺ قد أجابُوا مراتٍ ودهمتْهم نوائبُ غيرُ ذلك، فهلاَّ جاؤوا فاستسقَوْا واستغاثُوا عندَ قبرِ النبيِّ ﷺ بل خرجَ عمرُ بالعباسِ فاستسقى به، ولم يستسقِ عندَ قبرِ النبيِّ ﷺ[(١)].

فائدةٌ:

لمَّا احتاجت الصحابةُ – رضوانُ اللهِ عليهم أجمعين والتابعون إلى الزيادةِ في مسجدِ رسولِ اللهِ ﷺ حينَ كثرَ المسلمون، وامتدت الزيادةُ إلى أنْ دخلت بيوتَ أمهاتِ المؤمنين فيه، ومنها حجرةُ عائشةَ – رضيَ اللهُ عنها – مدفنُ رسولِ اللهِ ﷺ وصاحبيه أبي بكرٍ وعمرَ – رضيَ اللهُ عنهما – بنَوْا على القبرِ حيطانًا مرتفعةً مستديرةً حولَه لئلا يظهرَ في المسجدِ فيصلِّي إليه العوامُ ويؤدِي إلى المحذورِ، ثم بنَوْا جِدارين من ركنَي القبرِ الشماليَّيْن وحرَفوهما حتى التقَيَا حتى لا يتمكنَ أحدٌ من استقبالِ القبرِ، ولهذا قال في الحديثِ «.. **لَوْلاَ ذَلِكَ أُبْرِزَ قَبْرُهُ، غَيْرَ أَنَّهُ خَشِيَ أَنَّ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا**»[(٢)] واللهُ تعالى أعلمُ بالصوابِ[(٣)].

قال أبو العباسِ رحمه الله: وقال: «**اللَّهُمَّ لا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ**»[(٤)] ولهذا

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/١٩٧).
(٢) أخرجه البخاري (١٣٣٠)، ومسلم (٥٢٩).
(٣) شرح مسلم (٣/١٧) للنووي.
(٤) تقدم تخريجه.

بالغَ المسلمون في سدِّ الذريعةِ في قبرِ رسولِ اللهِ ﷺ فأعلَوْا حيطانَ تربتِه، وسدُّوا المداخلَ إليها، وجعلُوها محدقةً بقبرِه ﷺ ثمَّ خافوا أن يُتَّخَذَ موضعُ قبرِه قبلةً – إذْ كان مستقبلَ المصلين – فتُصَوَّرَ الصلاةَ إليه بصورةِ العبادةِ، فبنَوْا جِدارين من ركنَي القبرِ الشماليَّيْن وحرَفوهما حتى التقَيَا على زاويةِ مثلثٍ من ناحيةِ الشمالِ حتى لا يتمكنَ أحدٌ من استقبالِ القبرِ(١) ولهذا الذي ذكرْنا كلَّه قالت عَائِشَةُ: «لَوْلاَ ذَلِكَ أُبْرِزَ قَبْرُهُ»(٢).

مطلبُ التوسلِ المشروعِ والتوسلِ الممنوعِ:

التوسلُ في اللغةِ: الواو والسين واللام: كلمتان متباينتان جدًّا، **الأولى**: الرغبةُ والطلبُ، يقالُ: وَسَلَ، إذا رغِبَ والواسِلُ: الراغبُ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ.. **والأخرى**: السرقةُ، يقالُ: أخذَ إبلَه توسلاً (٣).

قال الجوهريُّ رحمه الله: والوسيلةُ: ما يُتقرَّبُ به إلى الغيرِ، والجمعُ: الوُسُلُ والوسائلُ، والتوسيلُ والتوسُّلُ واحدٌ، يقالُ: وسلَ فلانٌ إلى ربِّه وسيلةً، وتوسلَ إليه بوسيلةٍ أي: تقرَّبَ إليه بعملٍ (٤).

وفي الاصطلاحِ: ما يُتقرَّبُ به إلى الغيرِ أو هو كلُّ سببٍ مشروعٍ

---

(١) هذا الوصف يتوافق مع وضع القبر الشريف في عصر المؤلف، ثم طرأ عليه تعديل في العصر المملوكي ثم العثماني، بحيث أصبح القبر ضمن حجرة مربعة تعلوه القبة الخضراء، فمن صلى خلف الحجرة لم يكن مستقبلاً القبر لوجود الساتر – حاشية المفهم (٢/١٢٨).

(٢) متفق عليه: تقدم تخريجه.

(٣) مقاييس اللغة (٦/١١٠) مادة (وسل).

(٤) الصحاح (٥/١٨٤١).

يوصلُ إلى المقصودِ(١).

قال الراغبُ الأصفهانيُّ رحمه الله: الوسيلةُ: التوسلُ إلى الشيءِ برغبةٍ.. وحقيقةُ الوسيلةِ إلى اللهِ تعالى: مراعاةُ سبيلِه بالعلمِ والعبادةِ، وتحرِّي مكارمِ الشريعةِ(٢).

اعلمْ أنَّ التوسلَ عبادةٌ من العباداتِ صرْفُها لغيرِ اللهِ شركٌ، فقد تقدَّمَ أنَّ معنى الوسيلةِ: الرغبةُ والطلبُ، والتقربُ إلى اللهِ بالعلمِ والعملِ الصالحِ لينالَ مقصودَه وحاجتَه، فلا يجوزُ التوسلُ بجاهِ أحدٍ وإن كان من الأنبياءِ- صلواتُ اللهِ وسلامُه عليهم- وما دونَ الأنبياءِ من الأولياءِ والصالحين أولَى بعدمِ جوازِ التوسلِ بهم- سواءٌ كانوا أحياءً أو أمواتًا كما يفعلُ جُهَّالُ المتصوفةِ قال جلَّ ثناؤُه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾[المائدة: ٣٥].

قال الشنقيطيُّ رحمه الله: اعلمْ أنَّ جمهورَ العلماءِ على أنَّ المرادَ بالوسيلةِ هنا: هو القربةُ إلى اللهِ، بامتثالِ أوامرِه ، واجتنابِ نواهيه على وفقِ ما جاء به محمدٌ ﷺ بإخلاصٍ في ذلك للهِ تعالى لأنَّ هذا وحدَه هو الطريقُ الموصلةُ إلى رضا الله تعالى ونيلِ ما عندَه من خيرِ الدنيا والآخرةِ.

وأصلُ الوسيلةِ الطريقُ التي تقرِّبُ إلى الشيءِ وتوصِّلُ إليه، وهي العملُ الصالحُ بإجماعِ العلماءِ.

لأنَّه لا وسيلةَ إلى اللهِ تعالى إلا باتباعِ رسولِ اللهِ ﷺ وعلى هذا

---

(١) التعريفات (٢٧٢).

(٢) المفردات (٥٢٣، ٥٢٤).

فالآياتُ المبينةُ للمرادِ من الوسيلةِ كثيرةٌ جدًّا، كقولِه تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ﴾[الحشر: ٧].

وكقولِه: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي﴾[آل عمران: ٣١] وقولِه: ﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾[النور: ٥٤] إلى غيرِ ذلكَ من الآياتِ.

ورُوِيَ عن ابنِ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهما أنَّ المرادَ بالوسيلةِ الحاجةُ.. وعلى هذا القولِ الذي رُوِيَ عن ابنِ عباسٍ فالمعنى «وابتغُوا إليه الوسيلة» واطلبُوا حاجتَكم من اللهِ، لأَنَّه وحدَه هو الذي يقدرُ على إعطائِها، ومِمَّا يبيِّن معنى هذا الوجهِ قولُه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقًا فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ﴾[العنكبوت: ١٧]. وقولُه: ﴿وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓ﴾[النساء: ٣٢] وفي الحديثِ «**إِذَا سأَلْتَ فاسْأَلِ اللهَ**».

قال مقيِّدُه عفا اللهُ عنه: التحقيقُ في معنى الوسيلةِ هو ما ذهبَ إليه عامةُ العلماءِ من أنَّها التقربُ إلى اللهِ تعالى بالإخلاصِ له في العبادةِ على وفقِ ما جاءَ به الرسولُ ﷺ وتفسيرُ ابنِ عباسٍ داخلٌ في هذا؛ لأنَّ دعاءَ اللهِ والابتهالَ إليه في طلبِ الحوائجِ من أعظمِ أنواعِ عبادتِه التي هي الوسيلةُ إلى نيلِ رضاه ورحمتِه.

وبهذا التحقيقِ تعلمُ أنَّ ما يزعمُه كثيرٌ من الملاحدةِ- أتباعِ الجهالِ المدَّعين للتصوفِ من أنَّ المرادَ بالوسيلةِ في الآيةِ الشيخُ الذي يكونُ له واسطةٌ بينه وبين ربِّه- أنَّه تخبطٌ في الجهلِ والعمَى وضلالٌ مبينٌ وتلاعبٌ بكتابِ اللهِ تعالى، واتخاذُ الوسائطِ من دونِ اللهِ من أصولِ كفرِ الكفارِ، كما

صرَّحَ به تعالى في قولِه عنهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣] وقولِه: ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ١٨﴾[يونس: ١٨]. [١].

قال شيخُ الإسلامِ رحمه الله: فلفظُ الوسيلةِ مذكورٌ في القرآنِ في قولِه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥]، وفي قولِه تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ٥٧﴾.

فالوسيلةُ التي أمرَ اللهُ أنْ تُبْتَغَى إليه، أخبرَ عن ملائكتِه وأنبيائِه أنَّهم يبتغُونها إليه، هي ما يُتَقَرَّبُ إليه من الواجباتِ والمستحبَّاتِ فهذه الوسيلةُ التي أمرَ اللهُ المؤمنين بابتغائِها، تتناولُ كلَّ واجبٍ ومستحبٍّ..

فالواجبُ والمستحبُّ هو ما شرعَهُ الرسولُ فأمرَ به أمرَ إيجابٍ أو استحبابٍ، وأصلُ ذلكَ: الإيمانُ بما جاءَ به الرسولُ، فجماعُ الوسيلةِ التي أمرَ اللهُ الخلقَ بابتغائِها هو التوسلُ إليه باتباعِ ما جاءَ به الرسولُ لا وسيلةَ لأحدِ إلى اللهِ إلا ذلك.

والثاني لفظُ الوسيلةِ في الأحاديثِ الصحيحةِ كقولِه ﷺ:«**سَلُوا اللهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ، لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ، وَأَرْجُو أَنْ**

---

(١) أضواء البيان (١/٤٠٢، ٤٠٣).

أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ»(١).

وقولِه: «مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، وَالصَّلاَةِ الْقَائِمَةِ آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (٢).

فهذه الوسيلةُ للنبيِّ ﷺ خاصةً، وقد أَمَرَنَا أنْ نسألَ اللهَ هذه الوسيلةَ وأخبرَنَا أنَّهَا لا تكونُ إلا لعبدٍ من عبادِ اللهِ، وهو يرجو أنْ يكونَ ذلكَ العبدَ، وهذه الوسيلةُ أُمِرْنَا أنْ نسألَهَا للرسولِ وأُخْبِرْنَا أنْ من سألَ له هذه الوسيلةَ فقدْ حلَّتْ عليه الشفاعةُ يومَ القيامةِ (٣).

التوسّلُ المشروعُ:

جاءت نصوصٌ من الكتابِ والسُّنَّةِ تبيِّنُ الوسائلَ المشروعةَ التي يتوسَّلُ بها العبدُ إلى اللهِ لينالَ حاجتَه ومقصودَه منها:

١- التوسلُ بأسماءِ اللهِ الحسنَى:

قال جلَّ ذكرُه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

قال القرطبيُّ رحمه الله: أي: اطلبُوا منه بأسمائِه، فيُطلَبُ بكلِّ اسمٍ ما يليقُ بهِ، تقولُ يا رحيمُ ارحمني، يا حكيمُ احكمْ لي، يا رزَّاقُ ارزقْني (٤) انتهى.

---

(١) أخرجه مسلم (٣٨٤).

(٢) أخرجه البخاري (٦١٤).

(٣) مجموع الفتاوى (١/١٩٩).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (٧/٣١١).

٢- التوسُّلُ إلى اللهِ تعالى بسابقِ إحسانِه:

قال تباركَ وتعالى عن زكريا عليه السلامُ ﴿وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا ٤﴾[مريم: ٤].

قال ابنُ القيمِ رحمه الله: فقد قيلَ: إنَّه دعاءُ المسألةِ والمعنى: إنَّك عودتَنِي إجابتَك، وإسعافَك، ولم تشقِنِي بالردِّ والحرمانِ، فهو توسلٌ إليه تعالى بما سلفَ من إجابتِه وإحسانِه (١).

٣- التوسُّلُ بالأعمالِ الصالحةِ:

بأنْ يذكرِ العبدُ بينَ يَدَي الدعاءِ الأعمالَ الصالحةَ التي فعلَها خالصًا للهِ تعالى ويتوسلَ بذلكَ إلى اللهِ ، فيقولُ على سبيلِ المثالِ، يا ربِّ إنْ كنتُ فعلتُ كذا وكذا من الأعمالِ الصالحةِ ابتغاءَ مرضاتِك فأعْطِنِي كذا وكذا ويذكرُ مسألتَه.

كقولِ اللهِ تعالى عن المؤمنينَ: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾.

وقولِه جلَّ ذكرُه: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ١٩٣﴾[آل عمران: ١٩٣]. إلى غيرِ ذلكَ من الآياتِ وهي كثيرةٌ.

وحديثُ الثلاثةِ الذين آوَوْا إلى الغارِ وتوسَّلوا إلى اللهِ بأعمالِهم الصالحةِ كما في الصحيحينِ من حديثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: « **بَيْنَمَا ثَلاَثَةُ نَفَرٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ يَمْشُونَ، إِذْ أَصَابَهُمْ مَطَرٌ، فَأَوَوْا إِلَى غَارٍ فَانْطَبَقَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: إِنَّهُ وَاللَّهِ يَا هَؤُلاَءِ، لاَ**

---

(١) بدائع التفسير (٢/٢٢٢).

يُنْجِيكُمْ إِلَّا الصِّدْقُ، فَلْيَدْعُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَا يَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ صَدَقَ فِيهِ، فَقَالَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي أَجِيرٌ عَمِلَ لِي عَلَى فَرَقٍ مِنْ أَرُزٍّ، فَذَهَبَ وَتَرَكَهُ، وَأَنِّي عَمَدْتُ إِلَى ذَلِكَ الفَرَقِ فَزَرَعْتُهُ، فَصَارَ مِنْ أَمْرِهِ أَنِّي اشْتَرَيْتُ مِنْهُ بَقَرًا، وَأَنَّهُ أَتَانِي يَطْلُبُ أَجْرَهُ، فَقُلْتُ لَهُ: اعْمِدْ إِلَى تِلْكَ البَقَرِ فَسُقْهَا، فَقَالَ لِي: إِنَّمَا لِي عِنْدَكَ فَرَقٌ مِنْ أَرُزٍّ، فَقُلْتُ لَهُ: اعْمِدْ إِلَى تِلْكَ البَقَرِ، فَإِنَّهَا مِنْ ذَلِكَ الفَرَقِ فَسَاقَهَا، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا، فَانْسَاحَتْ عَنْهُمُ الصَّخْرَةُ، فَقَالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، فَكُنْتُ آتِيهِمَا كُلَّ لَيْلَةٍ بِلَبَنِ غَنَمٍ لِي، فَأَبْطَأْتُ عَلَيْهِمَا لَيْلَةً، فَجِئْتُ وَقَدْ رَقَدَا وَأَهْلِي وَعِيَالِي يَتَضَاغَوْنَ مِنَ الجُوعِ، فَكُنْتُ لاَ أَسْقِيهِمْ حَتَّى يَشْرَبَ أَبَوَايَ فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُمَا، وَكَرِهْتُ أَنْ أَدَعَهُمَا، فَيَسْتَكِنَّا لِشَرْبَتِهِمَا، فَلَمْ أَزَلْ أَنْتَظِرُ حَتَّى طَلَعَ الفَجْرُ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا، فَانْسَاحَتْ عَنْهُمُ الصَّخْرَةُ حَتَّى نَظَرُوا إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي ابْنَةُ عَمٍّ، مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَأَنِّي رَاوَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا فَأَبَتْ، إِلَّا أَنْ آتِيَهَا بِمِائَةِ دِينَارٍ، فَطَلَبْتُهَا حَتَّى قَدَرْتُ، فَأَتَيْتُهَا بِهَا فَدَفَعْتُهَا إِلَيْهَا، فَأَمْكَنَتْنِي مِنْ نَفْسِهَا، فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا، فَقَالَتْ: اتَّقِ اللَّهَ وَلاَ تَفُضَّ الخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَقُمْتُ وَتَرَكْتُ المِائَةَ دِينَارٍ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا، فَفَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُمْ فَخَرَجُوا»[(١)].

قال الحافظُ ابنُ حجرٍ رحمه الله: وفي هذا الحديثِ استحبابُ الدعاءِ في

(١) أخرجه البخاري (٣٤٦٥) ومسلم (٢٧٤٣).

الكربِ والتقرُّبُ إلى اللهِ تعالى بذكرِ صالحِ العملِ، واستنجازُ وعدِه بسؤالِه (١).

قال ابنُ تيميةَ رحمه الله: أمَّا التوسلُ والتوجهُ إلى اللهِ وسؤالِه بالأعمالِ الصالحةِ التي أمرَ بها كدعاءِ الثلاثةِ الذين آوَوْا إلى الغارِ بأعمالِهم الصالحةِ(٢). انتهى.

وتوسُّلُ سارةَ زوجةُ إبراهيمَ عليه السلامُ إلى اللهِ بإيمانِها باللهِ وبرسولِه بأنْ لا يسلطَ عليها الجبارَ، كما في الصحيحينِ في حديثِ أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «هَاجَرَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ بِسَارَةَ، فَدَخَلَ بِهَا قَرْيَةً فِيهَا مَلِكٌ مِنَ المُلُوكِ، أَوْ جَبَّارٌ مِنَ الجَبَابِرَةِ، فَقِيلَ: دَخَلَ إِبْرَاهِيمُ بِامْرَأَةٍ هِيَ مِنْ أَحْسَنِ النِّسَاءِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ: أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ مَنْ هَذِهِ الَّتِي مَعَكَ؟ قَالَ: أُخْتِي، ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهَا فَقَالَ: لاَ تُكَذِّبِي حَدِيثِي، فَإِنِّي أَخْبَرْتُهُمْ أَنَّكِ أُخْتِي، وَاللَّهِ إِنْ عَلَى الأَرْضِ مُؤْمِنٌ غَيْرِي وَغَيْرُكِ، فَأَرْسَلَ بِهَا إِلَيْهِ فَقَامَ إِلَيْهَا، فَقَامَتْ تَوَضَّأُ وَتُصَلِّي، فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ آمَنْتُ بِكَ وَبِرَسُولِكَ، وَأَحْصَنْتُ فَرْجِي، إِلَّا عَلَى زَوْجِي فَلاَ تُسَلِّطْ عَلَيَّ الكَافِرَ، فَغُطَّ حَتَّى رَكَضَ بِرِجْلِهِ "، قَالَ الأَعْرَجُ: قَالَ أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: إِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ، قَالَ: " قَالَتْ: اللَّهُمَّ إِنْ يَمُتْ يُقَالُ هِيَ قَتَلَتْهُ، فَأُرْسِلَ ثُمَّ قَامَ إِلَيْهَا، فَقَامَتْ تَوَضَّأُ تُصَلِّي، وَتَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ آمَنْتُ بِكَ وَبِرَسُولِكَ وَأَحْصَنْتُ فَرْجِي إِلَّا عَلَى زَوْجِي، فَلاَ تُسَلِّطْ عَلَيَّ هَذَا الكَافِرَ، فَغُطَّ حَتَّى رَكَضَ بِرِجْلِهِ "، قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ، قَالَ أَبُو سَلَمَةَ: قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: " فَقَالَتْ:

---

(١) الفتح (٦/٥٨٩).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/٣١٢).

اللَّهُمَّ إِنْ يَمُتْ فَيُقَالُ هِيَ قَتَلَتْهُ، فَأُرْسِلَ فِي الثَّانِيَةِ، أَوْ فِي الثَّالِثَةِ، فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا أَرْسَلْتُمْ إِلَيَّ إِلَّا شَيْطَانًا، ارْجِعُوهَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ، وَأَعْطُوهَا آجَرَ فَرَجَعَتْ إِلَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، فَقَالَتْ: أَشَعَرْتَ أَنَّ اللَّهَ كَبَتَ الكَافِرَ وَأَخْدَمَ وَلِيدَةً»[(١)].

٤- التوسُّلُ بدعاءِ الصالحينَ الأحياءِ:

يجوزُ التوسلُ بدعاءِ من تظُنُّ أنَّه من أهلِ الفضلِ و الصلاحِ فتقولَ له ادعُ اللهَ أنْ يغفرَ لي أو ادعُ اللهَ أنْ يشفيَني وما أشبهَ ذلكَ.

فمن التوسلِ المشروعِ التوسلُ بدعاءِ الصالحينَ لا بذاتِ الصالحينَ ولا بجاهِ الصالحينَ، وإن كانوا الأنبياءَ – صلواتُ اللهِ وسلامُه عليهم.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: أَنَّ رَجُلاً، دَخَلَ المَسْجِدَ يَوْمَ جُمُعَةٍ مِنْ بَابٍ كَانَ نَحْوَ دَارِ القَضَاءِ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ يَخْطُبُ، فَاسْتَقْبَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَائِمًا، ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلَكَتِ الأَمْوَالُ وَانْقَطَعْتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللَّهَ يُغِيثُنَا، فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «**اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا**» قَالَ أَنَسٌ: وَلاَ وَاللَّهِ، مَا نَرَى فِي السَّمَاءِ مِنْ سَحَابٍ، وَلاَ قَزَعَةً وَمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ سَلْعٍ مِنْ بَيْتٍ وَلاَ دَارٍ، قَالَ: فَطَلَعَتْ مِنْ وَرَائِهِ سَحَابَةٌ مِثْلُ التُّرْسِ فَلَمَّا تَوَسَّطَتِ السَّمَاءَ انْتَشَرَتْ، ثُمَّ أَمْطَرَتْ، فَلاَ وَاللَّهِ، مَا رَأَيْنَا الشَّمْسَ سِتًّا، ثُمَّ دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ ذَلِكَ البَابِ فِي الجُمُعَةِ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ يَخْطُبُ، فَاسْتَقْبَلَهُ قَائِمًا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَكَتِ الأَمْوَالُ وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللَّهَ يُمْسِكْهَا عَنَّا، قَالَ: فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ:

---

(١) أخرجه البخاري (٢٢١٧) ومسلم (٢٣٧١).

«اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلاَ عَلَيْنَا، اللَّهُمَّ عَلَى الآكَامِ وَالظِّرَابِ، وَبُطُونِ الأَوْدِيَةِ، وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ» قَالَ: فَأَقْلَعَتْ، وَخَرَجْنَا نَمْشِي فِي الشَّمْسِ قَالَ شَرِيكٌ: سَأَلْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ: أَهُوَ الرَّجُلُ الأَوَّلُ؟ فَقَالَ: «مَا أَدْرِي»(١).

قال الحافظُ ابنُ حجرٍ رحمه الله- في معرضِ شرحِه للحديثِ-:

وفيه: سؤالُ الدعاءِ من أهلِ الخيرِ، ومن يُرجَى منه القبولُ، وإجابتُهم لذلك (٢).

وعَنْ أُسَيْرِ بْنِ جَابِرٍ، أَنَّ أَهْلَ الْكُوفَةِ وَفَدُوا إِلَى عُمَرَ، وَفِيهِمْ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ يَسْخَرُ بِأُوَيْسٍ، فَقَالَ عُمَرُ: هَلْ هَاهُنَا أَحَدٌ مِنَ الْقَرَنِيِّينَ؟ فَجَاءَ ذَلِكَ الرَّجُلُ فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ قَالَ: «إِنَّ رَجُلاً يَأْتِيكُمْ مِنَ الْيَمَنِ يُقَالُ لَهُ أُوَيْسٌ، لَا يَدَعُ بِالْيَمَنِ غَيْرَ أُمٍّ لَهُ، قَدْ كَانَ بِهِ بَيَاضٌ، فَدَعَا اللهَ فَأَذْهَبَهُ عَنْهُ، إِلَّا مَوْضِعَ الدِّينَارِ أَوِ الدِّرْهَمِ، فَمَنْ لَقِيَهُ مِنْكُمْ فَلْيَسْتَغْفِرْ لَكُمْ»(٣).

وقال رسول الله ﷺ: «دَعْوَةُ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ، عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ كُلَّمَا دَعَا لِأَخِيهِ بِخَيْرٍ، قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ: آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلٍ »(٤).

قال شيخُ الإسلامِ رحمه الله: وقد مضت السُّنَّةُ أنَّ الحيَّ يُطلَبُ منه الدعاءُ كما يُطلَبُ منه سائرُ ما يقدرُ عليه، وأمَّا المخلوقُ الغائبُ والميِّتُ فلا يُطلَبُ

---

(١) أخرجه البخاري (١٠١٤) ومسلم (٨٩٧).
(٢) الفتح (٢/٥٨٨).
(٣) أخرجه مسلم (٢٠٤٢).
(٤) أخرجه مسلم (٢٧٣٣).

منه شيءٌ[(١)].

شبهةٌ والردّ عليها:

جوَّزَ الصوفيةُ التوسلَ بجاهِ الصالحينَ- الأحياءِ منهم أو الأمواتِ- بحجَّةِ حديثِ أنسٍ رضيَ اللهُ عنه والحديثُ حجَّةٌ عليهم في عدمِ جوازِ التوسلِ بالأمواتِ وإنْ كان الميِّتُ رسولَ اللهِ ﷺ.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كَانَ إِذَا قَحَطُوا اسْتَسْقَى بِالعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا**»، قَالَ: فَيُسْقَوْنَ[(٢)].

فلو جازَ التوسلُ بدعاءِ النبيِّ ﷺ بعد موتِه ما عدلَ الصحابةُ عنه إلى سؤالِ العباسِ رضيَ اللهُ عنه أنْ يدعوَ لهم، وهو دونَ النبيِّ ﷺ في الفضلِ والمكانةِ:

قال ابنُ تيميةَ رحمه الله: معناه: نتوسلُ إليكَ بدعائِه وشفاعتِه وسؤالِه، ونحن نتوسلُ إليكَ بدعاءِ عمِّه وسؤالِه وشفاعتِه، ليس المرادُ به إنَّا نقسمُ عليكَ به أو ما يجري هذا المجرَى ممَّا يفعلُه المبتدعون بعدَ موتِه وفي مغيبِه.

كما يقولُ بعضُ الناسِ: أَسألُ بجاهِ فلانٍ عندَك، ويقولون: إنَّا نتوسلُ إلى اللهِ بأنبيائِه وأوليائِه ويرْوُون حديثًا موضوعًا[(٣)]: إذَا سألتُم اللهَ فاسأَلُوهُ

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (١٥٠).

(٢) أخرجه البخاري (١٠١٠).

(٣) الحديث الموضوع: هو المختلق الموضوع الذي نسبه الكذابون المفترون إلى رسول الله ﷺ وهو ليس من كلامه.

بجاهِي، فإنَّ جاهِي عندَ اللهِ عريضٌ. فإنَّه لو كانَ هذا هو التوسُّلُ الذي كانَ الصحابةُ يفعلُونه كما ذَكَرَ عمرُ رضيَ اللهُ عنه لفعلُوا ذلكَ بعد موتِه، ولم يعدِلُوا عنه إلى العباسِ مع علمِهم بأنَّ السؤالَ بهِ والإقسامَ بِهِ أعظمُ من العباسِ، فعُلِمَ أنَّ ذلكَ التوسلَ الذي ذكرُوه هو ممَّا يفعلُه الأحياءُ دونَ الأمواتِ.

وهو التوسلُ بدعائِهم وشفاعتِهم، فإنَّ الحيَّ يُطلَبُ منه ذلك، والميِّتَ لا يُطلَبُ منه شيءٌ، لا دعاءٌ ولا غيرُه.

وكذلك حديثُ الأعمَى فإنَّه طلبَ من النبيِّ ﷺ أنْ يدعوَ له ليردَّ اللهُ عليه بصرَه، فعلَّمَهُ النبيُّ ﷺ دعاءً أَمَرَهُ فيه أنْ يسألَ اللهَ قبولَ شفاعةِ نبيِّه فيه فهذا يدلُّ على أنَّ النبيَّ ﷺ شفعَ فيه، وأمرَهُ أنْ يسألَ اللهَ قبولَ الشفاعةِ وأنَّ قولَه «**أسألُكَ وأتوجَّهُ إليكَ بنبيِّكَ محمدٍ نبيِّ الرحمةِ**»(١) أي: بدعائِهِ وشفاعتِهِ ، كما قالَ عمرُ «**كنَّا نتوسَّلُ إليكَ بنبيِّنَا** (٢)» فلفظُ التوسُّلِ والتوجهِ في الحديثين بمعنًى واحدٍ، ثم قال: «**يا محمدُ، يارسولَ اللهِ إنِّي أتوجهُ بكَ إلى ربِّي في حاجتِي ليقضيَها، اللَّهمَّ فشفِّعْهُ فيَّ**»(٣).

فطَلَبَ من اللهِ أنْ يشفعَ فيه نبيُّه، وقولُهُ «يا محمدُ يا نبيَّ اللهِ» هذا وأمثالُه نداءٌ طلبَ به استحضارَ المنادَى في القلبِ، فيخاطِبُ الشهودَ بالقلبِ: كما يقولُ المصلِّي «السلامُ عليكَ أيُّها النبيُّ ورحمةُ اللهِ وبركاتُهُ»..

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/٣١٨).

(٢) صحيح تقدم تخريجه قريبًا.

(٣) أخرجه أحمد (٤/١٣٨)، والطبراني (٨٣١٠)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (٦٢٨) من حديث عثمان بن حنيف. وصححه الطبراني.

فلفظُ: التوسلِ بالشخصِ، والتوجُّهِ بِهِ، والسؤالِ بِهِ، فيه إجمالٌ واشتراكٌ- غلَطَ بسببِهِ من لم يفهمْ مقصودَ الصحابةِ- يُرادُ بِهِ التسبُّبُ بهِ لكونِهِ داعيًا، وشافعًا مثلاً أو لكونِ الداعِي محبًّا له مطيعًا لأمرِه مقتديًا به، فيكونُ التسبُّبُ: إمَّا لمحبةِ السائلِ له واتباعِه له، وإمَّا بدعاءِ الوسيلةِ وشفاعتِه، ويُرادُ به الإقسامُ به، والتوسلُ بذاتِهِ، فلا يكونُ التوسلُ لا لشيءٍ منه، ولا لشيءٍ من السائلِ بل بذاتِه، أو بمجردِ الإقسامِ بهِ على اللهِ.

فهذا الثانِي هو الذي كرهُوه ونهَوْا عنه، وكذلكَ لفظُ السؤالِ بشيءٍ قد يُرادُ به المعنَى الأولَ، وهو التسبُّبُ به لكونِه سببًا في حصولِ المطلوبِ، وقد يُرادُ بِهِ الإقسامُ.

ومن الأولِ: حديثُ الثلاثةِ الذين أوَوْا إلى الغارِ... وساقَ الحديثَ ومعناه [١].

وقالَ في موضعٍ آخرَ: إنَّ اللهَ تعالى يحبُّ أنْ نتوسَّلَ إليهِ بالإيمانِ والعملِ الصالحِ والصلاةِ والسلام على نبيِّه ﷺ ومحبتِه وطاعتِه وموالاتِه[٢].

الخلاصةُ: أنَّ لفظَ التوسلَ بالنبيِّ ﷺ يرادُ بِهِ ثلاثةُ معانٍ:

أحدُها: التوسلُ بطاعتِه فهذا فرضٌ لا يتمُّ الإيمانُ إلا بِهِ.

والثاني: التوسلُ بدعائِه وشفاعتِه، وهذا كانَ في حياتِه، ويكونُ يومَ القيامةِ بالتوسلِ بشفاعتِه.

والثالثُ: التوسلُ بمعنى الإقسامِ على اللهِ بذاتِه ﷺ والسؤالِ بذاتِه،

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/٣١٨، ٣١٩).

(٢) رسالة في الرد على البكري (ص: ٧٠).

فهذا هو الذِي لم يكنْ الصحابةُ يفعلونَه في الاستسقاءِ ونحوِه، ولا في حياتِه، ولا بعدَ مماتِه، لا عندَ قبرِه، ولا غيرَ قبرِه، ولا يُعرَفُ هذا في شيءٍ من الأدعيةِ المشهورةِ بينَهم [(١)].

تحريمُ التبرّكِ بقبرٍ أو بحجرٍ أو شجرٍ أو نحوِ ذلكَ:

معنى التبرُّكِ في اللغةِ: (برَكَ) الباء والراء والكاف أصلٌ واحدٌ، وهو: ثباتُ الشيءِ، ثم يتفرعُ فروعًا يقارِبُ بعضُها بعضًا، يُقالُ: برَكَ البعيرُ يبركُ برُوكًا.

قالَ الخليلُ: البرْكُ يقعُ على ما برَكَ من الجمالَ والنُّوقِ على الماءِ أو بالفلاةِ من حرِّ الشمسِ أو الشبعِ.. والبرَكَةُ: من الزيادةِ والنماءِ، والتبرُّكُ، أنْ تدعوَ بالبركةِ و "تباركَ اللهُ" تمجيدٌ وتجليلٌ، وفُسِّرَ على "تعالى اللهُ" واللهُ أعلمُ [(٢)].

قال الجوهريُّ رحمه الله: كلُّ ما ثبتَ وأقامَ فقد برَكَ [(٣)].

وفي الاصطلاحِ:

قال الراغبُ: البركةُ ثبوتُ الخيرِ الإلهي في الشيءِ، قال تعالى: ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦].

وسُمِّيَ بذلكَ لثبوتِ الخيرِ فيه ثبوتَ الماءِ في البركةِ، والمباركُ ما فيه ذلكَ الخيرُ، على ذلك: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ﴾[الأنبياء: ٥٠] تنبيهًا

(١) انظر الفتاوى (١/٢٠١).
(٢) معجم المقاييس اللغة (١/٢٧٧-٢٣١).
(٣) الصحاح (٤/١٥٧٤).

على ما يفيضُ عليه من الخيراتِ الإلهيةِ(١).

قال الكفويُّ رحمه الله: والبركةُ في حديثِ «تسحَّرُوا فإنَّ السحورَ بركةٌ» بمعنى: زيادةِ القوةِ على الصوم، أو الرخصةِ.. وقيلَ: الزيادةُ في العمرِ، ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا﴾[مريم: ٣١] أي: نفاعًا، والتبريكُ: الدعاءُ بها(٢).

فلا يخفَى أنَّ الخيرَ كلَّه بيدِ اللهِ تعالى، والبركاتُ كلُّها من عندَه سبحانه قال جلَّ ذكرُه عن نفسِه: ﴿بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٦﴾[آل عمران: ٢٦].

وقالَ سبحانَه وتعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٩٦﴾[الأعراف: ٩٦].

قال القرطبيُّ رحمه الله: «لفتحَنَا عليهِمْ بركاتٍ من السماءِ والأرضِ» يعني المطرَ والنباتَ(٣).

وقال سبحانَه: ﴿وَأَوۡرَثۡنَا ٱلۡقَوۡمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسۡتَضۡعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلۡأَرۡضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۖ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلۡحُسۡنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْۖ وَدَمَّرۡنَا مَا كَانَ يَصۡنَعُ فِرۡعَوۡنُ وَقَوۡمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعۡرِشُونَ ١٣٧﴾[الأعراف: ١٣٧].

---

(١) المفردات (٤٩).

(٢) الكليات (٢٠٦).

(٣) تفسير القرطبي (٧/٢٤٣).

قال الطبريُّ رحمه الله: أي التي جعلْنَا فيها الخيرَ ثابتًا دائمًا لأهلِها(١).

فالأدلةُ الدالةُ على أنَّ البركةَ من عندِ اللهِ – جلَّ في علاهُ- كثيرةٌ جدًّا فلا يجوزُ لأحدٍ أنْ يتبركَ بقبرٍ، أو بحجرٍ، أو بشجرٍ أو بقعةٍ من الأرضِ، أو بأحدِ الصالحين- الأحياءِ أو الأمواتِ- فهذه الأمورُ من أفعالِ الجاهليةِ التي أبطلَها الإسلامُ ثم ظهرتْ بعدَ القرونِ الأولى المفضلةِ.

قال تباركَ وتعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [النجم: ١٩-٢٣].

قال عبدُالرحمنِ آلُ الشيخِ رحمه الله في معرضِ شرحِه للآياتِ: إنَّما كانوا يعتقدونَ حصولَ البركةِ منها: بتعظيمِها ودعائِها، والاستعانةِ بها، والاعتمادِ عليها، وحصولَ ما يرجونَه منها ويؤملونَه ببركتِها، وشفاعتِها، وغيرِ ذلك.

فالتبركُ بقبورِ الصالحينَ كاللاتِ، وبالأشجارِ كالعُزَّي، ومناةِ من فعلِ جملةِ أولئكَ المشركين مع تلك الأوثانِ فمن فعلَ مثلَ ذلكَ أو اعتقدَ في قبرٍ أو حجرٍ أو شجرٍ، فقد ضاهَى عبادةَ هذه الأوثانِ فيما يفعلونَه معها من هذا الشركِ على أن الواقعَ من هؤلاءِ المشركينَ مع معبوديهم أعظمُ ممَّا

---

(١) جامع البيان (٩/٤٣).

وقعَ من أولئكَ فاللهُ المستعانُ(١).

عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا خَرَجَ إِلَى حُنَيْنٍ مَرَّ بِشَجَرَةٍ لِلْمُشْرِكِينَ يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ يُعَلِّقُونَ عَلَيْهَا أَسْلِحَتَهُمْ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**سُبْحَانَ اللَّهِ هَذَا كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى**: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨] **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَرْكَبُنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ**»(٢).

قوله: «وينوطُونَ بها أسلحتَهم» أي: يعلقُونَها عليها، للبركةِ ففي هذا بيانُ أنَّ عبادتَهم لها بالتعظيمِ، والعكوفِ والتبركِ وبهذه الأمورِ الثلاثةِ، عُبِدَتْ الأشجارُ ونحوُها(٣).

قال شيخُ الإسلامِ رحمه الله: وهذه العلةُ التي لأجلِها نَهَى الشارعُ هي أوقعتْ كثيرًا من الأممِ، إمَّا في الشركِ الأكبرِ، أو فيمَا دونَه من الشركِ فإنَّ النفوسَ قد أشركتْ بتماثيلِ القومِ الصالحينَ(٤)... ونحوِ ذلك، فإنْ يشركْ بقبرِ الرجلِ الذي يعتقدُ نبوتَه أو صلاحَه أعظمُ من أنْ يشركَ بخشيتِه أو حجرٍ على تمثالِه، ولهذا نجدُ أقوامًا كثيرين يتضرعونَ عندَها، ويخشعونَ ويعبدونَ بقلوبِهم عبادةً لا يفعلونَها في المسجدِ بل ولا في السحرِ ومنهم من يسجدُ لها وأكثرُهم يرجُون من بركةِ الصلاةِ عندَها والدعاءِ ما لا

---

(١) فتح المجيد (١٤٤).

(٢) أخرجه الترمذي (٢١٨٠) وأحمد (٥/٢١٨). وابن حبان (٦٧٤٠٢) وغيرهم.

(٣) فتح المجيد (١٤٥).

(٤) يشير إلى ماوقع من قوم نوح- وقد سبق بيان ذلك.

يرجونَه في المساجدِ التي تشدُّ إليها الرحالُ..

فأمَّا إذا قصدَ الرجلُ الصلاةَ عندَ بعضِ قبورِ الأنبياءِ و الصالحين متبركًا بالصلاةِ في تلكَ البقعةِ- فهذا عينُ المحادَّةِ للهِ ورسولِه، والمخالفةِ لدينِه وابتداعِ دينٍ لم يأذنْ به اللهُ؛ فإنَّ المسلمينَ قد أجمعُوا على ما علِمُوه بالاضطرارِ من دينِ رسولِ اللهِ ﷺ من أنَّ الصلاةَ عندَ القبرِ- أي قبرٍ كان- لا فضلَ فيها لذلكَ، ولا للصلاةِ في تلكَ البقعةِ مزيَّةُ خيرٍ أصلاً بل مزيَّةُ شرٍّ.

واعلمْ أنَّ تلكَ البقعةَ وإنْ كانتْ قد تنزَّلُ عندَها الملائكةُ والرحمةُ، ولها شرفٌ وفضلٌ، لكنَّ دينَ اللهِ تعالى بيِّن الغاليَ فيه، والجافيَ عنه فإنَّ النصارَى عظَّمُوا الأنبياءَ حتى عبدُوهم وعبدُوا تماثيلَهم، واليهودُ استخفُّوا بهم حتى قتلوهم، والأمةُ الوسطُ عرفُوا مقاديرَهم، فلم يغلُوا فيهم غلوَّ النصارَى ولم يجفُوا عنهم جفاءَ اليهودِ.

ولهذا قالَ ﷺ فيما صحَّ عنه: «**لا تطْروني كمَا أطرتْ النصارَى عيسى بنَ مريمَ، فإنَّما أنا عبدٌ فقولُوا عبدُ اللهِ ورسولُه**»(١) فإذا قدرَ أن الصلاةَ هناكَ توجبُ من الرحمةِ أكثرَ من الصلاةِ في غيرِ تلكَ البقعةِ كانت المفسدةُ الناشئةُ من الصلاةِ هناك تُرْبِي على هذه المصلحةِ حتى تغمرَها أو تزيدَ عليها، بحيثُ تصير الصلاةُ هناكَ مُذهبةً لتلكَ الرحمةِ، ومثبتةً لمَا يوجبُ العذابَ(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٤٥).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/١٩٢-١٩٤).

تصويرُ ذواتِ الأرواحِ:

تصويرُ ذواتِ الأرواحِ حرامٌ مطلقًا ومن كبائرِ الذنوبِ – إلا ما كان لضرورةٍ – فلا يجوزُ تصويرُ كلِّ ما فيه روحٌ من إنسانٍ أو حيوانٍ أو طيرٍ أو حشراتٍ، كلُّ ذلكَ حرامٌ، سواءٌ كانت الصورةُ مجسمةً أو رسومًا على ورقٍ أو قماشٍ أو جدارٍ، وما أشبهَ ذلكَ، وسببُ التحريمِ أنَّه فيه مضاهاةٌ لخلقِ اللهِ تعالى.

ويدخلُ في تحريمِ التصويرِ، الصورُ الشمسيَّةُ لأنَّها صورةٌ، وقد ثبتَ في الأحاديثِ الصحيحةِ الصريحةِ عن رسولِ اللهِ ﷺ أنَّه نهى عن ذلكَ ولعنَ فاعلَه، وتوعَّدَه بالعذابِ الأليمِ لذلكَ كانت من كبائرِ الذنوبِ، لأنَّ الصغائرَ لا يُتوعدُ صاحبُها بالعذابِ الأليمِ واللعنِ، فضلاً عن حرمانِ البيتِ من دخولِ الملائكةِ لأنَّها لا تدخلُ بيتًا فيه كلبٌ أو صورةٌ، وهذا مذهبُ جماهيرِ العلماءِ من السلفِ والخلفِ.

وقد وردَ عن النبيِّ ﷺ أحاديثُ كثيرةٌ في تحريمِ الصورِ، نذكرُ منها:

حديثُ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ أَبِي طَلْحَةَ رضي الله عنهم قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لاَ تَدْخُلُ الْمَلاَئِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلاَ تَصَاوِيرُ**»(١).

وعن أَبِي زُرْعَةَ، قَالَ: دَخَلْتُ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ دَارًا بِالْمَدِينَةِ فَرَأَى أَعْلاَهَا مُصَوِّرًا يُصَوِّرُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي، فَلْيَخْلُقُوا حَبَّةً، وَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً**». ثُمَّ دَعَا بِتَوْرٍ مِنْ مَاءٍ فَغَسَلَ يَدَيْهِ حَتَّى بَلَغَ إِبْطَهُ فَقُلْتُ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَشَيْءٌ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٤٩) ومسلم (٢١٠٦).

قَالَ: مُنْتَهَى الْحِلْيَةِ(١).

وَعَنْ عَوْنِ بْنِ أبي جُحَيفة عن أبيه أَنَّهُ اشْتَرَى غُلاَمًا حَجَّامًا فَقَالَ: إنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهى عَنْ ثَمَنِ الدَّمِ، وَثَمَنِ الْكَلْبِ، وَكَسْبِ الْبَغِيِّ، وَلَعَنَ آكِلَ الرِّبَا وَمُوكِلَهُ وَالْوَاشِمَةَ وَالْمُسْتَوْشِمَةَ وَالْمُصَوِّرَ(٢).

وعَنْ قَتَادَةَ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ وَهُمْ يَسْأَلُونَهُ وَلاَ يَذْكُرُ النَّبِيَّ ﷺ حَتَّى سُئِلَ فَقَالَ سَمِعْتُ مُحَمَّدًا ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ صَوَّرَ صُورَةً فِي الدُّنْيَا كُلِّفَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ، وَلَيْسَ بِنَافِخٍ**»(٣).

وعَنْ أَبِي الْهَيَّاجِ الْأَسَدِيِّ، قَالَ: قَالَ لِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ «**أَنْ لَا تَدَعَ تِمْثَالًا إِلَّا طَمَسْتَهُ وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ**»

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا- أَنَّهَا اشْتَرَتْ نُمْرُقَةً فِيهَا تَصَاوِيرُ، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ بِالْبَابِ فَلَمْ يَدْخُلْ. فَقُلْتُ أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مِمَّا أَذْنَبْتُ. قَالَ: «**مَا هَذِهِ النُّمْرُقَةُ**». قُلْتُ: لِتَجْلِسَ عَلَيْهَا وَتَوَسَّدَهَا. قَالَ: «**إِنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّوَرِ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُقَالُ لَهُمْ أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ، وَإِنَّ الْمَلاَئِكَةَ لاَ تَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ الصُّورَةُ**»(٤).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَتَانِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ**

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٥٣) ومسلم (٢١١١).
(٢) أخرجه البخاري (٥٩٦٢).
(٣) أخرجه البخاري (٥٩٦٣) ومسلم (٢١١٠).
(٤) أخرجه البخاري (٥٩٥٧) ومسلم (٩٦ – ٢١٠٧).

فَقَالَ لِي: أَتَيْتُكَ الْبَارِحَةَ فَلَمْ يَمْنَعْنِي أَنْ أَكُونَ دَخَلْتُ إِلاَّ أَنَّهُ كَانَ عَلَى الْبَابِ تَمَاثِيلُ، وَكَانَ فِي الْبَيْتِ قِرَامُ سِتْرٍ فِيهِ تَمَاثِيلُ، وَكَانَ فِي الْبَيْتِ كَلْبٌ فَمُرْ بِرَأْسِ التِّمْثَالِ الَّذِي فِي الْبَيْتِ يُقْطَعُ فَيَصِيرُ كَهَيْئَةِ الشَّجَرَةِ، وَمُرْ بِالسِّتْرِ فَلْيُقْطَعْ فَلْيُجْعَلْ مِنْهُ وِسَادَتَيْنِ مَنْبُوذَتَيْنِ تُوطَآنِ وَمُرْ بِالْكَلْبِ فَلْيُخْرَجْ». فَفَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَإِذَا الْكَلْبُ لِحَسَنٍ أَوْ حُسَيْنٍ كَانَ تَحْتَ نَضَدٍ لَهُمْ فَأَمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ.(١).

قال ابنُ الملقنِ رحمه الله في معرضِ شرحِه لأحاديثِ البابِ: قال النوويُّ:(٢) قال أصحابُنا وغيرُهم بتحريمِ تصويرِ صورةِ الحيوانِ(٣) حرامٌ شديدُ التحريمِ، وهو من الكبائرِ، وسواءٌ صنعَه لما يُمتهنُ أو لغيرِه، فحرامٌ بكلِّ حالٍ، لأنَّ فيه مضاهاةً لخلقِ اللهِ تعالى، وسواءٌ كان في ثوبٍ أم بساطٍ أم دينارٍ ودرهمٍ وفلسٍ وإناءٍ وحائطٍ، وأمَّا ما ليسَ فيه صورةُ حيوانٍ، كالشجرةِ والرحالِ وشبهِها فليسَ بحرامٍ، هذا كلُّه حكمُ المصوِّرِ.

فأمَّا اتخاذُ المصوِّرِ فيه حيوانًا، فإنْ كانَ معلَّقًا على حائطٍ أو ثوبًا ملبوسًا أو عمامةً أو نحوَ ذلكَ ممَّا لا يعدُّ ممتهنًا فهو حرامٌ، وإنْ كانَ في بساطٍ يداسُ أو مخدةٍ أو وسادةٍ ممَّا يمتهنُ فليسَ بحرامٍ، ولا فرقَ في هذا كلِّه بينَ ما له ظلٌّ وما لا ظلَّ له... وبمعناه قال جماهيرُ العلماءِ من الصحابةِ

---

(١) صحيح سنن أبي داود (٤١٥٨) والترمذي (٢٨٠٦) وابن حبان (٥٨٥٤) وأحمد (٣٠٥/٢-٤٧٨)والطحاوي في شرح المعاني(٢٨٧/٤).

(٢) راجع شرح مسلم (٣٤١/٧).

(٣) الحيوان: يطلق على كل ما فيه روح، قال ابن منظور: الحيوان جنس الحي. اللسان (٦٩٣/٢).

والتابعينَ ومن بعدَهم، وهو مذهبُ الثوريِّ ومالكٍ وأبي حنيفةَ وغيرِهم(١). انتهى.

قال الخطابيُّ رحمه الله: فأمَّا الصورةُ، فهو كلُّ ما تَصوَّرَ من حيوانٍ، وسواءٌ في ذلكَ الصورُ المنصوبةُ القائمةُ التي لها أشخاصٌ وما لا شخصَ له من المنقوشةِ على الجدارِ والمصورةِ فيها وفي الفرشِ والأنماطِ، وقد رخَّصَ بعضُ العلماءِ فيما كان منها في الأنماطِ التي تُوطَأُ وتداسُ بالأرجلِ... ثمَّ ساقَ حديثَ أبي هريرةَ المتقدمَ(٢).

عذابُ المصوِّرِينَ يومَ القيامةِ:

عن ابنِ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهما قالَ: سمعتُ رَسُولَ الله ﷺ يقول: «**كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ، يَجْعَلُ لَهُ، بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا، نَفْسًا فَتُعَذِّبُهُ فِي جَهَنَّمَ**» وقَالَ: «**إِنْ كُنْتَ لَا بُدَّ فَاعِلاً، فَاصْنَعِ الشَّجَرَ وَمَا لَا نَفْسَ لَهُ**»(٣).

وعن عَائشةُ رضيَ اللهُ عنها قَالت: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُشَبِّهُونَ بِخَلْقِ اللهِ**» وفي لفظ «**الذين يُضَاهُونَ بِخَلقِ الله**»(٤).

وعن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنه قالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**تَخْرُجُ عُنُقٌ مِنَ النَّارِ يَوْمَ القِيَامَةِ لَهَا عَيْنَانِ تُبْصِرَانِ وَأُذُنَانِ تَسْمَعَانِ وَلِسَانٌ يَنْطِقُ، يَقُولُ:**

---

(١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٢٨/ ١٩١ – ١٩٢).

(٢) معالم السنن (٤/١٩١)، وانظر عمدة القاري للبدر العيني (١٥/١٢٨)، وفتح الباري (١٠/٣٩٥).

(٣) أخرجه البخاري (٢٢٢٥) ومسلم (٢١١٠).

(٤) أخرجه البخاري (٢٤٧٩) ومسلم (٢١٠٧).

إِنِّي وُكِّلْتُ بِثَلاَثَةٍ، بِكُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ، وَبِكُلِّ مَنْ دَعَا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ، وَبِالْمُصَوِّرِينَ »(١).

عن عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ قالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ القِيَامَةِ المُصَوِّرُونَ**»(٢).

وَعَنْ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضيَ اللهُ عنهما أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ الَّذِينَ يَصْنَعُونَ هَذِهِ الصُّوَرَ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ** »(٣).

شبهةٌ والردّ عليها:

قد يقالُ: إنَّ اللهَ تعالى قال في قصةِ سليمانَ: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ﴾ [سبأ: ١٣]، فهل هناكَ تعارضٌ بينَ الآيةِ والأحاديثِ التي وردتْ في تحريمِ الصورِ؟

الردّ:

لا تعارضَ بينَ الآيةِ والأحاديثِ، وأمَّا الأحاديثُ فهي شرعُنَا، وأمَّا الآيةُ فكانت في شرعِ من كان قبلَنا.

قال الحافظُ ﷺ: قال مجاهدٌ: كانت صورًا من نحاسٍ، أخرجَه الطبريُّ، وقال قتادةُ: كانت من خشبٍ ومن زجاجٍ، أخرجَه عبدُ الرزّاق.

---

(١) أخرجه أحمد (٢/٣٣٦) والترمذي (٢٥٧٤) والبيهقي في الشعب (٦٣١٧). وصححه الألباني على شرط الشيخين في الصحيحة (٥١٢).

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٥٠) ومسلم (١٠٩).

(٣) أخرجه البخاري (٥٩٥١) ومسلم (٢١٠٨).

والجوابُ: أنَّ ذلكَ كان جائزًا في تلكَ الشريعةِ، وكانوا يعملون أشكالَ الأنبياءِ والصالحينَ منهم على هيئتِهم في العبادةِ ليتعبَّدوا كعبادتِهم.

وقد قال أبو العاليةِ[١] رحمه الله: لم يكنْ ذلكَ في شريعتِهم حرامًا ثم جاءَ شرعُنا بالنهيِ عنه، ويحتملُ أنْ يقالَ: إنَّ التماثيلَ كانت على صورِ النقوشِ لغيرِ ذواتِ الأرواحِ، وإذا كان اللفظُ محتملاً لم يتعيَّن الحملُ على المعنَى المشْكِلِ.

وقد ثبتَ في الصحيحين من حديثِ عائشةَ في قصةِ الكنيسةِ التي كانت بأرضِ الحبشةِ وما فيها من التصاويرِ أنَّه ﷺ قالَ... وساقَ الحديثَ كما تقدَّمَ، ثم قالَ: فإنَّ ذلكَ يُشعرُ بأنَّه لو كانَ جائزًا في ذلكَ الشرعِ ما أطلقَ عليه ﷺ أنَّ الذي فعلَه شرُّ الخلقِ، فدلَّ أنَّ فِعلَ صورِ الحيوانِ فعلٌ مُحدَثٌ أحدثَهُ عُبَّادُ الصورِ، واللهُ أعلمُ[٢].

قال القُرطُبيُّ رحمه الله: في معرِضِ شرحِه للآيةِ: وهذا يدلُّ على أنَّ التصويرَ كان مباحًا في ذلكَ الزمانِ، ونُسِخَ ذلكَ بشرعِ محمدٍ ﷺ... وقيلَ التماثيلُ: طلسماتٌ كانَ يعملُها، ويَحْرُمُ على كلِّ مصورٍ أنْ يتجاوزَها فلا يتجاوزُها فيعملُ تمثالًا للذبابِ أو للبعوضِ أو للتماسيحِ... إلى أنْ قال:

---

(١) هو: الإمام، المقرئ، الحافظ، المفسر، أبو العالية رفيع بن مهران الرياحي، البصري، أحد الأعلام. كان مولى لامرأة من بني رياح بن يربوع، ثم من بني تميم.
أدرك زمان النبي ﷺ وهو شاب، وأسلم في خلافة أبي بكر الصديق، ودخل عليه، ثقة كثير الإرسال، مات أبو العالية في شوال، سنة تسعين.
سير أعلام النبلاء (٤/٢٠٧)، الإصابة (٧/٢٤٧).

(٢) فتح الباري (١٠/ ٣٩٥).

مقتضَى الأحاديثِ يدلُّ على أنَّ الصورَ ممنوعةٌ(١).

قال الشوكانيُّ في معرِضِ شرحِه للآيةِ: وقد استُدِلَّ بهذا على أن التصويرَ كان مباحًا في شرعِ سليمانَ ونُسِخَ ذلك بشرعِ نبيِّنا ﷺ(٢).

رِدّةُ أقوامٍ آخرَ الزمانِ من أُمّةِ محمدٍ ﷺ وعبادتُهم الأوثانَ:

معنى الأوثانِ في اللغةِ: جمعُ وثنٍ، قال ابنُ فارسٍ: الواو والثاء والنون: كلمةٌ واحدةٌ، وهي الوثنُ واحدُ الأوثانِ: حجارةٌ كانت تُعبدُ، وأصلُها قولُهم استوثنَ الشيءُ: قَوِيَ...(٣).

قال ابنُ الأثيرِ رحمه الله: الفرقُ بينَ الوثنِ والصنمِ، أنَّ الوثنَ كلُّ ما له جثةٌ معمولةٌ من جواهرِ الأرضِ، أو من الخشبِ، أو الحجارةِ، كصورةِ الآدميِ تُعملُ وتُنصبُ فتُعبدُ، والصنمُ: الصورةُ بلا جثةٍ، ومنهم من لم يفرقْ بينَهما وأطلقَهما على المعنييْن، وقد يُطلقُ الوثنُ على غيرِ الصورةِ(٤).

حَرَصَ رسولُ اللهِ ﷺ على سَدِّ ذرائعِ الشركِ وحمايةِ جنابِ التوحيدِ، فنهَى عن بناءِ المساجدِ على القبورِ، وعن اتخاذِ قبرِه عيدًا، ونهَى عن التصاويرِ وعن كلِّ وسيلةٍ قد تُفضِي إلى الشركِ، وقد أخبرَنَا ﷺ أنَّ الشركَ سيقعُ في أمتِه في آخرِ الزمانِ.

---

(١) جامع أحكام القرآن (١٤/ ٢٦٠ – ٢٦١).
(٢) فتح القدير للشوكاني (٤/ ٤٥٠).
(٣) مقاييس اللغة (٦/٨٥) مادة (وثن).
(٤) النهاية: (ص: ٩٥٨).

عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَلْحَقَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ وَحَتَّى يَعْبُدُوا الأَوْثَانَ وَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي ثَلاَثُونَ كَذَّابُونَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لاَ نَبِيَّ بَعْدِي**»(١).

وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**لاَ يَذْهَبُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ حَتَّى تُعْبَدَ اللاَّتُ وَالْعُزَّى**». فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُ لأَظُنُّ حِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾ أَنَّ ذَلِكَ تَامًّا قَالَ: «**إِنَّهُ سَيَكُونُ مِنْ ذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ رِيحًا طَيِّبَةً فَتَوَفَّى كُلَّ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَيَبْقَى مَنْ لاَ خَيْرَ فِيهِ فَيَرْجِعُونَ إِلَى دِينِ آبَائِهِمْ**»(٢).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَضْطَرِبَ أَلَيَاتُ نِسَاءِ دَوْسٍ، حَوْلَ ذِي الْخَلَصَةِ**»(٣) وَذُو الخلصةِ طاغيةُ دوسٍ التي كانوا يعبدونَ في الجاهليةِ.

قال البدرُ العينيُّ رحمه الله: قولُه: "حتى تضطربَ" أي: يضربُ بعضُها بعضًا.

وقال ابنُ التينِ رحمه الله: فيه الإخبارُ بأنَّ نساءَ دوسٍ يركبنَ الدوابَّ من البلدانِ إلى الصنمِ المذكورِ، فهو المرادُ باضطرابِ أَلَياتهنَّ، والأَلَياتُ بفتحِ

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٢١٩)، وأبو داود (٤٢٥٢)، وأحمد(٥/٢٨٤-٢٧٨)، الطيالسي (٩٩١)، وابن ماجه (٣٩٥٢)، والحاكم (٤/٤٩٥-٤٩٦) وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في الصحيحة (١٦٨٣).

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٠٧).

(٣) أخرجه البخاري (٧١١٦) ومسلم (٢٩٠٦).

الهمزةِ واللامِ: جمعُ أَليةٍ وهي العجيزةُ وجمعُها أعجازٌ.

وقال الكرمانيُّ[(١)] رحمه الله: معناه: لا تقومُ الساعةُ حتى تضطربَ أي تتحركَ أعجازُ نساءٍ من الطوافَ حولَ ذي الخلصةِ، أي: حتى يكفرْنَ ويرجعْنَ إلى عبادةِ الأصنامِ[(٢)].

قال النوويُّ رحمه الله: يضطربْنَ من الطوافِ حولَ ذي الخلصةِ، أي: يكفرْنَ ويرجعْنَ إلى عبادةِ الأصنامِ وتعظيمِها[(٣)].

قال السيوطيُّ رحمه الله: "حولَ ذي الخلصةِ": أي من الطوافِ به كفرًا ورجوعًا إلى عبادةِ الأصنامِ[(٤)].

---

(١) هو: الإمام العلامة محمد بن يوسف بن علي بن سعيد، شمس الدين الكرماني برع في التفسير والحديث والفقه. أصله من كرمان.
اشتهر في بغداد، وأقام مدة بمكة. قال ابن حجر: تصدى لنشر العلم ببغداد ثلاثين سنة وكان مقبلا على شأنه لا يتردد إلى أبناء الدنيا، قانعا باليسير، ملازما للعلم، متواضعا. توفي مرجعه من الحج في محرم سنة ٧٨٦ ست وثمانين وسبعمائة.
البدر الطالع بمحاسن ما بعد القرن السابع (٢/٢٩٢)، الأعلام للزركلي (٧/١٥٣).

(٢) عمدة القاري (١٦/ ٣٧٤).

(٣) شرح مسلم (٩/ ٢٦١).

(٤) الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج (٦/ ٢٣٠) للحافظ السيوطي.

البابُ الثاني: حقيقةُ الإيمانِ

ويحوي سبعة مباحث:

المبحث الأول: الإيمانُ قولٌ وعملٌ.

المبحث الثاني: الاستثناءُ في الإيمانِ.

المبحث الثالث: الكفرُ والظلمُ والفسوقُ والنفاقُ، هل هذه الألفاظُ كلٌّ منها يأتي بمعنًى واحدٍ؟

المبحث الرابع: اختلافُ الناسِ في مرتكبِ الكبيرةِ.

المبحث الخامس: حكمُ تكفيرِ الخوارجِ وأهلِ البدعِ، وحكمُ تكفيرِ المُعَيَّنِ.

المبحث السادس: حكمُ من لم يحكمْ بما أنزلَ اللهُ.

المبحث السابع: هل الإيمانُ والإسلامُ شيءٌ واحدٌ؟

حقيقةُ الإيمانِ

الإيمانُ لغةً: قال ابنُ فارسٍ رحمه الله: أَمِنَ: الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان أحدُهما: الأمانةُ التي هي ضدُّ الخيانةِ، ومعناها سكونُ القلبِ. والآخرُ: التصديقُ، والمعنيان كما قلنا متدانيان.

وأمَّا التصديقُ: فقولُ اللهِ تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا﴾ أي: مُصَدِّقٌ لنا[١].

قال الفيروزآبادي[٢] رحمه الله: آمنَ به إيمانًا: صدَّقه، والإيمانُ: الثقةُ وإظهارُ الخضوعِ وقبولُ الشريعةِ[٣].

وقال ابنُ منظورٍ رحمه الله: الإيمانُ ضدُّ الكفرِ، والإيمانُ بمعنى التصديقِ، ضدُّه التكذيبُ، يقالُ: آمنَ به قومٌ، وكذَّبَ به قومٌ[٤].

وشرعًا: يرى شيخُ الإسلامِ أنَّ الصوابَ أنْ يقالَ: إنَّ الإيمانَ هو الإقرارُ، وتفسيرُه بلفظِ الإقرارِ أقربُ من تفسيرِه بلفظِ التصديقِ، مع أنَّ بينَهما فرقًا.

---

(١) مقاييس اللغة (١/١٣٣-١٣٥).

(٢) هو: أبو طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي، ولد سنة تسع وعشرين وسبعمائة، أخذ اللغة والأدب عن والده، وكان كثير الرحلة، وذاع صيته في الآفاق حتى كان مرجع عصره في اللغة والحديث والتفسير، تولى قضاء زبيد، وظل في منصبه حتى وفاته عام ٨١٧ هـ/ ١٤١٥ م. له مصنفات كثيرة أشهرها: القاموس المحيط. الشقائق النعمانية (١/٢١)، بغية الوعاة (١/٢٧٣).

(٣) القاموس المحيط (ص: ١٠٦٠).

(٤) اللسان (١/١٠٧).

قال ﷺ: إنَّه (أي الإيمانُ) ليسَ مرادفًا للفظِ التصديقِ في المعنَى، فإنَّ كلَّ مخبرٍ عن مشاهدةٍ أو غيبٍ، يقالُ له في اللغةِ: صدقتَ، كما يقالُ: كذبتَ، فمن قال: السماءُ فوقَنا، قيل له: صدقَ، كما يقالُ: كذبَ، وأمَّا لفظُ الإيمانِ فلا يُستعملُ إلا في الخبرِ عن غائبٍ، لم يوجدْ في الكلامِ أنَّ من أخبرَ عن مشاهدةٍ، كقولِه: طلعَت الشمسُ وغربَت، أنَّه يقالُ: آمنَّاه، كما يقالُ: صدَّقناه، ولهذا: المحدثون والشهودُ ونحوُّهم، يقال: صدَّقناهم، وما يقالُ: آمنَّا لهم، فإنَّ الإيمانَ مشتقٌ من الأمنِ، فإنَّما تُستعملُ في خبرٍ يُؤتمنُ عليه المخبرُ، ولهذا لم يوجدْ قطُّ في القرآنِ وغيرِه لفظُ (آمَنَ له) إلا في هذا النوعِ، والاثنانِ إذا اشترَكا في معرفةِ الشيءِ، يقالُ: صدَّق أحدُهما صاحبَه، ولا يقالُ: آمَنَ لهُ، لأنه لم يكنْ غائبًا عنه ائتمَنَهُ عليه، ولهذا قال: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ﴾ [العنكبوت: ٢٦]، وقال:﴿أَنُؤۡمِنُ لِبَشَرَيۡنِ مِثۡلِنَا﴾ [المؤمنون: ٤٧]، وقال: ﴿ءَامَنتُمۡ لَهُۥ﴾ [طه:٧١]، وقال:﴿يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤۡمِنُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [التوبة: ٦١]، فيصدِّقُهم فيما أخبرُوا به مما غابَ عنه وهو مأمونٌ عندَه على ذلك.

فاللفظُ متضمِّنٌ معنى التصديقِ ومعنى الائتمانِ والأمانةِ، كما يدلُّ عليه الاستعمالُ والاشتقاقُ[١].

وقال ﷺ: «ومعلومٌ أنَّ الإيمانَ هو الإقرارُ، لا مجردُ التصديقِ، والإقرارُ ضمنُ قولِ القلبِ الذي هو التصديقُ، وعملُ القلبِ الذي هو

---

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٢٩٠-٢٩١).

الانقيادُ»(١).

وقال أيضًا: «فإنَّ اشتقاقَه من الأمنِ الذي هو القرارُ والطمأنينةُ، وذلك إنَّما يحصلُ إذا استقرَّ في القلبِ التصديقُ والانقيادُ»(٢).

قال الآجريُّ رحمه الله: «اعلمُوا -رحمَنا اللهُ تعالى وإياكم- أنَّ الذي عليه علماءُ المسلمينَ: أنَّ الإيمانَ واجبٌ على جميعِ الخلقِ، وهو تصديقٌ بالقلبِ، وإقرارٌ باللسانِ، وعملٌ بالجوارحِ.

ثم اعلمُوا: أنَّه لا تجزئُ المعرفةُ بالقلبِ والتصديقِ، إلا أنْ يكونَ معه الإيمانُ باللسانِ نطقًا، ولا تجزئُ معرفةٌ بالقلبِ ونطقٌ باللسانِ، حتى يكونَ عملُ الجوارحِ، فإذا كَمُلَتْ فيه هذه الخصالُ الثلاثةُ كان مؤمنًا»(٣).

---

(١) المصدر السابق (٧/٦٣٨).

(٢) الصارم المسلوم على شاتم الرسول ﷺ (ص٥١٩).

(٣) الشريعة (ص: ٩٦).

المبحثُ الأولُ: الإيمانُ قولٌ وعملٌ، يزيدُ وينقصُ:

قال أبو عثمان الصابونيُّ رحمه الله[(١)]: مذهبُ أهلِ الحديثِ: أنَّ الإيمانَ قولٌ وعملٌ ومعرفةٌ، يزيدُ بالطاعةِ، وينقصُ بالمعصيةِ[(٢)].

قال ابنُ القيمِ رحمه الله: حقيقةُ الإيمانِ مركبةٌ من قولٍ وعملٍ.

والقولُ قسمان: قولُ القلبِ وهو الاعتقادُ، وقولُ اللسانِ وهو التكلمُ بكلمةِ الإسلامِ.

والعملُ قسمان: عملُ القلبِ وهو نيَّتُه وإخلاصُه، وعملُ الجوارحِ.

فإذا زالت هذه الأربعةُ زالَ الإيمانُ بكمالِه، وإذا زالَ تصديقُ القلبِ لم تنفعْ بقيةُ الأجزاءِ، فإنَّ تصديقَ القلبِ شرطٌ في اعتقادِها وكونِها نافعةً.

وإذا زالَ عملُ القلبِ مع اعتقادِ الصدقِ، فهذا موضعُ المعركةِ بينَ المرجئةِ وأهلِ السُّنَّةِ. فأهلُ السُّنَّةِ مجمعون على زوالِ الإيمانِ وأنَّه لا ينفعُ التصديقُ مع انتفاءِ عملِ القلبِ وهو محبتُه وانقيادُه، كما لم ينفعْ إبليسَ وفرعونَ وقومَه واليهودَ والمشركين الذين كانوا يعتقدون صِدقَ الرسولِ بل ويقرُّون به سرًّا وجهرًا، ويقولون: ليس بكاذبٍ ولكنْ لا نتَّبعُه ولا نؤمنُ به.

---

(١) هو: الفقيه المحدث المفسّر الخطيب إسماعيل بن عبد الرّحمن بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن عامر بن عابد شيخ الإسلام أبو عثمان الصّابوني، كان مولده سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة، ومات سنة تسع وأربعين وأربعمائة
طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٤/ ٢٧١)، الأعلام للزركلي (١/ ٣١٧).

(٢) عقيدة السلف أصحاب الحديث (ص: ٢٦٤).

وإذا كان الإيمانُ يزولُ بزوالِ عملِ القلبِ، فغيرُ مستنكرٍ أنْ يزولَ بزوالِ أعظمِ أعمالِ الجوارحِ، ولا سيَّما إذا كان ملزومًا لعدمِ محبةِ القلبِ وانقيادِه الذي هو ملزومٌ لعدمِ التصديقِ الجازمِ كما تقدَّم تقريرُه، فإنَّه يلزمُ عدمَ طاعةِ القلبِ عدمُ طاعةِ الجوارحِ، إذ لو أطاعَ القلبُ وانقادَ أطاعت الجوارحُ وانقادتْ، ويلزمُ من عدمِ طاعتِه وانقيادِه عدمُ التصديقِ المستلزمُ للطاعةِ، وهو حقيقةُ الإيمانِ، فإنَّ الإيمانَ ليس مجردَ التصديقِ (كما تقدَّمَ بيانُه) وإنَّما هو التصديقُ المستلزمُ للطاعةِ والانقيادِ[1]. انتهى

فمن قال بلسانِه ولمْ يصدِّقْ قلبُه، فهو كافرٌ أو منافقٌ نفاقًا عَقَدِيًّا[2] يخرجُه من الملَّةِ.

قال جلَّ ذكرُه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾ [المائدة: ٤١].

وقال اللهُ تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة: ٨]. أي: يقولون ذلكَ قولاً ليس وراءَه شيءٌ آخرُ[3] كما قال تعالى: ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَكَـٰذِبُونَ ﴾

(١) الصلاة وحكم تاركها (ص٤٤).

(٢) النفاق نوعان: نفاق عقدي يخرج صاحبه من الملة، ونفاق عملي لا يخرج صاحبه من الملة، وسيأتي بيان ذلك قريبًا بإذن الله.

(٣) تفسير ابن كثير (١/ ٤٦).

[المنافقون: ١].

قال الشنقيطيُّ رحمه الله: (المنافقون) جمعُ منافقٍ وهو: من يُظهرُ الإيمانَ ويُسرُّ الكفرَ... وأصلُ الشهادةِ: أنْ يواطئَ اللسانُ القلبَ وهذا بالنطقِ وذلك بالاعتقادِ، فكذَّبهم اللهُ وفضحَهم بقولِه: ﴿وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ أي: لم تواطئْ قلوبُهم ألسنتَهم على تصديقِك[1].

قال القرطبيُّ رحمه الله: ومن عَرَفَ بقلبِه فحسب وتركَ قولَ اللسانِ وعملَ القلبِ وعملَ الجوارحِ بالكلِّيةِ فهو كافرٌ ككفرِ فرعونَ واليهودِ؛ لأنَّ فرعونَ كان على يقينٍ أنَّ ما جاءَ به موسى عليه السلامُ ليس سحرًا ومع ذلك لم يتبعْه فلم تنفعْه معرفةُ القلبِ، واليهودُ كانوا يعلمونَ صدقَ النبيِّ عليه السلامُ ولم يتَّبعُوه فلم تنفعْهم هذه المعرفةُ بل هي حجةٌ عليهم قال اللهُ تعالى في كفرِ فرعونَ وقومِه: ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗا ﴾ [النمل: ١٤].

أي: تيقَّنوا أنَّها من عندِ اللهِ وأنَّها ليست سحرًا، ولكنَّهم كفروا بها وتكبَّرُوا أنْ يؤمنُوا بموسى، وهذا يدلُّ على أنَّهم كانوا معاندين، و"ظلمًا وعلوًّا" منصوبان على نعتِ مصدرٍ محذوفٍ، أي: وجحدُوا بها جحُودًا ظلمًا وعلوًّا[2]. انتهى.

وقال سبحانَه في اليهودِ: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ ﴾ [البقرة: ٨٩].

---

(١) أضواء البيان (٨/١٨٨).

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٣/١٧٤).

وقال جلَّ ذكرُه: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٤٦].

قال ابنُ كثيرٍ رحمه الله: يخبرُ تعالى أنَّ علماءَ أهلِ الكتابِ[١] يعرفون صحةَ ما جاءَهم به الرسولُ عليه السلامُ كما يعرِفُ أحدُهم ولدَه، والعربُ كانت تضربُ في صحَّةِ الشيءِ بهذا[٢].

قال القرطبيُّ رحمه الله: «يعرفونه» في موضعِ الحالِ، أي: يعرفون نبوَّتَه وصدقَ رسالتِه، والضميرُ عائدٌ على محمدٍ عليه الصلاةُ والسلامُ ، قاله مجاهدٌ[٣] وقتادةُ وغيرُهما[٤].

عَنْ عُثْمَانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله عليه الصلاةُ والسلامُ : «**مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الله، دَخَلَ الْجَنَّةَ**»[٥].

وقال النوويُّ رحمه الله في معرضِ شرحِه للحديثِ: وفي قوله ﷺ : «**وهوَ يعلمُ**» إشارةٌ إلى الردِّ على من قال من غلاةِ المرجئةِ[٦]: إنَّ مُظْهِرَ الشهادتين

(١) أهل الكتاب هم اليهود والنصارى.
(٢) تفسير ابن كثير (١/ ١٨٢).
(٣) هو: مجاهد بن جبر، ويقال: ابن جبير، والأول أصح، المكي، أبو الحجاج القرشي المخزومي، تابعي إمام في التفسير، ثقة مات سنة مائة، وقيل: غير ذلك.
تهذيب الكمال (٢٧/ ٢٢٨)، سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٤٩).
(٤) الجامع لأحكام القرآن (٢/ ١٦٧).
(٥) أخرجه مسلم (٢٦) وغيره.
(٦) المرجئة من الفرق الضالة، وسيأتي الكلام عنها آخر هذا المبحث بإذن الله.

يدخلُ الجنةَ وإنْ لم يعتقدْ ذلك بقلبِه. وقد قُيِّدَ ذلك في حديثٍ آخرَ بقوله ﷺ «**غيرَ شاكٍ فيهما**» وهذا يؤكدُ ما قلنا.

قال القاضي رحمه الله: وقد يحتجُّ من يرَى أنَّ مجردَ معرفةِ القلبِ نافعةٌ دونَ النطقِ بالشهادتين لاقتصارِه على العلمِ.

ومذهبُ أهلِ السُّنَّةِ: أنَّ المعرفةَ مرتبطةٌ بالشهادتين لا تنفعُ إحداهما ولا تنْجِي من النارِ دونَ الأخرَى[١].

قال البربهاريُّ[٢] رحمه الله: والإيمانُ بأنَّ الإيمانَ قولٌ وعملٌ، وعملٌ وقولٌ ونيَّةٌ وإصابةٌ، يزيدُ وينقصُ، يزيدُ ما شاءَ اللهُ، وينقصُ حتى لا يبقَى منه شيءٌ[٣].

ونذكرُ هاهنا الأدلةَ من الكتابَ والسُّنَّةِ على أنَّ الإيمانَ قولٌ وعملٌ يزيدُ بالطاعةِ وينقصُ بالمعصيةِ.

أولًا: الدليلُ على أنّ الإيمانَ قولٌ:

اعلمْ أنَّ القولَ يشملُ قولَ اللسانَ وقولَ القلبِ، لا يصحُّ أحدُهما

---

(١) شرح مسلم للنووي (١/٢٥٧).

(٢) هو الحسن بن علي بن خلف أبو محمد البربهاري، شيخ الحنابلة في وقته، كان قوالا بالحق، داعية إلى الأثر، لا يخاف في الله لومة لائم، وكان له صيت عند السلطان وقدم عند الأصحاب وكان أحد الأئمة العارفين والحفاظ للأصول المتقين والثقات المؤمنين، مصنفات منها: شرح كتاب السنة. وتوفي مستترا في رجب سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة.
طبقات الحنابلة (٢/١٨)، سير أعلام النبلاء (١٥/ ٩٠).

(٣) شرح السنة (ص: ٥٢).

بغيرِ الآخرِ كما سبقَ بيانُه.

١ـ دليلُ قولِ اللسانِ:

قال اللهُ تعالى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٦].

وقال جلَّ ثناؤُه: ﴿ قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٨٤].

وقال جلَّ ذكرُه: ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات:١٤].

عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللهِ الثَّقَفِيِّ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ - وَفِي حَدِيثِ أَبِي أُسَامَةَ: غَيْرَكَ - قَالَ: «**قُلْ: آمَنْتُ بِاللهِ، فَاسْتَقِمْ**»(١).

عَنْ أَبِي جَمْرَةَ، قَالَ: كُنْتُ أُتَرْجِمُ بَيْنَ ابْنِ عَبَّاسٍ وَبَيْنَ النَّاسِ، فَقَالَ: إِنَّ وَفْدَ عَبْدِ القَيْسِ أَتَوُا النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «**مَنِ الوَفْدُ أَوْ مَنِ القَوْمُ؟**» قَالُوا:

(١) أخرجه مسلم (٦٢-٣٨) وغيره.

رَبِيعَةُ فَقَالَ: «**مَرْحَبًا بِالقَوْمِ أَوْ بِالوَفْدِ، غَيْرَ خَزَايَا وَلاَ نَدَامَى**» قَالُوا: إِنَّا نَأْتِيكَ مِنْ شُقَّةٍ بَعِيدَةٍ، وَبَيْنَنَا وَبَيْنَكَ هَذَا الحَيُّ مِنْ كُفَّارِ مُضَرَ، وَلاَ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَأْتِيَكَ إِلَّا فِي شَهْرٍ حَرَامٍ، فَمُرْنَا بِأَمْرٍ نُخْبِرُ بِهِ مَنْ وَرَاءَنَا، نَدْخُلُ بِهِ الجَنَّةَ. فَأَمَرَهُمْ بِأَرْبَعٍ وَنَهَاهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ: أَمَرَهُمْ بِالإِيمَانِ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَحْدَهُ، قَالَ: «**هَلْ تَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ بِاللَّهِ وَحْدَهُ؟**» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامُ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَتُعْطُوا الخُمُسَ مِنَ المَغْنَمِ**» وَنَهَاهُمْ عَنِ الدُّبَّاءِ وَالحَنْتَمِ وَالمُزَفَّتِ. قَالَ شُعْبَةُ: رُبَّمَا قَالَ: «**النَّقِيرِ**» وَرُبَّمَا قَالَ: «**المُقَيَّرِ**» قَالَ: «**احْفَظُوهُ وَأَخْبِرُوهُ مَنْ وَرَاءَكُمْ**»(١)(٢).

فعدَّ النبيُّ ﷺ النطقَ بشهادةِ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ – وهو قولٌ – إيمانًا، فدلَّ ذلك على أنَّ قولَ اللسانِ داخلٌ في مسمَّى الإيمانِ.

وقال النبيُّ ﷺ في حديثِ شعبِ الإيمانِ: «**الإيمانُ بِضْعٌ وَسبعونَ أَو بِضْعٌ وستُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضلُها قولُ لا إلهَ إلا اللهُ، وأَدْناها إماطَةُ الأذى عنِ الطريقِ. والحياءُ شعبةٌ مِنَ الإيمانِ**»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٥٣، ٨٧، ٥٢٣، ١٣٩٨، ٣٠٩٥، ٣٥١٠)، ومسلم (٢٣-١٧).

(٢) فائدة: الإشكال في كونه ﷺ قال "آمركم بأربع" والمذكور في أكثر الروايات خمس، واختلف العلماء في الجواب عن هذا على أقوال أظهرها: ما قاله ابن بطال – رحمه الله – في شرح صحيح البخاري، قال: أمرهم بالأربع التي وعدهم بها ثم زادهم خامسة، يعني: أداء الخمس، لأنهم كانوا مجاورين لكفار مضر فكانوا أهل جهاد وغنائم وذكر الشيخ أبو عمر بن الصلاح نحو هذا – مسلم بشرح النووي (١/٢١٩) وفتح الباري (١/١٦١).

(٣) أخرجه البخاري (٩) باختصار ومسلم (٥٨-٣٥) واللفظ لمسلم.

أعْلَى شُعَبِ الإيمانِ قولُ لا إلهَ إلا اللهُ كما جاءَ في الحديثِ. فدلَّ ذلك على أنَّ قولَ اللسانِ داخلٌ في مسمَّى الإيمانِ.

٢ـ دليلُ قولِ القلبِ:

«فأمَّا قولُ القلبِ: فهوالتصديقُ الجازمُ باللهِ وملائكتِه وكتبِه ورسلِه واليومِ الآخرِ، ويدخلُ فيه الإيمانُ بكلِّ ما جاءَ به رسولُ اللهِ ﷺ.

ثمَّ الناسُ في هذا على أقسامٍ: منهم من صدَّقَ به جملةً ولم يعرف التفصيلَ، ومنهم من صدَّقَ جملةً وتفصيلاً»[١]. انتهى.

الدليلُ على ذلك:

قال اللهُ تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴾ [الحجرات: ١٥].

وقال جلَّ ثناؤُه: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾ [المائدة: ٤١].

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَـٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات:١٤].

وقال سبحانَه وتعالى: ﴿كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**مَا مِن أَحدٍ يَشهدُ أنَّ لا إلهَ إلا اللهُ وأنّ محمدًا رسولُ اللهِ صِدْقًا من قلبِهِ إلا حرَّمه اللهُ على النارِ**»[٢].

---

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٦٧١).

(٢) أخرجه البخاري (١٢٨) ومسلم (٣٢) واللفظ للبخاري.

وفي روايةٍ: «أشهدُ أنّ لا إلهَ إلا اللهُ وأنّي رسولُ اللهِ، لا يَلقَى اللهَ بِهما عبدٌ غيرُ شاكٍّ فيهما إلا دخلَ الجنةَ»(١).

قال أبو العباسِ رحمه الله: ومعنى صدقِ القلبِ: تصديقُه الجازمُ بحيثُ لا يخطرُ له نقيضُ ما صدَّقَ به(٢).

عَنْ أَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ، وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ ...»(٣).

ثانيًا: دليلُ أنّ الإيمانَ عملٌ:

والعملُ يشملُ عملَ القلبِ وعملَ الجوارحِ:

١- دليلُ عملِ القلبِ:

أعمالُ القلوبِ كثيرةٌ جدًّا، أعظمُها حبُّ اللهِ وتعظيمُه وحبُّ الرسولِ ﷺ وتوقيرُه، ومنها خشيةُ اللهِ والإنابةُ إليه والإخلاصُ له والتوكلُ عليه إلى غيرِ ذلك، وقد جاءتْ أعمالُ القلوبِ في القرآنِ والسُّنَّةِ مجملةً ومفصلةً.

أمَّا على وجهِ الإجمالِ، فقال اللهُ تعالى: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ ﴾ [البقرة: ١٧٧]. وكلُّ ما

---

(١) أخرجه مسلم (٤٤ – ٢٧).

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (١/٢٠٨).

(٣) أخرجه أحمد (٤/٤٢٠، ٤٢٤)، وأبو داود (٤٨٨٠)، وأبو يعلى (٧٤٢٣)، والبيهقي في الكبرى (١٠/٢٤٧)، وفي "الشعب" (٦٧٥٤)،وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٩٨٤).

ذكرَ في الآيةِ من أعمالِ القلوبِ إجمالاً.

وقال جلَّ ذكرُه: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠].

وقال سبحانَه: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الحديد: ١٦].

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضيَ اللهُ عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ**»(١).

فدلَّ الحديثُ على أنَّ إنكارَ المنكرِ بالقلبِ من أعمالِ القلوبِ.

وعن ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ، وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ، ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ، وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ**» (٢).

وقال رسولُ اللهِ ﷺ في حديثِ جبريلَ عليه السلامُ لَمَّا قال له: فأخبرْني عن الإيمانِ. قال: «**أنْ تؤمِنَ باللهِ وملائكتِهِ وكُتُبِهِ ورُسلِهِ واليومِ**

---

(١) أخرجه مسلم (٤٩).

(٢) أخرجه مسلم (٥٠).

الآخرِ وتؤمنَ بالقَدَرِ خيرِه وشرِّه»(١).

٢- دليلُ عملِ الجوارحِ:

الأدلَّةُ من الكتابِ والسُّنَّةِ وإجماعِ الأمةِ على أنَّ عملَ الجوارحِ من الإيمانِ كثيرةٌ جدًّا، نذكرُ منها:

قولَ اللهِ تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الزخرف: ٧٢]. وقال سبحانَه: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢].

وقولَه جلَّ ذكرُه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ۝٣٠ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾ [الكهف: ٣٠-٣١].

وقولَه تعالى: ﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ۝٧٥ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [طه: ٧٥-٧٦].

وقولَه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٧].

وقولَه تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ

(١) أخرجه مسلم (٨) والترمذي (٢٦١٠).

يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الأنفال: ٢-٣].

وقولَه سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً﴾ [يونس: ٩].

وقولَه تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ۝٥٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ [مريم: ٥٩-٦٠].

قال الآجريُّ[(١)] رحمه الله: «اعلمُوا – رحِمَنا اللهُ وإياكم – يا أهلَ القرآنِ، ويا أهلَ العلمِ، ويا أهلَ السُّنَنِ والآثارِ، ويا معشرَ من فقَّههم اللهُ تعالى في الدينِ، بعلمِ الحلالِ والحرامِ، إنَّكم إنْ تدبَّرتم القرآنَ كما أمرَكم اللهُ تعالى علِمتم أنَّ اللهَ تعالى أوجبَ على المؤمنين بعدَ إيمانِهم به وبرسولِه: العملَ، وأنَّه تعالى لم يُثْنِ على المؤمنين بأنَّه قد رضيَ عنهم وأنَّهم قد رضُوا عنه وأثابَهم على ذلك الدخولَ إلى الجنَّةِ والنجاةَ من النارِ إلا بالإيمانِ والعملِ الصالحِ، وقَرَنَ مع الإيمانِ العملَ الصالحَ، لم يدخلْهم الجنَّةَ بالإيمانِ وحدَه، حتى ضمَّ إليه العملَ الصالحَ الذي قد وفَّقهم له، فصارَ الإيمانُ لا يتمُّ لأحدٍ حتى يكونَ مصدقًا بقلبِه، وناطقًا بلسانِه، وعاملاً بجوارحِه لا يخفَى، ومن تدبرَ القرآنَ وتصفحَه وجدَه كما ذكرتُ.

(١) هو: محمد بن الحسين بن عبد الله أبو بكر الآجري وكان ثقة صدوقا دينا، عالمًا عاملاً صاحب سنة واتباع، وله تصانيف كثيرة. وحدث ببغداد قبل سنة ثلاثين وثلاثمائة، ثم انتقل إلى مكة فسكنها حتى توفي بها في المحرم سنة ستين وثلاثمائة.
تاريخ بغداد (٣/٣٥)، تذكرة الحفاظ (٣/٩٩).

واعلمُوا - رحِمَنا اللهُ تعالى وإياكم - أنِّي قد تصفحتُ القرآنَ فوجدتُ فيه ما ذكرتُه في ستةٍ وخمسين موضعًا من كتابِ اللهِ عزَّ وجلَّ. أنَّ اللهَ تباركَ وتعالى لم يُدخل المؤمنينَ الجَنَّةَ بالإيمانِ وحدَه، بل أدخلَهم الجنَّةَ برحمتِه إياهم وبمَا وفَّقهم له من الإيمانِ به والعملِ الصالحِ، وهذا ردٌّ على من قال: الإيمانُ المعرفةُ، وردٌّ على من قال: المعرفةُ والقولُ وإنْ لم يعملْ(١)، نعوذُ باللهِ من قائلِ هذا ... ثم ذكرَ جملةً من الآياتِ التي تدلُّ على أنَّ الجوارحَ من الإيمانِ(٢).

وقد دلّتْ السّنّةَ على أنّ الإيمانَ عملٌ:

قالَ رسولُ الله ﷺ: «**الطُّهورُ شَطْرُ الإيمانِ**»(٣).

وقد أخرجَ البخاريُّ(٤) ومسلمٌ(٥) في صحيحَيهما من حديثِ البراءِ

---

(١) يشير إلى عقيدة المرجئة وهي من الفرق الضالة وسيأتي الكلام عليها في موضعه بإذن الله.

(٢) الشريعة (ص: ٩٨).

(٣) أخرجه مسلم (٢٢٣) والترمذي (٣٥١٧) وأحمد (٥/ ٣٤٢) وغيرهم، من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه.

(٤) هو: الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه الجعفي، الحافظ المحدث الفقيه شيخ الإسلام، وإمام الحفاظ صاحب "الصحيح" والتصانيف، ولد في شوال سنة ١٩٤هـ، وكان رأسًا في الذكاء والعلم والورع والعبادة، قال ابن خزيمة: ما تحت أديم السماء أعلم بالحديث من البخاري، مات سنة ٢٥٦هـ.. تذكرة الحفاظ (٢/ ٢٥٥)، وتاريخ دمشق (٥٢/ ٥٠).

(٥) هو: الإمام مسلم بن الحجاج بن مسلم أبو الحسين القشيري النيسابوري، أحد الأئمة من حفاظ الأثر، وهو صاحب "الصحيح" يقال: ولد سنة ٢٠٤ هـ ومات في رجب سنة ٢٦١.

=

بنِ عازبٍ؛ أنّ رسولَ اللهِ ﷺ صَلَّى إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا، وَكَانَ يُعْجِبُهُ أَنْ تَكُونَ قِبْلَتُهُ قِبَلَ الْبَيْتِ، وَإِنَّهُ صَلَّى - أَوْ صَلاَّهَا - صَلاَةَ الْعَصْرِ، وَصَلَّى مَعَهُ قَوْمٌ ، فَخَرَجَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ صَلَّى مَعَهُ، فَمَرَّ عَلَى أَهْلِ الْمَسْجِدِ وَهُمْ رَاكِعُونَ. قَالَ: أَشْهَدُ بِاللَّهِ لَقَدْ صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ قِبَلَ مَكَّةَ، فَدَارُوا كَمَا هُمْ قِبَلَ الْبَيْتِ، وَكَانَ الَّذِي مَاتَ عَلَى الْقِبْلَةِ قَبْلَ أَنْ تُحَوَّلَ قِبَلَ الْبَيْتِ رِجَالٌ قُتِلُوا لَمْ نَدْرِ مَا نَقُولُ فِيهِمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[(١)].

قال القرطبيُّ رحمه الله: قولُه: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ﴾ اتَّفقَ العلماءُ على أنَّها نزلتْ فيمن ماتَ وهو يصلِّي إلى بيتِ المقدسِ، كما ثبتَ في البخاريِّ من حديثِ البراءِ... ورَوى ابنُ وهبٍ وابنُ القاسمِ وابنُ عبدِ الحكمِ عن أشهبَ عن مالكٍ: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ﴾. قال: صلاتَكم[(٢)].

قال البيهقيُّ رحمه الله: بعدَ أنْ ساقَ حديثَ البراءِ المتقدمَ، وفي هذا دلالةٌ على أنَّه سمَّى صلاتَهم إلى بيتِ المقدسِ إيمانًا، وإذا ثبتَ ذلك في الصلاةِ ثبتَ ذلك في سائرِ الطاعاتِ، وقد سمَّى رسولُ اللهِ ﷺ الطهورَ إيمانًا، فقالَ في حديثِ أبي مالكٍ الأشعريِّ: «**الطُّهورُ شَطْرُ الإيمانِ**»[(٣)(٤)]. انتهى.

= ـــــــــــــــــــــــــــ

تذكرة الحفاظ (٤/٥٥٨-٥٩٠)، وتاريخ دمشق لابن عساكر (٥٨/٨٥).

(١) أخرجه البخاري (٤٤٨٦) ومسلم (٥٢٥).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٢/١٦٢).

(٣) صحيح: تقدم تخريجه.

(٤) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد (ص: ١٩٤).

وفي الصحيحَين عن ابنِ عباسٍ؛ أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ لوَفدِ عبدِ القَيْسِ: «آمُرُكُمْ بِأَرْبَعٍ، وَأَنْهَاكُمْ عَنْ أَرْبَعٍ: الْإِيمَانِ بِاللهِ»، ثُمَّ فَسَّرَهَا لَهُمْ، فَقَالَ: «شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَأَنْ تُؤَدُّوا خُمُسَ مَا غَنِمْتُمْ، وَأَنْهَاكُمْ عَنِ: الدُّبَّاءِ، وَالْحَنْتَمِ، وَالنَّقِيرِ، وَالْمُقَيَّرِ» زَادَ خَلَفٌ فِي رِوَايَتِهِ: «شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»[(١)]، وَعَقَدَ وَاحِدَةً.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ «الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ»[(٢)].

ثالثًا: دليلُ أنّ الإيمانَ يزيدُ وينقصُ:

قدَّمْنا الأدلةَ من الكتابِ والسُّنَّةِ على أنَّ الإيمانَ قولٌ وعملٌ على ما ذكرنَا من تفصيلٍ، ونذكرُ هاهنا الأدلةَ من الكتابِ والسُّنَّةِ على أنَّ الإيمانَ يزيدُ بالطاعةِ وينقصُ بالمعصيةِ، والتقصيرِ في فعلِ الطاعاتِ.

قال اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال: ٢].

وقال سبحانَه وتعالى: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـٰذِهِۦٓ إِيمَـٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٤].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥) واللفظ للبخاري.

وقال جلَّ وعلا: ﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ﴾ [مريم: ٧٦].

وقال سبحانه: ﴿ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَـٰنًا ﴾ [المدثر: ٣١]، وقال تعالى: ﴿ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ ﴾ [الفتح: ٤]

وقال: ﴿ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا ﴾ [آل عمران: ١٧٣]، وغيرُ ذلك من الآياتِ الدالةِ على زيادةِ الإيمانِ.

عَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ فِتْيَانٌ حَزَاوِرَةٌ، فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ، فَازْدَدْنَا بِهِ إِيمَانًا[١].

وعن حَنْظلةَ الأُسَيْديِّ (وكان من كُتَّاب رسول الله ﷺ) قال: لقِيَني أبو بكرٍ فقالَ: كيفَ أنتَ يا حنظلةُ؟ قالَ: قلتُ: نافقَ حنظلةُ. قال: سبحانَ اللهِ! ما تقولُ؟ قالَ: قلتُ: نكونُ عندَ رسولِ اللهِ ﷺ يُذَكِّرُنا بالنارِ والجنَّةِ حتَّى كأنَّا رَأْيُ عَينٍ، فإذا خَرَجْنا مِن عندَ رسولِ اللهِ ﷺ، عافَسْنا[٢] الأزواجَ والأولادَ والضَيْعاتِ[٣] فنسِينا كثيرًا، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَوَاللهِ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ، حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَمَا ذَاكَ؟**» قُلْتُ: يَا رَسُولَ

---

(١) صحيح سنن ابن ماجه (٦١)، والخلال في السنة (٧٩٩، ١٥٩٣)، وابن بطة في الإبانة (١١٣٦)، والبيهقي في الشعب (٥١)، واللالكائي (٥/١٧).

(٢) عافسنا: عالجنا وحاولنا، وفي الصحاح: المعافسة: المعالجة، يعني أنهم إذا خرجوا من عند رسول الله ﷺ اشتغلوا بهذه الأمور، وتركوا تلك الحالة الشريفة التي كانوا يجدونها عند سماع موعظة رسول الله ﷺ ومشاهدته – المفهم (٧/٦٧).

(٣) ضيعةّ الرجل: حرفته وصناعته ومعاشه وكسبه –لسان العرب (٥/٥٤٨) مادة (ضيع).

اللهِ نَكُونُ عِنْدَكَ، تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ، عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، نَسِينَا كَثِيرًا فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**والّذي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنْ لَوْ تَدومونَ على ما تكونونَ عِنْدي وفي الذِّكْرِ لَصَافَحَتْكُمْ الملائِكَةُ عَلَى فُرِشِكُم وَفِي طُرُقِكُمْ ولَكِنْ يا حَنْظَلَةُ ساعةً وساعةً**»(١) ثلاث مرات.

وعَنْ أَبِي سَعِيدِ الخُدْرِيِّ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قالَ: «**مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ**»، قُلْنَ: وَمَا نُقْصَانُ دِينِنَا وَعَقْلِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «**أَلَيْسَ شَهَادَةُ المَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ**» قُلْنَ: بَلَى، قَالَ: «**فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا، أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ**» قُلْنَ: بَلَى، قَالَ: «**فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا**»(٢).

وَعَن أَبِي هُرَيرةَ؛ أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: «**لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهْوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهْوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهْوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَنْتَهِبُ نُهْبَةً يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهْوَ مُؤْمِنٌ**»(٣).

قال محمدُ بنُ عليٍّ رحمه الله(٤): هذا الإسلامُ ودوَّرَ دائرةً في وسطِها أخرَى

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٥٠).

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٤) ومسلم (٨٠).

(٣) أخرجه البخاري (٢٤٧٥) ومسلم (٥٧).

(٤) هو: محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي المدني، أبو جعفر الباقر، وأمه أم عبد الله بنت الحسن بن علي بن أبي طالب، من فقهاء التابعين من أهل المدينة. ولد: سنة ست وخمسين، في حياة عائشة وأبي هريرة. وكان أحد من جمع بين =

وهذا الإيمانُ – الذي في وسطِها – مقصورٌ في الإسلامِ، يقولُ رسولُ اللهِ ﷺ: « **لاَ يَزْنِى الزَّانِي حِينَ يَزْنِى وَهْوَ مُؤْمِنٌ...**» وساقَ الحديثَ كما تقدمَ، قال: يخرجُ من الإيمانِ إلى الإسلامِ ولا يخرجُ من الإسلامِ، فإذا تابَ تابَ اللهُ عليه ويرجعُ إلى الإيمانِ[1].

قال ابنُ بطَّةَ رحمه الله: وهذا القولُ من أبي جعفرٍ محمدِ بنِ عليٍّ – رضيَ اللهُ عنه – من أوضحِ الدلائلِ وأفصحِها على زيادةِ الإيمانِ ونقصانِه، وذلك أنَّ الإيمانَ يزيدُ بالطاعاتِ فيحصنُه الإيمانُ، وينقصُ بالمعاصي فيحرِقُ الإيمانَ ويكونُ غيرَ خارجٍ من الإسلامِ[2]، وذلك أن الإسلامَ لا يجوزُ أنْ يقالَ فيه يزيدُ وينقصُ[3].

قال الآجريُّ رحمه الله: قد رُويَ عن جماعةٍ ممن تقدموا أنَّهم قالوا: إذا زَنَى نُزِعَ منه الإيمانُ، فإن تابَ ردَّه اللهُ إليه. كلُّ ذلك دليلٌ على أنَّ الإيمانَ يزيدُ وينقصُ[4].

= العلم والعمل، وهو أحد الأئمة الاثني عشر الذين تبجلهم الشيعة الإمامية، وتقول بعصمتهم. وكان لا يقول في الشيخين إلا خيرا. وكان إماما مجتهدا. مات سنة أربع عشرة ومائة بالمدينة.

تذكرة الحفاظ (١/٩٣)، سير أعلام النبلاء (٤/٤٠١).

(١) الإبانة لابن بطة (١/٤١١).

(٢) وستأتي الأدلة على أن مرتكبي الكبائر – ما لم يستحلها، لا يخرج من الملة ولا يخلد في النار.

(٣) الإبانة عن شريعة الفرق الناجية ومجانبة الفرق المذمومة (١/٤١١).

(٤) الشريعة (ص: ٩٠).

قال عبدُ اللهِ بنُ أحمدَ بنِ حنبلٍ رحمه الله(١): سمعتُ أبي رحمَه اللهُ: وسُئلَ عن الإرجاءِ؟ فقال: نحنُ نقولُ: الإيمانُ قولٌ وعملٌ يزيدُ بالطاعةِ وينقصُ بالمعصيةِ، إذا زنَى وشربَ الخمرَ نقصَ إيمانُه(٢).

قال شيخُ الإسلامِ رحمه الله: وقد حكَى غيرُ واحدٍ إجماعَ أهلَ السُّنَّةِ والحديثِ على أنَّ الإيمانَ قولٌ وعملٌ(٣).

قال ابنُ عبدِ البرِّ رحمه الله: أجمعَ أهلُ الفقهِ والحديثِ على أنَّ الإيمانَ قولٌ وعملٌ، ولا عملَ إلا بنيةٍ، والإيمانُ عندَهم يزيدُ بالطاعةِ وينقصُ بالمعصيةِ، والطاعاتُ كلُّها عندَهم إيمانٌ إلَّا ما ذكرَ عن أبي حنيفةَ وأصحابِه، فإنَّهم ذهبُوا إلى أنَّ الطاعةَ لا تُسمَّى إيمانًا، قالوا: إنَّما الإيمانُ التصديقُ والإقرارُ، ومنهم من زادَ المعرفةَ وذكرَ ما احتجُّوا به... إلى أنْ قال: وأمَّا سائرُ الفقهاءِ من أهلِ الرأيِ والآثارِ بالحجازِ والعراقِ والشامِ ومصرَ، منهم مالكُ بنُ أنسٍ، والليثُ بنُ سعدٍ(٤)،

---

(١) هو: الإمام، الحافظ، الناقد، محدث بغداد أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد أبو عبد الرحمن الشيباني. سمع أباه، ويحيى بن معين، وغيرهما، ولم يكن في الدنيا أحد أروى عن أبيه منه، سمع المسند وهو ثلاثون ألفا، والتفسير وهو مائة ألف وعشرون ألفا، وغير ذلك من التصانيف.

شهدوا له بمعرفة الرجال، وعلل الحديث، والأسماء والكنى. ولد سنة ثلاث عشرة ومائتين ومات سنة تسعين ومائتين.

تاريخ بغداد (١١/ ١٢)، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٥٢٠).

(٢) السنة (ص: ٢٦٤) حديث رقم (٥٨٥).

(٣) مجموع الفتاوى (٧/ ٣٢٩).

(٤) هو: الإمام الليث بن سعد بن عبد الرحمن أبو الحارث فقيه أهل مصر يقال: أنه مولى خالد بن ثابت بن ظاعن الفهمي، الحافظ، شيخ الإسلام ولد في شعبان سنة أربع =

وسفيانُ الثوريُّ[(١)]، والأوزاعيُّ[(٢)]، والشافعيُّ، وأحمدُ بنُ حنبلٍ، وإسحاقُ بنُ راهويهِ[(٣)]، وأبو عبيدٍ القاسمُ بنُ سلامٍ[(٤)]، وداودُ بنُ

= وتسعين، ومات يوم الجمعة ليلة النصف من شعبان سنة خمس وسبعين ومائة.
سير أعلام النبلاء (٨/١٣٦)، وتهذيب الكمال (٢٤/٢٥٥).

(١) هو سفيان بن سعيد بن مسروق إمام الحفاظ، أبو عبد الله الثوري، الكوفي، المجتهد، مصنف، كتاب "الجامع" سيد العلماء العاملين في زمانه ولد سنة سبع وتسعين اتفاقًا، قال الذهبي: والصحيح: موته في شعبان سنة إحدى وستين ومائة.
راجع: "سير أعلام النبلاء" (٧/٢٢٩)، و"الجرح والتعديل" (١/٥٥-١٢٦)، و"تاريخ بغداد" (٩/١٥١-١٧٤)، و"شذرات الذهب" (١/٢٥٠-٢٥١).

(٢) هو: الإمام عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد أبو عمرو الأوزاعي، شيخ الإسلام وعالم أهل الشام، ولد سنة ثمان وثمانين بحياة الصحابة، وقيل: سنة ثمانين، أحد أئمة الدنيا فقهًا، وعلمًا، وورعًا، وحفظًا، مع زهادة فيه وكان خيرًا، وفاضلاً، مأمونًا، كثير العلم و الحديث والفقه، حجة، توفي سنة سبع وخمسين ومائة.
سير أعلام النبلاء (٧/١٠٧)، وشذرات الذهب (١/٢٣٤).

(٣) هو: الإمام الحافظ إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم بن عبد الله بن مطر بن عبيد الله بن غالب بن وارث بن عبيد الله بن عطية بن مرة بن كعب بن همام بن أسد ابن مرة بن عمرو بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم التميمي ثم الحنظلي، المروزي نزيل نيسابور، إسحاق بن راهويه أبو يعقوب الإمام الكبير، سيد الحفاظ، ولد سنة إحدى وستين ومائة وكان علمًا من أعلام الدين، اجتمع له الحديث والفقه والحفظ والصدق والورع والزهد، مات سنة ثمان وثلاثين ومائتين.
سير أعلام النبلاء (١١/٣٥٨)، وتهذيب الكمال (٢/٣٧٣).

(٤) هو: الإمام الفقيه القاضي الحافظ المجتهد، صاحب التصانيف: القاسم بن سلام البغدادي اللغوي، ولد سنة **١٥٧هـ** وكان أبوه عبدًا روميًّا لبعض أهل هراة. قال ابن حبان: «كان أحد أئمة الدنيا، صاحب حديث، وفقه، ودين، وورع، جمع وصنف، واختار». له من المصنفات الكثير منها: «غريب الحديث»، و«الأمثال» مات بمكة سنة **٢٢٤هـ** على أصح الأقوال، وكان عمره يوم وفاته **٧٣هـ**.
تهذيب التهذيب (٨/ ٣١٥)، و سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٩٠).

عليٍّ[(١)] والطبريُّ، ومن سلكَ سبيلَهم.

فقالوا: الإيمانُ قولٌ وعملٌ، قولُ اللسانِ وهو الإقرارُ واعتقادُ القلبِ وعملُ الجوارحِ مع الإخلاصِ بالنيَّةِ الصادقةِ.

قالوا: وكلُّ ما يطاعُ اللهُ – عزَّ وجلَّ – به من فريضةٍ ونافلةٍ فهو من الإيمانِ، والإيمانُ يزيدُ بالطاعاتِ وينقصُ بالمعاصِي، وأهلُ الذنوبِ عندَهم مؤمنون غيرُ مستكملي الإيمانِ من أجلِ ذنوبِهم، وإنَّما صاروا ناقِصِي الإيمانِ بارتكابِهم الكبائرَ، ألا ترى قولَ النبيِّ ﷺ: «**لاَ يَزْنِى الزَّانِي حِينَ يَزْنِى وَهْوَ مُؤْمِنٌ**»[(٢)] الحديث، يريدُ مستكملَ الإيمانِ ولم يردْ به نفيَ جميعِ الإيمانِ عن فاعلِ ذلك؟[(٣)].

الخلاصةُ:

أنَّ الإيمانَ قولٌ وعملٌ، يزيدُ بالطاعةِ وينقصُ بالمعصيةِ، وأنَّ الأعمالَ من الإيمانِ، وهذا إجماعٌ من الصحابةِ والتابعينَ لهم بإحسانٍ.

قال ابنُ رجبٍ رحمه الله: والمشهورُ عن السلفِ وأهلِ الحديثِ، أنَّ

---

(١) هو: داود بن عليّ بن خلف أبو سليمان الفقيه الظاهري أصبهاني الأصل. إمام أصحاب الظاهر، وكان ورعا ناسكا زاهدا، مولده سنة اثنتين ومائتين، وأخذ العلم عن إسحاق وأبي ثور، وكان زاهدا متقللا، كان من المتعصبين للشافعي، صنف مناقبه، وإليه انتهت رياسة العلم ببغداد، أراد الدخول على الإمام أحمد فمنعه وقال: كتب إلي محمد بن يحيى الذهلي في أمره، وأنه زعم أن القرآن محدث، فلا يقربني.
تاريخ بغداد (٩/٣٤٢)، ميزان الاعتدال (٢/١٥).

(٢) متفق عليه: تقدم تخريجه.

(٣) مجموع الفتاوى (٧/٣٢٩) لابن تيمية.

الإيمانَ: قولٌ وعملٌ ونيةٌ، وأنَّ الأعمالَ كلَّها داخلةٌ في مسمَّى الإيمانِ.

وحكَى الشافعيُّ على ذلك إجماعَ الصحابةِ والتابعينَ ومن بعدَهم ممن أدركَهم ، وأنكرَ السلفُ على من أخرجَ الأعمالَ عن الإيمانِ إنكارًا شديدًا، وممَّن أنكرَ ذلك على قائلِه، وجعلَه قولاً مُحدَثًا : سعيدُ بنُ جبيرٍ(١)، وميمونُ بنُ مهرانَ(٢)، وقتادةُ، وأيوبُ السختيانيُّ(٣)، وإبراهيمُ النخعيُّ (٤) والزهريُّ(٥)

---

(١) هو: سعيد بن جبير بن هشام الأسدي الوالبي، مولاهم، أبو محمد ويقال: أبو عبدالله الكوفي، ثقة، إمام، كان فقيهًا مفسرًا، عابدًا، فاضلاً ورعًا، قتله الحجاج سنة ٩٥هـ، وقيل: كان ذلك في آخر سنة ٩٤هـ.
تهذيب الكمال (١٠/٣٥٨)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٣٢١).

(٢) هو: ميمون بن مهران الجزري، أبو أيوب، أصله كوفي نزل الرقة، ثقة فقيه، ولي الجزيرة لعمر بن عبد العزيز، مات سنة سبع عشرة ومائة.
سير أعلام النبلاء (٥/ ٧١)، الجرح والتعديل (٨/٢٣٣).

(٣) هو الإمام الحافظ: أيوب بن أبي تميمة: كيسان السختيانى، أبو بكر البصري ، مولى عنزة ، ويقال مولى جهينة. ثقة ثبت حجة من كبار الفقهاء العباد، ولد سنة ست وستين . ومات سنة إحدى وثلاثين ومائة .
تهذيب الكمال (٣/٤٥٧)، سير أعلام النبلاء (٦/١٥)

(٤) هو: الإمام إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود بن عمرو بن ربيعة بن ذهل بن سعد بن مالك بن النخع النخعي، اليماني، ثم الكوفي، أحد الأعلام، أبو عمران وقيل ولد سنة خمسين وقيل: سنة ثمان وثلاثين ومات سنة ٩٥هـ، أو سنة ٩٦هـ.
سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٢٠)، وتهذيب الكمال (٢/٢٣٣).

(٥) هو: الإمام الحافظ محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب، أبو بكر القرشي الزهري المدني، نزيل الشام، ولد سنة ٥٠ هـ. وقيل: سنة ٥١ هـ، وقيل: غير ذلك، وتوفي سنة ١٢٣ وهو ابن اثنتين وسبعين سنة.
=

ويحيى بنُ أبي كثيرٍ[(١)] وغيرُهم.

قال الثوريُّ رحمه الله: هو رأيٌ محدثٌ، أدركنا الناسَ على غيرِه.

وقال الأوزاعيُّ رحمه الله: كان منْ مضَى من السَّلفِ لا يفرقونَ بينَ الإيمانِ والأعمالِ[(٢)].

وكتبَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ رحمه الله[(٣)]: إلى عَديِّ بنِ عديٍّ: إنَّ للإيمانِ فرائضَ وشرائعَ وحدودًا وسننًا، فمن استكملَها استكملَ الإيمانَ، ومن لم يستكملْها لم يستكملِ الإيمانَ[(٤)].

قال الحافظُ ابنُ حجرٍ رحمه الله: في معرضِ كلامِه عن أنَّ الإيمانَ يزيدُ وينقصُ. وما نُقلَ عن السَّلفِ صرَّحَ به عبدُ الرزَّاقِ[(٥)] في مصنَّفِه عن =

= سير أعلام النبلاء (٥/٣٢٦)، وتهذيب التهذيب لابن حجر (٣/٦٩٦-٦٩٩).

(١) هو: يحيى بن أبي كثير الطائي مولاهم، أبو نصر اليمامي (اسم أبى كثير صالح بن المتوكل ، و قيل يسار، وقيل غير ذلك). ثقة ثبت لكنه يدلس و يرسل.
سمع أنس، وجابر بن عبد الله وغيرهما. مات سنة تسع وعشرين ومائة، وقال غيره: مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة.
تهذيب الكمال (٣٥/١١٤)، سير أعلام النبلاء (٦/٢٧).

(٢) جامع العلوم والحكم (ص: ٦١) لابن رجب الحنبلي.

(٣) هو: أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي المدني، ثم الدمشقي، الإمام العادل، قال أنس: ما رأيت أحدًا أشبه صلاة برسول الله ﷺ من هذا الفتى، وقال ابن سعد: كان ثقة مأمونًا، له فقه وورع، أقام في الخلافة سنتين ونصفًا، ومات سنة إحدى ومائة، وله أربعون سنة إلا أشهرًا.
تهذيب الكمال للمزي (٢١/٤٣١).

(٤) فتح الباري (١/٦٠) كتاب الإيمان.

(٥) هو: الإمام الحافظ عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري مولاهم ، اليماني ، أبو بكر =

سفيانِ الثوريِّ، ومالكِ بنِ أنسٍ، والأوزاعيِّ، وابنِ جريجٍ(١)، ومعمرٍ(٢)، وغيرِهم، وهؤلاءِ فقهاءُ الأمصارِ في عصرِهم.

وكذا نقلَ اللالكائيُّ رحمه الله(٣) في "كتابِ السُّنَّة" عن الشافعيِّ، وأحمدَ ابنِ حنبلٍ، وإسحاقَ بنِ راهويهِ، وأبي القاسمِ وغيرِهم من الأئمةِ، ورَوى بسندِه الصحيحِ عن البخاريِّ قال: لقيتُ أكثرَ من ألفِ رجلٍ من العلماءِ بالأمصارِ، فما رأيتُ أحدًا منهم يختلفُ في أنَّ الإيمانَ قولٌ وعملٌ، ويزيدُ وينقصُ.

=

الصنعاني، من أتباع التابعين، ثقة مصنف شهير عمي في آخر عمره فتغير ، وكان يتشيع؛ حدث بأحاديث في الفضائل لم يوافقه عليها أحد، ومثالب لغيرهم مناكير، ونسبوه إلى التشيع. مات في شوال سنة إحدى عشرة ومائتين.
تهذيب الكمال (١٨/ ٥٢)، سير أعلام النبلاء (٢/ ٦١٤)

(١) هو: الإمام، العلاّمة، الحافظ، شيخ الحرم، ابن جريجٍ الأمويّ عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج القرشيّ، الأمويّ، المكّيّ، صاحب التّصانيف، وأوّل من دوّن العلم بمكّة. وقيل: كان جدّه جريجٌ عبداً، كان ثقة، فقيه، فاضل، وكان يدلس ويرسل، مات سنة خمسين ومائةٍ.
تهذيب الكمال (٣٥/ ٩٢)، سير أعلام النبلاء (٦/ ٣٢٥).

(٢) هو: الإمام، الحافظ، شيخ الإسلام، معمر بن راشد الأزدي الحداني مولاهم أبو عروة البصري مولى عبد السلام بن عبد القدوس، ثقة ثبت فاضل. من كبار أتباع التابعين. ولد سنة خمسٍ، أو ستٍّ وتسعين. توفّي: سنة إحدى وخمسين، أو اثنتين وخمسين.
تهذيب الكمال (٢٨/ ٣٠٣)، سير أعلام النبلاء (٧/ ٥).

(٣) هو: الإمام الحافظ المجود، المفتي أبو القاسم، هبة الله بن الحسن بن منصور، الطبري الرازي، الشافعي اللالكائي. كان يفهم ويحفظ، وصنف كتابا في السنة، وعاجلته المنية، خرج إلى الدينور، فأدركه أجله بها في شهر رمضان سنة ثمان عشرة وأربعمائة.
سير أعلام النبلاء (١٧/ ٤١٩)، الأعلام للزركلي (٨/ ٧١).

وأطنبَ ابنُ أبي حاتمٍ(١) واللالكائيُّ في نقلِ ذلك بالأسانيدِ عن جمعٍ كثيرٍ من الصحابةِ والتابعين وكلِّ من يدورُ عليه الإجماعُ من الصحابةِ والتابعينَ، وحكاه فضيلُ بنُ عياضٍ ووكيعٌ(٢) عن أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ(٣).

تفاضلُ أهلِ الإيمانِ:

اعلمْ أنَّ أهلَ الإيمانِ يتفاضلون في الأعمالِ والمنازلِ والدرجاتِ.

قال اللهُ تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾ [فاطر: ٣٢].

وفي الصحيحينِ عَنْ أَبِي سَعِيد الخُدْرِيِّ رضيَ اللهُ عنه أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ، رَأَيْتُ النَّاسَ يُعْرَضُونَ عَلَيَّ وَعَلَيْهِمْ قُمُصٌ، مِنْهَا مَا يَبْلُغُ**

---

(١) هو: الإمام الحافظ عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران، أبو محمد بن أبي حاتم التميمي الحنظلي، الإمام ابن الإمام الحافظ ابن الحافظ؛ سمع أباه وغيره. وصنف التصانيف من جملتها كتاب السنة والتفسير وكتاب الرد على الجهمية، أثنى عليه جماعة بالزهد والورع التّام والعلم والعمل توفّي في المحرم سنة سبع وعشرين وثلاثمائة.

الوافي بالوفيات (١٨/ ١٣٥)، طبقات الحنابلة (٢/ ٥٥).

(٢) هو: وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاسي، أبو سفيان الكوفي. قال أحمد بن حنبل: ما رأيت أوعى للعلم منه، ولا أشبه بأهل النسك من وكيع، ولا أحفظ كان أحفظ من ابن مهدي، مع خشوع وورع. وكان ثقةً مأمونًا عالمًا رفيعًا كثير الحديث حجّةً، ولد سنة سبع وعشرين ومائة، وتوفي سنة ست وتسعين ومائة.

تهذيب الكمال (٣٠/ ٤٦٢)، الطبقات الكبرى (٦/ ١٩٤).

(٣) الفتح (١/ ٦١-٦٢).

الثُّدِيَّ، وَمِنْهَا مَا دُونَ ذَلِكَ، وَعُرِضَ عَلَيَّ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ يَجُرُّهُ». -قَالُوا: فَمَا أَوَّلْتَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «**الدِّينَ**»(١).

وعن عَبْدِ الله بن عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عنهما قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ، أُتِيتُ بِقَدَحِ لَبَنٍ، فَشَرِبْتُ حَتَّى إِنِّي لَأَرَى الرِّيَّ يَخْرُجُ فِي أَظْفَارِي، ثُمَّ أَعْطَيْتُ فَضْلِي عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ**» قَالُوا: فَمَا أَوَّلْتَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «**العِلْمَ**»(٢).

فهناك تفاوتٌ بينَ الناسِ في الدينِ والعلمِ، ولذلكَ قَالَ عُمَرُ رضيَ اللهُ عنه: «لَوْ وُزِنَ إِيمَانُ أَبِي بَكْرٍ بِإِيمَانِ أَهْلِ الْأَرْضِ لَرَجَحَ إِيمَانُ أَبِي بَكْرٍ»(٣).

وعن أبي هُرَيْرَةَ رضيَ اللهُ عنه: أَنَّ فُقَرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ أَتَوْا رَسُولَ الله ﷺ، فَقَالُوا: ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالدَّرَجَاتِ الْعُلَى، وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ، فَقَالَ: «**وَمَا ذَاكَ؟**» قَالُوا: يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ وَلَا نَتَصَدَّقُ، وَيُعْتِقُونَ وَلَا نُعْتِقُ، فَقَالَ رَسُولَ الله ﷺ: «**أَفَلاَ أُعَلِّمُكُمْ شَيْئًا تُدْرِكُونَ بِهِ مَنْ سَبَقَكُمْ وَتَسْبِقُونَ بِهِ مَنْ بَعْدَكُمْ؟ وَلَا يَكُونُ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِنْكُمْ إِلَّا مَنْ صَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعْتُمْ**» قَالُوا: بَلَى، يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ:

---

(١) أخرجه البخاري (٢٣)، ومسلم (٢٣٩٠).

(٢) أخرجه البخاري (٨٢)، ومسلم (٢٣٩١).

(٣) أخرجه أحمد في «فضائل الصحابة» (٦٥٣)، وعبد الله في «السنة» (٨٢١)، والبيهقي في «الشعب» (٣٦)، والخلال في «السنة» (١١٣٤)، وإسحاق في مسنده (١١٦١)، وصحح إسناده العجلوني في «كشف الخفاء» (٢١٣٠).

«**تُسَبِّحُونَ، وَتُكَبِّرُونَ، وَتَحْمَدُونَ، دُبُرَ كُلِّ صَلاةٍ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ مَرَّةً**» قَالَ أَبُو صَالِحٍ: فَرَجَعَ فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَقَالُوا: سَمِعَ إِخْوَانُنَا أَهْلُ الْأَمْوَالِ بِمَا فَعَلْنَا، فَفَعَلُوا مِثْلَهُ، فَقَالَ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «**ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ**» وَزَادَ غَيْرُ قُتَيْبَةَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ عَنِ اللَّيْثِ، عَنِ ابْنِ عَجْلاَنَ، قَالَ سُمَيٌّ: فَحَدَّثْتُ بَعْضَ أَهْلِي هَذَا الْحَدِيثَ، فَقَالَ: وَهِمْتَ، إِنَّمَا قَالَ «**تُسَبِّحُ اللهَ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، وَتَحْمَدُ اللهَ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، وَتُكَبِّرُ اللهَ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ**» فَرَجَعْتُ إِلَى أَبِي صَالِحٍ فَقُلْتُ لَهُ ذَلِكَ، فَأَخَذَ بِيَدِي فَقَالَ: اللهُ أَكْبَرُ، وَسُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، اللهُ أَكْبَرُ، وَسُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، حَتَّى تَبْلُغَ مِنْ جَمِيعِهِنَّ ثَلاَثَةً وَثَلاَثِينَ(١).

قال ابنُ بطَّةَ رحمه الله: «اعلمُوا – رحمكم اللهُ – أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ – تفضَّلَ بالإيمانِ على من سبقتْ له الرحمةُ في كتابِهِ، ومن أحبَّ أنْ يسعدَه، ثمَّ جعلَ المؤمنينَ في الإيمانِ متفاضلِين، ورفعَ بعضُهم فوقَ بعضٍ درجاتٍ، ثمَّ جعلَه فيهم يزيدُ ويقوَى بالمعرفةِ والطاعةِ، وينقصُ ويضعفُ بالغفلةِ والمعصيةِ، وبهذا نزلَ الكتابُ، وبه مضتْ السُّنَّةُ، وعليه أجمعَ عقلاءُ من أئمةِ الأمةِ، ولا ينكرُ ذلك ولا يخالفُه إلا مرجئٌ خبيثٌ، قد مرِضَ قلبُه، وزاغَ بصرُه، وتلاعبتْ به إخوانُه من الشياطينِ»(٢).

مطلبٌ: من هم المرجئةُ؟

المرجئةُ فرقةٌ من فرقِ الإسلامِ، خالفتْ منهجَ السَّلفِ الصالحِ في

(١) أخرجه البخاري (٨٤٣)، ومسلم (٥٩٥).
(٢) الإبانة (٢/٣٩٧).

الاعتقادِ، وقد أخبرَ النبيُّ ﷺ أنَّ الأمةَ ستفترقُ على فرقٍ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إنَّ بني إسْرائيلَ افْتَرَقَتْ على إحْدى وَسَبعينَ فِرْقَةً وإنَّ أُمَّتي سَتَفْتَرِقُ على ثِنتَيْنِ وسبعينَ فِرْقَةً كلُّها في النّارِ إلا واحدةً، وهيَ الجماعةُ**»(١).

معنى الإِرجاءِ في اللغةِ: التأخيرُ(٢).

قال ابنُ الأثيرِ رحمه الله: وهم فرقةٌ من فرقِ الإسلامِ يعتقدُون أنَّه لا يضرُّ مع الإيمانِ معصيةٌ، كما أنَّه لا ينفعُ مع الكفرِ طاعةٌ، سُمُّوا مرجئةً لاعتقادِهم أنَّ اللهَ أرجأَ تعذيبَهم على المعاصِي، أي: أخَّرَه عنهم(٣).

وفي الاصطلاحِ: قال الشهرستانيُّ رحمه الله: الإرجاءُ على معنيين:

أحدِهما: بمعنى التأخيرِ، كما في قولِه تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ﴾ [الأعراف: ١١١]، أي: أمهلْهُ وأخرْهُ.

والثاني: إعطاءُ الرجاءِ.

أمَّا إطلاقُ اسمِ المرجئةِ على الجماعةِ: بالمعنى الأولِ فصحيحٌ، لأنَّهم كانوا يؤخِّرون العملَ عن النيةِ والعقدِ.

وأمَّا بالمعنى الثاني فظاهرٌ، فإنَّهم كانوا يقولون: لا تضرُّ مع الإيمانِ

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٩٩٣) وأحمد (٣/١٤٥)، وابن أبي عاصم في السنة (٦٤)، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (١٤٨)، وأبو نعيم في الحلية (٣/٥٢، ٥٣)، وأبو يعلى (٤١٢٧)، وانظر الصحيحة (١/٤٠٥) وما بعدها.

(٢) اللسان (٤/٩٣).

(٣) النهاية لابن الأثير (ص: ٣٥١) مادة (رجأ).

معصيةٌ، كما لا تنفعُ مع الكفرِ طاعةٌ.

وقيل الإرجاءُ: تأخيرُ صاحبِ الكبيرةِ إلى يومِ القيامةِ، فلا يُقضَى عليه بحكمِ ما في الدنيا من كونِه من أهلِ الجنَّةِ، أو من أهلِ النارِ، فعلى هذا فالمرجئةُ والوعيديةُ فرقتان متقابلتان.

وقيل الإرجاءُ: تأخيرُ عليٍّ رضيَ اللهُ عنه عن الدرجةِ الأُولى إلى الرابعةِ، فعلى هذا المرجئةُ والشيعةُ فرقتان متقابلتان[(١)].

والصحيحُ – واللهُ أعلمُ – من هذه الأقوالِ ما عليه أكثرُ العلماءِ أنَّ المرجئةَ: «هم الذين يُؤخرون العملَ عن الإيمانِ، وبالتالي يقولون بأنَّه لا يضرُّ مع الإيمانِ معصيةٌ، كما لا تنفعُ مع الكفرِ طاعةٌ، أمَّا التعريفاتُ الأخرى فلا تخلو من مقالٍ»[(٢)].

قال سفيانُ: أمَّا المرجئةُ فيقولون: الإيمانُ كلامٌ بلا عملٍ، من قال: أشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وأن محمدًا عبدُه ورسولُه فهو مؤمنٌ مستكملُ الإيمانِ على إيمانِ جبريلَ والملائكةِ وإنْ قتلَ كذا وكذا مؤمنًا، وإنْ تركَ الغُسلَ من الجنابةِ وإنْ تركَ الصلاةَ، وهم يرَوْنَ السيفَ على أهلِ القبلةِ[(٣)].

نشأةُ المرجئةِ: في أواخرِ عصرِ الصحابةِ حدثتْ بدعةُ القدريةِ[(٤)] والمرجئةِ، فأنكرَ ذلك الصحابةُ والتابعون كعبدِ اللهِ بنِ عمرَ[(٥)] وابنِ

---

(١) الملل والنحل (ص: ١٦٤).

(٢) انظر الموسوعة المفصلة في الفرق والأديان والملل، إعداد مكتب التبيان (١/ ٤٨).

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢/ ٨١).

(٤) فرقة من الفرق وسيأتي بيان عقيدتهم في موضعه بإذن الله.

(٥) هو: عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي أبو عبد الرحمن، ولد سنة =

عباسٍ وجابرٍ[(١)] وواثلةِ بنِ الأسقعِ[(٢)(٣)].

أولُ من تكلّمَ بالإرجاءِ:

قيل: إنَّ أولَ من تكلَّمَ بالإرجاءِ ذرُّ بنُ عبدِ اللهِ الهمدانيُّ.

فقد سُئلَ الإمامُ أحمدُ بنُ حنبلٍ عن أولِ من تكلَّمَ في الإيمانِ من هو؟ فقال: «يقولون: أولُ من تكلَّمَ فيه ذرٌّ»[(٤)].

وقيل: إنَّ أولَ من أحدثَه حمادُ بنُ أبي سليمانَ شيخُ أبي حنيفةَ وتلميذُ إبراهيمَ النخعيِّ.

قال ميمونُ بنُ أبي حمزةَ: قال إبراهيمُ النخعيُّ: «لا تَدَعُوا هذا

=

ثلاث من المبعث النبوي، وعرض نفسه على النبي ﷺ ببدر فاستصغره، ثم بأحد فكذلك، ثم بالخندق فأجازه، وهو يومئذ ابن خمس عشرة سنة، مات سنة اثنتين، أو ثلاث وسبعين، وقيل سنة أربع.

الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر(٣٨٥٢) والاستيعاب لابن عبد البر(١٦٣٤).

(١) هو: جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري السلمي- أحد المكثرين عن النبي ﷺ، شهد العقبة الثانية مع أبيه وهو صغير ولم يشهد الأولى، غزا تسع عشرة غزوة، وكان من الحافظين للسنن، مات بالمدينة بعد السبعين وهو ابن أربع وتسعين.

الإصابة (١/٣٨١)، الاستيعاب (٢٩٤).

(٢) واثلة بن الأسقع بن كعب بن عامرٍ اللّيثي، أسلم سنة تسعٍ، وشهد غزوة تبوكٍ، وكان من فقراء المسلمين -رضي الله عنه - طال عمره، توفّي سنة ثلاثٍ وثمانين، وهو ابن مائةٍ وخمس سنين. اعتمده البخاريّ، وغيره.

سير أعلام النبلاء (٣/٣٨٥)، تهذيب الكمال (٣٠/٣٩٣).

(٣) منهاج السنة لشيخ الإسلام (١/٣٠٩).

(٤) «السنة» للخلال (٣/٥٦٣).

الملعونَ يدخلُ عليَّ بعدَما تكلَّمَ في الإرجاءِ، يعني: حمادًا»[(١)].

وقيل: سالمٌ الأفطسُ.

قال معقلُ بنُ عبدِ اللهِ العبسيُّ: قدِمَ علينا سالمٌ الأفطسُ بالإرجاءِ، فعرضَه، قال: فنفرَ منه أصحابُنا نفارًا شديدًا[(٢)].

وقيل: قيسٌ الماصرُ.

قال الأوزاعيُّ رحمه الله: أولُ من تكلَّمَ في الإرجاءِ رجلٌ من أهلِ الكوفةِ يُقالُ له: قيسٌ الماصرُ[(٣)].

قال شيخُ الإسلامِ رحمه الله: وحدثتْ المرجئةُ، وكان أكثرُهم من أهلِ الكوفةِ، ولم يكن أصحابُ عبدِ اللهِ من المرجئةِ، ولا إبراهيمُ النخعيُّ وأمثالُه، فصاروا نقيضَ الخوارجِ والمعتزلةِ، فقالوا: إنَّ الأعمالَ ليستْ من الإيمانِ.

وكانت هذه البدعةُ أخفَ البدعِ، فإنَّ كثيرًا من النزاعِ فيها نزاعٌ في الاسمِ واللفظِ دونَ الحكمِ، إذ كان الفقهاءُ الذين يُضافُ إليهم هذا القولُ مثلُ: حمادِ بنِ سليمانَ وأبي حنيفةَ وغيرِهم مع سائرِ أهلِ السُّنَّةِ متفقين على أنَّ اللهَ يعذبُ من يعذبُه من أهلِ الكبائرِ بالنارِ ثم يخرجُهم بالشفاعةِ، كما جاءت الأحاديثُ الصحيحةُ بذلك، وعلى أنَّه لا بد في الإيمانِ أنَّ يتكلمَ بلسانِه، وعلى أنَّ الأعمالَ المفروضةَ واجبةٌ، وتاركُها مستحقٌ للذمِّ والعقابِ، فكان في الأعمالِ، هل هي من الإيمانِ، وفي الاستثناءِ ونحوِ ذلك

(١) «السنة» لعبد الله بن أحمد (١/ ٣٦٥).

(٢) المصدر السابق (١/ ٣٨٢).

(٣) تهذيب الكمال (٢١/ ٤٨٦).

عامتُه نزاعٌ لفظيٌّ[(١)].

وقال رحمه الله: «الأمرُ كما ذُكر لم يكنْ بينَ الصحابةِ رضيَ اللهُ عنهم أيُّ خلافٍ في هذا الأمرِ، بل ولا في غيرِه من مسائلِ أصولِ الدينِ وأساسياتِه، وإنَّما الخلافُ في ذلك نجمَ بعدَهم، وذَرَّ قرنُه في أواخرِ زمانِهم، والصحابةُ رضيَ اللهُ عنهم كانوا أقلَّ فتنًا من سائرِ من بعدَهم، فإنَّه كلَّما تأخَّرَ العصرُ عن النبوةِ كثرَ التفرقُ والخلافُ، ولهذا لم تحدثْ في خلافةِ عثمانَ بدعةٌ ظاهرةٌ، فلمَّا قتلَ وتفرقَ الناسُ حدثتْ بدعتان متقابلتان، بدعةُ الخوارجِ المكفرين لعليٍّ، وبدعةُ الرافضةِ المدَّعينِ لإمامتِه وعصمتِه أو نبوتِه أو إلاهيتِه، ثم لمَّا كان في آخرِ عصرِ الصحابةِ في إمارةِ ابنِ الزبيرِ وعبدِ الملكِ حدثت بدعةُ الجهميةِ المُعَطِّلَةِ، والمشبِّهةِ الممثلةِ، ولم يكن على عهدِ الصحابةِ شيءٌ من ذلك»[(٢)].

أصنافُ المرجئةِ:

المرجئةُ ثلاثةُ أصنافٍ: الذين يقولون: الإيمانُ مجردُ ما في القلبِ، ثم من هؤلاءِ من يُدخلُ فيه أعمالَ القلوبِ، وهم أكثرُ فرقِ المرجئةِ...[(٣)]

والقولُ الثاني: من يقولُ: هو مجردِ قولِ اللسانِ، وهذا لا يُعرف لأحدٍ قبلَ الكرّاميةِ.

---

(١) مجموع الفتاوى (١٣/٣٨-٣٩).
(٢) منهاج السنة (٦/٢٣١).
(٣) وهذا قول جمهور الأشاعرة والماتريدية والجهمية – انظر مجموع الفتاوى (٧/٥٠٧-٥٠٩).

والثالثُ: تصديقُ القلبِ وقولُ اللسانِ، وهذا هو المشهورُ عن أهلِ الفقهِ والعبادةِ منهم(١).

قال الشهرستانيُّ ﷺ: كانوا يقولون: لا تضرُّ مع الإيمانِ معصيةٌ، كما لا تنفعُ مع الكفرِ طاعةٌ.

والمرجئةُ أربعةُ أصنافٍ: مرجئةُ الخوارجِ، ومرجئةُ القدريةِ، ومرجئةُ الجبريةِ، والمرجئةُ الخالصةُ(٢).

حجتُهم في ذلك: قالت المرجئةُ والجهميةُ(٣): ليس الإيمانُ إلَّا شيئًا واحدًا لا يتبعضُ، إمَّا مجردُ تصديقِ القلبِ كقولِ الجهميةِ أو تصديقُ القلبِ واللسانِ كقولِ المرجئةِ، قالوا: لأنَّا إذا أدخلنَا فيه الأعمالَ صارتْ جزءًا منه، فإذا ذهبتْ ذهبَ بعضُه، فيلزمُ إخراجُ ذي الكبيرةِ من الإيمانِ، وهو قولُ المعتزلةِ والخوارجِ(٤).

من أدلّتِهم أنّ الإيمانَ قولٌ:

من أشهرِ أدلَّةِ المرجئةِ على أنَّ العملَ لا يدخلُ في مسمَّى الإيمانِ، قولُ اللهِ تعالى – في أكثرَ من موضعٍ في القرآنِ-: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الكهف: ١٠٧].

قالوا: عطفُ العملِ على الإيمانِ يقتضِي المغايرةَ، لأنَّ واوَ العطفِ

---

(١) الفتاوى (٧/١٩٥).
(٢) الملل والنحل للشهرستاني (١/١٤٩).
(٣) سيأتي بيان عقيدتهم في موضعه بإذن الله تعالى.
(٤) مجموع الفتاوى (٧/٥٠٩).

تقتضِي المغايرةَ، فالإيمانُ غيرُ العملِ، فلا يدخلُ العملُ في مسمَّى الإيمانِ عندَهم.

وهذا الذي احتجُّوا به ليسَ على إطلاقِه، فواوُ العطفِ تقتضِي المغايرةَ تارةً، وتقتضِي عطفَ الخاصِّ على العامِّ تارةً، كما في قولِه سبحانه: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٨]، فواوُ العطفِ في قولِه: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ﴾ تقتضِي المغايرةَ، فاللهُ – جلَّ ذكرُه – غيرُ الملائكةِ، وواوُ العطفِ في قولِه: ﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ تقتضِي عطفَ الخاصِّ – جبريلَ وميكالَ – على العامِّ وهم الملائكةُ ومن المعلومِ أنَّ جبريلَ وميكالَ من الملائكةِ، وكذلك في قولِه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ عطفُ العملِ على الإيمانِ من بابِ عطفِ الخاصِّ على العامِّ، فلا يخرجُ العملُ من مسمَّى الإيمانِ.

قال شيخُ الإسلامِ رحمه الله: -في معرضِ كلامِه عن المرجئةِ وإخراجِهم العملَ عن مسمَّى الإيمانِ-: والتحقيقُ أنَّه تارةً يدخلُ في الاسمِ، وتارةً يكونُ لازمًا للمسمَّى – بحسبِ إفرادِ الاسمِ واقترانِه – فإذا قُرنَ الإيمانُ بالإسلامِ كان مسمَّى الإسلامِ خارجًا عنه، كما في حديثِ جبريلَ، وإن كان لازمًا له.

وكذلك إذا قُرنَ الإيمانُ بالعملِ، كما في قولِه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [البينة: ٧]، فقد يقالُ: اسمُ الإيمانِ لم يدخلْ فيه العملُ وإنْ كانَ لازمًا له، وقد يقالُ: بل دخلَ فيه وعُطفَ عليه عطفَ الخاصِّ على العامِّ. وبكلِّ حالٍ، فالعملُ تحقيقٌ لمسمَّى الإيمانِ وتصديقٌ

له[(١)]. انتهى.

ومن أدلّتهم أنّ الإيمانَ قولٌ:

قولُ الله تعالى: ﴿ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ﴾ [المائدة: ٨٥].

فتركوا العملَ، وقالوا: إن اللهَ أثابهم بما قالوا، فالقولُ يُدخِلُ صاحبَه الجنَّةَ. وتغافلوا عن الآياتِ والأحاديثِ التي رُدفَ بها الإيمانُ مع العملِ الصالحِ، وقد تقدمتْ الأدلةُ على أنَّ الإيمانَ قولٌ وعملٌ،[(٢)] فلا يصحُّ أحدُهما بغيرِ الآخرِ.

الأحاديثُ التي جاءَ فيها من قال لا إلهَ إلَّا اللهُ حرَّمهُ اللهُ على النارِ وأدخلَه الجنَّةَ، كقولِ رسولِ اللهِ ﷺ: «**مَنْ شَهِدَ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وأنّ محمدًا رسولُ اللهِ حرّمه اللهُ على النَّارِ**»[(٣)].

وقولُهُ ﷺ: «**مَنْ ماتَ وهوَ يَعْلَمُ أنّ لا إلهَ إلا اللهُ دخلَ الجنةَ**»[(٤)].

قال القاضي رحمه الله: وأمَّا المرجئةُ فإنْ احتجتْ بظاهرِه، قلنا: محمَلُهُ على أنَّه غُفرَ له، أو أُخرِجَ من النارِ بالشفاعةِ ثم أُدخلَ الجنَّةَ، فيكونُ معنى قولِه ﷺ: «**أُدخلَ الجنَّةَ**» أي: دخلَها بعد مجازاتِه بالعذابِ، وهذا لابدَّ من تأويلِه لِمَا جاءَ في ظواهرَ كثيرةٍ من عذابِ بعضِ العصاةِ، فلابدَّ من تأويلِ هذا لئلاَّ

---

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٥٥٤).

(٢) الباب الثاني: المبحث الأول: الإيمان قول وعمل.

(٣) متفق عليه: تقدم تخريجه.

(٤) أخرجه مسلم (٤٣ – ٢٦) من حديث عثمان.

تتناقضَ نصوصُ الشريعةِ(١).

قال النوويُّ رحمه الله: وفي قولِه ﷺ: «وهوَ يعلمُ» إشارةٌ إلى الردِّ على من قال من غلاةِ المرجئةِ: إنَّ مُظهِر الشهادتين يدخلُ الجنةَ وإنْ لم يعتقدْ ذلك بقلبِه، وقد قُيِّدَ ذلك في حديثٍ آخرَ بقولِه ﷺ: «غيرَ شاكٍّ فيهما»(٢). وهذا يؤكدُ ما قلناه(٣). انتهى.

وكما أنَّ اللهَ تعالى قد يغفرُ لمرتكبِ المعاصِي من الكبائرِ وما دونَها، فإنَّه سبحانه قد يُعذِّبُ أهلَ المعاصِي. ومن الأدلةِ أنَّ اللهَ سبحانه قد يعذبُ أهلَ المعاصِي:

قولُ اللهِ تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون ٤-٥]، فتوعدَّهم اللهُ سبحانه مع أنَّهم صلُّوا.

قال ابنُ كثيرٍ رحمه الله في تفسيرِ ﴿عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾: إمَّا عن وقتِها الأولِ فيؤخرونها إلى آخرِه دائمًا أو غالبًا، وإمَّا عن أدائِها بأركانِها وشروطِها على الوجهِ المأمورِ به، وإمَّا عن الخشوعِ فيها والتدبرِ لمعانيها، فاللفظُ يشملُ هذا كلَّه، لكلِّ من اتَّصفَ بشيءٍ من ذلك قسطٌ من هذه الآيةِ(٤).

وقولُه جلَّ ذكرُه: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ

---

(١) إكمال المعلم لشرح صحيح مسلم (١/١٨٧).
(٢) متفق عليه: تقدم تخريجه.
(٣) شرح مسلم (١/٢٥٧).
(٤) تفسير ابن كثير (٤/٦٩١).

زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ١٥ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [الأنفال: ١٥-١٦].

فهؤلاءِ مؤمنونَ خرجُوا للجهادِ في سبيلِ اللهِ إلَّا أنَّهم من شدةِ الخوفِ رجعوا وتركوا المعركةَ، فجاءَ فيهم الوعيدُ الشديدُ.

وَعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**أَتَدْرُونَ مَن الْمُفْلِسُ؟**» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لاَ دِرْهَمَ لَهُ وَلاَ مَتَاعَ. فَقَالَ: «**إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاَةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ**»(١).

هذا المفلسُ أتَى يومَ القيامةِ بشهادةِ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ ومع الشهادةِ أتَى بصلاةٍ وصيامٍ وزكاةٍ، ولكنَّه تعدَّى على عبادِ اللهِ فأُخذتْ حسناتُه ثم طُرِحَ في النارِ.

وغيرُ ذلك من الأدلةِ الدالةِ على أنَّ اللهَ سبحانه قد يعذبُ العاصي كما جاءَ الوعيدُ في نصوصِ الكتابِ والسُّنَّةِ لآكلِ الرِّبَا والزاني والسارقِ والقاتلِ وقاطعِ الرحمِ... وغيرِهم.

---

(١) أخرجه مسلم (٥٨١) من حديث أبي هريرة.

المبحثُ الثاني: الاستثناءُ في الإيمانِ:

معنى الاستثناءِ في الإيمانِ هو أنْ يقولَ الرجلُ: أنا مؤمنٌ إنْ شاءَ اللهُ(١).

أو يقولَ: "آمنتُ باللهِ" أو "أرجُو" أو نحوَ ذلك من الصيغِ.

حكمُه:

اختلفَ النَّاسُ في هذه المسألةِ على ثلاثةِ أقوالٍ:

الأولُ: أنَّ الاستثناءَ واجبٌ، حتى في الأشياءِ التي لا شكَّ فيها، وحجتُهم في ذلك قولُ اللهِ تعالى: ﴿ لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ [الفتح: ٢٧]، وقولُ اللهِ تعالى بالدخولِ الآمنِ ليس فيه شكٌّ.

وقولُه تعالى: ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾ [النجم: ٣٢].

وقولُ رسولُ اللهِ ﷺ حينَ وقفَ على المقابرِ: «**السّلامُ عَلَيْكُمْ دارَ قَوْمٍ مؤمنينَ وإنّا إنْ شاءَ اللهُ بِكُمْ لاحِقونَ**»(٢)، والموتُ ليسَ فيه شكٌّ ومع هذا استثنى رسولُ اللهِ ﷺ بقولِه: « **إنْ شاءَ اللهُ بِكُمْ لاحِقونَ**».

قالوا: لأنَّ الإيمانَ المطلقَ يتضمَّنَ فعلَ كلِّ ما أمرَ اللهُ به عبدَه وتركَ كلِّ ما نهاهُ عنه، فإذا قالَ الرجلُ أنا مؤمنٌ فقد شهدَ لنفسِه أنَّه من القائمينَ

---

(١) العقيدة الطحاوية (ص: ٣٣٤).

(٢) أخرجه مسلم (٢٤٩).

بجميعِ ما أُمروا به وتركِ كلِّ ما نُهوا عنه وفي هذا تزكيةٌ للنفسِ قد نهَى اللهُ عنها، وهذا قولُ من ذهبَ إلى وجوبِ الاستثناءِ من السَّلفِ[١]، منهم اللالكائيُّ[٢] والقاضي في عيونِ المسائلِ[٣] وعبدُ الرحمنِ بن مهديٍّ[٤] وابنُ بطَّةَ[٥]، وغيرُهم.

القولُ الثاني: أنَّ الاستثناءَ حرامٌ، وحجتُهم أنَّ الإيمانَ شيءٌ واحدٌ، وهؤلاءِ هم المرجئةُ والجهميةُ، لأنَّ الإيمانَ عندَهم قولٌ بلا عملٍ والاستثناءُ فيه يعدُّ شكًّا، وأجابوا على الاستثناءِ الذي في قولِه تعالى: ﴿لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ بأنَّه يعودُ على الأمنِ والخوفِ، فأما الدخولُ فلا شكَّ فيه، وقيل: لتدخُلُنَّ جميعُكم أو بعضُكم، لأنَّه علمَ أنَّ بعضَهم يموتُ.

---

(١) انظر شرح الطحاوية (ص: ٣٣٥).

(٢) انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٥/٢٤٥).

(٣) انظر مجموع الفتاوى (٧/٦٦٦).

(٤) هو: الإمام الحافظ الناقد عبد الرحمن بن مهدي بن حسان بن عبد الرحمن العنبري، وقيل الأزدي مولاهم، أبو سعيد البصري اللؤلؤي، ولد سنة خمس وثلاثين ومائة، ثقة ثبت، كثير الحديث حافظ عارف بالرجال والحديث، قال ابن المديني: ما رأيت أعلم منه، كان من الحفاظ المتقنين، وأهل الورع في الدين، ممن حفظ وجمع، وتفقه وصنف، وحدث، وأبى الرواية إلا عن الثقات.
توفي بالبصرة في جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين ومائة، وهو ابن ثلاث وستين سنة.
تهذيب التهذيب (٦/ ٢٨١)، سير أعلام النبلاء (٩/ ١٩٢).

(٥) الإنابة (١/ ٤٢٣).

وممن ذهبَ إلى هذا أيضًا الماتريديةُ(١) والأحنافُ.

قال شيخُ الإسلامِ ﷺ: وأبو حنيفةَ وأصحابُه لا يجوِّزون الاستثناءَ في الإيمانِ بكونِ الأعمالِ منه ويذمُّون المرجئةَ والمرجئةُ عندَهم الذين لا يوجبون الفرائضَ ولا اجتنابَ المحارمِ؛ بل يكتفون بالإيمانِ وقد علَّلَ تحريمَ الاستثناءَ فيه بأنَّه لا يصحُّ تعليقُه على الشرطِ؛ لأنَّ المعلقَ على الشرطِ لا يوجدُ إلا عندَ وجودِه كما قالوا في قولِه: أنتِ طالقٌ إنْ شاءَ اللهُ. فإذا عُلِّقَ الإيمانُ بالشرطِ كسائرِ المعلقاتِ بالشرطِ لا يحصلُ إلا عندَ حصولِ الشرطِ.

قالوا: وشرطُ المشيئةِ الذي يترجَّاهُ القائلُ لا يتحققُ حصولُه إلى يوم القيامةِ فإذا عُلِّقَ العزمُ بالفعلِ على التصديقِ والإقرارِ فقد ظهرتْ المشيئةُ وصحَّ العقدُ فلا معنى للاستثناءِ؛ ولأن الاستثناءَ عقيبَ الكلامِ يرفعُ الكلامَ فلا يبقَى الإقرارُ بالإيمانِ والعقدِ مؤمنًا وربَّما يتوهمُ هذا القائلُ القارنُ بالاستثناءِ على الإيمانِ بقاءَ التصديقِ وذلك يزيلُه.

" قلت ": فتعليلُهم في المسألةِ إنَّما يتوجهُ فيمن يعلِّقُ إنشاءَ الإيمانِ على المشيئةِ كالذي يريدُ الدخولُ في الإسلامِ فيقالُ له: آمِنْ. فيقولُ: أنَا أُومنَ إنْ شاءَ اللهُ أو آمنتُ إنْ شاءَ اللهُ أو أسلمتُ إنْ شاءَ اللهُ أو أشهدُ إنْ شاءَ اللهُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وأشهدُ إنْ شاءَ اللهُ أنَّ محمدًا رسولُ اللهِ.

والذين استثْنَوْا من السَّلفِ والخلفِ لم يقصدُوا في الإنشاءِ وإنَّما كان

---

(١) انظر التوحيد للماتريدي (ص: ٣٨٨)، وتأويلات أهل السنة له أيضًا (ص: ٢٦٥).

استثناؤُهم في إخبارِه عمَّا قد حصلَ له من الإيمانِ فاستثْنَوْا إمَّا أنَّ الإيمانَ المطلَقَ يقتضِي دخولَ الجنَّةِ وهم لا يعلمُونَ الخاتمةَ كأنَّه إذا قيلَ للرجلِ: أنتَ مؤمنٌ. قيل له: أنتَ عندَ اللهِ مؤمنٌ من أهلِ الجنَّةِ فيقولُ: أنا كذلك إنْ شاءَ اللهُ. أو لأنَّهم لا يعرفونَ أنَّهم أتَوْا بكمالِ الإيمانِ الواجبِ.

ولهذا كانَ من جوابِ بعضِهم إذا قيلَ له أنتَ مؤمنٌ: آمنتُ باللهِ وملائكتِه وكتبِه فيجزمُ بهذا ولا يعلِّقُه أو يقولُ: إنْ كنتَ تريدُ الإيمانَ الذي يعصمُ دمِي ومالي فأنَا مؤمنٌ وإنْ كنتَ تريدُ قولَه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال: ٢] ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ﴾، وقولَه: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴾ [الحجرات: ١٥] فأنا مؤمنٌ إنْ شاءَ اللهُ وأمَّا الإنشاءُ فلم يستثنِ فيه أحدٌ ولا شُرِعَ الاستثناءُ فيه؛ بل كلُّ من آمنَ وأسلمَ آمنَ وأسلمَ جزمًا بلا تعليقٍ.

فتبيَّنَ أنَّ النزاعَ في المسألةِ قد يكونُ لفظيًّا فإنَّ الذي حرَّمَهُ هؤلاءِ غيرُ الذي استحسنَهُ وأمرَ بهِ أولئكَ ومنْ جزمَ جزمَ بما في قلبِه من الحالِ وهذا حقٌّ لا ينافِي تعليقَ الكمالِ والعاقبةِ ولكنَّ هؤلاءِ عندَهم الأعمالُ ليستْ من الإيمانِ فصارَ الإيمانُ هو الإسلامَ عندَ أولئك. والمشهورُ عندَ أهلِ الحديثِ أنَّه لا يستثنَى في الإسلامِ. وهو المشهورُ عن أحمدَ رضيَ اللهُ عنه. وقد رُوِيَ عنه فيه الاستثناءُ كما قد بُسِطَ هذا في شرحِ حديثِ جبريلَ وغيرِه من نصوصِ الإيمانِ التي في الكتابِ والسُّنَّةِ.

ولو قال لامرأتِه أنتِ طالقٌ إنْ شاءَ اللهُ: ففيهِ نزاعٌ مشهورٌ وقد رجَّحنَا التفصيلَ؛ وهو أنَّ الكلامَ يرادُ به شيئان يرادُ به إيقاعُ الطلاقِ تارةً ويرادُ به منعُ إيقاعٍ تارةً فإنْ كانَ مرادُه أنتِ طالقٌ بهذا اللفظِ. فقولُه: إن شاءَ اللهُ مثلُ قولِه بمشيئةِ اللهِ وقد شاءَ اللهُ الطلاقَ حينَ أتى بالتطليقِ فيقعُ وإنْ كانَ قد عَلَّقَ لئلا يقعَ أو علَّقَه على مشيئةٍ توجدُ بعدَ هذا لم يقعْ به الطلاقُ حتى يطلِّقَ بعدَ هذا فإنَّه حينئذٍ شاءَ اللهُ أنْ تطلَّقَ.

وقولُ من قالَ المشيئةُ تنجزُهُ ليس كما قال، بل نحن نعلمُ قطعًا أنَّ الطلاقَ لا يقعُ إلَّا إذا طُلِّقتْ المرأةُ بأنْ يطلِّقَها الزوجُ أو من يقومُ مقامَه من وليٍّ أو وكيلٍ فإذا لم يوجدْ تطليقٌ لم يقعْ طلاقٌ قطُّ فإذا قالَ أنتِ طالقٌ إنْ شاءَ اللهُ وقصدَ حقيقةَ التعليقِ لم يقعْ إلا بتطليقٍ بعدَ ذلك وكذلك إذا قصدَ تعليقَه لئلا يقعَ الآنَ. وأمَّا إنْ قصدَ إيقاعَه الآنَ وعلَّقَه بالمشيئةِ توكيدًا وتحقيقًا فهذا يقعُ به الطلاقُ.

وما أعرفُ أحدًا أنشأَ الإيمانَ فعلَّقه على المشيئةِ فإذا علَّقه فإنْ كان مقصودُه أنا مؤمنٌ إن شاءَ اللهُ أنا أومنُ بعدَ ذلك فهذا لم يصرْ مؤمنًا مثلَ الذي يقالُ له: هل تصيرُ من أهلِ دينِ الإسلامِ فقالَ أصيرُ إن شاءَ اللهُ فهذا لم يُسلمْ بل هو باقٍ على الكفرِ. وإنْ كانَ قصدُه أنِّي قد آمنتُ وإيماني بمشيئةِ اللهِ صارَ مؤمنًا لكنَّ إطلاقَ اللفظِ يحتملُ هذا وهذا فلا يجوزُ إطلاقُ مثلُ هذا اللفظِ في الإنشاءِ وأيضًا فإنَّ الأصلَ أنَّه إنَّما يُعلَّقُ بالمشيئةِ ما كان مستقبلاً فأمَّا الماضي والحاضرُ فلا يُعلَّقُ بالمشيئةِ والذين استثْنَوْا لم يستثْنُوا في الإنشاءِ كما تقدَّمَ كيف وقد أُمروا أنْ يقولُوا: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ﴾

[البقرة: ١٣٦].

وقال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥] فأخبرَ أنَّهم آمنُوا فوقعَ الإيمانُ منهم قطعًا بلا استثناءٍ. وعلى كلِّ أحدٍ أنْ يقولَ: آمنَّا باللهِ وما أُنزلَ إلينا كما أمرَ اللهُ بلا استثناءٍ وهذا متفَقٌ عليه بين المسلمينَ ما استثْنَى أحدٌ من السلفِ قطُّ في مثلِ هذا وإنَّما الكلامُ إذا أخبرَ عن نفسِه بأنَّه مؤمنٌ كما يخبرُ عن نفسِه بأنَّه برٌّ تقيٌّ فقولُ القائلِ له: أنتَ مؤمنٌ هو عندَهم كقولِه: هل أنتَ برٌّ تقيٌّ؟ فإذا قالَ: أنا برٌّ تقيٌّ فقد زكَّى نفسَه. فيقولُ: إنْ شاءَ اللهُ وأرجو أنْ أكونَ كذلك وذلك أنَّ الإيمانَ التامَّ يتعقبُهُ قبولُ اللهِ له وجزاؤُه عليه وكتابةُ المَلَكِ له فالاستثناءُ يعودُ إلى ذلك لا إلى ما عَلِمَه هو من نفسِهِ وحصلَ واستقرَّ؛ فإنَّ هذا لا يصحُّ تعليقُه بالمشيئةِ؛ بل يقالُ: هذا حاصلٌ بمشيئةِ اللهِ وفضلِه وإحسانِه وقولُه فيه إنْ شاءَ اللهُ بمعنى إذْ شاءَ اللهُ وذلك تحقيقٌ لا تعليقٌ.

والرجلُ قد يقولُ: واللهِ ليكونَنَّ كذا إنْ شاءَ اللهُ وهو جازمٌ بأنَّه يكونُ فالمعلَّقُ هو الفعلُ كقولِه: ﴿لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ واللهُ عالمٌ بأنَّهم سيدخلونه وقد يقولُ الآدميُّ لأفعلنَ كذا إنْ شاءَ اللهُ وهو لا يجزمُ بأنَّه يقعُ لكنْ يرجوه فيقولُ: يكونُ إنْ شاءَ اللهُ ثم عزمُهُ عليه قد يكونُ جازمًا ولكنْ لا يجزمُ بوقوعِ المعزومِ عليه وقد يكونُ العزمُ مترددًا معلَّقًا بالمشيئةِ أيضًا ولكنْ متى كان المعزومُ عليه معلَّقًا لزِمَ تعليقُ بقاءِ العزمِ فإنَّه بتقديرِ أنَّ تعليقَ العزمِ ابتداءً أو دوامًا في مثلِ ذلك؛ ولهذا لم يحنثْ المطلِّقُ المعلِّقُ وحرفُ " إنْ " لا يُبقِي العزمَ فلا بدَّ إذا دخلَ على

الماضي صارَ مستقبلاً تقولُ: إنْ جاءَ زيدٌ كان كذلك ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ﴾ [البقرة: ١٣٧].

وإذا أُريدَ الماضي دخلَ حرفُ "إنْ" كقولِه: ﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى﴾ فيفرَّقُ بينَ قولِه: أنا مؤمنٌ إنْ شاءَ اللهُ وبينَ قولِه إنْ كان اللهُ شاءَ إيماني. وكذلك إذا كان مقصودُه أنِّي لا أعلمُ بماذا يُختَمُ لي كما قيل لابنِ مسعودٍ: إنَّ فلانًا يشهدُ أنَّه مؤمنٌ. قال: فليشهدْ أنَّه من أهلِ الجنَّةِ فهذا مرادُه إذا شهدَ أنَّه مؤمنٌ عندَ اللهِ يموتُ على الإيمانِ وكذلك إنْ كان مقصودُه أنَّ إيماني حاصلٌ بمشيئةِ اللهِ. ومن لم يستثنِ قال أنَا لا أشكُّ في إيمانِ قلبي فلا جناحَ عليه إذا لم يزكِّ نفسَه ويقطعْ بأنَّه عاملٌ كما أُمِرَ وقد تقبلَّ اللهُ عملَه وإنْ لم يقلْ إنَّ إيمانَه كإيمانِ جبريلَ وأبي بكر وعمرَ ونحوِ ذلك من أقوالِ المرجئةِ[(١)]. وهو قولُ المعتزلةِ كذلك.

قال ﷺ: «وقالت المعتزلةُ: لا يجوزُ الاستثناءُ فيه بل هو شكٌّ»[(٢)].

القولُ الثالثُ: يجوزُ الاستثناءُ ويجوزُ تركُه، فإنْ أرادَ بالاستثناءِ تَرْكَ تزكيةَ النفسِ والخوفَ من ألّا يكونَ قد استكملَ الإيمانَ فهو جائزٌ، وأمَّا من أرادَ بالاستثناءِ الشكَّ في إيمانِه فلا يجوزُ، وهذا مذهبُ جماهيرِ أهلِ السُّنَّةِ، لأنَّ الاستثناءَ جاءَ في الكتابِ والسُّنَّةِ.

قال ابنُ أبي العزِّ الحنفيُّ ﷺ: أمَّا من يجوِّزُ الاستثناءَ وتركَهُ، فهم أسعدُ بالدليلِ من الفريقين وخيرُ الأمورِ أوسطُها، فإنْ أرادَ المستثنِي الشكَّ

---

(١) مجموع الفتاوى (١٣/ ٤١-٤٧).

(٢) المصدر السابق (٧/ ٦٦٦).

في أصلِ إيمانِه مُنع من الاستثناءِ، وهذا مما لا خلافَ فيه، وإنْ أرادَ أنَّه مؤمنٌ من المؤمنين الذين وصفَهم اللهُ في قولِه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَـٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ الأنفال [٢-٤].

وفي قولِه تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥].

فالاستثناءُ حينئذٍ جائزٌ، وكذلك من استثنَى وأرادَ عدمَ علمِه بالعاقبةِ، وكذلك من استثنَى تعليقًا للأمرِ بمشيئةِ اللهِ، لا شكًّا في إيمانِه، وهذا القولُ في القوةِ كما ترى[1].

قال الآجريُّ رحمه الله: من صفةِ أهلِ الحقِّ، ممن ذكرْنَا من أهلِ العلمِ: الاستثناءُ في الإيمانِ، لا على جهةِ الشكِّ – نعوذُ باللهِ من الشكِّ في الإيمانِ – ولكنَّ خوفَ التزكيةِ لأنفسِهم من الاستكمالِ للإيمانِ، لا يدري أهو ممَّنْ يستحقُّ حقيقةَ الإيمانِ أم لا؟ وذلك أنَّ أهلَ العلمِ من أهلِ الحقِّ إذا سُئلوا: أمؤمنٌ أنت؟ قال: آمنتُ باللهِ وملائكتِه وكتبِه ورسلِه واليومِ الآخرِ والجنَّةِ والنَّارِ. وأشباهِ هذا، والناطقُ بهذا والمصدِّقُ به بقلبِه مؤمنٌ، وإنَّما الاستثناءُ في الإيمانِ لا يدري أهو ممَّن يستوجبُ ما نعتَ اللهُ – عزَّ وجلَّ – به

(١) شرح العقيدة الطحاوية (ص: ٣٣٦-٣٣٧).

المؤمنين من حقيقةِ الإيمانِ أم لا؟

وهذا طريقُ الصحابةِ – رضيَ اللهُ عنهم والتابعين لهم بإحسانٍ، عندَهم أنَّ الاستثناءَ في الأعمالِ لا يكونُ في القولِ والتصديقِ بالقلبِ وإنَّما الاستثناءُ في الأعمالِ الموجبةِ لحقيقةِ الإيمانِ، والناسُ عندهم على الظاهرِ مؤمنون به يتوارثون، وبه ويتناكحون، وبه تجري أحكامُ ملَّةِ الإسلامِ، ولكنَّ الاستثناءَ منهم على حسبِ ما بَيَّناه لك وبيَّنه العلماءُ من قبلِنا(١).

قال ابنُ تيميةَ: «والمأثورُ عن الصحابةِ وأئمةِ التابعين، وجمهورِ السلفِ، وهو مذهبُ أهلِ الحديثِ، وهو المنسوبُ إلى أهلِ السُّنَّةِ: أنَّ الإيمانَ قولٌ وعملٌ، يزيدُ وينقصُ، يزيدُ بالطاعةِ، وينقصُ بالمعصيةِ، وأنَّه يجوزُ الاستثناءُ فيه»(٢).

الأدلةُ من الكتابِ والسُّنَّةِ على جوازِ الاستثناءِ في الإيمانِ:

والأدلةُ في هذا البابِ كثيرةٌ، نذكرُ منها:

قولَ اللهِ تعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ٢٧].

وقولَه سبحانه: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَا۟ىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ

(١) الشريعة (ص: ١١٠).

(٢) مجموع الفتاوى (٧/٥٠٥)، وانظر الفتاوى (٧/٤٤٨).

مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ٢٣-٢٤].

وقولَه جلَّ ذكرُه: ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٦].

وقولَه تعالى: ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ٨٠].

وقولَه سبحانه: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٩].

وأمَّا السُّنَّةُ: فقولُه ﷺ عندَ دخولِ المقبرةِ: «**السّلامُ عَلَيْكُمْ دارَ قَوْمٍ مؤمنينَ وإنّا إنْ شاءَ اللهُ بِكُمْ لاحِقونَ**»(١).

وقال ﷺ: «**وَاللهِ، إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَخْشَاكُمْ لِلَّهِ، وَأَعْلَمَكُمْ بِمَا أَتَّقِي**»(٢).

وفي الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضيَ اللهُ عنه أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ، وَأَرَدْتُ إِنْ شَاءَ اللهُ أَنْ أَخْتَبِئَ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(٣).

وفي روايةٍ «**فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا**»(٤).

---

(١) صحيح: تقدم تخريجه قريبًا.

(٢) أخرجه مسلم (١١١٠) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) أخرجه البخاري (٧٤٧٤)، ومسلم (١٩٨-٣٣٥).

(٤) أخرجه البخاري (٦٣٠٤)، ومسلم (١٩٩).

وعن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ نَبِيُّ اللهِ: لَأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى سَبْعِينَ امْرَأَةً، كُلُّهُنَّ تَأْتِي بِغُلَامٍ يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ - أَوِ الْمَلَكُ -: قُلْ: إِنْ شَاءَ اللهُ، فَلَمْ يَقُلْ وَنَسِيَ، فَلَمْ تَأْتِ وَاحِدَةٌ مِنْ نِسَائِهِ إِلَّا وَاحِدَةٌ جَاءَتْ بِشِقِّ غُلَامٍ**»، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَلَوْ قَالَ: إِنْ شَاءَ اللهُ، لَمْ يَحْنَثْ، وَكَانَ دَرَكًا لَهُ فِي حَاجَتِهِ**»(١).

حكمُ السؤالِ عن الإيمانِ:

وهو أنْ يسألَ الرجلُ غيرَه: أمؤمنٌ أنت؟

قال الأوزاعي رحمه الله: «حينما سُئِلَ عن الرجلِ يسألُ: أمؤمنٌ أنت؟؟

فأجابَ رحمه الله: إنَّ المسألةَ عمَّا تسألُه عنه بدعةٌ، والشهادةُ به تعمقٌ لم نُكَلَّفْه في دينِنا، ولم يشرعْه نبيُّنا، ليس لمن يسألُ عن ذلك فيه إمامٌ، القولُ بهِ جدلٌ والمنازعةُ فيه حدثٌ، ولعمرَي ما شهادتُك لنفسِك بالتي توجبُ لك تلك الحقيقةَ إن لم تكن كذلك، وما تركُكَ الشهادةَ لنفسِك بها بالتي تخرجُك من الإيمانِ إنْ كنت كذلك.

وإنَّ الذي يسألُكَ عن إيمانِك ليس يشكُّ في ذلكَ منكَ، ولكنَّه يريدُ أنْ ينازعَ اللهَ تبارك وتعالى علمَه في ذلك حتى تزعمَ أنَّ عِلمَه وعلمَ اللهِ في ذلك سواءٌ، فاصبرْ نفسَك على السُّنَّةِ، وقِفْ حيثُ وقفَ القومُ، وقلْ فيما قالوا، وكُفَّ عما كفُّوا، واسلكْ سبيلَ سلفِك الصالحِ، فإنَّه يسعُك ما وَسِعَهم، وقد كان أهلُ الشامِ في غفلةٍ من هذه البدعةِ حتى قذفَها إليهم

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦٣٩)، ومسلم (١٦٥٤).

بعضُ أهلِ العراقِ ممَّن دخلَ في تلك البدعةِ بعدَما وردَ عليهم فقهاؤُهم وعلماؤُهم، فأشرَبَها قلوبَ طوائفَ منهم، واستحلَّتْها ألسنتُهم، وأصابَهم ما أصابَ غيرَهم من الاختلافِ، ولستُ بآيسٍ أنْ يدفعَ اللهُ عزَّ وجلَّ شرَّ هذه البدعةِ إلى أنْ يصيروا إخوانًا في دينِهم، ولا قوةَ إلا باللهِ.

ثم قال: لو كان هذا خيرًا ما خُصِصْتُمْ به دونَ أسلافِكم، فإنَّه لم يدخِرْ عنهم ما خُبِئَ لكم دونَهم لفضلٍ عندَكم، وهم أصحابُ نبيِّنا ﷺ الذين اختارَهم اللهُ وبعثَه فيهم، ووصفَه بهم فقال: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا﴾[الفتح: ٢٩]»(١).

قال الآجريُّ رحمه الله: «إذا قال لك الرجلُ: أنت مؤمنٌ؟ فقلْ: آمنتُ باللهِ وملائكتِه وكتبِه ورسلِه واليومِ الآخرِ والموتِ والبعثِ بعد الموتِ والجنَّةِ والنَّارِ، وإنْ أحببتَ أنْ لا تجيبَه، تقولُ له: سؤالُك إيايَ بدعةٌ، فلا أجيبُكَ، وإن أجبتَه، فقلتَ: أنا مؤمنٌ إنْ شاءَ اللهُ على النعتِ الذي ذكرناه فلا بأسَ به، واحذرْ مناظرةَ مثلِ هذا، فإنَّ هذا عندَ العلماءِ مذمومٌ، واتبعْ من مضَى من أئمةِ المسلمينَ تسلمْ إنْ شاءَ اللهُ»(٢).

---

(١) رواه ابن بطة في الإبانة (١٢٢٤)، والآجري في الشريعة (٣٢٨)، والخلال في السنة (٩٧٢)، وذكره الذهبي في السير (٨/٥٤٣)، وإسناده صحيح.

(٢) الشريعة ص (١١٣).

قال ابنُ تيميةَ رحمه الله: وقد كان أحمدُ وغيرُه من السلفِ مع هذا يكرهون سؤالَ الرجلِ لغيرِه: أمؤمنٌ أنت؟ ويكرهون الجوابَ، لأنَّ هذه بدعةٌ[1] أحدثَها المرجئةُ ليحتجُّوا بها لقولِهم، فإنَّ الرجلَ يعلمُ من نفسِه أنَّه ليس بكافرٍ بل يجدُ قلبَه مصدِّقًا بما جاءَ به الرسولُ فيقولُ: أنا مؤمنٌ، فيثبتُ أنَّ الإيمانَ هو التصديقُ لأنَّك تجزمُ بأنَّك مؤمنٌ ولا تجزمُ بأنَّك فعلتَ كلَّ ما أُمرتَ به. فلمَّا علمَ السلفُ مقصدَهم صاروا يكرهون الجوابَ أو يفصِّلون في الجوابِ، وهذا لأنَّ لفظَ "الإيمانِ" فيه إطلاقٌ وتقييدٌ فكانوا يجيبون بالإيمانِ المقيَّدِ الذي لا يستلزمُ أنَّه شاهدٌ فيه لنفسِه بالكمالِ، ولهذا كان الصحيحُ أنْ يجوزَ أنْ يقالَ: أنا مؤمنٌ بلا استثناءٍ إذا أرادَ ذلك، لكنْ ينبغِي أنْ يقرنَ كلامَه بما يبيِّنُ أنَّه لم يُرِدْ الإيمانُ المطلقُ الكاملُ ولهذا كان أحمدُ يكرهُ أنْ يجيبَ على المطلقِ بلا استثناءٍ يقدمُه[2].

قال ابنُ أبي العزِّ رحمه الله: في معرضِ كلامِه عن مذهبِ الكلابيةِ في الاستثناءِ في الإيمانِ: أنَّ الإيمانَ هو ما مات الإنسانُ عليه، والإنسانُ إنما يكونُ عند اللهِ مؤمنًا أو كافرًا باعتبارِ الموافاةِ وما سبقَ في علمِ اللهِ أنَّه يكونُ عليه، وما قبلَ ذلك لا عبرةَ به، قالوا: والإيمانُ الذي يتعقبُه الكفرُ فيموتُ صاحبُه كافرًا ليسَ بإيمانٍ، كالصلاةِ التي أفسدَها صاحبُها قبلَ الكمالِ، والصيامُ الذي يُفطرُ صاحبُه قبلَ الغروبِ، وهذا مأخذُ كثيرٍ من الكلابيةِ[3] وغيرِهم.

---

(١) انظر الإبانة (١/ ٤٢٥).

(٢) الفتاوى (٧/ ٤٤٨).

(٣) انظر الفتاوى (٧/ ٤٢٩).

وعندَ هؤلاءِ أنَّ اللهَ يحبُّ في الأزلِ من كان كافرًا إذا علمِ منه أنَّه يموتُ مؤمنًا، فالصحابةُ ما زالوا محبوبين قبلَ إسلامِهم وإبليسُ ومن ارتدَّ عن دينِه ما زال اللهُ يبغضُه وإنْ كان لم يكفرْ بعدُ، وليس هذا قولَ السلفِ ولا كان يُعللُ بهذا من يستثنِي من السلفِ في إيمانِه، وهو فاسدٌ فإنْ اللهَ تعالى قال: ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٣١]، فأخبرَ أنَّه يحبُّهم إنْ اتَّبعُوا الرسولَ، فاتباعُ الرسولِ شرطُ المحبةِ والمشروطُ يتأخرُ عن الشرطِ وغيرُ ذلك من الأدلةِ.

ثم صار إلى هذا القولِ طائفةٌ غلَوْا فيه، حتى صار الرجلُ منهم يستثنِي في الأعمالِ الصالحةِ، يقولُ صليتُ إن شاءَ اللهُ ونحوُ ذلك، يعني القبولَ. ثم صار كثيرٌ منهم يستثنون في كلِّ شيءٍ، فيقولُ أحدُهم: هذا ثوبٌ إن شاءَ اللهُ، هذا جبلٌ إن شاءَ اللهُ، فإذا قيل لهم: هذا لا شكَّ فيه، يقولون: نعم، لكن إذا شاءَ اللهُ أنْ يُغيِّرَه غيَّرَه(١).

هل يُستثنَى في الإسلامِ؟

ذهبَ جماهيرُ أهلِ السُّنَّةِ من السلفِ والخلفِ إلى أنَّه لا يجوزُ الاستثناءُ في الإسلامِ، وحجتُهم أنَّ الإسلامَ يكونُ بنطقِ الشهادتين، أمَّا الإيمانُ فهو العملُ – وقد سبقَ بيانُ أنَّ الإيمانَ قولٌ وعملٌ، يزيدُ وينقصُ، ومنازلُ ودرجاتٌ – أمَّا الإسلامُ فليس وراءَه إلا الكفرُ، فإذا خرجَ من دائرتِه وقعَ في دائرةِ الكفرِ، أمَّا الإيمانُ إذا خرجَ منه وقعَ في دائرةِ الإسلامِ، وقد فرَّقَ القرآنُ بينَ الإسلامِ والإيمانِ.

---

(١) شرح الطحاوية (ص: ٣٣٤ – ٣٣٥).

قال جلَّ ذكرُه: ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ﴾ [الحجرات: ١٤].

قال أبو بكرٍ المروذيُّ رحمه الله: «قلتُ لأبي عبدِ اللهِ: نقولُ: إنَّا مؤمنون؟ قال: لا، ولكنْ نقولُ: إنَّا مسلمون»(١).

قال ابنُ بطة رحمه الله: «قيلَ لأبي عبدِ اللهِ: فأنتَ أيَّ شيءٍ تقولُ؟ فقال: نحن نذهبُ إلى الاستثناءِ، قلتُ لأبي عبدِ اللهِ: فأمَّا إذا قالَ: أنا مسلمٌ فلا يستثنِي؟ فقالَ: لا يستثنِي إذا قال: أنا مسلمٌ».

قال الزهريُّ: «نرى أنَّ الإسلامَ الكلمةُ والإيمانَ العملُ»(٢).

قال الخلالُ رحمه الله: «أخبرني عبدُ الملكِ بنُ عبدِ الحميدِ، قال: قلتُ لأبي عبدِ اللهِ: تُفرِّقُ بين الإيمانِ والإسلامِ؟ قال: نعم، وأقولُ: مسلمٌ، ولا أستثنِي، قلتُ: بأيِّ شيءٍ تحتجُّ؟ قال: عامةُ الأحاديثِ تدلُّ على هذا، ثم قال: «**لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ**»(٣).

قال اللهُ - عزَّ وجلَّ -: ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ

---

(١) السنة للخلال (١٠٧٣).

(٢) الإبانة (٢/ ٤٢٤).

(٣) صحيح: تقدم تخريجه.

فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسْلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الحجرات: ١٤-١٧]»[١].

قال ابنُ تيميةَ رحمه الله: «ولمَّا كان كلُّ من أتَى بالشهادتين صار مسلمًا متميِّزًا عن اليهودِ والنصارى، تجرِي عليه أحكامُ الإسلامِ التي تجري على المسلمين، كان هذا ممَّا يُجزَمُ به بلا استثناءٍ فيه، فلهذا قال الزهريُّ: الإسلامُ كلمةٌ، وعلى ذلك وافقه أحمدُ وغيرُه، وحين وافقه لم يُرِدْ أنَّ الإسلامَ الواجبَ هو الكلمةُ وحدَها، فإنَّ الزهريَّ أجَلُّ من أنْ يخفَى عليه ذلك، ولهذا أحمدُ يجيبُ بهذا في جوابِه الثاني خوفًا من أنْ يظنَّ أنَّ الإسلامَ ليس هو إلا الكلمةَ، ولهذا لما قالَ الأثرمُ لأحمدَ: فإذا قال: أنا مسلمٌ فلا يستثنِي؟ قال نعم: لا يستثنِي إذا قال: أنا مسلمٌ، فقلتُ له أقولُ: هذا مسلمٌ، وقد قال النبيُّ ﷺ «**المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ**»[٢]، وأنا أعلمُ أنَّه لا يسلمُ الناسُ منه، فذكرَ حديثَ معمرٍ عن الزهريِّ قال: فنرى أنَّ الإسلامَ الكلمةُ والإيمانَ العملُ».

فبيَّن أحمدُ أنَّ الإسلامَ إذا كان هو الكلمةَ فلا استثناءَ فيها، فحيثُ كان هو المفهومَ من لفظِ الإسلامِ فلا استثناءَ فيه، ولو أُريدَ بالإيمانِ هذا،

---

(١) السنة (١٠٧٧).

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ٦٤).

كما يرادُ في ذلك مثلُ قولِه: ﴿فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ﴾ [النساء: ٩٢]، فإنما أُريدَ من أظهرَ الإسلامَ، فإنَّ الإيمانَ الذي عُلِّقتْ به أحكامُ الدنيا، هو الإيمانُ الظاهرُ وهو الإسلامُ، فالمسمَّى واحدٌ في الأحكامِ الظاهرةِ[1].

---

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٤١٤-٤١٥).

المبحثُ الثالثُ: الكفرُ والظلمُ والفسقُ والنفاقُ، هل هذه الألفاظُ كلٌّ منها يأتي بمعنًى واحدٍ؟

اعلمْ أنَّ اعتقادَ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ في هذه المسألةِ أنَّ الكفرَ كفران، والشركَ شركان، والظلمَ ظلمان، والفسقَ فسقان، والنفاقَ نفاقان، بمعنَى أنَّ الكفرَ والشركَ منه ما يُخرِجُ صاحبُه من ملةِ الإسلامِ، ومنه ما لا يخرجُه من الملةِ، وكذلك الظلمُ والفسقُ والنفاقُ، هذا على وجه الإجمالِ، وسنذكرُ الأدلةَ من الكتابِ والسُّنَّةِ بشيءٍ من التفصيلِ.

أولاً: الكفرُ والشركُ:

الكفرُ لغةً: قال ابنُ فارسٍ: مصدرُ قولِهم: كفرَ يكفرُ كفرًا، وهو مأخوذٌ من مادةِ (ك ف ر) التي تدلُّ على السترِ والتغطيةِ.

يقالُ لمن غطَّى درعَه بثوبِه: قد كفرَ درعَه، المكفِّر: الرجلُ المتغطِّي بسلاحِه.

والكفرُ ضدُّ الإيمانِ، سُمِّيَ بذلك لأنَّه تغطيةُ الحقِّ، وكذا كفرانُ النعمةِ: جحودُها وسترُها[1].

قال الراغبُ: «الكفرُ في اللغةِ: سترُ الشيءِ، ووُصِفَ الليلُ بالكافرِ لسترِه الأشخاصَ، والزُّرَّاعُ لسترِهم البذرَ في الأرضِ، وليس ذلك باسمٍ لهما كما قال بعضُ أهلِ اللغةِ، وكفرُ النعمةِ وكفرانُها: سترُها بتركِ أداءِ شكرِها»[2].

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٥/ ١٩١).

(٢) المفردات (ص: ٤٣٤).

وفي الاصطلاحِ: قال الجُرجانيُّ: «هو سترُ نعمةِ المنعمِ بالجحودِ أو بعملٍ هو كالجحودِ في مخالفةِ المنعم»(١).

قال المناويُّ: «الكفرُ: تغطيةُ ما حقُّه الإظهارُ، والكفرانُ: سترُ نعمةِ المنعمِ بتركِ شكرِها.

وأعظمُ الكفرِ: جحودُ الوحدانيةِ أو النبوةِ أو الشريعةِ، ولفظُ الكفرانِ في جحودِ النعمةِ أكثرُ استعمالًا، والكفرُ في الدينِ أكثرُ، والكفورُ فيهما جميعًا»(٢).

والشركُ لغةً: هو بالكسرِ والسكونِ، والشريكُ: المشاركُ كما قال الكفويُّ(٣).

قال الراغبُ: «الشركةُ والمشاركةُ: خلطُ المِلكَيْنِ»(٤).

واصطلاحًا: قال ابنُ منظورٍ: «أشرَكَ باللهِ: جعلَ له شريكًا في ملكِه، تعالى اللهُ عن ذلك، والاسمُ: الشركُ.

والشركُ: أنْ تجعلَ مع اللهِ شريكًا في ربوبيتِه تعالى اللهُ عن الشركاءِ والأندادِ. ومَنْ عَدَلَ به شيئًا من خَلْقِه، فهو كافرٌ مشركٌ، لأنَّ اللهَ وحدَه، لا شريكَ له، ولا ندَّ له، ولا نديدَ»(٥).

---

(١) التعريفات (ص: ١٨٥).

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف (ص: ٢٨٢).

(٣) الكليات (ص: ٥٣٣).

(٤) المفردات (ص: ٤٥١).

(٥) لسان العرب (٨/٦٥٧)، ومقاييس اللغة (٥/٤٥٥)، والمفردات (٥٠٤).

والكفرُ والشركُ: قسمان:

قسمٌ يُخرِجُ صاحبَه من الملةِ، وقسمٌ لا يخرجُه. ونذكرُ هاهنا القسمَ الذي يخرجُ صاحبَه من الإسلامِ:

القسمُ الأولُ: الكفرُ الأكبرُ، والشركُ الأكبرُ:

وهو الذي يوجبُ لصاحبِه الخلودَ في النارِ، لاعتقادِه أنَّ مع اللهِ إلهًا آخرَ أو أنَّ اللهَ له ولدٌ أو صاحبةٌ – تعالى اللهُ الواحدُ الأحدُ عمَّا يقولُ الظالمون – وكلُّ من يلتجئُ إلى شيءٍ – سواءٌ كان إنسانًا أو صنمًا أو حجرًا أو وليًّا – يدعُوه ويخافُه ويعتقدُ أنَّه يملُكُ دفعَ الضرِّ عنه أو جلبَ الخيرِ له وما يشبهُه ذلك من العقائدِ الفاسدةِ – فقد أشركَ باللهِ وكفرَ كفرًا أكبرَ يخرجُه من الملةِ. فالكفرُ يكونُ بالقولِ، وبالفعلِ، وبالاعتقادِ.

قال اللهُ تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [المائدة: ١٧-١٨].

وقال جلَّ ذكرُه: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا

لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠-٣١].

وقال سبحانه: ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ﴾ [الحج: ٣١].

وقال جلَّ ثناؤه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١١٦].

وغيرُ ذلك من الآياتِ.

أنواعُ الكفرِ الأكبرِ:

جاءَ في القرآنِ أنواعٌ للكفرِ الأكبرِ منها: كفرُ التكذيبِ، وكفرُ الجحودِ، وكفرُ العنادِ والاستكبارِ، وكفرُ الشكِّ، وكفرُ الإعراضِ، وكفرُ السبِّ والاستهزاءِ، وكفرُ النفاقِ العقديِّ.

كفرُ التكذيبِ: وهو من كذَّبَ في الظاهرِ والباطنِ، ككفارِ قريشٍ وأمثالِهم من الأممِ السابقةِ.

قال اللهُ تعالى: ﴿وَيَوۡمَ نَحۡشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٖ فَوۡجٗا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمۡ يُوزَعُونَ ٨٣ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبۡتُم بِـَٔايَٰتِي وَلَمۡ تُحِيطُواْ بِهَا عِلۡمًا أَمَّاذَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [النمل: ٨٣-٨٤].

وقال سبحانه: ﴿بَلۡ كَذَّبُواْ بِمَا لَمۡ يُحِيطُواْ بِعِلۡمِهِۦ وَلَمَّا يَأۡتِهِمۡ تَأۡوِيلُهُۥ﴾ [يونس: ٣٩]، وغيرُ ذلك من الآياتِ.

كفرُ الجحودِ: يكونُ من كلِّ من عَرَفَ الحقَّ يقيناً ثم ينكرُه ويمتنعُ عن الانقيادِ لأوامرِ اللهِ، ككفرِ فرعونَ وقومِه وكفرِ اليهودِ برسالةِ النبيِّ ﷺ مع معرفةِ هؤلاءِ وهؤلاءِ أنَّه الحقُّ من عندِ ربِّهم، فليحذرْ كلُّ مسلمٍ أنْ يقعَ

تحتَ هذا النوعِ من الكفرِ.

قال اللهُ تعالى في كفرِ فرعونَ وقومِه: ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ [النمل: ١٤]، وقد تقدمَ تفسيرُ الآيةِ(١).

وقال تعالى في اليهودِ: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ ﴾ [البقرة: ٨٩]، وقال: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [البقرة: ١٤٦]، وقد سبقَ تفسيرُ هذه الآياتِ(٢).

وقال سبحانه لنبيِّنا ﷺ: ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٣].

كفرُ العنادِ والاستكبارِ: بأنَّه يعرفُ الحقَّ ومع ذلك يتكبرُ على أوامرِ اللهِ تعالى، ويعتقدُ أنَّه يسعُه الخروجُ عنها، وهذا ككفرِ إبليسَ كما قال اللهُ تعالى في شأنِه: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤]، وقال: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢].

قال قتادةُ رحمه الله: حسدُ عدوِّ اللهِ إبليسَ آدمَ عليه السلامُ على ما أعطاه اللهَ من الكرامةِ، وقال: أنا ناريٌّ وهذا طينيٌّ، وكان بدءُ الذنوبِ الكبرَ، استكبرَ عدوُّ اللهِ أنْ يسجدَ لآدمَ عليه السلامُ.

---

(١) الباب الثاني – المبحث الأول: الإيمان قول وعمل.

(٢) المبحث السابق.

قال ابنُ كثيرٍ رحمه الله: وقد ثبتَ في الصحيحِ: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ كِبْرٍ**»(١) وقد كان في قلبِ إبليسَ من الكبرِ والكفرِ والعنادِ ما اقتضَى طردَه وإبعادَه عن جنابِ الرحمةِ وحضرةِ القدسِ(٢).

كفرُ الشكِّ: قال اللهُ تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ [إبراهيم: ٩، ١٠].

قال الشنقيطيُّ رحمه الله: «صرحَ تعالى في هذه الآيةِ الكريمةِ أنَّ الكفارَ صرَّحوا للرسلِ بأنَّهم كافرون بهم، وأنَّهم شاكُّون فيما جاؤوهم به من الوحيِ، وقد نصَّ تعالى على بعضِهم بالتعيينِ أنَّهم صرَّحوا بالكفرِ به، وأنَّهم شاكُّون فيما يدعوهم إليه، كقولِ قوم صالحٍ له: ﴿أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ [هود: ٦٢]»(٣).

كفرُ الإعراضِ: قال جلَّ ذكرُه: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ﴾ [الأحقاف:٣].

قال ابنُ كثيرٍ رحمه الله: «أي: لاهون عمَّا يرادُ بهم، وقد أنزلَ اللهُ تعالى إليهم كتابًا وأرسلَ إليهم رسولاً، وهم معرضون عن ذلك كلِّه»(٤).

---

(١) أخرجه مسلم (٩١).

(٢) تفسير ابن كثير (١/٧٦).

(٣) أضواء البيان (٢/٢٤٣).

(٤) تفسير ابن كثير (٤/١٩٢).

كفرُ السبِّ والاستهزاءِ: قال جلَّ ذكرُه في شأنِ المنافقين: ﴿يَحۡذَرُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيۡهِمۡ سُورَةٞ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمۡۚ قُلِ ٱسۡتَهۡزِءُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مُخۡرِجٞ مَّا تَحۡذَرُونَ ٦٤ وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُۚ قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ٦٥ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ إِن نَّعۡفُ عَن طَآئِفَةٖ مِّنكُمۡ نُعَذِّبۡ طَآئِفَةَۢ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ﴾ [التوبة: ٦٤-٦٦].

قال السعديُّ رحمه الله: «الاستهزاءُ باللهِ وآياتِه ورسولِه كفرٌ عن الدينِ، لأنَّ أصلَ الدينِ مبنيٌّ على تعظيمِ اللهِ، وتعظيمِ دينِه ورسولِه والاستهزاءُ بشيءٍ من ذلك منافٍ لهذا الأصلِ، ومناقضٌ له أشدَّ المناقضةِ»(١).

قال ابنُ تيميةَ رحمه الله: «فإنَّا نعلمُ أنَّ منْ سبَّ اللهَ ورسولَه طوعًا بغيرِ كُرهٍ، بل من تكلَّمَ بكلماتِ الكفرِ طائعًا غيرَ مكرهٍ، ومن استهزأَ باللهِ وآياتِه ورسولِه، فهو كافرٌ باطنًا وظاهرًا»(٢).

كفرُ النفاقِ العقديِّ: هو الذي يُظهرُ الإسلامَ باللسانِ، ويكتمُ الكفرَ بالقلبِ، فظاهرُه الصلاحُ، وباطنُه الفسادُ والكفرُ.

قال اللهُ تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨].

قال القرطبيُّ رحمه الله: «لمَّا ذكرَ اللهُ جلَّ وتعالى المؤمنين أولاً، وبدأَ بهم

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٣٤٢-٣٤٣).

(٢) مجموع الفتاوى (٧/٥٥٧).

لشرفِهم وفضلِهم، ذكرَ الكافرين في مقابلتِهم، إذْ الكفرُ والإيمانُ طرفان، ثم ذكرَ المنافقين بعدَهم وألحقَهم بالكافرين قبلَهم، لنفيِ الإيمانِ عنهم بقولِه: ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾(١). انتهى.

وقال سبحانه: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَكَـٰذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١].

قال ابنُ تيميةَ رحمه الله: «فالمنافقون يصفُهم في القرآنِ بالكذبِ، وأنَّهم يقولون بأفواهِهم ما ليس في قلوبِهم، وبأنَّ في قلوبِهم من الكفرِ ما يعاقبون عليه»(٢).

قال ابنُ كثيرٍ رحمه الله: «﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَكَـٰذِبُونَ﴾. أي: فيما أخبرُوا به، وإنْ كان مطابقًا للخارجِ، لأنَّهم لم يكونوا يعتقدون صحةَ ما يقولون ولا صدقَه، ولهذا كذَّبهم بالنسبةِ إلى اعتقادِهم»(٣).

القسمُ الثاني: الكفرُ الأصغرُ والشركُ الأصغرُ.

الكفرُ الأصغرُ والشركُ الأصغرُ هما القسمُ الثاني من أقسامِ الكفرِ والشركِ ولا يخرجان صاحبَهما من ملةِ الإسلامِ.

قال اللهُ تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ﴾ إلى قولِه: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١/ ٢١١).
(٢) مجموع الفتاوى (٧/ ٢٤٢).
(٣) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٥٢).

[الحجرات: ٩-١٠].

فقد بيَّنَ اللهُ تعالى أنَّهم إخوةٌ وسمَّاهم مؤمنين مع اقتتالِهم وبَغْيِ بعضُهم على بعضٍ، وأمرَ بالإصلاحِ بينَهم بالعدلِ ولم يخرجْهم اللهُ تعالى من الإسلامِ.

وقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**سِبابُ المسْلِمِ فسُوقٌ وقِتَالُه كُفْر**»(١)، ومع ذلك فإنَّ قتالَه لا يُخرِجُ المسلمُ من الملةِ، كما بيَّنَ اللهُ تعالى ذلك في الآيةِ التي بينَ يدَيْنا.

وقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ**»(٢)، ولم ينقلْ أحدٌ من أهلِ العلمِ من الصحابةِ والتابعين ومن اتَّبعَ نهجَهم أنَّ النياحةَ أو الطعنَ في النسبِ كفرٌ يخرجُ صاحبَه من الملةِ.

قال أبو العباسِ ﵀: في معرضِ شرحِه للحديثِ، أي: من خصالِ الكفرِ(٣).

وقال اللهُ تعالى في الحديثِ القدسيِّ: «**أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**»(٤).

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَاف عَلَيْكُم الشِّرْكُ الْأَصْغَر**»،

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٧٦) ومسلم (٦٤).

(٢) أخرجه مسلم (٦٧).

(٣) المفهم (١/٢٥٦).

(٤) أخرجه مسلم (٢٩٨٥) وغيره.

قَالوا: يَا رَسُول الله وَمَا الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ؟ قَالَ: «**الرِّيَاءُ**»(١).

الظلمُ:

الظلمُ لغةً: قال ابنُ فارس: «(الظاء واللام والميم) أصلان صحيحان، أحدُهما: خلافُ الضياءِ والنورِ، والآخرُ: وضعُ الشيءِ في غيرِ موضعِه تعدِّيًا ... ظلمَه يظلمُه ظلمًا»(٢).

وقيل: الظلمُ: التصرفُ فيما لا يملِكُ التصرفَ فيه.

ويقالُ في مجاوزةِ الحقِّ، ويقالُ في الكثيرِ والقليلِ، ولهذا يستعملُ في الذنبِ الكبيرِ والذنبِ الصغيرِ، والظلمُ: النقصُ، ومنه قولِه تعالى ﴿وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا﴾ [الكهف: ٣٣].

والظلمُ: الشركُ، وفي التنزيلِ العزيزِ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢]، أي: بشركٍ، وقولُه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

والظَّلَمَةُ: المانعون أهلَ الحقوقِ حقوقَهم(٣).

واصطلاحًا: قال ابنُ رجبٍ: «التصرفُ في حقِّ الغيرِ بغيرِ حقٍّ، أو مجاوزةُ الحقِّ»(٤).

قال الجرجانيُّ: «الظلمُ: وضعُ الشيءِ في غيرِ موضعِه، وفي

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٥/ ٤٢٩) والبيهقي في الشعب (٦٨٣١).

(٢) مقاييس اللغة (٣/ ٤٦٨-٤٦٩).

(٣) لسان العرب (١٢/ ٣٧٣-٣٨٠).

(٤) جامع العلوم والحكم (ص: ٢١١).

الشريعةِ عبارةٌ عن التعدِي عن الحقِّ إلى الباطلِ وهو الجورُ، وقيل: هو التصرفُ في ملكِ الغيرِ ومجاوزةُ الحدِّ»[(١)].

وهو على ضربين: ضربٍ يُخرجُ من الملةِ، وضربٍ لا يُخرجُ صاحبَه من الملةِ أو إن شئتَ قلتَ: ظلمٌ دونَ ظلمٍ.

١ـ الظلمُ الذي يُخرجُ صاحبَه من الملةِ:

قال اللهُ تعالى: ﴿وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤].

وقال جلَّ ذكرُه: ﴿وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَۖ فَإِن فَعَلۡتَ فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٦].

عَنْ عَلْقَمَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قال[(٢)]: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾ قال أَصْحَاب رَسُولِ الله ﷺ: أَيُّنَا لَمْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ؟ فأنزل الله: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ [لقمان: ٣٣].

وقد بوَّبَ الإمامُ البخاريُّ في صحيحِه بابُ: ظلمٌ دونَ ظلمٍ.

قال ابنُ حجرٍ رحمه الله: «دونَ» يحتملُ أنْ تكونَ بمعنى غيرٍ، أي أنواعُ الظلمِ متغايرةٌ، أو بمعنى الأدنَى أي بعضُها أخفُّ من بعضٍ، وهو أظهرُ في مقصودِ المصنِّفِ، وهذه الجملةُ لفظُ حديثٍ رواه أحمدُ في كتابِ الإيمانِ... وهو في معنى قولِه تعالى: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ الآية، فاستعملَه المؤلفُ ترجمةً واستدلَّ له بالحديثِ المرفوعِ، ووجهُ الدلالةِ منه أنَّ الصحابةَ فهموا من قولِه: "بظلمٍ" عمومَ أنواعِ المعاصِي، ولم ينكرْ عليهم النبيُّ ﷺ

---

(١) التعريفات (ص: ٤٨).

(٢) أخرجه البخاري (٣٢) ومسلم (١٢٤) واللفظ للبخاري.

ذلك، وإنَّما بيَّن لهم أنَّ المرادَ أعظمُ أنواعِ الظلمِ وهو الشركُ... فدلَّ على أنَّ للظلمِ مراتبَ متفاوتةً... وأنَّ المعاصِي غيرَ الشركِ لا يُنسبُ صاحبُها إلى الكفرِ المُخرجِ عن الملةِ على هذا التقريرِ ظاهرةٌ(١).

٢ـ الظلمُ الذي دونَ الأولِ:

هو الظلمُ الذي لا يُخرجُ صاحبَه من الإسلامِ.

قال اللهُ تعالى عن نبيِّه يونسَ: ﴿لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَـٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، وقال آدمُ عليه السلامُ: ﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا﴾ [الأعراف: ٢٣]، وقال كليمُه موسى: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي فَٱغۡفِرۡ لِي﴾ [القصص: ١٦]، فدلَّتْ الآياتُ أنَّه ظلمٌ لا يُخرجُ من الملةِ.

وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضيَ اللهُ عنه؛ أَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: عَلِّمْنِي دُعَاءً أَدْعُو بِهِ فِي صَلاَتِي. قَالَ: «**قُلِ اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا وَلاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**»(٢).

الفسقُ:

الفسقُ لغةً: الفاء والسين والقاف كلمةٌ واحدةٌ، وهي الفِسْقُ، وهو

---

(١) الفتح (١/١٠٩) كتاب: الإيمان.
(٢) أخرجه البخاري (٨٣٤) ومسلم (٢٧٠٤).

الخروجُ عن الطاعةِ(١).

قال ابنُ منظورٍ رحمه الله: الفسقُ: العصيانُ والتركُ لأمرِ اللهِ عزَّ وجلَّ، والخروجُ عن طريقِ الحقِّ، يقالُ: فَسَقَ يَفسِقُ ويفسُقُ وفسوقًا وفَسُقَ، أي: فجرَ، وقيل: الفسقُ الخروجُ من الدينِ، وكذلك الميلُ إلى المعصيةِ، كما فسقَ إبليسُ عن أمرِ ربِّهِ، أي: جارَ ومالَ عن طاعتِه(٢).

واصطلاحًا: قال الكفويُّ رحمه الله: «الفسقُ: التركُ لأمرِ اللهِ تعالى والعصيانُ والخروجُ عن طريقِ الحقِّ والفجورِ»(٣).

قال المناويُّ رحمه الله: «الفسقُ: الخروجُ عن الطاعةِ بارتكابِ الذنبِ وإنْ قلَّ، ولكنْ تُعُورفَ فيما إذا كانَ كبيرةً، وأكثرُ ما يقالُ عن الفاسقِ لمن التزمَ حكمَ الشرعِ وأخلَّ بأحكامِه»(٤).

والفسقُ أيضًا نوعان أو ضربان: نوعٌ يُخرجُ من الملةِ، والآخرُ لا يخرجُ من الملةِ ويكونُ صاحبُه مسلمًا عاصيًا بفسقِه.

١ـ الفسقُ الذي يُخرجُ صاحبَه من الملةِ:

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ﴾ [الكهف: ٥٠].

وقال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا

---

(١) مقاييس اللغة (٥/ ١٩١).

(٢) اللسان (١٠/ ٣٠٨).

(٣) الكليات (ص: ٦٩٢-٦٩٣).

(٤) التوقيف على مهمات التعاريف (ص: ٥٥٧).

﴿ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ [البقرة: ٩٩].

وقال سبحانه في شأنِ قومِ فرعونَ: ﴿فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ﴾ [الزخرف: ٥٤]، ومن المعلومِ أنَّ قومَ فرعونَ كانوا كفارًا، وغيرُ ذلك من الأدلةِ.

٢ـ الفسقُ الذي دونَ الكفرِ:

قال اللهُ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحجرات: ٦]، والآيةُ قد نزلتْ في رجلٍ مسلمٍ كذا أوردَ الإمامُ أحمدُ في مسندِه من حديثِ الحارثِ بنِ ضرارٍ الخزاعيِّ(١).

وقال تعالى: ﴿ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ﴾ [البقرة: ١٩٧].

قال الطبريُّ ؒ: معنى قولِه: ﴿وَلَا فُسُوقَ﴾ النهيُّ عن معصيةِ اللهِ في إصابةِ الصيدِ، وفعلِ ما نَهَى اللهُ المُحْرِمَ عن فعلِه في حالِ إحرامِه(٢).

وقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**سِبَابُ**(٣) **المُسْلِمِ فُسُوقٌ**...»(٤).

رابعًا: النفاقُ:

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٤/٢٧٩) والبخاري في "تاريخه الأوسط" (١/٩١)، وابن قانع في معجم الصحابة (١/١٧٧) والطبراني في "الكبير" (٣٣٩٥).

(٢) جامع البيان (٢/٣٦٩).

(٣) السبّ: الشتم والقطع والطعن.. والتّساب: التشاتم والتقاطع – مختار الصحاح (ص: ١٢٣) مادة (س ب ب).

(٤) صحيح: تقدم تخريجه.

النفاقُ لغةً: بالكسرِ، مأخوذٌ من مادةِ نفقَ، والنَّفَقُ: هو المسلكُ بين طريقين، يدخلُ الإنسانُ من جانبٍ، ويخرجُ من هذا النفقِ من جانبٍ آخرَ، ومنه قولُه تعالى: ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٣٥]، وعلى ذلك نبَّهَ القرآنُ الكريمُ بقولِه: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [التوبة: ٦٧]، أي: الخارجونَ من الشرعِ.

والنافِقاءُ: بكسرِ الفاءِ، جحرُ الضبِّ واليربوعِ، وسُمِّىَ المنافقُ منافقًا، لأنَّه متشبهٌ بالضبِّ أو اليربوعِ، فظاهرُ جحرِ الضبِّ ترابٌ، وباطنُه حفرٌ، والضبُّ يجعلُ المسلكَ الأولَ بجحرِه ترابًا بحيثُ يُخدعُ الناظرُ إليه، وإنْ أرادَ أنْ يخرجُ خرجَ من الجانبِ الآخرِ، وظاهرُ المنافقِ إيمانٌ وباطنُه كفرٌ، ظاهرُه خيرٌ وباطنُه شرٌّ، ظاهرُه هدىً وباطنُه فجورٌ، ظاهرُه الصلاحُ وباطنُه فسادٌ[(١)].

قال ابنُ رجبٍ رحمه الله: «والذي فسَّرَ به أهلُ العلمِ المعتبرون أنَّ النفاقَ في اللغةِ: هو من جنسِ الخداعِ والمكرِ، وإظهارِ الخيرِ وإبطانِ خلافِه»[(٢)].

واصطلاحًا: إظهارُ الإيمانِ باللسانِ، وكتمانُ الكفرِ بالقلبِ[(٣)].

وقد سُئلَ حذيفةُ رضي الله عنه: ما النفاقُ؟ قال: «الذي يصفُ الإسلامَ ولا

---

(١) لسان العرب (٨/٦٥٧)، ومقاييس اللغة (٥/٤٥٥)، والمفردات (٥٠٤).
(٢) جامع العلوم والحكم ص٤٨١.
(٣) التعريفات (ص: ٢٣٦).

يعملُ به»[(١)].

وهو نوعان كالكفرِ والظلمِ والفسقِ:[(٢)]

١ـ النفاقُ العقديّ:

وهذا النوعُ من النفاقِ يُخرجُ صاحبَه من الإسلامِ لأنَّه يُكذِّبُ بما جاءَ به النبيُّ ﷺ في الباطنِ وإنْ كان في الظاهرِ يعملُ أعمالَ الإسلامِ من نطقِ الشهادتين وغيرِ ذلك، فهو مرتبطٌ بالاعتقادِ، وقد قدَّمْنا الأدلةَ على أنَّ نطقَ اللسانِ بغيرِ اعتقادِ القلبِ لا ينفعُ صاحبَه.

قال اللهُ تعالى: ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾ [المنافقون: ١]، وقد تقدَّمَ تفسيرُ الآيةِ[(٣)].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [النساء: ١٤٢] إلى قولِه: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥].

وقال جلَّ ذكرُه: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ۝٨ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/٤٨٤)، وعبد الله بن أحمد في «السنة» (٨٠٦-٨٢٦)، والخلال في «السنة» (١٦٣٩).

(٢) راجع الباب الثاني – مبحث: الإيمان قول وعمل.

(٣) راجع المصدر السابق.

أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴾ [البقرة: ٨-٩].

قال أبو جعفرٍ رحمه الله: وقد أخبرَ اللهُ جلَّ ثناؤُه عن الذينَ ذكرَهم في كتابِه من أهلِ النفاقِ؛ أنَّهم قالوا بألسنتِهم: ﴿ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ ﴾ ثم نفَى عنهم أنْ يكونُوا مؤمنين، إذْ كان اعتقادُهم غيرَ مصدِّقٍ قولَهم هذا، وقولُه: ﴿ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ﴾ يعني: بمصدَّقينَ فيما يزعمون أنَّهم به مصدِّقُون(١).

٢ـ النفاقُ العمليّ:

وصاحبُه مؤمنٌ ناقصُ الإيمانِ ولا يكونُ صاحبُه كافرًا.

قَالَ رَسُولُ الله ﷺ قَالَ: «**آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاَثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ**»(٢).

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ**»(٣).

وها هي أقوالُ أهلِ العلمِ في هذه المسألةِ:

قال الحافظُ ابنُ حجرٍ رحمه الله: قولُه: (بابُ: علاماتُ المنافقِ) لما قدَّمَ أنَّ مراتبَ الكفرِ متفاوتةٌ وكذلك الظلمُ، أتبعَهُ بأنَّ النفاقَ كذلك، وقال

(١) جامع البيان (١/ ١٧٢).
(٢) أخرجه البخاري (٣٣) ومسلم (٥٩).
(٣) أخرجه البخاري (٣٤) ومسلم (٥٨).

الشيخ مُحيي الدينِ: مرادُ البخاريِّ بهذه الترجمةِ أنَّ المعاصِي تُنقِص الإيمانَ كما أنَّ الطاعةَ تزيدُه.

وقال الكرمانيُّ ﵀: مناسبةُ هذا البابِ لكتابِ الإيمانِ: أنَّ النفاقَ علامةُ عدمِ الإيمانِ، أو ليُعلمَ منه أنَّ بعضَ النفاقِ كفرٌ دونَ بعضٍ.

والنفاقُ لغةً: مخالفةُ الباطنِ للظاهرِ، فإنْ كان في اعتقادِ الإيمانِ فهو نفاقُ الكفرِ، وإلا فهو نفاقُ العملِ ويدخلُ فيه الفعلُ والتركُ وتتفاوتُ مراتبُه(١).

قال ابنُ تيميةَ ﵀: من المعلومِ بالاضطرارِ من دينِ الإسلامِ – دينِ النبيِّ ﷺ – أنَّ الناسَ كانوا على عهدِه بالمدينةِ ثلاثةَ أصنافٍ: مؤمنٍ، وكافرٍ مظهرٍ للكفرِ، ومنافقٍ ظاهرُه الإسلامُ وهو في الباطنِ كافرٌ.

ولهذا التقسيم أنزلَ اللهُ في أولِ سورةِ البقرةِ الأصنافَ الثلاثةَ، فأنزلَ أربعَ آياتٍ في صفةِ المؤمنين، وآيتين في صفةِ الكافرين، وبضعَ عشرةَ آيةً في صفةِ المنافقين... وقولُه: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ﴾ [البقرة: ٨]، الآيات في صفةِ المنافقين(٢).

وقال في موضعٍ آخرَ: فقد يجتمعُ في الإنسانِ إيمانٌ ونفاقٌ، وبعضُ شعبِ الإيمانِ وشعبةٌ من شعبِ الكفرِ، كما في الصحيحين... «**أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيه..**» وساقَ الحديثَ كما تقدَّمَ(٣).

قال ابنُ القيمِ ﵀ في معرضِ شرحِه للحديثِ الصحيحِ: «**سِبَابُ**

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (١/ ١١١).
(٢) مجموع الفتاوى (٧/ ٤٦١) باختصار.
(٣) الفتاوى (٧/ ٥١٩).

المُسْلِمِ فُسُوقٌ»(١) ففرَّقَ بين سبابِه وقتالِه، وجعلَ أحدَهما فسوقًا لا يُكَفَّرُ به والآخرَ كفرًا، ومعلومٌ: أنَّه إنَّما أرادَ الكفرَ العمليَّ لا الاعتقاديَّ، وهذا الكفرُ لا يُخرجُ من الدائرةِ الإسلاميةِ والملةِ بالكليَّةِ، كما لا يَخرجُ الزاني والسارقُ والشاربُ من الملةِ وإن زالَ عنه اسمُ الإيمانِ(٢).

وهذا التفصيلُ هو قولُ الصحابةِ الذين هم أعلمُ الأمةِ بكتابِ اللهِ وبالإسلامِ والكفرِ ولوازمِهما، فلا تُتلَقَّى هذه المسائلُ إلا عنهم، فإنَّ المتأخرين لم يفهموا مرادَهم، فانقسموا فريقين: فريقًا أَخرجُوا من الملةِ بالكبائرِ وقضَوْا على أصحابِها بالخلودِ في النارِ، وفريقًا جعلُوهم مؤمنين كاملي الإيمانِ، فهؤلاء غلَوْا، وهؤلاء جَفَوْا، وهدى اللهُ أهلَ السُّنَّةِ للطريقةِ المثلَى، والقولُ الوسطُ الذي هو في المذاهبِ كالإسلامِ في المللِ، فهاهنا كفرٌ دون كفرٍ، ونفاقٌ دون نفاقٍ، وشركٌ دون شركٍ، وفسوقٌ دون فسوقٍ، وظلمٌ دون ظلمٍ(٣)... ثم ساق جملةً من أدلةِ الكتابِ والسُّنَّةِ والتي ذُكِرتْ هنا في ثنايا المبحثِ.

---

(١) متفق عليه: تقدم تخريجه.
(٢) يشير إلى حديث: «لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ» متفق عليه – تقدم تخريجه.
(٣) انظر كتاب الصلاة وحكم تاركها (ص: ٤٦).

المبحثُ الرابعُ: اختلافُ الناسِ في حكمِ مرتكبِ الكبيرةِ:

هذه مسألةٌ من المسائلِ الشائكةِ التي زلَّتْ فيها أقدامُ أقوامٍ وضلتْ فيها أفهامٌ، فانقسمَ الناسُ في حكمِ مرتكبِ الكبيرةِ إلى ثلاثِ طوائفَ، طرفينِ ووسطٍ.

فقالتْ طائفةٌ: مرتكبُ الكبيرةِ كافرٌ خارجٌ من ملةِ الإسلامِ ويخلدُ في النارِ وهم الخوارجُ - ومن تبعَهم من أهلِ البدعِ- وكانوا أولَ من كفَّرَ المسلمين.

وقالت طائفةٌ: لا يضرُّ مع الإيمانِ معصيةٌ فحكمُوا لكلِّ من قال أشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ بالنجاةِ من النارِ، وإن تركَ العملَ بالكليَّةِ، وهؤلاءِ هم المرجئةُ.

وهدَى اللهُ الطائفةَ المنصورةَ أهلَ السُّنَّةِ والجماعةِ لـمَا اختلفوا فيه، فهم لا يكفِّرون مرتكبَ الكبيرةِ – ما لم يستحلَّها – ولا يشهدون لتاركِ الأعمالِ في الظاهرِ والباطنِ بالنجاةِ من النارِ، لكنَّ حكمَهم في هذه المسألةِ بناءً على الأدلةِ من الكتابِ والسُّنَةِ بفهمِ السلفِ الصالحِ من الصحابةِ ومن تبعَهم بإحسانٍ.

ومنشأُ خطأِ الفرقِ المخالفةِ لأهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ في بابِ الإيمانِ، يرجعُ إلى شبهةٍ واحدةٍ، وهي: اعتقادُهم أنَّ الإيمانَ شيءٌ واحدٌ لا يتجزأُ ولا يتبعضُ، أي: لا يزيدُ ولا ينقصُ، ولذلك اختلفوا في حكمِ الإيمانِ عندَ نقصانِه، فقالت المرجئةُ: إذا ثبتَ بعضُه ثبتَ كلُّه، وقال الوعيديةُ: إذا زال بعضُه زال كلُّه.

قال شيخُ الإسلامِ رحمه الله: «وهذا هو الأصلُ الذي تفرعتْ عنه البدعُ في الإيمانِ، فإنَّهم ظنَّوا أنَّه متى ذهبَ بعضُه ذهبَ كلُّه ولم يبقَ منه شيءٌ، ثم قالت الخوارجُ والمعتزلةُ: هو مجموعُ ما أمرَ اللهُ به ورسولُه، وهو الإيمانُ المطلقُ كما قال أهلُ الحديثِ، قالوا: إذا ذهبَ شيءٌ منه لم يبقَ مع صاحبِه من الإيمانِ شيءٌ فيخلدُ في النارِ.

وقالت المرجئةُ – على اختلافِ فرقِهم – لا تُذْهبُ الكبائرُ وتركُ الواجباتِ الظاهرةِ شيئًا من الإيمانِ، إذ لو ذهبَ شيءٌ منه لم يبقَ منه شيءٌ، فيكونُ شيئًا واحدًا يستوي فيه البَرُّ والفاجرُ، ونصوصُ الرسولِ ﷺ تدلُّ على ذهابِ بعضِه وبقاءِ بعضِه، كقولِه ﷺ: «**يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ**»(١)»(٢). انتهى.

فهذا أصلُ شبهةِ الفرقِ المخالفةِ لأهلِ السُّنَّةِ في هذا البابِ، وهدى اللهُ فيها أهلَ السُّنَّةِ للحقِّ والصوابِ.

فقد فارقَ أهلُ السُّنَّةِ أهلَ البدعِ في بابِ الإيمانِ في ثلاثِ مسائلَ:

الأولى: أنَّ أهلَ السُّنَّةِ يروْنَ أنَّ الإيمانَ يتجزأُ ويتبعضُ، فيذهبُ بعضُه ويبقى بعضُه خلافًا لعامةِ المخالفين، فإنَّهم لا يروْنَ ذلك.

الثانيةُ: أنَّ الإيمانَ عندَ أهلِ السُّنَّةِ يزيدُ وينقصُ، ويُتفاضَلُ فيه، ولا يرى ذلك عامةُ أهلِ البدعِ، بناءً على أصلِهم أنَّ الإيمانَ لا يتجزأُ.

---

(١) صحيح: تقدم تخريجه.

(٢) مجموع الفتاوى (٧/ ٢٢٣).

قال شيخُ الإسلامِ رحمه الله: وبهذا يتبينُ الجوابُ عن شبهةِ أهلِ البدعِ من الخوارجِ والمرجئةِ وغيرِهم ممَّن يقولُ: إنَّ الإيمانَ لا يتبعضُ ولا يتفاضلُ ولا ينقصُ، قالوا: لأنَّه إذا ذهبَ منه جزءٌ ذهبَ كلُّه، لأنَّ الشيءَ المركبَ من أجزاءٍ متى ذهبَ منه جزءٌ ذهب كلُّه ... ومن هذا الأصلِ تشعبتْ بهم الطرقُ، وأمَّا الصحابةُ وأهلُ السُّنَّةِ والحديثِ فقالوا: «إنَّه يزيدُ وينقصُ»(١).

الثالثةُ: أنَّه قد يجتمعُ في الرجلِ عندَ أهلِ السُّنَّةِ كفرٌ وإيمانٌ، وشركٌ وتوحيدٌ، وهذا ما دلتْ عليه النصوصُ كقولِه تعالى: ﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦]، وقد خالفَ في هذا عامةُ أهلِ البدعِ وأنكروه، بل ذهبَ الخوارجُ أنَّه لا يجتمعُ في الشخصِ الواحدِ طاعةٌ ومعصيةٌ(٢).

قال ابنُ القيمِ رحمه الله: «وها هنا أصلٌ آخرُ، وهو أنَّ الرجلَ قد يجتمعُ فيه كفرٌ وإيمانٌ، وشركٌ وتوحيدٌ، وتقوى وفجورٌ، ونفاقٌ وإيمانٌ، وهذا من أعظمِ أصولِ أهلِ السُّنَّةِ، وخالفَهم فيه غيرُهم من أهلِ البدعِ، كالخوارجِ، والمعتزلةِ، والقدريةِ، ومسألةُ خروجِ أهلِ الكبائرِ من النارِ، وتخليدِهم فيها مبنيَّةٌ على هذا الأصلِ»(٣).

---

(١) منهاج السنة (٥/٢٠٤-٢٠٥).

(٢) انظر مجموع الفتاوى (٧/٣٥٣).

(٣) الصلاة وحكم تاركها (ص: ٥٠).

أمّا ما فارقَ فيه أهلُ السّنّةِ المرجئةَ على وجهِ الخصوصِ، ففي ثلاثِ مسائلَ:

الأولى: يرى أهلُ السُّنَّةِ دخولَ الأعمالِ في مسمَّى الإيمانِ[1]، بينما لا يرى ذلك المرجئةُ.

الثانيةُ: أهلُ السُّنَّةِ لا يقطعون لأحدٍ من المسلمين بالإيمانِ الكاملِ، ولا ينفُون عنه أصلَ الإيمانِ، والمرجئةُ يجعلون كلَّ من حققَ أصلَ الإيمانِ مؤمنًا كاملاً، بل يجعلون الفاسقَ مؤمنًا كاملاً.

الثالثةُ: أهلُ السُّنَّةِ يجوِّزون الاستثناءَ في الإيمانِ المطلقِ الكاملِ، ويمنعون منه في أصلِ الإيمانِ، فهم لا يشهدون لأنفسِهم بالإيمانِ الكاملِ، ولا يشكُّون في أصلِ إيمانِهم، وأمَّا المرجئةُ فهم يحرِّمون الاستثناءَ في الإيمانِ بناءً على أصلِهم، أنَّ الإيمانَ شيءٌ واحدٌ وهو تصديقُ القلبِ، ويسمُّون من يستثنِي شاكًّا.

وأمّا ما فارقَ فيه أهلُ السّنّةِ الوعيديةَ، ففي ثلاثِ مسائلَ أيضًا:

الأولى: أنَّ أهلَ السُّنَّةِ يعتقدون بقاءَ أصلِ الإيمانِ مع وجودِ الذنوبِ، والخوارجُ والمعتزلةُ يعتقدون ذهابَ الإيمانِ بالكليَّةِ مع وجودِ بعضِ الذنوبِ، ولهذا فأهلُ السُّنَّةِ لا يُخرجون أصحابَ المعاصِي من الإسلامِ، والخوارجُ والمعتزلةُ يخرجونهم.

الثانيةُ: أهلُ السُّنَّةِ يفرِّقون بين الإسلامِ والإيمانِ عندَ اجتماعِهما، كما دلَّ على ذلك حديثُ جبريلَ.

---

(١) قد سبق بيان ذلك.

يقولُ شيخُ الإسلامِ رحمه الله: «قد فرَّق النبيُّ ﷺ في حديثِ جبريلَ بينَ مسمَّى الإسلامِ، ومسمَّى الإيمانِ، ومسمَّى الإحسانِ»(١).

أمَّا الخوارجُ والمعتزلةُ فلا يفرِّقون بين الإسلامِ والإيمانِ.

الثالثةُ: مخالفةُ أهلِ السُّنَّةِ للخوارجِ والمعتزلةِ في مسمَّى الفاسقِ وحكمِه، فأهلُ السُّنَّةِ يقولون: هو مسلمٌ، وحكمُه في الآخرةِ تحت مشيئةِ اللهِ، إنْ شاءَ اللهُ عذَّبَه، وإنْ شاءَ غفرَ له، والخوارجُ يقولون: «هو كافرٌ وحكمُه في الآخرةِ أنَّه خالدٌ مخلدٌ في النارِ، والمعتزلةُ يقولون: هو في منزلةٍ بينَ المنزلتين، لا مؤمنٌ ولا كافرٌ في الدنيا، وحكمُه في الآخرةِ خالدٌ مخلدٌ في النارِ»(٢).

ونذكرُ أدلةَ كلِّ طائفةٍ وأقوالَ أهلِ العلمِ في المسألةِ:

الطائفةُ الأولى: **الخوارجُ**: أولُ ظهورِ الخوارجِ كان على عهدِ رسولِ اللهِ ﷺ حينَ طعنَ رجلٌ يسمَّى ذو الخويصرةِ(٣) على رسولِ اللهِ ﷺ وهو يقسِّمُ الغنائمَ فقال له: اعدلْ يا محمدُ، كما جاءَ في الصحيحين من حديثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِالْجِعْرَانَةِ مُنْصَرَفَهُ مِنْ حُنَيْنٍ، وَفِي ثَوْبِ بِلاَلٍ فِضَّةٌ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يَقْبِضُ مِنْهَا، يُعْطِي النَّاسَ، فَقَالَ: يَا

---

(١) مجموع الفتاوى (٦/٧ – ٣٦٦ – ٣٧٢ – ٣٧٥).

(٢) انظر مجموع الفتاوى (٢٤١/٧ – ٢٤٢) و (٤٧٠/١٢–٤٨٤)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (ص: ٤٤٢).

(٣) انظر حديث أبي سعيد الخدري الذي أخرجه البخاري (٣٦١٠) ومسلم (١٤٨ – ١٠٦٤).

مُحَمَّدُ، اعْدِلْ، قَالَ: «وَيْلَكَ وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ؟ لَقَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ»، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: دَعْنِي، يَا رَسُولَ اللهِ فَأَقْتُلَ هَذَا الْمُنَافِقَ، فَقَالَ: «مَعَاذَ اللهِ، أَنْ يَتَحَدَّثَ النَّاسُ أَنِّي أَقْتُلُ أَصْحَابِي، إِنَّ هَذَا وَأَصْحَابَهُ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنْهُ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ»(١).

وقال ﷺ: «سَيَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ أَحْدَاثُ الْأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا، لِمَنْ قَتَلَهُمْ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (٢).

وفي روايةِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أن رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «إِنَّ مِن ضِئْضِئِ هذا قومًا يَقْرَءُونَ القرآنَ لا يُجاوِزُ حَناجِرَهِم، يَقْتلونَ أَهْلَ الإِسْلامِ وَيَدْعونَ أَهْلَ الأوثانِ، يَمْرُقونَ من الإسلامِ كما يَمرُقُ السهمُ مِن الرَّمِيَّةِ وَلَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُم قَتْلَ عادٍ»(٣)، وفي روايةٍ «لَأَقْتُلَنَّهُم قَتْلَ ثمودَ»(٤).

تعريفُ الخوارجِ:

الخوارجُ جمعُ خارجةٍ: أي طائفةٍ، وهم قومٌ مبتدعون سُمُّوا بذلك لخروجِهم عن الدينِ وخروجِهم على خيارِ المسلمين(٥).

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٣٨) ومسلم (١٤٢-١٠٦٣) واللفظ لمسلم.
(٢) أخرجه البخاري (٣٦١١) ومسلم (١٥٤-١٠٦٦) واللفظ لمسلم.
(٣) أخرجه البخاري (٣٣٤٤) ومسلم (١٤٣-١٠٦٤) واللفظ لمسلم.
(٤) أخرجه البخاري (٤٣٥١) ومسلم (١٤٤-١٠٦٤) واللفظ لمسلم.
(٥) عمدة القاري (١٦/٢٠٦) للبدر العيني.

وفي الاصطلاح: كلُّ من خرجَ على الإمامِ الحقِّ الذي اتفقتْ الجماعةُ عليه يسمَّى: خارجيًّا، سواءٌ كان الخروجُ في أيام الصحابةِ على الأئمةِ الراشدين أو كان بعدَهم على التابعين بإحسانٍ، والأئمةِ في كلِّ زمانٍ.

فِرَقُ الخوارج: منهم المحَكِّمةُ والأزارقةُ والنجداتُ والبيهسيةُ والعجاردةُ والثعالبةُ والإباضيةُ والصفريةُ والباقون فروعُهم.

ويجمعُهم: القولُ بالتبرِّي من عثمانَ وعليٍّ رضيَ اللهُ عنهما، ويقدمون ذلك على كلِّ طاعةٍ، ولا يصحِّحُون المناكحاتِ إلا على ذلك، ويكفرون أصحابَ الكبائرَ، ويرونَ الخروجَ على الإمامِ إذا خالفَ السُّنَّةَ حقًّا واجبًا[(١)].

أدلتُهم على تكفيرِ مرتكبِ الكبيرةِ، والردّ عليهم:

١- قولُ اللهِ تعالى: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَـٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَـٰٓئِكَ أَصۡحَـٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٨١].

الردُّ: السيئةُ في هذه الآيةِ تعني الكفرَ ولا تعنِي الكبيرةَ كما زعمُوا.

قال ابنُ جريرٍ ﷺ: وقد ثبتَ وصحَّ أنَّ اللهَ تعالى ذكرُه قد عنَى بذلك أهلَ الشركِ والكفرِ به بشهادةِ جميعِ الأمةِ، فوجبَ بذلك القضاءُ على أنَّ أهلَ الشركِ والكفرِ ممَّن عناه اللهُ بالآيةِ.

فأمَّا أهلُ الكبائرِ، فإنَّ الأخبارَ القاطعةَ عُذرَ منْ بَلَغَتْهُ قد تظاهرتْ عندَنا بأنَّهم غيرُ معنيِّين بها، فمن أنكرَ ذلك ممَّن دافعَ حجةَ الأخبارِ المستفيضةِ والأنباءِ المتظاهرةِ فاللازمُ له تركُ قطعِ الشهادةِ على أهلِ الكبائرِ

(١) الملل والنحل (١/ ١٣٠) للشهرستاني. والحاوي الكبير (١٣/ ١١٧).

بالخلودِ في النارِ بهذه الآيةِ ونظائرِها التي جاءتْ بعمومِهم في الوعيدِ[(١)].

قال القرطبيُّ: قولُه تعالى: ﴿ سَيِّئَةً ﴾ السيئةُ: الشركُ.

وقال ابنُ جريجٍ لعطاءٍ[(٢)]: ﴿ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً ﴾؟ قال: الشركُ[(٣)].

وقد دلَّ القرآنُ أنَّ السيئةَ تأتي بمعنى الشركِ كما تقدَّمَ، وتأتي بمعنى الذنبِ.

قال جلَّ ذكرُه: ﴿ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ ﴾ [النساء: ٣١]، أي: إذا اجتنبتُم كبائرَ الآثامِ التي نُهيتُم عنها، كفَّرْنا عنكم صغائرَ الذنوبِ[(٤)].

وقولُه تباركَ وتعالى: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾ [الشورى: ٤٣]. كقولِه تعالى: ﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ [البقرة: ١٩٤]، وكقولِه: ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ﴾ [النحل: ١٢٦]، فشرعَ العدلَ وهو القصاصُ، وندبَ إلى

---

(١) جامع البيان (١/ ٥٤٤).

(٢) هو: عطاء بن أبي رباح، أبو محمد القرشي مولاهم المكي، ولد سنة سبع وعشرين، وسمعت بعض أهل العلم يقول: كان عطاء أسود، أعور، أفطس، أشل، أعرج، ثم عمي، وكان ثقة فقيهًا، عالمًا كثير الحديث، وقال ابن جريج: كان المسجد فراش عطاء عشرين سنة، وكان من أحسن الناس صلاة . مات سنة أربع عشرة ومائة.
سير أعلام النبلاء (٥/ ٦٨)، وتهذيب التهذيب (٧/ ١٩٩-٢٠١)، وتاريخ دمشق (٤٠/ ٣٦٦).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٢/ ١٦).

(٤) تفسير ابن كثير (١/ ٤٦١).

الفضلِ وهو العفوُ(١).

والقصاصُ قد يكونُ في الكبائرِ، ولم يحكم اللهُ عليه بالخلودِ في النارِ.

٢- قولُ اللهِ تعالى: ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [النساء: ١٤].

الردُّ: الخلودُ في النارِ في الآيةِ في حقِّ من عصَى اللهَ ورسولَه معصيةً أدخلتْه في الشركِ الأكبرِ، وليستْ في حقِّ عصاةِ المسلمين الموحِّدين، وأدلةُ ذلك من الكتابِ والسُّنَّةِ كثيرةٌ جدًّا، وسيأتي بيانُ ذلك.

قال السعديُّ رحمه الله: ويدخلُ في اسمِ المعصيةِ الكفرُ فما دونَه من المعاصِي، فلا يكونُ فيها شبهةٌ للخوارجِ القائلين بكفرِ أهلِ المعاصِي ... ومن عصَى اللهَ ورسولَه معصيةً تامةً يدخلُ فيها الشركُ فما دونَه، دخلَ النارَ وخلدَ فيها، ومن اجتمعَ فيه معصيةٌ وطاعةٌ، كان فيه من موجبِ الثوابِ والعقابِ بحسبِ ما فيه من الطاعةِ والمعصيةِ، وقد دلَّتْ النصوصُ المتواترةُ على أنَّ الموحدينَ الذي معَهم طاعةُ التوحيدِ غيرُ مخلدين في النارِ، فما معهم من التوحيدِ مانعٌ لهم من الخلودِ في النارِ(٢). انتهى.

وأيضًا من أدلةَ القرآنِ أنَّ اللهَ تعالى لا يغفرُ لمنْ ماتَ على الشركِ، أمَّا من اقترفَ المعاصِي – ولم يستحلَّها – وماتَ دونَ توبةٍ فهو في المشيئةِ، إنْ شاءَ اللهُ عذَّبَه ثم يدخلُه الجنةُ لما معه من التوحيدِ، وإنْ شاءَ غفرَ له وأدخلَه الجنةَ.

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ١٤٠).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (١/ ١٧٠).

قال اللهُ تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨].

قال البيهقيُّ رحمه الله: يعني: ما دونَ الشركِ لمن يشاءُ بلا عقوبةٍ، وقد يُعاقِبُ بعضَهم على ما اقترفَ من الذنوبِ ثم يعفُو عنه ويدخلُ الجنةَ بإيمانِه(١).

وقال رسولُ اللهِ ﷺ لأصحابِه: «**تَعَالَوْا بَايِعُونِي عَلَى أَنْ لاَ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلاَ تَسْرِقُوا، وَلاَ تَزْنُوا، وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ، وَلاَ تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ، وَلاَ تَعْصُونِي فِي مَعْرُوفٍ، فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ بِهِ فِي الدُّنْيَا فَهْوَ لَهُ كَفَّارَةٌ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَسَتَرَهُ اللَّهُ فَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ، إِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ، وَإِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ**» . قَالَ: فَبَايَعْتُهُ عَلَى ذَلِكَ(٢).

قال أبو العباسِ رحمه الله في معرضِ شرحِه للحديثِ: وهذا صريحٌ بأنَّ ارتكابَ الكبائرِ ليس كفرًا(٣)؛ لأنَّ الكفرَ لا يُغفرُ لمن ماتَ عليه بالنصِّ والإجماعِ. وهو حجةٌ لأهلِ السُّنَّةِ على المكفرةِ بالذنوبِ وهم الخوارجُ وأهلُ البدعةِ(٤).

٣- احتجُّوا بأحاديثَ ظاهرُها خروجُ مرتكبِ الكبيرةِ من دائرةِ

---

(١) الاعتقاد (ص: ٢١٥).
(٢) أخرجه البخاري (٣٨٩٢) ومسلم (١٧٠٩) وغيرهما.
(٣) ما لم يستحلها، وسيأتي تفصيل ذلك.
(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٥/ ١٤٢).

الإيمانِ، وبأحاديثَ ظاهرُها يدلُّ على عدمِ دخولِ مرتكبِ الكبيرةِ الجنةَ، فحكموا عليه بالخلودِ في النارِ.

مثلَ حديثِ أبي هريرةَ؛ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «**لا يَزْنِي الزَّانِي حِيْنَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِن...**»(١).

وقولِه ﷺ: «**لا يَدخلُ الجنةَ قتَّاتٌ**(٢)»(٣)، وقولِه ﷺ: «**لا يَدْخُلُ الجنةَ قاطِعٌ**»(٤) أي: قاطعُ الرحمِ، وحديثِ: «**لا يَدْخُلُ الجنةَ مَنْ لا يأمَنُ جارُه بَوائِقَهُ**»(٥) وقولِه ﷺ: «**مَنْ قَتَلَ مُعاهِدًا لم يَرِحْ رائحةَ الجنةِ**»(٦)، فكفَّروا قاطعَ الرحمِ، والذي يمشِي بينَ الناسِ بالنميمةِ، والذي يؤذي جارَه، وكفَّروا مَنْ قتلَ المعاهدَ بغيرِ حقٍّ، وكلَّ من أصرَّ على المعصيةِ، وكلُّ ذلك من فسادِ عقيدتِهم وقلةِ علمِهم وبترِهم للأدلةِ وعدمِ الجمعِ بين أدلةِ الكتابِ والسُّنَّةِ وإجماعِ سلفِ الأمةِ.

فتركوا قولَ اللهِ تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨] وقد تقدَّمَ تفسيرُ الآيةِ.

---

(١) متفق عليه: تقدم تخريجه.

(٢) القتّ: نمّ الحديث. الصّحاح (ص: ٢٢٠)، قال الحافظ: القتات: النمام، وقيل الفرق بين القتات والنمام: أن النمام: الذي يحضر القصة فينقل، والقتات: الذي يتسمع من حيث لا يعلم به ثم ينقل ما سمعه. الفتح (١٠/٤٨٨).

(٣) أخرجه البخاري (٦٠٥٦) ومسلم (١٠٥).

(٤) أخرجه البخاري (٥٩٨٤) ومسلم (٢٥٥٦).

(٥) أخرجه مسلم (٤٦).

(٦) أخرجه البخاري (٣١٦٦).

وتركوا قولَ رسولِ اللهِ ﷺ: «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ. وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ بُرَّةً، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مَا يَزِنُ مِنَ الْخَيْرِ ذَرَّةً»(١).

وفي حديثٍ آخرَ: عَنْ أَبِى ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَتَانِي آتٍ مِنْ رَبِّى فَأَخْبَرَنِي - أَوْ قَالَ: بَشَّرَنِي - أَنَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لاَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ. قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ»(٢).

الردّ على الأحاديثِ التي احتجّوا بها:

قال أبو العباسِ رحمه الله: في شرحِه لحديثِ أبي هريرةَ: «لا يَزْنِي الزَّانِي حِيْنَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِن...»(٣).

وظاهرُ هذا الحديثِ حجةُ الخوارجِ والمعتزلةِ وغيرِهم ممَّن يخرجُ عن الإيمانِ بارتكابِ الكبائرِ، غيرَ أنَّ أهلَ السُّنَّةِ يعارضونهم بظواهرَ أخرى أولَى منها، كقولِه ﷺ في حديثِ أبي ذرٍ: « أَنَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لاَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ»(٤)، وحديثِ عُبادَة بن الصَّامِت: «وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا -يعني القتلَ والسرقةَ والزنَى- فَعُوقِبَ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ثُمَّ سَتَرَهُ اللَّهُ فَهُوَ إِلَى اللَّهِ، إِنْ

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤١٠).

(٢) أخرجه البخاري (١٢٣٧) ومسلم (٩٤).

(٣) متفق عليه: تقدم تخريجه – أدلتهم على تكفير مرتكب الكبيرة.

(٤) متفق عليه: تقدم تخريجه.

شَاءَ عَفَا عَنْهُ وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ»(١).

ويعضِّدُ هذا قولُه تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨]. ونحوُ هذا في الأحاديثِ كثيرٌ... وقد اختلفَ العلماءُ في ذلك.

فقال حَبرُ الأمةِ وترجمانُ القرآنِ عبدُ اللهِ بنُ عباسٍ رضي الله عنهما: إنَّ ذلك محمولٌ على المستحلِّ لتلك الكبائرِ. وقيل: معنى ذلك: أنَّ مرتكبَ الكبائرِ يُسلَبُ عنه اسمُ الإيمانِ الكاملِ. إذ النافعُ الذي يفيدُ صاحبَه الانزجارُ عن هذه الكبائرِ.

وقال الحسنُ رحمه الله: يُسلَبُ عنه اسمُ المدحِ سُمِّي به أولياءُ اللهِ المؤمنون، ويستحِقُّ اسمَ الذمِّ الذي سُمِّيَ به المنافقون والفاسقون(٢).

قال ابنُ الملقنِ رحمه الله: قولُه: **«لا يَزْنِي الزَّانِي حِيْنَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِن»** وذكرَ مثلَه في شربِ الخمرِ، وأكثرُ العلماءِ أنَّ معناه ليس بمستكملٍ لشرائعِ الإيمانِ.

وقال البخاريُّ رحمه الله: تفسيرُه أنْ يُنزَعَ عنه نورُ الإيمانِ وهو قريبٌ من الأولِ(٣).

أمَّا الأحاديثُ التي جاءَ فيها لا يدخلُ الجنةَّ قاطعُ ولا يدخلُ الجنةَّ الذي يؤذِي جارَه وما أشبهَ ذلك، فتأويلُها أنَّه لا يدخلُ الجنةَّ مع الداخلينَ

---

(١) متفق عليه: تقدم قريبا.

(٢) المفهم (١/٢٤٧).

(٣) التوضيح لشرح الجامع الصحيح (١٦/٢٤).

بل قد يُعذَّبُ أو يُعفَى عنه فهو في المشيئةِ، أو يكونُ معناه إذا فعلَ هذه الأشياءَ مستحلاً لها ومات بغيرِ توبةٍ.

قال النوويُّ ﵀ في ثنايا شرحِه لحديثِ: « **لا يَدْخُلُ الجنةَ مَنْ لا يأمَنُ جارُه بَوائِقَهُ**»: وفي معنَى "**لا يدخلُ الجنَّةَ**" جوابان يجريان في كلِّ ما يشبهُه هذا:

أحدُهما: أنَّه محمولٌ على من يستحلُّ الإيذاءِ مع علمِه بتحريمِه، فهذا كافرٌ لا يدخلُها أصلاً.

والثاني: معناه: جزاؤُه أنْ لا يدخلَها وقتَ دخولِ الفائزين إذا فُتِحتْ أبوابُها لهم، بل يُؤخَّرُ ثم قد يُجازَى وقد يُعفَى عنه فيدخلُها أو لَا، وإنَّما تأوَّلنا هذين التأويلين لأنَّا قدمْنَا أنَّ مذهبَ أهلِ الحقِّ أنَّ من مات على التوحيدِ مصرًّا على الكبائرِ فهو إلى اللهِ تعالى، إنْ شاءَ عفا عنه فأدخلَه الجنةَ أو لَا، وإن شاءَ عاقبَه ثم أدخلَه الجنةَ، واللهُ أعلمُ(١).

قال ابنُ الملقنِ ﵀: هذا على طريقِ الوعيدِ، والربُّ تعالى فيه بالخيارِ(٢).

قال أبو العباسِ ﵀: والكلامُ في كونِ القاطعِ لا يدخلُ الجنةَ قد تقدَّمَ في الإيمانِ، وأنَّه يصحُّ أنْ يُحمَلَ على المستحلِّ لقطعِ الرحمِ، فيكونَ القاطعُ كافرًا، أو يخافَ أنْ يَفسُدَ قلبُه بسببِ تلك المعصيةِ فيختمَ عليه بالكفرِ فلا يدخلُ الجنةَ، أو لا يدخلُ الجنةَ في الوقتِ الذي يدخلُها الواصلُ لرحمِه؛ لأنَّ القاطعَ يُحبسُ في النارِ بمعصيتِه ثم بعدَ ذلك يَخلُصُ منها

(١) شرح مسلم للنووي (١/٢٩٣).
(٢) التوضيح لشرح الجامع الصحيح (١٨/٥٩٥).

بتوحيدِه، كلُّ ذلكَ محتملٌ واللهُ ورسولُه أعلمُ بعينِ المقصودِ(١).

الطائفةُ الثانيةُ: المرجئةُ:

سبقَ بيانُ أنَّ المرجئةَ يعتقدون أنَّ مرتكبَ الكبيرةِ مؤمنٌ كاملُ الإيمانِ، وهذا بناءً على أصلِهم في إخراجِ الأعمالِ من الإيمانِ، وأنَّها ليست داخلةً في مسمَّى الإيمانِ.

قال ابنُ حزمٍ: «اختلفَ الناسُ في تسميةِ المذنبِ من أهلِ ملَّتِنَا، فقالت المرجئةُ: هو مؤمنٌ كاملُ الإيمانِ، وإنْ لم يعملْ خيرًا قطُّ، وكفَّ عن شرٍّ قطُّ»(٢).

قال ابنُ تيميةَ: -في معرضِ كلامِه عن مذاهبِ الناسِ في العاصِي-: فقالت المرجئةُ: «جهميتُهم وغيرُ جهميتِهم: هو مؤمنٌ كاملُ الإيمانِ»(٣).

وقال أيضًا: «فقالت الجهميةُ قد علمْنَا أنَّه ليس يخلدُ في النارِ، وأنَّه ليس كافرًا مرتدًّا، بل هو من المسلمين، وإذا كان من المسلمين وجبَ أنْ يكونَ مؤمنًا تامَّ الإيمانِ»(٤).

الطائفةُ الثالثةُ: أهلُ السّنّةِ والجماعةِ:

الطائفةُ المنصورةُ الذين يتمسكون بأدلةِ الكتابِ والسُّنَّةِ بفهمِ سلفِ الأمَّةِ. فهم لا يكفِّرون المسلمَ بالمعاصِي – ما لم يستحلَّها – ولا يشهدون له

---

(١) المفهم (٦/٥٢٧).
(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٣/٢٧٣).
(٣) مجموع الفتاوى (٧/٣٥٤).
(٤) المصدر السابق (١٣/٥٠).

بالإيمانِ الكاملِ مع تركِه العملَ؛ لأنَّ تكفيرَ المسلمين بابٌ عَظُمتْ فيه الفتنةُ وتشتَّتَتْ فيه الآراءُ والأهواءُ، فبحسبِ امرئٍ مسلم قولُ رسولِ اللهِ ﷺ: «**أَيُّمَا رَجُلٍ قَالَ لِأَخِيهِ: يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا**»(١)، وقوله ﷺ: «... **وَمَنْ رَمَى مُؤْمِنًا بِكُفْرٍ فَهُوَ كَقَتْلِهِ**»(٢).

قال الشافعيُّ رحمه الله في كتابِ وصيتِه: وجعلَ الآخرةَ دارَ قرارٍ وجزاءٍ بما عملَ في الدنيا من خيرٍ أو شرٍّ – وإن لم يعفِهِ جلَّ ثناؤُه – وإلى مثلِ هذا ذهبَ فقهاءُ الأمصارِ، وقالوا في آياتِ الوعيدِ: إنَّ ذلك جزاؤُه، فإنْ شاءَ اللهُ أنْ يعفوَ عن جزائِه – فيما دونَ الشركِ – فعلَ...

وعَن هِشَام بن حَسَّان قَالَ: كُنَا عِنْدَ محمدِ بنِ سِيرينَ(٣)، فَقَال له رَجُلٌ: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ ﴾ [النساء: **٩٣**] حتى ختمَ الآيةَ، قَال: فغَضِبَ محمدٌ، وقال: أينَ أنتَ عن هذه الآيةِ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: **٤٨**]؟ قُمْ عنِّي، اخْرجْ عَنِّي، قال: فأخرجَه(٤).

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٠٤) ومسلم (٦٠).

(٢) أخرجه البخاري (٦١٠٥) ومسلم (١١٠).

(٣) هو محمد بن سيرين أبو بكر الأنصاري البصري الإمام شيخ الإسلام مولى أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر، وكان إمام وقته من كبار التابعين، كان ثقة مأمونًا عاليًا رفيعًا فقيهًا إمامًا، كثير العلم ورعًا، مات سنة عشر ومائة للهجرة.

سير أعلام النبلاء (٤/٦٠٦)، والطبقات الكبرى (٧/١٩٣).

(٤) الاعتقاد للبيهقي (ص: ٢٢١).

قال أبو عثمان الصابونيُّ رحمه الله: «ويعتقدُ أهلُ السُّنَّةِ أنَّ المؤمنَ وإنْ أذنبَ ذنوبًا كثيرةً، صغائرَ وكبائرَ، فإنَّه لا يكفرُ بها، وإنْ خرجَ عن الدنيا غيرَ تائبٍ منها، ومات على التوحيدِ والإخلاصِ فأمرُهُ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ، إنْ شاءَ عفا عنه وأدخلَه الجنةَ يومَ القيامةِ سالمًا استصحبَه – إلى يومِ القيامةِ – من الآثارِ والأوزارِ وإنْ شاءَ عاقبَه وعذَّبَه مدةً بعذابِ النارِ، وإذا عذَّبَه لم يخلِّدْه فيها، بل أعتقَه وأخرجَه إلى نعيمِ دارِ القرارِ»(١).

قال ابنُ بطةَّ رحمه الله: «وقد أجمعت العلماءُ لا خلافَ بينَهم أنَّه لا يُكفَّرُ أحدٌ من أهلِ القبلةِ بذنبٍ، ولا نخرجُه من الإسلامِ بمعصيةٍ، نرجو للمحسنِ، ونخافُ على المسيءِ»(٢).

قال البغويُّ رحمه الله: «اتَّفقَ أهلُ السُّنَّةِ على أنَّ المؤمنَ لا يخرجُ من الإيمانِ بارتكابِ شيءٍ من الكبائرِ إذا – لم يعتقدْ إباحتَها – وإذا عَمِلَ شيئًا منها فماتَ قبلَ التوبةِ لا يخلدُ في النارِ، كما جاءَ في الحديثِ، بل هو إلى اللهِ، إنْ شاءَ عفا عنه، وإنْ شاءَ عاقبَه بقدرِ ذنوبِه، ثم أدخلَه الجنةَ برحمتِه»(٣). انتهى

وهذا ما ذهبَ إليه شيخُ الإسلامِ وسلفُ الأمةِ وأئمتُها(٤).

---

(١) عقيدة السلف أصحاب الحديث (ص: ٢٧٦).
(٢) شرح الإبانة (ص: ٢٦٥).
(٣) شرح السنة (١/١١٧).
(٤) انظر مجموع الفتاوى (٤/٤٧٥).

المبحثُ الخامسُ: حكمُ تكفيرِ الخوارجِ وأهلِ البدعِ، وحكمُ تكفيرِ المُعَيَّنِ:

تنازعَ العلماءُ في تكفيرِ الخوارجِ وغيرِهم من أهلِ البدعِ، فذهبَ فريقٌ إلى تكفيرِ الخوارجِ وأهلِ البدعِ وتخليدِهم في النارِ، وحجتُهم في ذلك الأحاديثُ التي أمرَ فيها النبيُّ ﷺ بقتالِ الخوارجِ كما سبقَ بيانُ ذلك(١).

أمَّا حجتُهم في تكفيرِ غيرِهم من أهلِ البدعِ فهي تأويلُهم الفاسدُ في الأسماءِ والصفاتِ والقرآنِ وغيرِ ذلك من أمورِ الدينِ، وسيأتي بيانُ عقائدِهم في موضعِه.

وذهبَ فريقٌ إلى عدمِ تكفيرِ الخوارجِ ولا غيرِهم من أهلِ البدعِ ولا تخليدِهم في النارِ، ووجَّهوا الحديثَ الذي جاءَ فيه: «**يَمْرُقُونَ مِن الدِّينِ**»(٢) قالوا: يخرجونَ من الطاعةِ، وهذا قولُ طائفةٍ من أهلِ الفقهِ والحديثِ منهم الخطابيُّ من الشافعيةِ والشافعيُّ وجماهيرُ أصحابِه وابنُ قدامةَ الحنبليُّ وغيرُهم(٣).

وأكثرُ أهلِ العلمِ يقولون بالقولينِ، منهم مالكٌ والشافعيُّ وأحمدُ وبعضُ أتباعِهم وغيرُهم.

والتحقيقُ أنَّنا لا نشهدُ على أحدٍ من المسلمينَ بالكفرِ لارتكابِه المعاصِي، إلا بعدَ أنْ تقامَ عليهم الحجةُ من أهلِ العلمِ، فقد يكونُ عندَ

---

(١) راجع الباب الثاني – المبحث الرابع.

(٢) متفق عليه: تقدم تخريجه.

(٣) انظر على الترتيب شرح مسلم للنووي (٤/٧٧) وعمدة القاري (١١/٣٤٤) والمغني (٨/٩٢).

القومِ شبهةُ تأويلٍ أو قلةُ علمٍ، وما أشبهَ ذلك.

فلا يجوزُ الحكمُ على مُعَيَّنٍ بالكفرِ، إلا بعدَ ثبوتِ شروطٍ وانتفاءِ موانعَ، وما هذه الموانعُ: الجهلُ المنافي للعلمِ، والخطأُ، والإكراهُ، قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦] وكذا الشبهاتُ، فقد تكونُ عندَه شبهةُ تأويلٍ، فلا بدَ من إزالةِ هذه الموانعِ وثبوتِ أضدادِها حتى نحكمَ على المُعَيَّنِ بالكفرِ، وهذا من اختصاصِ أهلِ العلمِ الربانيِّين وليس لآحادِ المسلمين، وسأذكرُ أدلةَ ذلك كلِّه من الكتابِ والسُّنَّةِ وأقوالِ الأئمةِ.

قال تباركَ وتعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

وقال جلَّ ذكرُه: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

وقال اللهُ تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٥].

قال محمدُ رشيدُ بنُ رضا رحمه الله(١): أنَّه لا يُحكمُ بضلالِ قومٍ في شيءٍ فيعاقبَهم عليه إلا بعدَ أنْ يُبيِّنَ لهم ما يتَّقُون بيانًا واضحًا تامًّا لا مجالَ معه

(١) هو: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين، البغدادي الأصل، ولد: سنة ألف ومائتين واثنين وثمانين للهجرة. عني بالحديث والأدب والتاريخ والتفسير. ولد ونشأ في القلمون، ثم رحل إلى مصر فلازم الشيخ محمد عبده وتتلمذ له، وتوفي ودفن بالقاهرة. سنة ألف وثلاثمائة وأربعة وخمسين للهجرة وأشهر آثاره مجلة (المنار)، و(تفسير القرآن الكريم)، ولم يكمله.
الأعلام للزركلي (٦/١٢٦).

للاجتهادِ الذي يكونُ عذرًا في المخالفةِ[١].

وفي الحديثِ الذي أخرجَه البخاريُّ ومسلمٌ في صحيحيْهما من حديثِ أَبِي هُرَيْرَةَ وفيه أنَّ النبيَّ ﷺ قال: « **كَانَ رَجُلٌ يُسْرِفُ عَلَى نَفْسِهِ، فَلَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ قَالَ لِبَنِيهِ: إِذَا أَنَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي، ثُمَّ اطْحَنُونِي، ثُمَّ ذَرُّونِي فِي الرِّيحِ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ قَدَرَ عَلَيَّ رَبِّي لَيُعَذِّبَنِّي عَذَابًا مَا عَذَّبَهُ أَحَدًا. فَلَمَّا مَاتَ فُعِلَ بِهِ ذَلِكَ، فَأَمَرَ اللَّهُ الأَرْضَ، فَقَالَ اجْمَعِي مَا فِيكِ مِنْهُ. فَفَعَلَتْ فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ، فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ قَالَ: يَا رَبِّ، خَشْيَتُكَ. فَغَفَرَ لَهُ**». وَقَالَ غَيْرُهُ: «**مَخَافَتُكَ يَا رَبِّ**»[٢].

قال الخطابيُّ رحمه الله: قد يستشكلُ هذا، فيقالُ: كيفَ يُغفَرُ له وهو منكرٌ للبعثِ والقدرةِ على إحياءِ الموتى؟ والجوابُ: أنَّه لم يُنكر البعثَ وإنَّما جَهِلَ فظنَّ أنَّه إذا فُعِلَ به ذلك لا يُعَادُ فلا يعذَّبُ، وقد ظهرَ إيمانُه باعترافِه بأنَّه إنَّما فعلَ ذلك خشيةَ اللهِ.

قال ابنُ قتيبةَ رحمه الله: قد يغلطُ في بعضِ الصفاتِ قومٌ من المسلمين فلا يكفَّرون بذلك[٣]. انتهى.

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ، مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلاَةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيِسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجَرَةً، فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا، قَدْ**

(١) تفسير المنار (١١/ ٥٠) للعلامة محمد رشيد بن علي رضا.
(٢) أخرجه البخاري (٣٤٨١) ومسلم (٢٧٥٦).
(٣) فتح الباري (٦/ ٦٠٤).

أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا، قَائِمَةً عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ»(١).

فقولُ الرجلِ في الحديثِ الأولِ: «**لَئِنْ قَدَرَ عَلَيَّ رَبِّي لَيُعَذِّبَنِّي**» كُفْرٌ، وقولُ الرجلِ في الحديثِ الثاني: «**اللهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ**» كُفْرٌ، ومع ذلك اللهُ سبحانه غفرَ لهما؛ لأنَّ الأولَ أخطأَ من شدَّةِ خوفِه أو من جهلِه، والثاني أخطأَ من شدَّةِ فرحِه. فلابدَ أنْ نفرِّقَ بين قولِ الكفرِ وفاعلِ الكفرِ، فانتبهْ.

قال ابنُ تيميةَ: «فإنَّ الكتابَ والسُّنَّةَ قد دلَّا على أنَّ اللهَ لا يُعذِّبُ أحدًا إلَّا بعدَ إبلاغِ الرسالةِ، فمن لم تبلغْهُ جملةً لم يُعذَّبْ رأسًا، ومن بلغتْهُ جملةً دونَ بعضِ التفصيلِ لم يعذِّبْه إلا على إنكارِ ما قامتْ عليه الحجةُ الرساليةُ.

وذلك مثلُ قولِه تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]، وقولِه ﴿يَـٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَـٰتِي﴾ [الأنعام: ١٣]، وقولِه: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا﴾ [الإسراء: ١٥]، ونحوِ هذا من القرآنِ في مواضعَ متعددةٍ.

فمن كانَ قد آمنَ باللهِ ورسولِه، ولم يعلمْ بعضَ ما جاءَ به الرسولُ، فلم يؤمنْ به تفصيلاً، إمَّا أنَّه لم يسمعْه، أو سَمِعَهُ من طريقٍ لا يجبُ التصديقُ به، أو اعتقدَ معنًى آخرَ لنوعٍ من التأويلِ الذي يعذرُ به – فهذا قد جعلَ فيه من الإيمانِ باللهِ وبرسولِه ما يوجبُ أنْ يثيبَه اللهُ عليه، وما لم

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٠٩) ومسلم (٢٧٤٧) واللفظ لمسلم.

يؤمنْ به فلم تقمْ عليه به الحجةُ التي يَكفَّرُ مخالفُها وأيضًا، فقد ثبتَ بالكتابِ والسُّنَّةِ والإجماعِ أنَّ من الخطأِ في الدينِ ما لا يُكفَّرُ مخالفُه، بل ولا يُفسَّقُ، بل ولا يُؤثَّمُ».

وقال ﵀ في موضعٍ آخرَ: «ولا يجوزُ تكفيرُ المسلمِ بذنبٍ فعلَه، ولا بخطإٍ أخطأَ فيه ...».

وإذا كان المسلمُ متأوِّلاً في القتالِ أو التكفيرِ لم يُكَفَّرْ بذلك، كما قال عمرُ بنُ الخطابِ رضيَ اللهُ عنه لحَاطبِ بْنِ أَبي بَلْتَعَةَ رضي الله عنه: يَا رَسُولَ اللَّهِ دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا المُنَافِقِ، فقال رسول الله ﷺ: «**إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّ اللَّهَ قَدِ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**»(١)، وهذا في الصحيحينِ، فيهما أيضًا حديثُ الإفكِ: أنَّ أُسَيْدَ بنَ الحُضَيْرِ قال لِسَعْدِ بن عُبَادة: «إِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنِ المنافقين، واختصمَ الفريقان، فأصلحَ النبيُّ ﷺ بينهم، فهؤلاءِ البدريِّون فيهم من قال للآخرِ منهم: إِنَّكَ مُنَافِقٌ ولم يُكفِّرْ النبيُّ ﷺ لا هذا ولا هذا بل شَهِدَ للجميعِ بالجنةِ».

وكذلك ثبتَ في الصحيحينِ عنْ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ أَنَّه قَتَلَ رَجُلاً بَعْدَ مَا قال: لا إله إلا الله، وعظم النبي ﷺ ذلك لما أخبره، وقال «**يَا أُسَامَةُ أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ أَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ؟**»(٢)، وكرَّرَ ذلك عليه حتى قال أسامةُ رضيَ اللهُ عنه: تَمَنَّيْتُ أَنِّى لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ إِلَّا يَومَئِذٍ، ومع هذا لم يوجبْ عليه قوْدًا ولا ديةً

---

(١) أخرجه البخاري (٤٢٧٤)، ومسلم (٩٤٩٤)، من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٤٢٦٩)، ومسلم (٩٦).

ولا كفارةً، لأنه كان متأوِّلاً، ظنَّ جوازَ قتلِ ذلك القائلِ لظنِّه أنَّه قالَها تعوُّذًا.

فالمتأولُ والجاهلُ المعذورُ ليس حكمُه حكمَ المعاندِ والفاجرِ، بل قد جعلَ اللهُ لكلِّ شيءٍ قدرًا(١).

قال ابنُ أبي العزِّ رحمه الله: «وأمَّا الشخصُ المُعَيَّنُ، إذا قيل: هل تشهدون أنَّه من أهلِ الوعيدِ وأنَّه كافرٌ؟ فهذا لا نشهدُ عليه إلا بأمرٍ يجوزُ معه الشهادةُ، فإنَّه من أعظمِ البغيِ أنْ يشهدَ على مُعَيَّنٍ أنَّ اللهَ لا يغفرُ له ولا يرحمُه بل يخلِّدُه في النارِ، فإنَّ هذا حكمُ الكافرِ بعدَ الموتِ ... ولأنَّ الشخصَ المعيَّنَ يمكنُ أنْ يكونَ مجتهدًا مخطئًا مغفورًا له، أو يمكنُ أنْ يكونَ ممَّن لم يبلغْه ما وراءَ ذلك من النصوصِ، ويمكنْ أنْ يكونَ له إيمانٌ عظيمٌ وحسناتٌ أوجبتْ له رحمةَ اللهِ، كما غُفِرَ للذي قال «**إذا متُّ فاسحقُونِي** ....» وساقَ الحديثَ كما تقدَّمَ. وكان يظنُّ أنَّ اللهَ لا يقدرُ على جمعِه وإعادتِه أو شكَّ في ذلك، لكنَّ هذا التوقفَ في أمرِ الآخرةِ لا يمنعُنا أنْ نعاقبَه في الدنيا لمنعِ بدعتِه وأنْ نستتيبَه فإنْ تابَ وإلا قتلناه.

ثمَّ إذا كان القولُ في نفسِه كفرًا، قيل: إنَّه كفرٌ، والقائلُ له يكفرُ بشروطٍ وانتفاءِ موانعَ»(٢).

قال ابنُ عبدِ البرِّ رحمه الله: «وقد اتَّفقَ أهلُ السُّنَّةِ والجماعةِ – وهم أهلُ الفقهِ والأثرِ – على أنَّ أحدًا لا يخرجُهُ ذنبُه – وإنْ عظمَ – من الإسلامِ، وخالفَهم أهلُ البدعِ، فالواجبُ في النظرِ أنَّ لا يُكفَّرَ إلا من اتَّفقَ الجميعُ

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/٢٨٣-٢٩٣).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (ص: ٢٩٨-٢٩٩).

على تكفيرِه، أو قامَ على تكفيرِه دليلٌ لا مدافعَ له من كتابٍ أو سُّنَّةٍ»[١].

قال المازريُّ ﷺ في معرضِ كلامِه عن اختلافِ الأئمةِ في تكفيرِ الخوارجِ: وقد كادتْ هذه المسألةُ أنْ تكونَ أشدَّ إشكالاً من سائرِ المسائلِ، ولقد رأيتُ أبا معالي وقد رَغِبَ إليه الفقيهُ أبو محمدٍ عبدُ الحقِّ – رحمَهما اللهُ – في الكلامِ عليها فهربَ له من ذلك واعتذرَ له بأنَّ الغلطَ فيها يصعبُ موقعُه لأنَّ إدخالَ كافرٍ الملةَ أو إخراجَ مسلمٍ عظيمٌ في الدينِ.

وقد اضطربَ فيها قولُ القاضِي ابنِ الطيبِ، وناهيكَ به في علم الأصولِ، أشارَ أيضًا القاضِي – رحمَه اللهُ – إلى أنَّها من المعوصاتِ؛ لأنَّ القومَ لم يصرِّحوا بنفسِ الكفرِ، وإنَّما قالوا أقوالاً تؤدِي إليه.

وأنا أكشفُ لك نكتةً هي مدارُ الخلافِ وسببُ الإشكالِ وذلك أنَّ المعتزليَ مثلاً إذا قال: اللهُ سبحانه عالمٌ ولكنه لا علمَ له، وحيٌّ ولكن لا حياةَ له، وقعَ الالتباسُ في تكفيرِه؛ لأنَّه قد عُلِمَ من دينِ الأمةِ بالضرورةِ أنَّ من قال: إنَّ اللهَ ليس بحيٍّ ولا بعالمٍ، فإنَّه كافرٌ وقامت الحجةُ على أنَّه محالٌ أنْ يكونَ عالمًا ولا علمَ له، وأنَّ تلك الأوصافَ المعللةَ لا سيَّما إنْ قلنا بنفيِ الأحوالِ، فإنَّ ذلك أوضحُ وآكدُ في أنَّ نفيَ العلمِ نفيٌ لكونِ العالمِ عالمًا، فهل يُقدَّرُ أنَّ المعتزلةَ لما جهلتْ ثبوتَ العلمِ جهلتْ كونَ البارِي تعالى عالمًا وذلك كفرٌ بإجماعٍ واعترافُها به مع إنكارِها أصلُه لا ينفعُ، أو يكونُ اعترافُها بذلك وإنكارُها أنْ تقولَ بأنَّ اللهَ غيرُ عالمٍ ينفعُها، وإنْ قالت بما

---

(١) التمهيد (١٠/٤٢٨).

يؤدِي إلى معناها من هذا القولِ، والتكفيرُ بالمآلِ هو موضعُ الإشكالِ[(١)].

قال النوويُّ رحمه الله: ومذهبُ الشافعيِّ وجميعُ أصحابِه العلماءِ أنَّ الخوارجَ لا يكفَّرون، وكذلك القدريةُ وجماهيرُ المعتزلةِ وسائرُ أهلِ الأهواءِ.

قال الشافعيُّ رحمه الله: أقبلُ شهادةَ أهلِ الأهواءِ إلا الخطابيةَ وهم طائفةٌ من الرافضةِ يشهدون لموافقِيهم في المذهبِ بمجردِ قولِهم، فردُّ شهادتِهم لهذا لا لبدعتِهم، واللهُ أعلمُ[(٢)].

قال الخلاَّلُ رحمه الله[(٣)]: في توقفِ أبي عبدِ اللهِ أحمدَ بنِ حنبلٍ في المارقينَ أخبرَنِي يوسفُ بنُ موسَى؛ أنَّ أبا عبدِ اللهِ قيل له: أكفرَ الخوارجُ؟ قال: هم مارقون، قيل: أكفَّارٌ هم؟ قال: هم مارقةٌ مرَقُوا من الدينِ[(٤)].

قال شيخُ الإسلامِ رحمه الله- في معرضِ كلامِه عن الخوارجِ وأهلِ البدعِ: والمقصودُ أنَّ عليَّ بنَ أبي طالبٍ وغيرَه من أصحابِه لم يحكموا بكفرِهم ولا قاتلوهم حتى بدؤُوهم بالقتالِ.

والعلماءُ قد تنازعُوا في تكفيرِ أهلِ البدعِ والأهواءِ وتخليدِهم في النارِ،

---

(١) المعلم بفوائد مسلم (٢/ ٢٥-٢٦) لمحمد بن علي بن عمر المازري.

(٢) شرح مسلم للنووي (٤/١٧٧).

(٣) هو الإمام الحافظ الحسن بن علي بن محمد الهذلي أبو محمد، الحلوانيّ نزيل مكة كان ثقة حافظا، شيخ البخاري ومسلم وغيرهما. توفّي سنة اثنتين وأربعين ومائتين.
تهذيب الكمال (٦/٢٥٩)، تاريخ دمشق (١٣/ ٣٣٠)

(٤) السنة (١١١) لأبي بكر الخلال.

وما من الأئمةِ إلا من حُكِيَ عنه في ذلك قولان، كمالكٍ والشافعيِّ وأحمدَ وغيرِهم، وصارَ بعضُ أتباعِهم يحكِي هذا النزاعَ في جميعِ أهلِ البدعِ وفي تخليدِهم حتى التزمَ تخليدَهم كلُّ من يعتقدُ أنَّه مبتدعٌ بعينِه، وفي هذا من الخطأِ ما لا يُحصَى، وقابلَه بعضُهم فصارَ يظنُّ أنَّه لا يطلقُ كفرُ أحدٍ من أهلِ الأهواءِ، وإن كانوا قد أتَوْا من الإلحادِ وأقوالِ أهلِ التعطيلِ والاتحادِ.

والتحقيقُ في هذا أنَّ القولَ قد يكونُ كفرًا كمقالاتِ الجهميةِ الذين قالوا: إنَّ اللهَ لا يتكلمُ، ولا يرى في الآخرةِ، ولكنْ قد يخفَى على بعضِ الناسِ أنَّه كفرٌ، فيُطلَقُ القولَ بتكفيرِ القائلِ، كما قال السلفُ: من قال: القرآنُ مخلوقٌ فهو كافرٌ ومن قال: إنَّ اللهَ لا يرى في الآخرةِ فهو كافرٌ، ولا يُكفَّرُ الشخصُ المعيَّنُ حتى تقومَ عليه الحجةُ كما تقدَّمَ، كمن جَحَدَ وجوبَ الصلاةِ والزكاةِ واستحلَّ الخمرَ والزنا وتأوَّلَ، فإنَّ ظهورَ تلك الأحكامِ بين المسلمين أعظمُ من ظهورِ هذه، فإذا كان المتأوِّلُ المخطئُ في تلكَ لا يُحكَمُ بكفرِه إلا بعدَ البيانِ له واستتابتِه، كما فعلَ الصحابةُ في الطائفةِ الذين استحلُّوا الخمرَ، ففي غيرِ ذلك أولَى وأحرَى، وعلى هذا يُخرَّجُ الحديثُ الصحيحُ في الذي قال: «**إِذَا أَنَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي، ثُمَّ اسْحَقُونِي فِي اليمِ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ قَدَرَ الله عَلَيَّ لَيُعَذِّبَنِّي عَذَابًا مَا عَذَّبَهُ أَحَدًا مِن العَالمين**»(١).

وقد غفرَ اللهُ لهذا مع ما حصلَ له من الشكِّ في قدرةِ اللهِ وإعادتِه إذا حرَّقوه.

---

(١) متفق عليه: تقدم تخريجه باختلاف.

فإنْ قيلَ: فاللهُ قد أمرَ بجهادِ الكفارِ والمنافقين[(١)] في آيتينِ من القرآنِ، فإذا كان المنافقُ تجرِي عليه أحكامُ الإسلامِ في الظاهرِ، فكيفَ يمكنُ مجاهدتُه؟

قيل: ما يستقرُّ في القلبِ من إيمانٍ ونفاقٍ، لابدَ أنْ يظهرَ موجبُه في القولِ والعملِ... فإذا أظهرَ المنافقُ من تركِ الواجباتِ وفعلِ المحرماتِ ما يستحقُّ عليه العقوبةَ عوقبَ على الظاهرِ، ولا يعاقبُ على ما يعلمُ من باطنِه بلا حجةٍ ظاهرةٍ، ولهذا كان النبيُّ ﷺ يعلمُ من المنافقين من عَرَّفَهُ اللهُ بهم وكانوا يحلفُون له وهم كاذبون وكان يقبلُ علانيتَهم ويَكِلُ سرائرَهم إلى اللهِ[(٢)].

قال ابنُ قدامةَ رحمه الله: ومن اعتقدَ حِلَّ شيءٍ أُجمِعَ على تحريمِه وظهرَ حكمُه بينَ المسلمينِ، وزالت الشبهةُ فيه للنصوصِ الواردةِ فيه، كلحمِ الخنزيرِ والزنَا وأشباهِ هذا ممَّا لا خلافَ فيه - كَفَرَ... وإنْ استحلَّ قتْلَ المعصومين وأَخْذَ أموالِهم بغيرِ شبهةٍ ولا تأويلٍ فكذلك.

وإنْ كان بتأويلٍ كالخوارجِ فقد ذكرنا أنَّ أكثرَ الفقهاءِ لم يحكموا بكفرِهم مع استحلالِهم دماءَ المسلمين وأموالَهم وفعلِهم لذلك متقربين به إلى اللهِ تعالى، وكذلك لم يُحكَمْ بكفرِ ابنِ ملجمٍ[(٣)] مع قتلِه أفضلَ الخلقِ في

---

(١) المقصود: جهاد المنافقين نفاقًا عقديًّا – وقد سبقت المسألة في تعريف أنواع النفاق – الباب الثاني – المبحث الثالث.

(٢) مجموع الفتاوى (٧/٦١٨ – ٦١٩) باختصار.

(٣) عبد الرحمن بن ملجم الذي قتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهو من الخوارج.

زمنِه متقرِّبًا بذلك للهِ[1].

تعقيبٌ:

اتَّفقَ العلماءُ على أشياءَ يكفَّرُ فاعلُها أو تاركُها، واختلفوا في أشياءَ أُخَرَ. نذكرُها باختصارٍ:

١- اتَّفقُوا: على أنَّ من لم يأتِ بالشهادتين فهو كافرٌ.

٢- واتَّفقُوا: على أنَّ من جحدَ أمرًا من أوامرِ اللهِ بعدَ إقامةِ الحجةِ عليه فهو كافرٌ.

٣- واتَّفقُوا: على أنَّ من استحلَّ ما حرَّمه اللهُ بعدَ إقامةِ الحجةِ عليه فهو كافرٌ.

٤- واتَّفقُوا: على أنَّ مرتكبَ المعاصِي غيرَ المستحلِّ إذا مات قبل أنْ يتوبَ مات على الإسلامِ، وهو في المشيئةِ، إنْ شاءَ اللهُ غفرَ له وإنْ شاءَ عذَّبَه، وقد تقدَّمَ أدلةُ ذلك.

٥- واختلفوا: في تاركِ الأركانِ الأربعةِ: (الصلاةِ - والزكاةِ - والصيامِ - والحجِّ) بعدَ الإقرارِ بها - تهاونًا، فمن أهلِ العلمِ من كفَّره، ومنهم من لم يكفِّرْه.

قال ابنُ تيميةَ رحمه الله: وقد اتَّفقَ المسلمون على أنَّه من لم يأتِ بالشهادتين فهو كافرٌ، وأمَّا الأعمالُ الأربعةُ فاختلفوا في تكفيرِ تاركِها، ونحنُ إذا قلنا: أهلُ السُّنَّةِ متفقون على أنَّه لا يكفَّرُ بالذنبِ- فإنَّما نريدُ به

---

(١) المغني (٨/ ٩٢).

المعاصِي: كالزِّنا والشربِ، وأمَّا هذه المباني ففي تكفيرِ تاركِها نزاعٌ مشهورٌ.

وعن أحمدَ في ذلك نزاعٌ، وإحدى الرواياتِ عنه: إنَّه يكفَّرُ من تركَ واحدةً منها، وهو اختيارُ أبي بكرٍ وطائفةٍ من أصحابِ مالكٍ كابنِ حبيبٍ.

وعنه روايةٌ ثانيةٌ: لا يكفَّرُ إلا بتركِ الصلاةِ والزكاةِ فقطْ.

وروايةٌ ثالثةٌ: لا يكفَّرُ إلا بتركِ الصلاةِ والزكاةِ إذا قاتلَ الإمامَ عليها.

ورابعةٌ: لا يكفَّرُ إلا بتركِ الصلاةِ.

وخامسةٌ: لا يكفَّرُ بتركِ شيءٍ منهنَّ. وهذه أقوالٌ معروفةٌ للسلفِ(١).

قال الماورديُّ رحمه الله في معرضِ كلامِه عن حكمِ مانعِي الزكاةِ: والضربُ الثاني كان مقيمًا على إسلامِه ومنعَ من الزكاةِ بتأويلٍ ذهبَ إليه وشبهةٍ دخلتْ عليه في قولِ اللهِ تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٠٣]، وكان دخولُ الشبهةِ عليهم فيها من وجهين:

أحدِهما: أنَّه خاطبَ به رسولَه، فلم يتوجَّه الخطابُ إلى غيرِه.

والثاني: قولُه إنَّ صلاتَك سكنٌ لهم وليستْ صلواتُ ابنِ أبي قحافةَ سكنٌ لنا، فاشتبَهَ تأويلُهم على قومٍ... فقال أبو بكرٍ... واللهِ لا فرَّقتُ بين ما جمعَ اللهُ يعني قولَه تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [البقرة: ٤٣]، واللهِ لو منعونِي عَناقًا أو عِقالاً كانوا ممَّا أعطَوْا رسولَ اللهِ ﷺ لقاتلتُهم عليه...

---

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ١٠١).

فقال له عُمَرُ رضيَ اللهُ عنه: علامَ نقاتلُهم وقد قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِذَا قَالُوهَا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ**»(١)، فوكزَ أبو بكرٍ في صدرِ عمرَ، وقال: إليكَ عني شديدًا في الجاهليةِ خَوَّارًا في الإسلامِ، وهل هذا إلَّا من حقِّها؟ قال عمرُ: فشرحَ اللهُ صدرِي للذي شرحَ له صدرَ أبي بكرٍ. فحينئذٍ أجمعُوا معه على قتالِهم مع بقائِهم على إسلامِهم، ولم يكنْ الإسلامُ مانعًا من قتالِهم، لأنَّهم منعُوا حقَّ اللهِ... ولا يمنعُ إسلامُ مانعي الزكاةِ في عهدِ أبي بكرٍ من إطلاقِ اسمِ الرِّدَّةِ عليهم لغةً وإنَّ لم ينطلقْ عليهم شرعًا، لأنَّه لسانٌ عربيٌّ، والرِّدَّة في لسانِ العربِ الرجوعُ، كما قال تعالى: ﴿ فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾ [الكهف: ٦٤]، أي رجعَا...

قال: فأمَّا مانعُو الزكاةِ من بعدُ (أي بعدَ أبي بكرٍ) فضربانِ:

أحدُهما: مَنْ منعَها مستحلاًّ لمنعِها فيكونُ باستحلالِ المنعِ مرتدًّا، وإنْ لم يكنْ المانعُ في عهدِ أبي بكر مرتدًّا.

والفرقُ بينَهما: أنَّ المنعَ الأولَ كان قبلَ الإجماعِ على إبطالِ ما اشْتَبَهَ عليهم من حكمِ الآيةِ، فكان لتأويلِ الشبهةِ مَساغٌ، والمنعُ الحادثُ بعدَه قد انعقدَ الإجماعُ على إبطالِ الشبهةِ فيه لم يكنْ للتأويلِ مَساغٌ، فافترقَا في حكمِ الرِّدَّةِ لافتراقِها في حالِ الإجماعِ.

ومثالُه: شاربُ الخمرِ في عصرِ الصحابةِ لمَّا استحلَّ شربَها بشبهةٍ تعلقَ بها في قولِه تعالى: ﴿ لَيۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ

(١) صحيح: تقدم تخريجه.

جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ﴾ [المائدة: **٩٣**]، لم يكفَّرْ لاحتمالِ شبهةٍ، فلمَّا أجمعَ الصحابةُ على بطلانِ هذا التأويلِ صار مستحلُّها كافرًا.

والضربُ الثاني: أنْ يَمنعُوا منها غيرَ مستحلِّين لمنعِها، فيجوزُ قتالُهُم على أخذِها منهم(١).

---

(١) الحاوي الكبير (١٣/ ١٠٩ – ١١١) باختصار.

المبحثُ السادسُ: حكمُ من لم يحكمْ بما أنزلَ اللهُ:

يجبُ على الحاكمِ الاحتكامُ إلى الوحييْنِ (الكتابِ والسُّنَّةِ).

قال اللهُ تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ [النساء: ٦٠].

قال العمادُ ابنُ كثيرٍ رحمه الله في تفسيرِه بعدَ أنْ ذكرَ خلافَ أهلِ العلمِ في سببِ نزولِ الآيةِ: والآيةُ أعمُّ من ذلك كلِّه، فإنَّها ذامَّةٌ لمن عدلَ عن الكتابِ والسُّنَّةِ، وتحاكمُوا إلى ما سواهما من الباطلِ وهو المرادُ بالطاغوتِ هاهنا؛ ولهذا قال: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ ﴾(١).

قال ابنُ القيمِ رحمه الله: الطاغوتُ: كلُّ ما تجاوزَ به العبدُ حدَّه من معبودٍ أو متبوعٍ أو مُطاعٍ. فطاغوتُ كلِّ قومٍ منْ يتحاكمون إليه غيرَ اللهِ ورسولِه، أو يعبدونه من دونِ اللهِ، أو يتبعونه على غيرِ بصيرةٍ من اللهِ، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنَّه طاعةُ اللهِ، فهذه طواغيتُ العالمِ(٢). انتهى.

قال تعالى: ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ [يوسف: ٤٠]. وقال سبحانه لنبيِّه ﷺ: ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ... ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/٣٤٦).

(٢) إعلام الموقعين (١/٤٨).

يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: ٤٩، ٥٠].

قال ابنُ كثيرٍ رحمه الله: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ أي: مَنْ أعدلُ مِن اللهِ في حكمِه لمنْ عقلَ عن اللهِ شرعَه وآمنَ به وأيقنَ، وعلِمَ أنَّ اللهَ تعالى أحكمُ الحاكمين وأرحمُ بخلقِه من الوالدةِ بولدِها؟... إلى أنْ قال: عن ابنِ عباسٍ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**أبغضُ النَّاسِ إِلَى الله عَزَ وَجَلَ مَن يَبْتَغِي فِي الإِسْلامَ سُنَّةَ الجَاهِلِية...**»[(١)][(٢)]. انتهى.

قال اللهُ تعالى: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ [النساء: ٦٦].

وقال اللهُ تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وقال سبحانه: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ [النساء: ٥٩].

قال شيخُ الإسلامِ رحمه الله: قال العلماءُ: الردُّ إلى اللهِ هو الردُّ إلى كتابِ اللهِ، والردُّ إلى رسولِ اللهِ بعد موتِه هو الردُّ إلى سُنَّتِه[(٣)]. انتهى.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٨٨٢) كتاب الديات ونصه عن ابن عبّاسٍ أنّ النّبي ﷺ قال: «أبغض النّاس إلى الله ثلاثةٌ: مُلْحِدٌ في الحَرَم، وَمُبْتَغٍ في الإسْلام سُنّة الجاهليّة، ومطَّلِب دَمِ امرئٍ بِغَير حقٍّ ليُهْرِيق دَمَه».

(٢) تفسير ابن كثير (١/٦٤٦).

(٣) مجموع الفتاوى (٣٥/٦).

وقال جلَّ ذكرُه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴾ [الحجرات: ١].

وقال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴾ [النساء: ٦٥].

وقال سبحانه: ﴿ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: ٦٣].

وقال اللهُ تعالى: ﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْ ﴾ [النور: ٥٤].

وقال جلَّ ذكرُه: ﴿ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ [المائدة: ٤٤].

وقال سبحانه: ﴿ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [المائدة: ٤٥].

وقال تعالى: ﴿ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾ [المائدة: ٤٧].

جمهورُ أهلِ العلمِ من الصحابةِ والتابعين ومَنْ بعدَهم على أنَّ من لم يحكمْ بما أنزلَ اللهُ – جحودًا واستحلالًا، أي أنَّه يعتقدُ أنَّه حلالٌ جائزٌ أو أنَّه يرى أنَّ حكمَه أفضلُ من حكمِ اللهِ – فقد كفرَ وهو ما يطلِقُ عليه العلماءُ كفرَ الاعتقادِ، أمَّا من لم يحكمْ بما أنزلَ اللهُ لضعفِ إيمانِه أو لهوَى نفسِه ونحوِه ولم يستحلَّ الحكمَ بغيرِ ما أنزلَ اللهُ – أي لا يعتقدُ أنَّه حلالٌ ولا يرى أنَّ حكمَه بالقوانينِ الوضعيةِ أفضلُ – فهو مرتكبُ كبيرةٍ، كافرٌ كفرًا عمليًّا لا يخرجُه من الملةِ.

أخرجَ الطبريُّ ﵀[(١)]: عن ابن جُرَيْجٍ عَنْ عَطَاء، قوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة ٤٤، ٤٥، ٤٧] قال: كفرٌ دونَ كفرٍ وفسقٌ دونَ فسقٍ، وظلمٌ دونَ ظلمٍ.

وعن طَاوسَ عن ابنِ عَبَّاسٍ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ قال: هي به كفرٌ، وليس كفرًا باللهِ وملائكتِه وكتبِه، ورسلِه[(٢)].

قال ابنُ الجوزيِّ ﵀: والمرادُ بالكفرِ المذكورِ في الآيةِ الأولى قولان:

أحدُهما: أنَّه كفرٌ باللهِ تعالى.

والثاني: أنَّه كفرٌ بذلك الحكمِ وليس بكفرٍ ينقلُ عن الملةِ.

وفصلُ الخطابِ أنَّ من لم يحكمْ بما أنزلَ اللهُ جاحدًا له وهو يعلمُ أنَّ اللهَ أنزلَه كما فعلتْ اليهودُ فهو كافرٌ. ومن لم يحكمْ به ميْلاً إلى الهوى من غيرِ جحودٍ فهو ظالمٌ وفاسقٌ.

وقد رُوِيَ عن ابنِ أبي طلحةَ عن ابنِ عباسٍ: «مَنْ جَحَدَ مَا أَنْزَلَ اللهُ فَقَدْ كَفَرَ، وَمَنْ أَقَرَ بِه وَلَم يَحْكُم بِه فَهُوَ فَاسِقٌ وَظَالِمٌ»[(٣)].

قال القرطبيُّ ﵀: قولُه تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ و ﴿ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ و ﴿ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ نزلتْ كلُّها في

(١) تفسير الطبري – أثر (٩٤١٦).
(٢) تفسير الطبري – أثر (٩٤١٨).
(٣) زاد المسير (٢/٣٦٦).

الكفارِ.

كما ثبتَ ذلك في صحيحِ مسلمٍ من حديثِ البراءِ[(١)]... وعلى هذا المُعْظَمُ، فأمَّا المسلمُ فلا يكفَّرُ وإنْ ارتكبَ كبيرةً.

وقيلَ: فيه إضمارٌ، أي: ومن لمْ يحكمْ بما أنزلَ اللهُ ردًّا للقرآنِ، وجحدًا لقولِ رسولِ اللهِ ﷺ فهو كافرٌ، قاله ابنُ عباسٍ ومجاهدٌ، فالآيةُ عامَّةٌ على هذا.

قال ابنُ مسعودٍ والحسنُ: هي عامَّةٌ في كلِّ من لم يحكمْ بما أنزلَ اللهُ من المسلمين واليهودِ والكفارِ، أي: معتقدًا ذلكَ ومستحلاًّ له، فأمَّا من فعلَ ذلك وهو معتقدٌ أنَّه ارتكبَ محرَّمًا فهو من فسَّاقِ المسلمين، وأمرُه إلى

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٠٠) وأبو داود (٤٤٤٨) وغيرهما، عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، قَالَ: مُرَّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بِيَهُودِيٍّ مُحَمَّمًا مَجْلُودًا، فَدَعَاهُمْ ﷺ، فَقَالَ: «هَكَذَا تَجِدُونَ حَدَّ الزَّانِي فِي كِتَابِكُمْ؟»، قَالُوا: نَعَمْ، فَدَعَا رَجُلاً مِنْ عُلَمَائِهِمْ، فَقَالَ: «أَنْشُدُكَ بِاللهِ الَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَاةَ عَلَى مُوسَى، أَهَكَذَا تَجِدُونَ حَدَّ الزَّانِي فِي كِتَابِكُمْ» قَالَ: لَا، وَلَوْلَا أَنَّكَ نَشَدْتَنِي بِهَذَا لَمْ أُخْبِرْكَ، نَجِدُهُ الرَّجْمَ، وَلَكِنَّهُ كَثُرَ فِي أَشْرَافِنَا، فَكُنَّا إِذَا أَخَذْنَا الشَّرِيفَ تَرَكْنَاهُ، وَإِذَا أَخَذْنَا الضَّعِيفَ أَقَمْنَا عَلَيْهِ الْحَدَّ، قُلْنَا: تَعَالَوْا فَلْنَجْتَمِعْ عَلَى شَيْءٍ نُقِيمُهُ عَلَى الشَّرِيفِ وَالْوَضِيعِ، فَجَعَلْنَا التَّحْمِيمَ، وَالْجَلْدَ مَكَانَ الرَّجْمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اللهُمَّ إِنِّي أَوَّلُ مَنْ أَحْيَا أَمْرَكَ إِذْ أَمَاتُوهُ»، فَأَمَرَ بِهِ فَرُجِمَ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ﴾ [المائدة: ٤١] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ﴾ [المائدة: ٤١]، يَقُولُ: ائْتُوا مُحَمَّدًا ﷺ، فَإِنْ أَمَرَكُمْ بِالتَّحْمِيمِ وَالْجَلْدِ فَخُذُوهُ، وَإِنْ أَفْتَاكُمْ بِالرَّجْمِ فَاحْذَرُوا، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ فِي الْكُفَّارِ كُلُّهَا.

اللهِ إنْ شاءَ عذَّبه وإنْ شاءَ غفرَ له.

وقيل: أي: ومن لم يحكمْ بجميعِ ما أنزلَ اللهُ فهو كافرٌ، فأمَّا من حكمَ بالتوحيدِ ولم يحكمْ ببعضِ الشرائعِ فلا يدخلُ في هذه الآيةِ، والصحيحُ الأولُ(١).

قال القاسميُّ رحمه الله: كُفْرُ الحاكمِ بغيرِ ما أُنزِلَ بقيدِ الاستهانةِ به والجحودِ له هو الذي نحَاهُ كثيرون وأَثَرُوهُ عن عكرمةَ وابنِ عباسٍ(٢).

قال ابنُ العربيِّ رحمه الله: «وهذا يختلفُ: إنْ حكمَ بما عندَه على أنَّه من عندِ اللهِ، فهو تبديلٌ له يوجبُ الكفرَ، وإن حكمَ به هوًى ومعصيةً، فهو ذنبٌ تدركُه المغفرةُ على أصلِ أهلِ السُّنَّةِ في الغفرانِ للمذنبينَ»(٣).

قال الشنقيطيُّ رحمه الله: «واعلمْ أنَّ تحريرَ المقامِ في هذا البحثِ أنَّ الكفرَ والظلمَ والفسقَ، كلُّ واحدٍ منها أُطلق في الشرعِ مرادًا به المعصيةُ تارةً، والكفرُ المخرجُ من الملةِ أخرى، ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ معارضةً للرسلِ، وإبطالاً لأحكامِ اللهِ، فظلمُه وفسقُه وكفرُه، كلُّها مخرجٌ من الملةِ.

﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ معتقدًا أنَّه مرتكبٌ حرامًا، فاعلٌ قبيحًا، فكفرُه وظلمُه وفسقُه غيرُ مخرجٍ من الملةِ»(٤).

قال السعديُّ رحمه الله: «فالحكمُ بغيرِ ما أنزلَ اللهُ من أعمالِ الكفرِ، وقد يكونُ كفرًا ينقلُ عن الملةِ، وذلك إذا اعتقدَ حِلَّه وجوازَه، وقد يكونُ كبيرةً

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٦/ ١٨٤).
(٢) محاسن التأويل (٣/ ١٣٠).
(٣) أحكام القرآن (٢/ ٦٢٤).
(٤) أضواء البيان (٢/ ١٠٤).

من كبائرِ الذنوبِ، ومن أعمالِ الكفرِ قد استحقَّ من فَعَلَهُ العذابَ الشديدَ ... ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ قال ابنُ عباسٍ: كفرٌ دون كفرٍ، وظلمٌ دون ظلمٍ، وفسقٌ دون فسقٍ، فهو ظلمٌ أكبرُ عندَ استحلالِه، وعظيمةٌ كبيرةٌ عندَ فعلِه غيرَ مستحلٍّ له»(١).

قال أبو العزِّ الحنفيُّ رحمه الله: وهنا أمرٌ يجبُ أنَّ يُتفطَّنَ له، وهو أنَّ الحكمَ بغيرِ ما أنزلَ اللهُ قد يكونُ كفرًا ينقلُ عن الملةِ وقد يكونُ معصيةً: كبيرةً أو صغيرةً، وقد يكونُ كفرًا: إمَّا مجازيًّا وإمَّا كفرًا أصغرَ، على القولين المذكورين، وذلك بحسبِ حالِ الحاكمِ: فإنَّه إنْ اعتقدَ أنَّ الحكمَ بما أنزلَ اللهُ غيرُ واجبٍ، وأنَّه مخيرٌ فيه، أو استهانَ به مع تيقّنِه أنَّه حكمُ اللهِ فهذا كفرٌ أكبرُ، وإن اعتقدَ وجوبَ الحكمِ بما أنزلَ اللهُ، وعَلِمَه في هذه الواقعةِ وعدَلَ عنه مع اعترافِه بأنَّه مستحقٌّ للعقوبةِ، فهذا عاصٍ ويسمَّى كافرًا مجازيًّا أو كفرًا أصغرَ(٢).

قال ابنُ القيمِ رحمه الله: الكفرُ نوعان: كفرُ عملٍ، وكفرُ جحودٍ وعنادٍ، فكفرُ الجحودِ أنْ يَكْفُرَ بما علم أنَّ رسولَ اللهِ جاءَ به من عندِ اللهِ جحودًا وعنادًا، ومن أسماءِ الربِّ وصفاتِه وأفعالِه وأحكامِه...

وأمَّا الحكمُ بغيرِ ما أنزلَ اللهُ وتركُ الصلاةِ فهو من الكفرِ العمليِّ قطعًا، ولا يمكنُ أنْ يُنْفَى عنه اسمُ الكفرِ بعدَ أنْ أطلقَه اللهُ ورسولُه عليه، فالحاكمُ بغيرِ ما أنزلَ اللهُ كافرٌ، وتاركُ الصلاةِ كافرٌ بنصِّ رسولِ اللهِ ﷺ

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٢٣٣).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (ص: ٣٠٤).

ولكنْ هو كفرٌ عملٍ لا اعتقادٍ.

وفي الحديثِ الصحيحِ: «**سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ**»(١) ففرَّقَ بين سبابِه وقتالِه وجعلَ أحدَهما فسوقًا لا يكفَّرُ به والآخرَ كفرًا، ومعلومٌ أنَّه إنَّما أرادَ الكفرَ العمليَّ لا الاعتقاديَّ، وهذا الكفرُ لا يخرجُه من دائرةِ الإسلامِ والملةِ بالكليَّةِ كما لا يَخرجُ الزانِي والسارقُ والشاربُ من الملةِ، وإنْ زالَ عنه اسمُ الإيمانِ(٢).

وهذا التفصيلُ هو قولُ الصحابةِ الذين هم أعلمُ بكتابِ اللهِ وبالإسلامِ والكفرِ ولوازمِها، فلا تُتَلقى هذه المسائلُ إلا عنهم.

إلى أنْ قال: سُئِلَ ابنُ عباسٍ عن قولِه: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾. قال: هو بِهِم كُفْرٌ، وَلَيْسَ كَمَن كَفَرَ بالله وَمَلائكَته وَكُتُبِهِ وَرُسُولِه.

وقال طاوسُ ﷺ: ليسَ بكفرٍ ينقلُه عن الملةِ(٣).

قال ابنُ بطةَّ ﷺ: بابُ ذكرِ الذنوبِ التي تصيرُ بصاحبِها إلى كفرٍ غيرِ خارجٍ به من الملةِ، فذكرَ ضمنَ هذا البابِ: الحكمَ بغيرِ ما أنزلَ اللهُ، وأوردَ آثارَ الصحابةِ والتابعين الدالةِ على أنَّه كفرٌ أصغرُ غيرُ ناقلٍ عن الملةِ(٤).

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٧٦) ومسلم (٦٤).

(٢) يشير إلى الحديث الذي أخرجه البخاري (٢٤٧٥) ومسلم (٥٧) وفيه: «لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ».

(٣) الصلاة وحكم تاركها (ص: ٤٥) وما بعدها.

(٤) الإبانة (٢/٧٢٣- ٧٣٣، ٧٣٧).

وقال العلامةُ محمدُ بنُ إبراهيمَ رحمه الله: من حكمَ بها -يعني القوانينَ الوضعيةَ- أو حاكمَ إليها معتقدًا صحةَ ذلك وجوازَه فهو كافرٌ الكفرَ الناقلَ عن الملةِ(١).

وهذا ما ذهبَ إليه علماءُ أهلِ السُّنَّةِ في هذا العصرِ(٢).

قال ابنُ القيمِ رحمه الله: قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴾ [الحجرات: ٢].

فإذا كان رفعُ أصواتِهم فوق صوتِه سببًا لحبوطِ أعمالِهم، فكيف تقديمُ آرائِهم وعقولِهم وأذواقِهم وسياستِهم ومعارفِهم على ما جاءَ به ورفعُها عليه؟ أليس هذا أولَى أنْ يكونِ محبطًا لأعمالِهم؟(٣).

---

(١) مجموع فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم (١/ ٨٠).

(٢) انظر فتاوى اللجنة الدائمة (٣/ ٩٩٠-٩٩١) برئاسة العلامة ابن باز.

(٣) إعلام الموقعين (١/ ٤٩).

المبحثُ السابع: هل الإيمانُ والإسلامُ شيءٌ واحدٌ؟

لأهلِ السُّنَّةِ ثلاثةُ أقوالٍ في المسألةِ:

الأولِ: أنَّ الإيمانَ والإسلامَ شيءٌ واحدٌ، ومن أدلَّتِهم قولُ اللهِ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩].

وقولُه جلَّ ذكرُه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ مُسۡلِمِينَ﴾ [الزخرف: ٦٩].

وقولُه سبحانه: ﴿إِن تُسۡمِعُ إِلَّا مَن يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [النمل: ٨١].

وقولُه تعالى: ﴿فَأَخۡرَجۡنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٣٥ فَمَا وَجَدۡنَا فِيهَا غَيۡرَ بَيۡتٖ مِّنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [الذاريات: ٣٥، ٣٦].

وحديثُ سُفْيَان بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الثَّقَفِيِّ؛ وفيه أنَّه قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ قُلْ لِي فِي الإِسْلاَمِ قَوْلاً لاَ أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ قَالَ: «**قُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ فَاسْتَقِمْ**»[1].

فدلَّ ذلك على أنَّ منْ آمنَ فهو مسلمٌ، وأنَّ من استحقَّ أحدَ الاسمين استحقَّ الآخرَ إذا عملَ بالطاعاتِ التي آمنَ بها... هذا قولُ من جعلَ الإسلامَ على ضربين: إسلامِ يقينٍ وطاعةٍ، وإسلامِ استسلامٍ من القتلِ والسبيِ[2].

---

(١) أخرجه مسلم (٣٨).

(٢) انظر الإيمان (ص: ٨٧).

القولِ الثاني: أنَّ الإيمانَ غيرُ الإسلامِ، ومِنْ أدلَّتِهم قولُ اللهِ تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٤]، وقولُه سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [الأحزاب: **٣٥**] ففَرَّقَ بينَ المسلمين والمؤمنين.

وحديثُ جبريلَ عندمَا سَأَلَ النبيَّ ﷺ فقال: أخبرني عَنِ الإِسْلاَمِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**الإِسْلاَمُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَتُقِيمَ الصَّلاَةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلاً**» قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ؛ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ. قَالَ: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»(١).

وكذلك قولُ النبيِّ لسَعْدِ بنِ أبي وَقَّاصٍ لما قَالَ له: يَا رَسُولَ اللهِ، أَعْطِ فُلاَنًا فَإِنَّهُ مُؤْمِنٌ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَوْ مُسْلِمٌ**» أَقُولُهَا ثَلاَثًا، وَيُرَدِّدُهَا عَلَيَّ ثَلاَثًا «**أَوْ مُسْلِمٌ**»، ثُمَّ قَالَ: «**إِنِّي لَأُعْطِي الرَّجُلَ، وَغَيْرُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ، مَخَافَةَ أَنْ يَكُبَّهُ اللهُ فِي النَّارِ**»(٢).

القولِ الثالثِ: أنَّ الإيمانَ والإسلامَ إذا أُفرِدَ أحدُهما دخلَ في الآخرِ، وإذا قرنَ بينَهما كان بينهما فرقٌ، وحجتُهم الجمعُ بينَ أدلَّةِ الكتابِ والسُّنَّةِ

---

(١) أخرجه مسلم (٨).

(٢) أخرجه البخاري (٢٧) ومسلم (١٥٠) واللفظ لمسلم.

ممَّا استدلَّ به أصحابُ القولين.

قال الحافظُ الأصبهانيُّ: «الإيمانُ والإسلامُ اسمانِ لمعنيين، فالإسلامُ عبارةٌ عن الشهادتين مع التصديقِ بالقلبِ، والإيمانُ عبارةٌ عن جميعِ الطاعاتِ، خلافًا لمنْ قال: الإسلامُ والإيمانُ سواءٌ إذا حصلت معه الطمأنينةُ.

والدليلُ على الفرقِ بينهما، قولُه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥]، عطفَ الإيمانَ على الإسلامِ والشيءُ لا يُعطفَ على نفسِه، فعُلمَ أنَّ الإيمانَ معنًى زائدٌ على الإسلامِ»[(١)].

قال البغويُّ ﷺ: في حديثِ سؤالِ جبريلَ ﷺ عن الإيمانِ والإسلامِ وجوابِه، قال: جعلَ النبيُّ ﷺ الإسلامَ اسمًا لِمَا ظهرَ من الأعمالِ، وجعلَ الإيمانَ اسمًا لِمَا بطنَ من الاعتقادِ، وليس ذلك لأنَّ الأعمالَ ليست من الإيمانِ والتصديقَ بالقلبِ ليس من الإسلامِ، بل ذلك تفصيلٌ لجملةٍ هي كلُّها شيءٌ واحدٌ وجماعُها: الدينُ، ولذلك قال ﷺ: «**ذلك جبريلُ أتاكُمْ يعلمُكم دينكم**» والتصديقُ والعملُ يتناولُها اسمُ الإيمانِ والإسلامِ جميعًا، يدلُّ عليه قولُه سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ و﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ و﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ فأخبرَ سبحانه وتعالى أنَّ الدينَ الذي رضِيَه ويقبلُه من عبادِه هو

(١) الحجة في بيان المحجة، ص٢٠٥.

الإسلامُ، ولا يكونُ الدينُ في محلِّ القبولِ والرضا إلا بانضمامِ التصديقِ إلى العملِ(١).

قال أبو العباسِ رحمه الله في معرضِ شرحِه لحديثِ سعدٍ المتقدم : قولُه أعطِ فلانًا فإنَّه مؤمنٌ، فقال "أو مسلمٌ" دليلٌ على صحةِ ما قدمنَاه من الفرقِ بينَ حقيقةِ الإيمانِ والإسلامِ، وأنَّ الإيمانَ من أعمالِ الباطنِ والإسلامَ من أعمالِ الجوارحِ الظاهرةِ(٢).

قال ابنُ كثيرٍ رحمه الله في ثنايا تفسيرِ قولِ اللهِ تعالى: ﴿ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّا ﴾: وقد اُستفيدَ من هذه الآيةِ الكريمةِ أنَّ الإيمانَ أخصُّ من الإسلامِ، كما هو مذهبُ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ.

ويدلُّ عليه حديثُ جبريلَ حين سألَ عن الإسلامِ ثم الإيمانِ ثم عن الإحسانِ، فترقَّى من الأعمِّ إلى الأخصِّ ثم للأخصِّ منه. وعن عامرِ بنِ سعدِ بنِ أبي وقاصٍ... وساق حديثَ سعدٍ كما تقدمَ، ففرَّقَ النبيُّ ﷺ بينَ المؤمنِ والمسلمِ(٣).

قال الخطابيُّ رحمه الله: قال الزهريُّ: ﴿ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا﴾ قال: نرَى الإسلامَ كلمةً والإيمانَ العملُ(٤).

قال الشيخُ رحمه الله: ما أكثرَ ما يغلطُ الناسِ في هذه المسألةِ، فأمَّا الزهريُّ

---

(١) انظر شرح مسلم للنووي (١/ ١٨٢).
(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (١/ ٣٦٦).
(٣) تفسير ابن كثير (٤/ ٢٧٠).
(٤) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٥/ ٨٣).

فقد ذهبَ إلى ما حكاه معمرٌ عنه واحتجَ بالآيةِ، وذهبَ غيرُه إلى أنَّ الإيمانَ والإسلامَ شيءٌ واحدٌ، واحتجَّ بالآيةِ الأخرى وهي قولُه: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٣٥ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الذاريات: ٣٥]، قال: فدلَّ ذلك على أنَّ المسلمين هم المؤمنون(١) إذْ كان اللهُ سبحانه قد وعدَ أنْ يخلِّصَ المؤمنين من قومِ لوطٍ وأنْ يُخرجَهم من بين ظهرانِيِّ مَنْ وجبَ عليه العذابُ منهم، ثم أخبرَ أنَّه قد فعلَ ذلك بمنْ وجدَه فيهم من المسلمين إنجازًا للموعدِ، فدلَّ الإسلامُ على الإيمانِ فثبتَ أنَّ معناهما واحدٌ وأنَّ المسلمين هم المؤمنون.

وقد تكلَّمَ في هذا البابِ رجلان من كبراءِ أهلِ العلمِ وصارَ كلُّ واحدٍ منهما إلى مقالةٍ من هاتين المقالتين وردَّ الآخرُ منهما على ما تقدَّمَ وصنَّفَ عليه كتابًا يبلغُ عددُ أوراقِه المائتين.

قلتُ: والصحيحُ من ذلك أنْ يقيَّدَ الكلامُ في هذا ولا يطلقُ على أحدِ الوجهين، وذلك أنَّ المسلمَ قد يكون مؤمنًا في بعضِ الأحوالِ. فكلُّ مؤمنٍ مسلمٌ وليس كلُّ مسلمٍ مؤمنًا، وإذا حملتَ الأمرَ على هذا استقامَ لك تأويلُ الآياتِ واعتدلَ القولُ فيها ولم يختلفْ عليك شيءٌ منها، وأصلُ الإيمانِ التصديقُ وأصلُ الإسلامِ الاستسلامُ والانقيادُ فقد يكونَ المرءُ مستسلمًا في الظاهرِ غيرَ منقادٍ في الباطنِ، ولا يكونُ صادقَ الباطنِ غيرَ منقادٍ في الظاهرِ(٢).

---

(١) وهذا ما ذهب إليه الشنقيطي في أضواء البيان (٧/٤١٨-٤١٩).

(٢) معالم السنن (٤/٢٩١) – كتاب شرح السنة.

قال ابنُ رجبٍ رحمه الله: تحقيقُ القولِ في مسألةِ الإسلامِ والإيمانِ: هل هما واحدٌ أمْ همَا مختلفان؟

فإنَّ أهلَ السُّنَّةِ والحديثِ مختلفون في ذلك، وصنَّفُوا في ذلك تصانيفَ متعددةً، فمنهم من يدَّعِي أنَّ جمهورَ أهلِ السُّنَّةِ على أنَّهما شيءٌ واحدٌ، منهم محمدُ بنُ نصرٍ المروزيُّ وابنُ عبدِ البرِّ، وقد رُوِيَ هذا القولُ عن سفيانٍ الثوريِّ من روايةِ أيوبَ بنِ سويدٍ الرمليِّ عنه، وأيوبُ فيه ضعفٌ.

ومنهم منْ يحكِي عن أهلِ السُّنَّةِ التفريقَ بينَهما، كأبي بكرٍ بنِ السمعانيِّ(١) وغيرِه، وقد نُقِلَ التفريقُ بينَهما عن كثيرٍ من السلفِ، منهم قتادةُ وداودُ بنُ أبي هندٍ(٢)، وأبو جعفرٍ الباقرُ والزهريُّ.

وبهذا التفصيلِ الذي ذكرنَاه يزولُ الاختلافُ، فيقالُ: إذا أُفرِدَ كلٌّ

---

(١) هو: الإمام محمّد بن منصور بن محمّد بن عبد الجبّار بن أحمد بن محمّد بن جعفر بن أحمد بن عبد الجبّار بن الفضل بن الرّبيع بن مسلم بن عبد الله بن عبد المجيد أبو بكر ابن الإمام أبي المظفر بن الإمام أبي منصور بن السّمعانيّ الفقيه الأديب المحدث الحافظ الواعظ الخطيب المبرز في علم الحديث رجالًا وأسانيد ومتونا. مولده في سنة ستّ وستّين وأربعمائة.

سير أعلام النبلاء (١٩/ ٣٧١)، الأعلام للزركلي (٧/ ١١٢)، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٧/ ٥).

(٢) هو: الإمام داود بن أبي هند دينار بن عذافر، الحافظ الثقة، أبو محمد الخراساني ثم البصري، كان حافظًا، مهيبًا، نبيلاً، قال ابن ناصر الدين: كان مفتي أهل البصرة، مات سنة ١٣٩هـ.

سير أعلام النبلاء (٣/ ٣٧٦)، وشذرات الذهب (١/ ٢٠٨)،

من الإسلامِ والإيمانِ بالذكرِ فلا فرقَ بينَهما حينئذٍ، وإنْ قُرِنَ بينَ الاسمين كان بينَهما فرقٌ.

والتحقيقُ في الفرقِ بينَهما: أنَّ الإيمانَ هو تصديقُ القلبِ وإقرارُه ومعرفتُه، والإسلامَ: هو استسلامُ العبدِ للهِ وخضوعُه وانقيادُه له، وذلك يكونُ بالعملِ وهو الدينُ كما سمَّى اللهُ تعالى في كتابِه الإسلامَ دينًا، وفي حديثِ جبريلَ سمَّى النبيُّ ﷺ الإسلامَ والإيمانَ والإحسانَ دينًا وهذا أيضًا مما يدلُّ على أنَّ أحدَ الاسمين إذا أُفْرِدَ دخلَ فيه الآخرُ، وإنَّما يُفرَّقُ بينَهما حيثُ قُرِنَ أحدُ الاسمين بالآخرِ، فيكونُ حينئذٍ المرادُ بالإيمانِ: جنسُ تصديقِ القلبِ، وبالإسلامِ جنسُ العملِ...

ومن هنا قال المحققون من العلماءِ: كلُّ مؤمنٍ مسلمٌ، فإنَّه من حقَّقَ الإيمانَ ورسخَ في قلبِه، قام بأعمالِ الإسلامِ كما قال ﷺ: «**أَلاَ وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ . أَلاَ وَهِيَ الْقَلْبُ**»(١). فلا يتحقَّقُ القلبُ بالإيمانِ إلا وتنبعثُ الجوارحُ في أعمالِ الإسلامِ وليس كلُّ مسلمٍ مؤمنًا، فإنَّه قد يكونُ الإيمانُ ضعيفًا فلا يتحقَّقُ القلبُ به تحقُّقًا تامًّا... قال تعالى: ﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ﴾ وذكرَ الآيةَ وحديثَ سعدِ بنِ أبي وقاصٍ(٢). انتهى. وهذا هو ما رجَّحَه شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ(٣).

---

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري (٢٠٥١) ومسلم (١٠٧-١٥٩٩).

(٢) جامع العلوم والحكم (ص: ٦٩-٧٠).

(٣) راجع مجموع الفتاوى (١٣/٧، ٤١، ٥٥١).

وهذا هو الراجحُ عندي من أقوالِ العلماءِ للجمعِ بينَ أدلَّةِ الكتابِ والسُّنَّةِ، إذْ لم يَرِدْ دليلٌ على نسخِ أيٍّ منها فالواجبُ العملُ بجميعِها. واللهُ أعلمُ.

مطلبٌ: في معرفةِ دلالةِ الألفاظِ:

الاسمُ الواحدُ تختلفُ دلالتُه بالإفرادِ والاقترانِ، فقد يكونُ عندَ الإفرادِ فيه عمومٌ لمعنييْن، وعندَ الاقترانِ لا يدلُّ إلا على أحدِهما، كلفظِ الفقيرِ والمسكينِ، إذا أُفردَ أحدُهما تناولَ الآخرَ، وإذا جُمعَ بينَهما كان لكلِّ واحدٍ مسمًى يخصُّه(١).

مثالُ ذلك: اسمُ المعروفِ والمنكرِ إذا أُطلقَ كما في قولِه تعالى: ﴿يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، وقولِه: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ [التوبة: ٧١]، يدخلُ في المعروفِ كلُّ خيرٍ وفي المنكرِ كلُّ شرٍّ.

ثم يفرِّقُ بما هو أخصُّ منه كقولِه: ﴿لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤]، فغيَّرَ بين المعروفِ وبين الصدقةِ والإصلاحِ بين الناسِ، كما غيَّرَ بين اسمِ الإيمانِ والعملِ واسمِ الإيمانِ والإسلامِ...

ومن هذا البابِ لفظُ "العبادةِ" فإذا أمرَ به والاستعانةِ به ممَّا أمرَ به فيدخلُ ذلك في مثلِ قولِه: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾

(١) مجموع الفتاوي (٧/ ٥٥١).

[الذاريات: ٥٦]، وفي قولِه: ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا ﴾ [النساء: ٣٦] وقولِه: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمۡ ﴾ [البقرة: ٢١]... ثم يُقرَنُ بها اسمٌ آخرُ، كما في قولِه: ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: ٥]، وقولِه: ﴿ فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِ ﴾ [هود: ١٢٣]، وقولِ نوح: ﴿ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴾ [نوح: ٣].

وكذلك إذَا أُفردَ اسمُ "طاعةِ اللهِ" دخلَ في طاعتِه كلُّ ما أمرَ به، وكانت طاعةُ الرسولِ داخلةً في طاعتِه.

وكذا اسمُ "التقوى" إذا أُفردَ دخلَ فيه فعلُ كلِّ مأمورٍ به وتركُ كلِّ محظورٍ، قال طلقُ بنُ حبيبٍ(١): التقوى: أنْ تعملَ بطاعةِ اللهِ على نورٍ من اللهِ ترجو رحمةَ اللهِ، وأنْ تتركَ معصيةَ اللهِ على نورٍ من اللهِ تخافُ عذابَ اللهِ. وهذا كما في قولِه: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَنَهَرٍ ۝ فِى مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقۡتَدِرٍ﴾ [القمر: ٥٤-٥٥]، وقد يفرَّقُ بها اسمٌ آخرُ، كقولِه: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ ﴾ [الطلاق: ٢-٣].

وقولِه: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [يوسف: ٩٠] وقولِه: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَ ﴾ [النساء: ١] وقولِه: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴾

---

(١) هو: طلق بن حبيبٍ العنزيّ بصريٌّ، زاهدٌ كبيرٌ، من العلماء العاملين، قال أبو زرعة: طلقٌ: ثقةٌ، مرجئٌ. مات قبل المائة.

سير أعلام النبلاء (٤/٦٠١)، ميزان الاعتدال (٢/٣٤٥).

[الأحزاب: ٧٠] وقولِه: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، فعطفَ قولَهم على الإيمانِ كما عطفَ القولَ السديدَ على التقوى، ومعلومٌ أنَّ التقوى إذا أُطلقتْ دخلَ فيها القولُ السديدُ، وكذلك الإيمانُ إذا أُطلقَ دخلَ فيه السمعُ والطاعةُ للهِ والرسولِ...

وكذلك لفظُ "البِرِّ" إذا أُطلقَ تناولَ جميعَ ما أمرَ اللهُ به، كما في قولِه: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ١٣ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ﴾ [الانفطار: ١٣-١٤]، وقولِه: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ [البقرة: ١٨٩] وقولِه: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، فالبرُّ إذا أُطلقَ كان مسمَّاه مسمَّى التقوى، والتقوى إذا أُطلقتْ كان مسمَّاها مسمَّى البرِّ.

ثم قد يُجمعُ بينهما كما في قولِه تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰ﴾ [المائدة: ٢]. وكذلك لفظُ "الذنوبِ" إذا أُطلقَ دخلَ فيه تركُ كلِّ واجبٍ وفعلُ كلِّ محرمٍ كما في قولِ اللهِ تعالى: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣]. ثم قد يُقرَنُ بغيرِه كما في قولِه: ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا﴾ [آل عمران: ١٤٧].

وهذه الأسماءُ التي تختلفُ دلالتُها بالإطلاقِ والتقييدِ والتجريدِ والاقترانِ، تارةً يكونان إذا أُفرِدَ أحدُهما يكونُ أعمَّ من الآخرِ، كاسمِ "الإيمانِ" و"المعروفِ" مع العملِ ومع الصدقِ، و"المنكرِ" مع الفحشاءِ ومع البغيِ ونحوِ ذلك، وتارةً يكونان متساوييْن في العمومِ والخصوصِ، كلفظِ "الإيمانِ" و"البرِّ" و"التقوى" ولفظِ "الفقيرِ" و"المسكينِ" فأيُّهما أُطلقَ تناولَ ما يتناولُه الآخرُ(١).

مطلبٌ: كم شُعبُ الإيمانِ؟ وهل في تعيينِها دليلٌ؟

الكلامُ في هذه المسألةِ على ضربين:

الأولِ: ذكرُ عددِ الشُّعبِ.

والثاني: هل في تعيينِ هذه الشُّعبِ دليلٌ من الكتابِ أو السُّنَّةِ؟

الضربُ الأولُ: عددُ شُعبِ الإيمانِ:

شُعبُ الإيمانِ بضعٌ وستون أو بضعٌ وسبعون كما أخبرَنا رسولُ اللهِ ﷺ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «**الإِيمَانُ بِضْعٌ(٢) وَسِتُّونَ شُعْبَةً، وَالحَيَاءُ مِنَ الإِيمَانِ**»(٣).

وفي روايةِ مسلمٍ: «**الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، وَالحَيَاءُ شُعْبَة مِنْ**

---

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ١٦١-١٦٦) باختصار.

(٢) بضع: في العدد بكسر الباء وبعض العرب بفتحها، وهو ما بين الثلاث إلى التسع، نقول بضع سنين وبضعة عشر رجلا وبضع عشرة امرأة – مختار الصحاح (ص:٣٠) مادة (ب ض ع).

(٣) أخرجه البخاري (٩).

شُعَبِ الإِيمَانِ»[١].

الضربُ الثاني: هل في تعيينِها دليلٌ؟

لم يَرِدْ دليلٌ من الكتابِ والسُّنَّةِ على تعيينِ هذه الشُّعبِ وقد اجتهدَ بعضُ السلفِ في جمعِها من أحاديثِ رسولِ اللهِ ﷺ، وممَّن قام بجمعِها: اللالكائيُّ والبيهقيُّ وابنُ حبانَ[٢] وغيرُهم.

وينبغي أنْ نؤمنَ بالعددِ الذي ذكرَه رسولُ اللهِ ﷺ في الجملةِ. قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ -أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ- شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ**»[٣].

قال القاضي رحمه الله: وقد نبَّه ﷺ على أنَّ أفضلَها التوحيدُ المتعيَّنُ على كل أحدٍ، والذي لا يصحُّ شيءٌ من الشُّعبِ إلا بعد صحتِه، وأدناها ما يُتوقَّعُ ضررُه بالمسلمين من إماطةِ الأذى عن طريقِهم، وبقيَ بين هذين الطرفين أعدادٌ لو تكلَّفَ المجتهدُ تحصيلَها بغلبةِ الظنِّ وشدةِ التتبع لأمكنَه، وقد فعلَ ذلك بعضُ من تقدَّمَ، وفي الحكمِ بأنَّ ذلك مرادُ النبيِّ ﷺ صعوبةٌ، ثم إنَّه لا يلزمُ معرفةُ أعيانِها ولا يقدحُ جهلُ ذلك في الإيمانِ، إذ أصولُ الإيمانِ

---

(١) أخرجه مسلم (٣٥).

(٢) هو: الإمام، العلاّمة، الحافظ، المجوّد، شيخ خراسان، أبو حاتم، محمّد بن حبّان بن أحمد بن حبّان، ولد سنة بضع وسبعين ومائتين. وتنقل في الأقطار، فرحل إلى خراسان والشام ومصر والعراق والجزيرة. قال: لعلّنا قد كتبنا عن أكثر من ألفي شيخ. وتولى قضاء سمرقند مدة، ثم عاد إلى نيسابور، ومنها إلى بلده، توفي سنة أربعٍ وخمسين وثلاثمائة، وهو أحد المكثرين من التصنيف.

الأعلام للزركلي (٦/٧٨)، سير أعلام النبلاء (١٦/٩٢)

(٣) أخرجه مسلم (٥٨-٣٥).

وفروعُه معلومةٌ محققةٌ والإيمانُ بأنَّها هذا العددُ واجبٌ في الجملةِ[(١)].

قال الحافظُ رحمه الله: ولم يتفقْ مَنْ عدَّ الشُّعبَ على نمطٍ واحدٍ، وأقربُها إلى الصوابِ طريقةُ ابنِ حبانَ، لكنْ لم نقفْ على بيانِها من كلامِه. وقد لخصتُ مما أوردَه ما ذكرَه... وساق الشُّعبَ كما جمعَها ابنُ حبانَ[(٢)].

قال ابنُ حبَّان: فذكرتُ هذه المسألةَ بذكرِ شُعبِها في كتابِ "وصفُ الإيمانِ وشُعبِه»[(٣)].

---

(١) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم (١/٢٠٠) للقاضي عياض.

(٢) فتح الباري (١/٦٨) كتاب الإيمان.

(٣) انظر الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان (١/١٩٤) للأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، توفي سنة ٧٣٩هـ.

الباب الثالث: توحيد أسماء الله عز وجل

ويحوي خمسة مباحث:

المبحث الأول: أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة في باب أسماء الله تعالى.

المبحث الثاني: ذكر أشهر العلماء الذين اعتنوا بجمع أسماء الله الحسنى، وسرد الأسماء التي قاموا بجمعها.

المبحث الثالث: مناهج العلماء في جمع أسماء الله الحسنى.

المبحث الرابع: سرد أسماء الله الحسنى التي لا خلاف بين أهل العلم أنها من أسماء الله، ثم سرد جملة من أسماء الله التي اتفق عليها أكثر أهل العلم، ثم ذكر جملة من الأسماء المضافة التي عدها بعض أهل العلم من أسماء الله الحسنى.

المبحث الخامس: دعاء الله تعالى لا يكون إلا بأسمائه الحسنى وصفاته العلى

توحيد أسماء الله تبارك وتعالى

قد علمتَ بالأدلةِ من القرآنِ أنَّ التوحيدَ ثلاثةُ أقسامٍ، وقد سبق بيانُ القسمِ الأولِ والثاني وهما: توحيدُ الربوبيةِ وتوحيدُ الألوهيةِ، أمَّا القسمُ الثالثُ فهو توحيدُ الأسماءِ والصفاتِ، ونخصُّ هذا البابَ بتوحيدِ الأسماءِ، وسيأتي توحيدُ الصفاتِ في البابِ الذي يليه.

اعلمْ أنَّ علمَ الأسماءِ والصفاتِ من أعظمِ وأجلِّ العلومِ، إذ به يعرفُ العبدُ ربَّه فيحصلُ له من تعظيمِه ومحبتِه وخشيتِه وخوفِه ورجائِه – وغيرِ ذلك من عبودياتِ القلبِ والجوارحِ – ما لم يحصلْ لغيرِه ممَّنْ جهلَ علمَ الأسماءِ والصفاتِ أو ممَّن قلَّ علمُه بهما، فمعرفةُ اللهِ – جلَّ وعلا – من أشرفِ المعارفِ وعبادتُه غايةُ المقاصدِ، وأكملُ الناسِ عبوديةً للهِ تعالى أعلمُهم بأسمائِه وصفاتِه وأعلَمُهم بمقتضاها. لذا كان أكملُ البشرِ عبادةً للهِ ﷻ نبيَّنا ﷺ لعلمِه التامِ بخالقِه سبحانه وتعالى.

قال قوّامُ السُّنَّةِ الأصبهانيُ رحمه الله: قال بعضُ العلماءِ: أولُ فرضٍ فرضَه اللهُ على خلقِه: معرفتُه، فإذا عَرَفَه الناسُ عبدُوه، قال اللهُ تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، فينبغِي للمسلمين أنْ يعرفُوا أسماءَ اللهِ وتفسيرَها، فيعظِّموا اللهَ حقَّ عظمتِه، ولو أرادَ رجلٌ أنْ يعامِلَ رجلاً طلبَ أنْ يعرفَ اسمَه وكنيتَه، واسمَ أبيه وجدِه، وسألَ عن صغيرِ أمرِه وكبيرِه، فاللهُ الذي خلقنَا ورزقنَا، ونحن نرجو رحمتَه، ونخافُ من سخطِه أولَى أنْ نعرفَ أسماءَه ونعرفَ تفسيرَها(١).

(١) الحجة في بيان المحجة (ص: ٤١).

قال ابنُ القيمِ رحمه الله: إنَّ العلمَ بأسماءِ اللهِ الحسنى أصلٌ للعلمِ بكلِّ معلومٍ، فإنَّ المعلوماتِ سواه إمَّا أنْ تكونَ خلقًا له تعالى أو أمرًا. وإمَّا علمًا بملكوتِه، أو علمًا بما شرعَه، ومصدرُ الخلقِ والأمرِ عن أسمائِه الحسنى أصلٌ لإحصاءِ كلِّ معلومٍ؛ لأنَّ المعلوماتِ هي من مقتضَاها، ومرتبطةٌ بها[(١)].

ونذكرُ في هذا البابِ مباحثَ لبيانِ علمِ الأسماءِ:

---

(١) بدائع الفوائد (١/ ١٦٣) بتصرف.

المبحثُ الأولُ: أصولُ اعتقادِ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ في بابِ أسماءِ اللّهِ تعالى:

هذه الأصولُ مستقاةٌ من الوحييْن – الكتابِ والسُّنَّةِ(١).

الأصلُ الأولُ: نؤمنُ بأنَّ أسماءَ اللّهِ جلّ وعلا كلّها حسنَى:

قال اللهُ تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَـٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠].

وقال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [طه: ٨].

وقال جلَّ وعلا: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَـٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الحشر: ٢٤].

وقال جلَّ ثناؤُه: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

قال القاسميُّ رحمه الله: والمعنى: للهِ الأسماءُ التي هي أحسنُ الأسماءِ وأجلُّها لإنبائِها عن أحسنِ المعاني وأشرفِها (٢).

قال القرطبيُّ رحمه الله: سمَّى اللهُ سبحانه أسماءَه بالحسنى لأنَّها في الأسماعِ والقلوبِ، فإنَّها تدلُّ على توحيدِه وكرمِه وجودِه ورحمتِه وإفضالِه، والحسنى مصدرُ وصفِها به، ويجوزُ أنْ يقدرَ "الحسنَى" فُعْلَى: مؤنثُ الأحسنِ، كالكبرَى: تأنيثِ الأكبرِ، والجمعُ: الكُبَرُوالحُسَنُ، وعلى الأولِ أُفرِدَ كما أُفرِدَ وصفُ ما لا يعقلُ، كما قال تعالى: ﴿ مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴾ [طه:

(١) بعض عناوين هذه الأصول أخذتها من كتاب القواعد المثلى لابن العثيمين رحمه الله.
(٢) محاسن التأويل (٣/ ٦٧١).

١٨]، ﴿ يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ﴾ [سبأ: ١٠] [١].

قال ابنُ القيمِ رحمه الله: وكذلك أسماءُ الربِّ تعالى كلُّها أسماءُ مدحٍ، فلو كانت ألفاظًا مجرَّدةً لا معانيَ لها لم تدلَّ على المدحِ، وقد وصفَها اللهُ سبحانه بأنَّها حسنَى كلُّها... وذكرَ الآيةَ، ثم قال فهي لم تكنْ حسنى لمجردِ اللفظِ بل لدلالتِها على أوصافِ الكمالِ[٢].

وقال في نونيَّتِه:

أسماؤُه أوصافُ مدحٍ كلُّها مشتقةٌ قد حُمِّلتْ لمعانِ[٣]

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٧/ ٣١٠).

(٢) بدائع التفسير (٢/ ٣١٧).

(٣) شرح النونية (٢/ ٢٥١).

الأصلُ الثاني: الإيمانُ بأنّ كلّ اسمٍ دالٍّ على صفةٍ كمالٍ تضمنّها الاسمُ، ومنه ما يدلّ على عدةِ صفاتٍ:

اعتقادُ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ أنَّ كلَّ اسمٍ من أسماءِ اللهِ ﷻ دالٌّ على صفةِ كمالٍ تضمنَّها الاسمُ ومنه ما يدلُّ على عدةِ صفاتٍ، فإذا قلتَ مثلاً: «العَلِيمُ»: دلَّ على أنَّه اسمٌ لذاتِ[1] اللهِ ودلَّ على صفةِ العلمِ للهِ، وإذا قلتَ: «السَّمِيعُ» دلَّ على أنَّه اسمٌ للهِ تعالى وعلى صفةِ السمعِ، وإذا قلتَ: «الرَّحْمَنُ»: دلَّ على أنَّه اسمٌ للهِ سبحانه وعلى صفةِ الرحمةِ، ونحوُ ذلك في كلِّ اسمٍ.

قال ابنُ القيمِ رحمه الله في معرضِ كلامِه عن أسماءِ اللهِ: فهي لم تكنْ حسنَى لمجردِ اللفظِ بل لدلالتِها على أوصافِ الكمالِ [2].

وفي موضعٍ آخرَ قال: أسماءُ الربِّ تعالى هي أسماءٌ ونعوتٌ، فإنَّها دالةٌ على صفاتِ كمالٍ، فلا تَنَافِيَ فيها بين العلميةِ والوصفيةِ [3].

وفي معرضِ كلامِه عن صفاتِ اللهِ تعالى قال: الاسمُ الدالُّ على جملةِ أوصافٍ عديدةٍ لا تختصُّ بصفةٍ معينةٍ، بل هو دالٌّ على معانٍ لا على معنًى مفردٍ، نحوِ: المجيدِ، العظيمِ، الصمدِ. فإنَّ المجيدَ من اتصفَ بصفاتٍ متعددةٍ من صفاتِ الكمالِ، ولفظُه يدلُّ على هذا فإنَّه موضوعٌ للسعةِ

---

(١) لفظ "الذات" جاء في حديث أبي هريرة الذي أخرجه البخاري (٣٣٥٧) ومسلم (٢٣٧١) وفيه: "لم يكذب إبراهيم عليه السلام – إلا ثلاث كذبات، ثنتين منهن في ذات الله عز وجل...".

(٢) بدائع التفسير (٢/ ٣٧١).

(٣) بدائع الفوائد (١/ ٢٣) لابن القيم.

والكثرةِ والزيادةِ، فمنه استمجدَ المرخُ [(١)] والغفارُ وأمجدَ الناقةَ علفًا.

ومنه «ربُّ العرشِ المجيدُ»: صفةٌ للعرشِ لسعتِه وعظمِه وشرفِه.

وتأملْ كيف جاءَ هذا الاسمُ مقترنًا بطلبِ الصلاةِ من اللهِ على رسولِه كما علَّمَنَاهُ ﷺ؛ لأنَّه في مقامِ طلبِ المزيدِ والتعرضِ لسعةِ العطاءِ وكثرتِه ودوامِه، فأتَى في هذا المطلوبِ باسمٍ يقتضِيه... فالعظيمُ من اتصفَ بصفاتٍ كثيرةٍ من صفاتِ الكمالِ.

وكذلك الصمدُ، قال ابنُ عباسٍ: هو السيِّدُ الذي كَمُلَ في سُؤْدُدِه[(٢)].

وقال أبووائلٍ رحمه الله [(٣)]: هو السيِّدُ الذي انتهى سؤدُدُه..

وقال الأنباريُّ رحمه الله: لا خلافَ بين أهلِ اللغةِ أنَّ الصمدَ: السيِّدُ الذي ليس فوقَه أحدٌ، الذي يصمَدُ إليه الناسُ في حوائجِهم وأمورِهم، واشتقاقُه يدلُّ على هذا، فإنَّه من الجمعِ والقصدِ الذي اجتمعَ القصدُ نحوَه، واجتمعتْ فيه صفاتُ السؤدُدِ [(٤)].

---

(١) مرخ: مرخه بالدهن يمرخه مرخًا ومرَّخه تمريخًا دهنه، وتمرخ به: ادهن، ورجل مرخ ومريخ: كثير الأدهان – اللسان (٨/ ٢٤٦).

(٢) السُّؤدُد: بضم الدال الأولى لغة: طيئ، وقد سادهم سُودًا وسُودُدًا وسيادةً وسَيْدُودةً واستادهم كسادهم وسوَّدهم هو ... وساد قومه يسودهم سيادةً وسُوْددًا وسَيْدودة فهو سيد– اللسان (٤/ ٧٤٠-٧٤٢).

(٣) هو: الإمام الكبير، شيخ الكوفة، أبو وائلٍ الأسديّ شقيق بن سلمة الكوفيّ مخضرمٌ، أدرك النّبيّ ﷺ وما رآه، وكان من أئمّة الدّين، مات بعد الجماجم، سنة اثنتين وثمانين. تهذيب الكمال (٣٤/ ٣٨٨)، سير أعلام النبلاء (٤/ ١٦١).

(٤) بدائع الفوائد (١/ ١٤٤-١٤٥) باختصار.

وقال رحمه الله: من أسمائِه الحسنَى ما يكونُ دالاً على عدةِ صفاتٍ، ويكونُ ذلك الاسمُ متناوِلاً لجميعِها تناولَ الاسمِ الدالِّ على الصفةِ الواحدةِ لها -كاسمِه العظيمِ، والمجيدِ، والصمدِ، كما قال ابنُ عباسٍ فيما رواهُ عنه ابنُ أبي حاتمٍ في تفسيرِه: الصمدُ، السيِّدُ الذي قد كَمُلَ في سؤدُدِه، والشريفُ الذي قد كَمُلَ شرفُه، والعظيمُ الذي قد كَمُلَ في عظمتِه، والحليمُ الذي قد كَمُلَ في حلمِه، والعليمُ الذي قد كَمُلَ في علمِه، والحكيمُ الذي كَمُلَ في حكمتِه، وهو الذي قد كَمُلَ في أنواعِ شرفِه وسؤدُدِه، وهو سبحانه، وهذه صفتُه لا تنبغِي إلا له ليس له كُفُؤًا أحدٌ، وليس كمثلِه شيءٌ، سبحانه اللهُ الواحدُ، وهذا ممَّا خَفِيَ على كثيرٍ ممَّن تعاطَى الكلامَ في تفسيرِ الأسماءِ الحسنَى، ففسَّرَ الاسمَ بدونِ معناه، ونَقَصَهُ من حيثُ لا يعلمُ، فمن يحيطُ بهذا علمًا، بَخَسَ الاسمَ الأعظمَ حقَّه، وهضَمَه معناه، فتدَبَّرْهُ[1].

قال السعديُّ رحمه الله في معرضِ شرحِه للآيةِ الكريمةِ: هذا بيانٌ لعظيمِ جلالِه وسعةِ أوصافِه، بأنَّ له الأسماءَ الحسنَى، أي: له كلُّ اسمٍ حسنٍ وضابطُه: أنَّه كلُّ اسمٍ دالٌّ على صفةٍ كمالٍ عظيمةٍ، وبذلك كانت حسنى، فإنَّها لو دلتْ على غيرِ صفةٍ بل كانتْ علمًا محضًا لم تكنْ حسنى، وكذلك لو دلَّتْ على صفةٍ ليست بصفةِ كمالٍ، بل صفةِ نقصٍ أو صفةٍ منقسمةٍ إلى المدحِ والقدحِ لم تكنْ حسنَى، فكلُّ اسمٍ من أسمائِه دالٌّ على جميعِ الصفةِ التي اشتقَ منها، مستغرقٌ لجميعِ معناها.

---

(١) المصدر السابق (١/١٥٢-١٥٣) بتصرف يسير.

نحوَ: «العليمُ» الدالُّ على أنَ له علمًا محيطًا عامًّا لجميعِ الأشياءِ، فلا يخرجُ عن علمِه مثقالُ ذرَّةٍ في الأرضِ ولا في السماءِ، و «الرحيمُ» الدالُّ على أنَّ له رحمةً عظيمةً واسعةً لكلِّ شيءٍ.

و«القديرُ» الدالُّ على أنَّ له قدرةً عامةً، لا يعجزُها شيءٌ، ونحوُ ذلك[(١)].

الأصلُ الثالثُ: أسماءُ اللهِ تعالى غيرُ محصورةٍ بعددٍ:

عن عَبْدِ اللهِ؛ قَال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**ما أَصابَ أَحدًا قطُّ همٌّ ولا حَزَنٌ، فقالَ: اللَّهُمَّ إنِّي عَبْدُكَ ابنُ عَبدِكَ ابنِ أَمَتِكَ، ناصِيَتي بِيَدِكَ، ماضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضاؤُكَ. أَسْأَلُكَ بِكُلِ اسْمٍ هُوَ لَك، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أو أَنْزَلْتَهُ في كِتَابِكَ، أَوْ اِسْتَأْثَرْتَ بِهِ في عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي وَنورَ صَدري وَجَلاءَ حُزْني وذَهَابَ هَمِّي- إلَّا أَذْهَبَ اللهُ همّهُ وحُزْنَهُ وأَبْدَلَهُ مَكانَهُ فَرَجًا.** قال: فقيل: يا رسولُ اللهِ، أَلَا نَتَعَلَّمُها؟ فقال: **بَلى، يَنْبَغي لِمَنْ سَمِعَها أَنْ يَتَعَلَّمَها**» [(٢)].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ أَنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قالَ: «**إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ**»[(٣)].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (١/٣٠٩).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٣٧١٢) وابن حبان في الموارد (٢٣٧٢) والحاكم في المستدرك (١/٥٠٩)، وابن أبي شية (٦/٤٠)، وأبو يعلى (٥٢٩٧)، والطبراني في الكبير (١٠٣٥٢).

(٣) أخرجه البخاري (٢٧٣٦) ومسلم (٢٦٧٧).

وفي رواية: «لاَ يَحْفَظُهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَ الجَنَّةَ»(١).

وفي صحيح مسلم عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: فَقَدْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَيْلَةً مِنَ الْفِرَاشِ فَالْتَمَسْتُهُ فَوَقَعَتْ يَدِي عَلَى بَطْنِ قَدَمَيْهِ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ وَهُوَ يَقُولُ: «اللهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا **أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ**»(٢).

فالنبيُّ ﷺ يخبرُ أنَّه لا يحصِي ثناءً على اللهِ، ولو أحصَى جميعَ الأسماءِ لا يحصِي الثناءَ عليه.

وقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ في حَديثِ الشَّفاعَةِ: «**ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا، لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي**»(٣).

فدلَّ ذلك على أنَّ هناك محامدَ من أسماءِ اللهِ وصفاتِه يفتحُ اللهُ بها على رسولِ اللهِ ﷺ في ذلك اليومِ، وهي بلا شكٍّ غيرُ المحامدِ المأثورةِ في الكتابِ والسُّنَّةِ؛ لقولِه: «**لم يفتحْه على أحدٍ قبْلي**».

قال الخطابيُّ رحمه الله: وجملةُ قولِه: «**إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا...**» وساق الحديثَ، قضيةٌ واحدةٌ لا قضيتان ويكون تمامُ الفائدةِ في خبرِ "إنَّ" في قَولِهِ: «**مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ**» لا في قَولِهِ: «**تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا**» وإنَّما هو بمنزلةِ قولِك: إنَّ لزيدٍ ألفَ درهمٍ أعدَّها للصدقةِ، وكقولِك: إنَّ لعمروٍ

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤١٠).

(٢) أخرجه مسلم (٤٨٦).

(٣) أخرجه البخاري (٤٧١٢) ومسلم (١٩٤).

مائةَ ثوبٍ، من زارَه خلعَها عليه وهذا لا يدلُّ على أنَّه ليس عندَه من الدراهمِ أكثرُ من ألفِ درهمٍ ولا من الثيابِ أكثرُ من مائةِ ثوبٍ، وإنَّما دلالتُه: أنَّ الذي أعدَّه زيدٌ من الدراهمِ للصدقةِ ألفُ درهمٍ، وأنَّ الذي أرصدَه عمرٌو من الثيابِ للخلعِ مائةُ ثوبٍ، والذي يدلُّ على صحةِ هذا التأويلِ حديثُ عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ وقد ذكر محمدُ بنُ إسحاقَ بنِ خزيمةَ(١) في المأثورِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَدْعو: «**اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ بنُ عَبدِكَ بنِ أَمَتِكَ، ناصِيَتي بِيَدِكَ، ماضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضاؤُكَ. أَسْأَلُكَ بِكُلِ اسْمٍ هُوَ لَك، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أو أَنْزَلْتَهُ في كِتَابِكَ، أَوْ اِسْتَأْثَرْتَ بِهِ في عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ**»(٢).

فهذا يدلُّك على أنَّ لله أسماءً لم يُنزلْها في كتابِه، حجبَها عن خلقِه ولم يُظهرْها لهم(٣).

قال البيهقيُّ رحمه الله: فكأنَّه قصدَ أنَّ من أحصَى من أسماءِ اللهِ تعالى تسعةً وتسعين اسمًا دخلَ الجنةَ (٤).

قال النوويُّ رحمه الله في شرحِه لحديثِ البابِ: واتفقَ العلماءُ على أنَّ هذا

---

(١) هو: الحافظ أبو بكر بن محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري الشافعي، الحجة الفقيه شيخ الإسلام إمام الأئمة صاحب التصانيف ولد ٢٢٣هـ، مات في ثاني ذي القعدة سنة ٣١١هـ وعاش ٨٩ سنة.
سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٦٥)، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٣/ ١٠٩).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) شأن الدعاء (ص:٨٢-٨٣) لأبي سليمان الخطابي.

(٤) الأسماء والصفات (ص:٣٥) للبيهقي.

الحديثَ ليس فيه حصرٌ لأسمائِه سبحانه وتعالى، فليس معناه: أنَّه ليس له أسماءٌ غيرُ هذه التسعةِ والتسعين، وإنَّما مقصودُ الحديثِ أنَّ هذه التسعةَ والتسعين من أحصَاها دخلَ الجنةَ، فالمرادُ الإخبارُ عن دخولِ الجنةِ بإحصائِها لا الإخبارُ بحصرِ الأسماءِ، ولهذا جاءَ في الحديثِ الآخَرِ: «**أَسْأَلُكَ بِكُلِ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ**»[(١)][(٢)].

قال البيضاويُّ[(٣)] رحمه الله: ولا نظنُّ أنَّ التخصيصَ بهذا العددِ المعينِ ممَّا يقتضِي الانحصارَ فيه[(٤)].

قال ابنُ تيميةَ رحمه الله: فإنَّ الذي عليه جماهيرُ المسلمين أنَّ أسماءَ اللهِ أكثرُ من تسعةٍ وتسعين، وقالوا – منهم الخطابيُّ – وساق كلامَ الخطابيِّ ثم قال: فقَوْلُهُ: «**إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ**» تقييدٌ بهذا العددِ بمنزلةِ قولِه تعالى:

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) مسلم بشرح النووي (٩/٨).

(٣) هو عبد الله بن عمر بن مُحَمَّد بن عَليّ أَبُو الْخَيْر القَاضِي نَاصِر الدّين الْبَيْضَاوِيّ، من قرية يقال البيضاء لها من بلاد فارس عارفا بالفقه والتفسير وأصول الفقه، والعربية والمنطق وكان عالما بفنون المناظرة وآداب المناقشة، صالح السلوك ، مجتهدا فى العبادة، متكلمًا أشعرياً متصوفاً.، زاهدا فى متاع الدنيا الفانى، شافعى المذهب، لخص تفسيره من الكشاف، ما يتعلق بالإعراب والمعاني والبيان، ومن التفسير الكبير ما يتعلق بالحكمة والكلام، ومن تفسير الراغب ما يتعلق بالاشتقاق وغوامض الحقائق ولطائف الإشارات، وتوفى بمدينة تبريز. سنة ٦٩١هـ.
البداية والنهاية (١٣/٣٠٩)، طبقات الشافعية للسبكي (٥/٥٩)، كشف الظنون (٢/٨٩).

(٤) شرح أسماء الله الحسنى (ص:١٣٦).

﴿تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ [المدثر: ٣٠] فلما استقلُّوهم، قال: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ [المدثر: ٣١]. فأنْ لا يعلمَ أسماءَه إلا هو أولَى [١].

قال ابنُ القيمِ رحمه الله: إنَّ الأسماءَ الحسنَى لا تدخلُ تحتَ حصرٍ ولا تُحَدُّ بعددٍ، فإنَّ للهِ تعالى أسماءً وصفاتٍ استأثرَ بها في علمِ الغيبِ عندَه لا يعلمُها ملكٌ مقربٌ ولا نبيٌّ مرسلٌ، كما في الحديثِ الصحيحِ: «**أَسْأَلُكَ بِكُلِ اسْمٍ هُوَ لَك، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أو أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ اِسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ**»[٢] فجعلَ أسماءَه ثلاثةَ أقسامٍ: قسمًا سمَّي به نفسَه فأظهرَه لمن شاءَ من ملائكتِهِ أو غيرِهم، ولم يَنزِلْ به كتابُه.

وقسمًا أنزلَ به كتابَه فتعرَّفَ به إلى عبادِه.

وقسمًا استأثرَ به في علمِ غيبِه، فلم يُطلعْ عليه أحدًا من خلقِه ولهذا قالَ: « **اِسْتَأْثَرْتَ بِهِ** » أي: انفردتَ بعلمِه وليس المرادُ انفرادُه بالتسمِّي به؛ لأنَّ هذا الانفرادَ ثابتٌ في الأسماءِ التي أنزلَ بها كتابَه.

ومِنْ هَذا قَولُ النَّبيِّ ﷺ في حَدِيثِ الشَّفاعَةِ: «**ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا، لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي**»[٣] وتلك المحامدُ تفِي بأسمائِه وصفاتِه [٤].

---

(١) مجموع الفتاوى (٦/ ٣٨١)، وانظر درء تعارض العقل والنقل (٣/ ٣٣٢-٣٣٣).
(٢) تقدم تخريجه.
(٣) متفق عليه: تقدم تخريجه.
(٤) بدائع الفوائد (١/ ١٥٠-١٥١).

فائدةٌ:

خالفَ ابنُ حزمٍ، فذهبَ إلى الحصرِ في العددِ المذكورِ، وردَّ عليه الحافظُ ابنُ حجرٍ، فقال: وابنُ حزمٍ ممن ذهبَ إلى الحصرِ في العددِ المذكورِ، وهو لا يقولُ بالمفهومِ أصلاً، ولكنَّه احتجَّ بالتأكيدِ في قولِه صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: «مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا»، قال: لأنَّه لو جازَ أنَّ يكونَ له اسمٌ زائدٌ على العددِ المذكورِ، لزمَ أنَّ يكونَ له مائةٌ، فيبطلُ قولُه: «مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا».

قال الحافظُ: وهذا الذي قالَه ليسَ بحجَّةٍ على ما تقدَّمَ؛ لأنَّ الحصرَ المذكورَ عندَهم باعتبارِ الوعدِ الحاصلِ لمن أحصَاها، فمن ادَّعى أنَّ الوعدَ وقعَ لمنْ أحصَى زائدًا على ذلك أخطأَ، ولا يلزمُ من ذلك أنْ لا يكونَ هناك اسمٌ زائدٌ[1].

مطلبٌ: ما معنى قولِه ﷺ: «مَنْ أَحْصَاهَا»؟

اختلفَ العلماءُ في معنى «مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ»:

قال الزجاج رحمه الله[2]: «مَنْ أَحْصَاهَا» يريدُ بها توحيدَ اللهِ تعالى وإعظامَه[3].

---

(١) الفتح: (١١/٢٢١).

(٢) هو: الإمام، نحويّ زمانه، أبو إسحاق إبراهيم بن محمّد بن السّريّ، مصنّف كتاب (معاني القرآن)، وله تآليف جمّةٌ، مات: سنة إحدى عشرة وثلاثمائةٍ، وقيل: مات في تاسع عشر جمادى الآخرة، سنة عشرة وثلاثمائة.
سير أعلام النبلاء (١٤/٣٦٠)، الأعلام للزركلي (١/٤٠).

(٣) شرح الجامع الصحيح (١٧/١٦١-١٦٢) لابن الملقن.

قال ابنُ الجوزيِّ رحمه الله: لعلَّ المرادَ من قرأَ القرآنَ حتى يختمَه فمنْ حفظَه إذًا دخلَ الجنةَ، لأنَّ جميعَ الأسماءِ فيه [(١)].

قال النوويُّ رحمه الله: فاختلفوا في المرادِ بإحصائِها، فقال البخاريُّ وغيرُه من المحققين معناه: حفظَها، وهذا هو الأظهرُ لأنَّه جاءَ مفسَّرًا في الروايةِ الأخرَى: «**مَنْ حَفِظَهَا**»[(٢)(٣)].

قال الخطابيُّ رحمه الله: الإحصاءُ في مثلِ هذا يحتملُ وجوهًا:

أحدَها: أنْ يعدَّها حتى يستوفيَها، يريدُ أنَّه لا يقتصرُ على بعضِها لكنْ يدعو اللهَ بها كلِّها ويثنِي عليه بجميعِها، فيستوجبُ الموعودَ من الثوابِ.

ثانيَها: المرادُ بالإحصاءِ: الإطاقةُ، كقولِه تعالى: ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ﴾ ومنه حديثُ: «**اسْتَقِيمُوا، وَلَنْ تُحْصُوا**»[(٤)] أي: لن تبلغُوا كنهَ

---

(١) المصدر السابق.

(٢) صحيح: تقدم تخريجه.

(٣) مسلم بشرح النووي (٩/٨).

(٤) أخرجه أحمد (٥/٢٧٦)، والدارمي (٦٥٥)، وابن ماجه (٢٧٧) وغيرهم من طرق عن سالم بن أبي الجعد عن ثوبان به. وسالم بن أبي الجعد لم يسمع من ثوبان.
وقال البوصيري: منقطع بين سالم وثوبان، فإنه لم يسمع منه بلا خلاف.
وذكره الشيخ مقبل رحمه الله في "أحاديث معلة ظاهرها الصحة" (١/٧٩) وقال: منقطع، فالإمام أحمد يقول: إن سالماً لم يلق ثوبان، وأبو حاتم يقول: لم يدرك ثوبان. اهـ
وقد توبع سالم من عبد الرحمن بن ميسرة عند أحمد (٥/٢٨٠)، وعبد الرحمن مقبول كما قال الحافظ في التقريب حيث يتابع، وقد توبع من أبي كبشة السلولي عند أحمد (٥/٢٨٢) وسنده حسن.
وأخرجه الحاكم (١/١٣٠) عن جابر، به، وقال: وهم من أبي بلال الأشعري، وهم =

الاستقامةِ، والمعنى من أطاقَ القيامَ بحقِّ هذه الأسماءِ والعملَ بمقتضَاها وهو أنْ يعتبرَ معانيَها فيُلزِمَ نفسَه بواجبِها فإذا قال «الرَّزَّاقُ» وثَقَ بالرزقِ، وكذا سائرُ الأسماءِ.

ثالثَها: المرادُ بالإحصاءِ الإحاطةُ بمعانيها، من قولِ العربِ: فلانٌ ذو حصاةٍ، أي: ذو عقلٍ ومعرفةٍ. انتهى ملخصًا (١).

قال القرطبيُّ رحمه الله: المرجُوُّ من كرمِ اللهِ تعالى أنْ منْ حصلَ له إحصاءُ هذه الأسماءِ على إحدى هذه المراتبِ – مع صحةِ النيَّةِ – أنْ يدخلَ الجنةَ... (٢).

وقال ابنُ بطّالٍ رحمه الله: طريقُ العملِ بها أنْ الذي يسوغُ الاقتداءُ به فيها كالرحيمِ والكريمِ، فإنَّ اللهَ يحبُّ أنْ يرى حَلاَهَا على عبدِه، فليُمرِّنْ العبدُ نفسَه على أنْ يصحَّ له الاتصافُ بها، وما كان يختصُّ باللهِ تعالى كالجبارِ والعظيمِ، فيجبُ على العبدِ الإقرارُ بها والخضوعُ لها وعدمُ التحلي بصفةٍ منها، وما كان فيه الوعدُ نقفُ منه عندَ الطمعِ والرغبةِ، وما كان فيه معنى الوعيدِ نقفُ منه عندَ الخشيةِ والرهبةِ، فهذا معنى أحصَاها وحفظَها، ويؤيدُه أنَّ من حفظَها عدًّا وأحصاها سردًا ولم يعملْ بها يكون حفظَ القرآنَ ولم يعملْ بما فيه، وَقَد ثَبَتَ الخَبَرُ فِي الخَوارِجِ أَنَّهُمْ: «يَقْرَءُونَ القُرْآنَ،

=

فيه على أبي معاوية. وأبو بلال ضعفه الدارقطني.

وله طرق أخرى لا تخلو من مقال.

(١) انظر شأن الدعاء (ص: ٨٤-٨٨) والفتح (١١/ ٢٢٨-٢٢٩) وعمدة القاري (٩/ ٦٥٦).

(٢) فتح الباري (١١/ ٢٢٩).

لاَ يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ »[١].

قال ابنُ حجرٍ رحمه الله معقبًا على كلامِ ابنِ بطّالٍ: والذي ذكرَه مقامُ الكمالِ، ولا يلزمُ من ذلك أنْ لا يردَ الثوابُ لمن حفظَها وتعبدَّ بتلاوتِها والدعاءِ بها، وإنْ كان متلبسًا بالمعاصِي كما يقعُ مثلُ ذلك في قارئِ القرآنِ سواءً، فإنَّ القارئَ ولو كان متلبسًا بمعصيةٍ غيرِ ما يتعلقُ بالقراءةِ يثابُ على تلاوتِه عندَ أهلِ السُّنَّةِ[٢].

قال أبو نعيمٍ الأصبهانيُّ رحمه الله[٣]: الإحصاءُ المذكورُ في الحديثِ ليس هو التعدادَ، وإنَّما هو العملُ والتعقلُ بمعانِي الأسماءِ والإيمانُ بها[٤].

---

(١) صحيح: تقدم تخريجه – الباب الثاني: حقيقة الإيمان.

(٢) الفتح (١١/٢٢٩).

(٣) هو: الإمام الحافظ أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران، الإمام الحافظ، الثقة العلامة، شيخ الإسلام، أبو نعيم، الأصبهاني، الصوفي، الأحول. الجامع بين الفقه والتصوف والنّهاية في الحفظ والضبط.
وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: " هو أكبر حفاظ الحديث، ومن أكثرهم تصنيفاً، وممن انتفع الناس بتصانيفه ، وهو أجل من أن يقال له: ثقة، فإن درجته فوق ذلك". وقد نسبه ابن عساكر وابن الجوزي وابن كثير للعقيدة الأشعرية، ورد ذلك ابن تيمية وابن القيم والذهبي، ولد سنة ست وثلاثين وثلاثمائة، ومات سنة ثلاثين وأربعمائة للهجرة.
طبقات الشافعية (٤/١٨)، مجموع الفتاوى (٥/١٦٠)، اجتماع الجيوش الإسلامية (ص ١١٠)، العرش ص (١٤٣) .

(٤) المصدر السابق.

الأصلُ الرابعُ: لم يصحّ عن النبيّ ﷺ تعيينُ أسماءِ اللّهِ تعالى:

لم يردْ حديثٌ صحيحٌ عن رسولِ اللهِ ﷺ في تعيينِ أسماءِ اللهِ الحسنى، وأشهرُ ما جاءَ في هذا البابِ حديثُ الوليدِ بنِ مسلمٍ الذي رواه الترمذيُّ وغيرُه من حديثِ أَبِي هُرَيرَةَ؛ أَنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قالَ: «**إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً غَيْرَ وَاحِدَةٍ مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ. هُوَ اللَّهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلاَمُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ الْغَفَّارُ الْقَهَّارُ الْوَهَّابُ الرَّزَّاقُ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ الْقَابِضُ الْبَاسِطُ الْخَافِضُ الرَّافِعُ الْمُعِزُّ الْمُذِلُّ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ الْحَكَمُ الْعَدْلُ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ الْحَلِيمُ الْعَظِيمُ الْغَفُورُ الشَّكُورُ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ الْحَفِيظُ الْمُقِيتُ الْحَسِيبُ الْجَلِيلُ الْكَرِيمُ الرَّقِيبُ الْمُجِيبُ الْوَاسِعُ الْحَكِيمُ الْوَدُودُ الْمَجِيدُ الْبَاعِثُ الشَّهِيدُ الْحَقُّ الْوَكِيلُ الْقَوِيُّ الْمَتِينُ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ الْمُحْصِى الْمُبْدِئُ الْمُعِيدُ الْمُحْيِى الْمُمِيتُ الْحَيُّ الْقَيُّومُ الْوَاجِدُ الْمَاجِدُ الْوَاحِدُ الصَّمَدُ الْقَادِرُ الْمُقْتَدِرُ الْمُقَدِّمُ الْمُؤَخِّرُ الأَوَّلُ الآخِرُ الظَّاهِرُ الْبَاطِنُ الْوَالِى الْمُتَعَالِى الْبَرُّ التَّوَّابُ الْمُنْتَقِمُ الْعَفُوُّ الرَّءُوفُ مَالِكُ الْمُلْكِ ذُو الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ الْمُقْسِطُ الْجَامِعُ الْغَنِىُّ الْمُغْنِى الْمَانِعُ الضَّارُّ النَّافِعُ النُّورُ الْهَادِى الْبَدِيعُ الْبَاقِى الْوَارِثُ الرَّشِيدُ الصَّبُورُ**» (١).

---

(١) ضعيف: رواه الترمذي (٣٥٠٧) وابن ماجه (٣٨٦١) وابن حبان (٢٣٨٤)، والحاكم (١/١٦، ١٧) وغيرهم. وقال الترمذي: ولا نعلم في كبير شيء من الروايات ذكر الأسماء إلا في هذا الحديث. وقد روى آدم بن أبي إياس، هذا الحديث بإسناد غير هذا عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ وذكر فيه الأسماء وليس له إسناد صحيح. وأعله أيضا العقيلي في الضعفاء الكبير ٣/١١٥).

=

والحديثُ ضعيفٌ عندَ أهلِ المعرفةِ بالحديثِ.

قال أبو محمدِ بنِ حزمٍ رحمه الله(١): جاء في إحصائِها أحاديثُ مضطربةٌ لا يصحُّ منها شيءٌ أصلاً(٢).

قال ابنُ تيميةَ رحمه الله: بكلِّ حالٍ، فتعيينُها ليس من كلامِ النبيِّ ﷺ باتفاقِ أهلِ المعرفةِ بحديثِه، ولكن رُوِيَ في ذلك عن السلفِ أنواعٌ، من ذلك ما ذكرَه الترمذيُّ ومنها غيرُ ذلك(٣).

قال ابنُ حجرٍ رحمه الله: إذا تقرَّرَ رجحانُ أنَّ سردَ الأسماءِ ليس مرفوعًا، فقد اعتنَى جماعةٌ بتتبعِها من القرآنِ من غيرِ تقييدٍ بعددٍ(٤).

=

قال ابن كثير في تفسيره (٣/٥١٥): الذي عول عليه جماعة من الحفاظ أن سرد الأسماء في هذا الحديث مدرج فيه، وإنما ذلك كما رواه الوليد بن مسلم وعبد الملك ابن محمد الصنعاني، عن زهير بن محمد: أنه بلغه عن غير واحد من أهل العلم أنهم قالوا ذلك، أي: أنهم جمعوها من القرآن كما ورد عن جعفر بن محمد وسفيان بن عيينة وأبي زيد اللغوي، والله أعلم، وانظر مجموع الفتاوى (٦/٣٧٩) و(٨/٩٦-٩٧) و(٢٢/٤٨٢)، وقال الحافظ ابن حجر (١١/٢١٥): وليست العلة عند الشيخين تفرد الوليد فقط، بل الاختلاف فيه، والاضطراب، وتدليسه، واحتمال الإدراج.

(١) هو الإمام الأوحد، البحر، ذو الفنون والمعارف أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد الفارسي الأصل، ثم الأندلسي القرطبي اليزيدي ولد بقرطبة في رمضان سنة ٣٨٤هـ، مات سنة ٤٥٦هـ.
سير أعلام النبلاء (١٨/١٨٤)، وشذرات الذهب (٣/٢٩٩-٣٠٠).

(٢) التلخيص الحبير (٤/٤٢٤) لابن حجر.

(٣) مجموع الفتاوى (٦/٣٨٣).

(٤) الفتح (١١/٢٢١).

فائدةٌ:

قد يقولُ قائلٌ: لماذا لم يعيِّنْ لنا رسولُ اللهِ ﷺ التسعةَ والتسعين اسمًا؟

قال البيضاويُّ رحمه الله: إنَّ من الجائزِ أنْ نقولَ مجملاً: ترغيبًا للخلقِ على المواظبةِ والملازمةِ لجميعِ الأسماءِ، كما أنَّ اللهَ تعالى عظَّمَ الصلاةَ الوسطَى ولم يبيِّنْها، وعظَّمَ ليلةَ القدرِ ولم يبيِّنْها (١)، وعلى هذا في الكثيرِ من الأمورِ المجملةِ في الشرعياتِ (٢).

الأصلُ الخامسُ: أسماءُ اللهِ تعالى توقيفيةٌ:

أسماءُ اللهِ ﷻ توقيفيةٌ لا مجالَ للعقلَ فيها أي لا مجالَ للاجتهادِ فيها، فعقولُ البشرِ قاصرةٌ وعاجزةٌ عن معرفةِ أسمائِه سبحانه وتعالى، فلا يثبتُ اسمٌ للهِ إلا بنصٍّ من الكتابِ أو السُّنَّةِ، لقولِه تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦] وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣] وقد قال اللهُ تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ أَسْمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

قال ابنُ حزمٍ رحمه الله: ولا يحلُّ لأحدٍ أنْ يسمِّيَ اللهَ ﷻ بغيرِ ما سمَّى به

---

(١) وعظم ساعة الإجابة يوم الجمعة ولم يبينها، والله أعلم.

(٢) شرح أسماء الله الحسنى (ص:١٣٦).

نفسَه ولا بصفةٍ بغيرِ ما أخبرَ به تعالى عن نفسِه، قال ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، فمنعَ تعالى أنْ يُسمَّى إلا بأسمائِه الحسنَى وأخبرَ أنَّ من سمَّاه بغيرِها فقد ألحدَ، والأسماءُ الحسنَى بالألفِ واللامِ لا تكونُ إلا معهودةً، ولا معروفَ في ذلك إلا ما نصَّ اللهُ تعالى عليه، ومن ادَّعى زيادةً على ذلك كُلِّفَ البرهانَ على ما ادَّعى ولا سبيلَ له إليه، ومن لا برهانَ له فهو كاذبٌ في قولِه ودعواه، قال ﷻ: ﴿قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١] (١).

قال النوويُّ رحمه الله: وأسماءُ اللهِ توقيفيةٌ، لا تطلقُ إلا بدليلٍ صحيحٍ(٢).

قال المناويُّ رحمه الله: ولـمَّا كانت معرفةُ أسمائِه توقيفيةً لا يعلمُ إلا من طريقِ الوحيِ والسُّنَّةِ، ولم يكنْ لنا التصرفُ فيها بما لم يهتدِ إليه مبلغُ علمِنا ومنتهى عقولِنا نُهينَا عن إطلاقِ ما لم يردْ به توقيفٌ(٣).

قال أبو القاسمِ القشيريُّ رحمه الله(٤): الأسماءُ، تؤخذُ توقيفًا من الكتابِ

---

(١) المحلى (١/٤٩-٥٠).

(٢) شرح صحيح مسلم (٧/١٨٨).

(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير (٢/٤٧٩).

(٤) هو الإمام أبو القاسم عبد الكريم بن هوزان بن عبد الملك بن طلحة بن محمد القشيري الفقيه الشافعي؛ كان علاَّمة في الفقه والتفسير والحديث والأصول والأدب والشعر والكتابة وعلم التصوف، جمع بين الشريعة والحقيقة، وكان ثقة، وكان يقص، وكان حسن الوعظ، مليح الإشارة، وكان يعرف الأصول على مذهب الأشعري، والفروع على مذهب الشافعي. ولد في ربيع الأول سنة ستّ وسبعين وثلاثمائة، مات سنة خمس وستّين وأربعمائة.

=

والسُّنَّةِ والإجماعِ، فكلُّ اسمٍ وردَ فيها وجبَ إطلاقُه في وصفِه وما لم يردْ لا يجوزُ ولو صحَّ معناه.

وقال أبو إسحاقَ الزجاجُ رحمه الله: لا يجوزُ لأحدٍ أنْ يدعوَ اللهَ بما لم يصفْ به نفسَه (١).

قال ابنُ القيمِ رحمه الله: إنَّ ما يُطلَقُ عليه في بابِ الأسماءِ والصفاتِ توقيفيٌّ... فليس في الأسماءِ أحسنُ منها، ولا يقومُ غيرُها مقامَها ولا يؤدِي معناها، وتفسيرُ الاسمِ منها بغيرِه ليس تفسيرًا بمرادفٍ محضٍ، بل هو على سبيلِ التقريبِ والتفهيمِ... فله من صفةِ الإدراكاتِ: العليمُ الخبيرُ دونَ العاقلِ الفقيهِ، والسميعُ البصيرُ دونَ السامعِ والباصرِ والناظرِ، ومن صفاتِ الإحسانِ: البَرُّ والرحيمُ الودودُ دونَ الرفيقِ(٢) والشفوقِ... ونحوِهما، وكذلك العليُّ دونَ الرفيعِ الشريفِ، وكذلك الكريمُ دونَ السخيِّ، والخالقُ البارئُ المصوِّرُ دونَ الفاعلِ الصانعِ المشكِّلِ، والعفُوُّ دونَ الصفوحِ الساترِ، وكذلك سائرُ أسمائِه تعالى يجرِي على نفسِه منها أكملها وأحسنُها، وما لا يقومُ غيرُه مقامَه (٣).

= وفيات الأعيان (٣/٢٠٥)، طبقات الشافعية (٥/١٥٣).

(١) الفتح (١١/٢٢٦).

(٢) الرفيق من أسماء الله تعالى الثابتة في الحديث الذي أخرجه البخاري (٦٩٢٧) ومسلم (٢١٦٥) وفيه أن رسول الله ﷺ قال: «يا عائشة، إنّ اللّه رفيقٌ يحبّ الرّفق في الأمر كلّه» ومن الغريب أن ابن القيم ذكر هذا الاسم في جمعه لأسماء الله تعالى وسيأتي بيان ذلك قريبا.

(٣) بدائع الفوائد (١/١٤٧ – ١٥٢) باختصار.

قال أبو حامد الغزاليُّ رحمه الله[١] في معرضِ كلامِه على أنَّ أسماءَ اللهِ تعالى توقيفيةٌ؛ أمَّا الدليلُ على المنعِ من وضعِ اسمٍ له هو المنعُ من وضعِ اسمٍ لرسولِ اللهِ ﷺ لم يَسِمِّ به نفسَه ولا سمَّاه به ربُّه ولا أبوَاه، وإذا مُنِعَ في حقِّ الرسولِ بل في آحادِ الخلقِ فهو في حقِّ اللهِ أولَى [٢].

قال الخطابيُّ رحمه الله: إنَّه لا يُتجاوزُ فيها التوقيفُ، ولا يُستعملُ فيها القياسُ، فيُلحقُ بالشيءِ نظيرُهُ في ظاهِرِ وَضْعِ اللغةِ ومتعارفِ الكلامِ...

وقد جاءَ في الأسماءِ «القَوِيُّ» ولا يقاسُ عليه: الجلدُ، وإنْ كانا يتقاربان في نعوتِ الآدميين، لأنَّ التجلدَ يدخلُه التكلفُ والاجتهادِ، ولا يقاسُ على «القَادِرِ» المطيقُ ولا المستطيعُ... ولا يقاسُ على «الرَّحِيمِ» الرفيقُ، وإنْ كانت الرحمةُ في نعوتِ الآدميين نوعًا من رقةِ القلبِ، وضعفِه عن احتمالِ القسوةِ... وفي أسمائِه «العَلِيمُ» ومن صفتِه العلمُ، فلا يجوزُ قياسُه عليه أنْ يسمَّى "عارِفًا" لَمِا تقتضِيه المعرفةُ من تقديمِ الأسبابِ التي بها يُتوصلُ إلى علمِ الشيءِ [٣].

---

(١) هو: الشّيخ، الإمام، البحر، حجّة الإسلام، أعجوبة الزّمان، زين الدّين الغزّاليّ أبو حامدٍ محمّد بن محمّد بن محمّدٍ الصوفي الأشعري، صاحب التّصانيف، والذّكاء المفرط. ذو الأنباء الشّنيعة، والتّصانيف العظيمة، غلا في طريقة التّصوّف، أخذ عليه فيها مواضع، ومهر في الكلام والجدل، حتّى صار عين المناظرين، والله أعلم بسرّه، مات سنة خمسٍ وخمسمائةٍ.

سير أعلام النبلاء (١٩/ ٣٢٢)، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٤/ ٨٧).

(٢) المقصد الأسنى شرح أسماء الله الحسنى (ص:١٣٣).

(٣) شأن الدعاء (ص: ١٩٣-١٩٤).

الأصلُ السادسُ: من أسماءِ اللّهِ ما يُطلَقُ عليه مفردًا ومقترنًا بغيرِه، ومنها ما لا يُطلَقُ عليه مفردًا بل مقرونًا بمقابِله:

أسماؤُه تعالى منها ما يُطلَقُ عليه مفردًا ومقترنًا بغيرِه وهو غالبُ الأسماءِ، فالقديرُ، والسميعُ، والبصيرُ، والعزيزُ، والحكيمُ، وهذا يسوغُ أنْ يُدعَى به مفردًا ومقترنًا بغيرِه فتقولُ: يا عزيزُ، يا حليمُ، يا غفورُ، يا رحيمُ، وأنْ يُفرَدَ كلُّ اسمٍ، وكذلك في الثناءِ عليه والإخبارِ عنه بما يسوِّغُ لك الإفرادَ والجمعَ.

ومنها ما لا يُطلَقُ عليه بمفردِه بل مقرونًا بمقابِله، كالمانعِ والضارِّ والمنتقمِ، فلا يجوزُ أنْ يفردَ هذا عن مقابِله، فإنَّه مقرونٌ بالمعطِي والنافعِ والعفوِّ، فهو المعطِي المانعُ، والضارُّ النافعُ، المنتقمُ العفوُّ، المعزُّ المذلُّ (١)، لأنَّ الكمالَ في اقترانِ كلِّ اسمٍ من هذه بما يقابلُه لأنَّه يرادُ به أنَّه المنفردُ بالربوبيةِ وتدبيرِ الخلقِ والتصرفِ فيهم عطاءً ومنعًا، ونفعًا وضرًّا، وعفوًا وانتقامًا.

وأمَّا أنْ يثنَى عليه بمجردِ المنعِ والانتقامِ والإضرارِ فلا يسوغُ، فهذه الأسماءُ المزدوجةُ تجرِي الأسماءُ منها مجرَى الاسمِ الواحدِ الذي يمتنعُ فصلُ بعضِ حروفِه عن بعضٍ، فهي وإنْ تعدَّدتْ جاريةٌ مجرَى الاسمِ الواحدِ، ولذلك لم تجئْ مفردةً ولم تطلقْ عليه إلا مقترنةً فاعلمْه (٢).

---

(١) هذه الأسماء جاءت في رواية الوليد بن مسلم وقد تقدم بيان ضعف الرواية كما في الأصل الرابع.

(٢) بدائع الفوائد (١/ ١٥١).

الأصلُ السابعُ: الترهيبُ من الإلحادِ في أسماءِ اللّهِ تعالى:

قال اللهُ تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

معنى الإلحادِ لغةً: "لحَدَ- اللامُ والحاءُ والدالُ: أصلٌ يدلُّ على ميلٍ عن الاستقامةِ، يقالُ: ألْحَدَ الرجلُ، إذا مالَ عن طريقِ الحقِّ والإيمانِ، وسمِّي اللحدُ: لأنَّه مائلٌ جانبِي الجدثِ، يقالُ: لَحَدْتُ الميِّتَ وألحدتُ"(١).

قال يعقوبُ بنُ السكيتِ رحمه الله(٢): الإلحادُ هو العدولُ عن الحقِّ، وإدخالُ ما ليس منه فيه، يقالُ ألحدَ في الدينِ ولحدَ، وبه قال حمزةُ(٣).

معنى الإلحادِ في أسماءِ اللهِ: فسَّرَ أهلُ العلمِ معنَى الإلحادِ في أسماءِ اللهِ تعالى بأقوالٍ متقاربةٍ في المضمونِ:

قال ابنُ العربيِّ المالكيُّ رحمه الله(٤): والإلحادُ يكون بوجهين: بالزيادةِ

---

(١) مقياس اللغة (٥/٢٣٦) مادة (لحد).

(٢) هو: يعقوب بن إسحاق أبو يوسف ابن السكيت إمام في اللغة والأدب، أصله من خوزستان بين البصرة وفارس. كان يميل في رأيه واعتقاده إلى مذهب من يرى تقديم علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وله عدة كتب منها: "غريب القرآن"، ولد سنة ١٨٦ هـ، وتوفي سنة ٢٤٤هـ.
انظر ترجمته في: وفيات الأعيان: (٦/ ٣٩٥)، سير أعلام النبلاء: (١٢/ ١٦) ، الأعلام للزركلي: (٨/ ١٩٥).

(٣) معالم التنزيل (٣/٣٠٧) للبغوي.

(٤) هو: محمد بن عبد الله بن عبد الله ابن العربي الأندلسى الأشبيلى المالكى، ولد سنة ٤٦٨ هـ، وتتلمذ على الغزالي، وأبو بكر الشاشي، وهو صاحب عارضة الأحوذي وأحكام القرآن، والعواصم من القواصم، توفي سنة ٥٤٣ هـ، انظر: بغية الملتمس =

فيها والنقصانِ منها، كما يفعلُه الجهالُ الذين يخترعون أدعيةً يسَمُّون فيها الباري بغير أسمائِه ويذكرونَه بما لم يذكرْه من أفعالِه إلى غيرِ ذلك مما لا يليقُ به، فحذارِ منها (١).

قال ابنُ كثيرٍ رحمه الله: قال العوفيُّ، عن ابنِ عباسٍ في قولِه تعالى: ﴿وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَـٰٓئِهِۦ﴾ قيل: إلحادُ الملحدين بأنْ اشتقُّوا اللاتَ من اللهِ، والعُزَّى من العزيزِ (٢).

وقال قتادةُ رحمه الله: «يلحدُون": يشركون في أسمائِه، وقيل الإلحادُ: التكذيبُ، وأصلُ الإلحادِ في كلامِ العربِ: العدولُ عن القصدِ والميلُ والجورُ والانحرافُ، ومنه اللحدُ في القبرِ لانحرافِه إلى جهةِ القبلةِ عن سمتِ الحفرِ.

قال ابنُ حجرٍ رحمه الله: قال أهلُ التفسيرِ: من الإلحادِ في أسمائِه تسميتُه بما لم يردْ في الكتابِ أو السُّنَّةِ الصحيحةِ (٣).

قال البغويُّ رحمه الله: هم المشركون عدَلُوا بأسماءِ اللهِ تعالى عمَّا هي عليه، فسمُّوا بها أوثانَهم فزادُوا ونقصُوا فاشتقُّوا اللاتَ من "اللهِ" والعزَّى من "العزيزِ" ومناةَ من "المنان". هذا قولُ عباسٍ ومجاهدٍ.

= (ص: ٩٢)، وفيات الأعيان (١ / ٤٨٩)، وسير أعلام النبلاء (٢٠/١٩٧).

(١) أحكام القرآن (٢/٣٨٢).

(٢) تفسير ابن كثير (٢/١٩٥) ورواية العوفي عن ابن عباس ضعيفة لضعف عطية العوفي.

(٣) الفتح (١١/٢٢٤).

وقيل: هو تسميتُهم الأصنامَ آلهةً، وروِي عن ابنِ عباسٍ: يلحدُون في أسمائِه أي يكذبون، وقال أهلُ المعانِي: الإلحادُ في أسماءِ اللهِ: تسميتُه بما لم يُسَمَّ به، ولم ينطقْ به كتابٌ ولا سُنَّةُ رسولِ اللهِ ﷺ(١).

أنواعُ الإلحادِ في أسماءِ اللهِ ﷻ:

تقدمَ معرفةُ معنى الإلحادِ لغةً وشرعًا، وقد ذكرَ ابنُ القيم أنواعَ الإلحادِ في أسماءِ اللهِ تعالى – بعدَ أنْ عَرَّفَ معنى الإلحادِ – فقال: إذا عُرِفَ هذا فالإلحادُ في أسمائِه تعالى أنواعٌ:

أحدُها: أنْ يسمِّيَ الأصنامَ بها كتسميتِهم: اللاتَ من الإلهِ والعزَّى من العزيزِ، وتسميتِهم الصنمَ إلهًا، وهذا إلحادٌ حقيقةً فإنَّهم عدلُوا بأسمائِه إلى أوثانِهم وآلهتِهم الباطلةِ.

الثاني: تسميتُه بما لا يليقُ بجلالِه كتسميةِ النصارَى له "أبًا" وتسميةِ الفلاسفةِ له "موجبًا بذاتِه" أو "علةً فاعلةً بالطبعِ"... ونحوِ ذلك.

ثالثُها: وصفُه بما يتعَالى عنه ويتقدَّسُ من النقائصِ كقولِ أخبثِ اليهودِ إنَّه فقيرٌ(٢)، وقولِهم: إنَّه استراحَ بعدَ أنْ خلقَ خلقَه، وقولِهم: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ﴾ [المائدة: ٤]... وأمثالُ ذلك مما هو إلحادٌ في أسمائِه وصفاتِه.

ورابعُها: تعطيلُ الأسماءِ عن معانيها وجحدُ حقائقِها، كقولِ من

---

(١) معالم التنزيل (٣/٣٠٧).

(٢) يشير إلى قول الله تعالى ﴿لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُۘ﴾ [آل عمران: ١٨١].

يقولُ من الجهميةِ وأتباعِهم: إنَّها ألفاظٌ مجردةٌ لا تتضمنُ صفاتٍ ولا معانيَ، فيطلقُون عليه اسمَ السميعِ والبصيرِ والحيِّ والرحيمِ والمتكلمِ والمريدِ[١] ويقولون: لا حياةَ له ولا سمعَ ولا بصرَ ولا كلامَ ولا إرادةَ تقومُ به، وهذا من أعظمِ الإلحادِ فيها عقلاً وشرعًا ولغةً وفطرةً، وهو يقابلُ إلحادَ المشركين، فإنَّ أولئك أعطَوْا أسماءَه وصفاتِه لآلهتِهم وهؤلاءِ سلبُوه صفاتِ كمالِه وجحدُوها وعطَّلوها، فكلاهما ملحدٌ في أسمائِه، ثم الجهميةُ و فروخُهم متفاوتون في هذا الإلحادِ فمنهم الغالي والمتوسطُ والمنكوبُ.

وكلُّ من جحدَ شيئًا عمَّا وصفَ اللهُ به نفسَه أو وصفه به رسولُه فقد ألحدَ في ذلك، فليستقلَّ أو ليستكثرْ.

وخامسُها: تشبيهُ صفاتِه بصفاتِ خلقِه تعالى – تعالى اللهُ عمَّا يقولُ المشبِّهون [٢] علوًّا كبيرًا [٣].

الأصلُ الثامنُ: أسماءُ اللهِ تعالى مختصةٌ به وإن اتفقتْ مع ما لغيرِه عندَ الإطلاقِ:

لم يلزمْ من اتفاقِ الاسمينِ تماثُلُ مسمَّاهما واتحادُهما عندَ الإطلاقِ والتجريدِ عن الإضافةِ والتخصيصِ، لا اتفاقُهما ولا تماثُلُ المسمَّى عندَ الإضافةِ والتخصيصِ فضلاً عن أنْ يتحدَ مسمَّاهما عندَ الإضافةِ

---

(١) الكلام والإرادة صفتان لله تعالى وليسوا من أسمائه الحسنى.
(٢) سيأتي الكلام في المشبهة في باب الصفات، بإذن الله.
(٣) بدائع الفوائد (١/١٥٣ – ١٥٤).

والتخصيصِ [(١)].

قال ابنُ أبي العزِّ رحمه الله في ثنايا كلامِه عن أهلِ البدعِ: وهم يوافقون أهلَ السُّنَّةِ على أنَّه موجودٌ، عليمٌ، قديرٌ، حيٌّ، والمخلوقُ يقالُ له: موجودٌ حيٌّ عليمٌ قديرٌ، ولا يقالُ: هذا تشبيهٌ يجبُ نفيُه، وهذا مما دلَّ عليه الكتابُ والسُّنَّةُ وصريحُ العقلِ، ولا يخالفُ فيه عاقلٌ، فإنَّ اللهَ سمَّى نفسَه بأسماءٍ وسمَّى بعضَ عبادِه بها، وكذلك سمَّى صفاتِه بأسماءٍ وسمَّى ببعضِها صفاتِ خلقِه، وليس المسمِّى كالمسمَّى، فسمَّى نفسَه: حيًّا، عليمًا، قديرًا، رءوفًا، رحيمًا، عزيزًا، حكيمًا، سميعًا، بصيرًا، ملكًا، مؤمنًا، جبارًا، متكبرًا، وقد سمَّى بعضَ عبادِه بهذه الأسماءِ، فقال: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ [الأنعام: ٩٥]، ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ [الذاريات: ٢٨]، ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠١]، ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ٢٨]، ﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: ٢]، ﴿قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ﴾ [يوسف: ٥١]، ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ﴾ [الكهف: ٧٩]، ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا﴾ [السجدة: ١٨] ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥]، ومعلومٌ أنَّه لا يماثلُ الحيُّ الحيَّ، ولا العليمُ العليمَ، ولا العزيزُ العزيزَ، وكذلك سائرُ الأسماءِ [(٢)]. انتهى.

وقد استدلَّ ابنُ تيميةَ – رحمَه اللهُ – على أنَّ تسميةَ اللهِ جلَّ وعلا عبادَه ببعضِ أسمائِه لا يقتضِي تماثلَها في المسمَّى، وذكرَ الأمثلةَ من القرآنِ

---

(١) العقيدة التدمرية (ص:٢١).

(٢) الطحاوية (ص: ٤٩).

كالذي ذكرَها ابنُ أبي العزِّ، فتركتُ نقلَها تحاشيًا للتكرارِ والإطالةِ (١).

قال ابنُ القيمِ رحمه الله: اختلفَ النظارُ في الأسماءِ التي تطلقُ على اللهِ وعلى العبادِ، كالحيِّ والسميعِ والبصيرِ والعليمِ والقديرِ والملكِ... ونحوِها:

فقالت طائفةٌ من المتكلمين: هي حقيقةٌ في العبدِ مجازٌ في الربِّ، وهذا قولُ غلاةِ الجهميةِ وهو أخبثُ الأقوالِ وأشدُّها فسادًا.

الثاني: مقابلُه، وهو أنَّها حقيقةٌ في الربِّ مجازٌ في العبدِ، وهذا قولُ أبي العباسِ الناشئِ.

الثالثُ: أنَّها حقيقةٌ فيهما، وهذا قولُ أهلِ السُّنَّةِ وهو الصوابُ، واختلافُ الحقيقتين فيهما لا يخرجُها عن كونِها حقيقةً فيهما، وللربِّ تعالى منها ما يليقُ بجلالِه، وللعبدِ منها ما يليقُ به (٢).

مطلبٌ: بيانُ فسادِ عقيدةِ الجهميةِ والمعتزلةِ:

الجهميةُ والمعتزلةُ فرقتان من الفرقِ الضالَّةِ، وقد أخبرَ رسولُ اللهِ ﷺ بأنَّ أمةَ الإسلامِ ستفترقُ على ثلاثٍ وسبعين فرقةً.

قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**أَلاَ إِنَّ مَنْ قَبْلَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ افْتَرَقُوا عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَإِنَّ هَذِهِ الْمِلَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلاَثٍ وَسَبْعِينَ: ثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَهِيَ الْجَمَاعَةُ**».

---

(١) راجع التدمرية (ص: ٢١-٣١).

(٢) بدائع الفوائد (١/١٤٩).

زَادَ ابْنُ يَحْيَى وَعَمْرٌو فِي حَدِيثَيْهِمَا: «وَإِنَّهُ سَيَخْرُجُ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ تَجَارَى بِهِمْ تِلْكَ الأَهْوَاءُ كَمَا يَتَجَارَى الْكَلْبُ لِصَاحِبِهِ». وَقَالَ عَمْرٌو: «الْكَلْبُ بِصَاحِبِهِ لاَ يَبْقَى مِنْهُ عِرْقٌ وَلاَ مَفْصِلٌ إِلاَّ دَخَلَهُ»(١).

تعريفُ الجهميةِ: هم المنتسبون إلى الجهمِ بنِ صفوانَ الترمذيِّ(٢)، وهو الذي أظهرَ نفيَ الصفاتِ والتعطيلِ، وقد أخذَ ذلك عن الجعدِ بن درهمٍ (٣) الذي ضحَّى به خالدُ بنُ عبدِ اللهِ القسريُّ بواسطٍ، فإنَّه خطبَ الناسَ يومَ عيدِ الأضحَى وقال: أيُّها الناسُ، ضحُّوا تقبلَّ اللهُ ضحاياكم فإنِّي مضحٍ بالجعدِ بنِ درهمٍ، فإنَّه زعمَ أنَّ اللهَ لم يتخذْ إبراهيمَ خليلاً، ولم يكلِّمْ موسى تكليمًا، تعالى اللهُ عمَّا يقولُ الجعدُ علوًّا كبيرًا، ثم نزلَ فذبحَه وكان ذلك بعد استفتاءِ علماءِ زمانِه وهم السلفُ الصالحُ – رحمَهم اللهُ تعالى.

---

(١) صحيح سنن أبي داود (٤٥٩٧) وأحمد (٤/١٠٢) والدارمي (٢/٢٤١).

(٢) هو: الجهم بن صفوان، أبو محرز الراسبي مولاهم، السمرقندي، المتكلم الضال، رأس الجهمية، وأساس البدعة، وكان جهم ينكر صفات الرب عز وجل، ويقول بخلق القرآن، ويزعم أن الله ليس على العرش بل في كل مكان، وقيل كان يبطن الزندقة. قتله "سلم بن أحوز" أمير خراسان عام (١٢٨هـ) . انظر تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات (١٢١-١٤٠) ..

(٣) الجعد بن درهم مبتدع ضال، كان معلمًا لمروان بن محمد آخر الأمويين، كان أول من تفوه أن الله لا يتكلّم وقد هرب من الشّام، يقال إن الجهم بن صفوان أخذ عنه مقالة خلق القرآن، وأصله من حران، يروى أن خالد بن عبد الله القسري ذبحه يوم الأضحى وهي قصّة مشهورة في حدود سنة عشرين ومائة.

الوافي بالوفيات (١١/٦٨)، ميزان الاعتدال (١/٣٩٩).

وكان جهمُ بعدَه بخراسانَ فأظهرَ مقالتَه هناك وتبعَه عليها ناسٌ بعد أنْ تركَ الصلاةَ أربعين يومًا شكًّا في ربِّه، وكان ذلك لمناظرتِه قومًا من المشركين يقالُ لهم السُّمينةُ من فلاسفةِ الهندِ (١).

نشأةُ الجهميةِ: كان في آخرِ الدولةِ الأمويةِ وكان أولَ من ابتدعَ ذلك هو الجعدُ بنُ درهمٍ.

قال ابنُ تيميةَ رحمه الله: لما ابتدعتْ الجهميةُ القولَ بنفيِ الصفاتِ في آخرِ الدولةِ الأمويةِ، ويقالُ: إنَّ أولَ من ابتدعَ ذلك هو الجعدُ بنُ درهمٍ معلمُ مروانَ بنِ محمدٍ آخرِ خلفاءِ بني أميةَ، وكان الجعدُ من حرانَ وكان فيها أئمةُ الصابئةِ والفلاسفةُ (٢).

جملةٌ من عقائدِ الجهميةِ:

١- تعطيلُ ونفيُ صفاتِ اللهِ ﷻ ومناقضتُهم لتوحيدِ الرسلِ: الجهميةُ ينفون صفاتِ اللهِ سبحانه، وغلاتُهم ينفون الأسماءَ، ويزعمون أنَّ اشتراكَ الخالقِ والمخلوقِ في المسمَّى يقتضِي الاشتراكَ في الصفةِ (٣)، فاعتمدوا على عقولِهم وأفهامِهم فوقعوا في التعطيلِ والتحريفِ مناقضةً للتوحيدِ.

قال ابنُ القيمِ رحمه الله: توحيدُ الجهميةِ والفلاسفةِ مناقضٌ لتوحيدِ الرسلِ من كلِّ وجهٍ، فإنَّ مضمونَه إنكارُ حياةِ الربِّ وعلمِه وقدرتِه

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية (ص: ٥٢١) لابن أبي العز.

(٢) منهاج السنة النبوية (٢/ ١٩٢).

(٣) سيأتي الرد على زعمهم باستفاضة في باب صفات الله عز وجل.

وسمعِه وبصرِه وكلامِه واستوائِه على العرشِ ورؤيةِ المؤمنين له بأبصارِهم عيانًا من فوقِهم يومَ القيامةِ، وإنكارِ وجهه الأعلى ويديه ومجيئِه وإتيانِه ومحبتِه ورضاه وغضبِه وضحكِه وسائرِ ما أخبرَ به الرسولُ ﷺ عنه ومعلومٌ أنَّ هذا التوحيدَ هو نفسُ تكذيبِ الرسولِ بما أخبرَ به عن اللهِ، فاستعارَ له أصحابُه اسمَ التوحيدِ (١).

قال الشهرستانيُّ رحمه الله في ثنايا كلامِه عن الجهمِ بنِ صفوانَ في نفيِ الصفاتِ:

منها قولُه: لا يجوزُ أنْ يوصفَ البارئُ تعالى بصفةٍ يصفُ بها خلقَه لأنَّ ذلك يقتضِي تشبيهًا (٢).

قال شيخُ الإسلامِ رحمه الله: وذهبَ من ذهبَ من القرامطةِ الباطنيةِ وغلاةِ الجهميةِ إلى أنَّ هذه الأسماءَ حقيقةٌ في العبدِ مجازٌ في الربِّ، قالوا: هذا في اسمِ الحيِّ ونحوِه، حتى اسم الشيءِ كان الجهمُ وأتباعُه لا يسمُّونه شيئًا (٣). وقيل عنه: إنَّه لم يسمِّه إلا بالقادرِ الفاعلِ، لأنَّ العبدَ عندَه ليس بقادرٍ ولا فاعلٍ، فلا يسميه باسمٍ يسمَّى به العبدُ.

وزعمَ ابنُ حزمٍ أنَّ أسماءَ اللهِ تعالى الحسنَى لا تدلُّ على معانٍ، فلا

---

(١) الصواعق المرسلة (١/١٧٥).

(٢) الملل والنحل (١/٩٩).

(٣) شيء: ليس من أسماء الله تعالى ولكن يطلق عليه من باب الإخبار وسيأتي بيان ذلك في مبحث الإخبار عن الله آخر الباب الرابع، وقول شيخ الإسلام أن "شيء" يطلق على الله من باب الإخبار وأنه ليس اسمًا.

يدلُّ عليمٌ على علمٍ، ولا قديرٌ على قدرةٍ، بل هي أعلامٌ محضةٌ، وهذا يشبِهُ قولَ من قالَ: بأنَّها تقالُ بالاشتراكِ اللفظيِّ.

وأصلُ غلطِ هؤلاءِ شيئان: إمَّا نفيُّ الصفاتِ والغلوُّ في نفيِ التشبيهِ، وإمَّا ظنُّ ثبوتِ الكلياتِ المشتركةِ في الخارجِ.

فالأولُ: هو مأخذُ الجهميةِ ومن وافقَهم على نفيِ الصفاتِ، قالوا: إذا قلنَا: عليمٌ يدلُّ على علمٍ، وقديرٌ يدلُّ على قدرةٍ، لزِمَ من إثباتِ الأسماءِ إثباتُ الصفاتِ، وهذا مأخذُ ابنِ حزمٍ، فإنَّه من نفاةِ الصفاتِ مع تعظيمِه للحديثِ والسُّنَّةِ والإمامِ أحمدَ، ودعواه أنَّ الذي يقولُ في ذلك هو مذهبُ أحمدَ وغيرِه. وغلطَ في ذلك، بسببِ أنَّه أخذَ أشياءَ من أقوالِ الفلاسفةِ والمعتزلةِ عن بعضِ شيوخِه، ولم يتفقْ له منْ يبيِّنُ له خطأَهم [(١)].

٢- القولُ بخلقِ القرآنِ: القرآنُ كلامُ اللهِ غيرُ مخلوقٍ؛ لأنَّ كلامَه من صفاتِه وصفاتُه سبحانه وتعالى غيرُ مخلوقةٍ[(٢)].

قال أبو القاسمِ الطبريُّ رحمه الله: لا خلافَ بين الأمةِ أنَّ أولَ من قال القرآنُ مخلوقٌ جعدُ بنُ درهمٍ، في سنيِّ نيفٍ [(٣)] وعشرين ومائةٍ ثم جهمُ بنُ صفوانٍ [(٤)].

---

(١) منهاج السنة (٢/ ٥٨٣ – ٥٨٤)، وانظر مجموع الفتاوى (٥/٢٧٤-٣٤٢-٥٧٦) و(٨/٤٦٠).

(٢) سيأتي الكلام عن مسألة القول بخلق القرآن وحكم ذلك-باب صفات الله عز وجل.

(٣) النيف: من واحد إلى ثلاث، وكل ما زاد على العقد (أي العشرة) فهو نيف – اللسان (٨/ ٧٤٥).

(٤) من مجموع الفتاوى (١٢/ ٥٠٤)، وانظر مقالات الإسلاميين (ص: ٢٨٠-٥٨٩) =

٣- القولُ في القدرِ بالجبرِ: يزعمون أنَّ الإنسانَ مجبورٌ مطلقًا لا حريةَ له ولا مشيئةَ ولا اختيارَ، وسببُ ذلك أنَّهم غلَوْا في إثباتِ القدرِ فنَفَوْا مشيئةَ العبدِ وإرادتَه بالكليَّةِ، فهم جبريةٌ جهميةٌ مرجئةٌ.

قال الشهرستانيُّ رحمه الله في ثنايا كلامِه عن الجهمِ بنِ صفوانَ: ومنها قولُه في القدرةِ الحادثةِ إنَّ الإنسانَ لا يقدرُ على شيءٍ، ولا يوصفُ بالاستطاعةِ، وإنَّما هو مجبورٌ في أفعالِه لا قدرةَ له ولا إرادةَ ولا اختيارَ، وإنَّما يخلقُ اللهُ تعالى الأفعالَ فيه على حسبِ ما يخلقُ في سائرِ الجماداتِ وتنسبُ إليه الأفعالُ مجازًا كما تنسبُ إلى الجماداتِ، كما يقالُ: أثمرَت الشجرةُ وجرى الماءُ وتحرَّكَ الحجرُ وطلعت الشمسُ... إلى غيرِ ذلك، والثوابُ والعقابُ جبرٌ، كما أنَّ الأفعالَ كلَّها جبرٌ، قال: إذا ثبتَ الجبرُ فالتكليفُ أيضًا كان جبرًا (١).

٤- الإيمانُ عندَ الجهميةِ تصديقُ القلبِ: الجهميةُ كالمرجئةِ في بابِ الإيمانِ، فالإيمانُ عندَهم تصديقُ القلبِ دونَ العملِ.

قال ابنُ تيميةَ رحمه الله: ومن هنا يظهرُ خطأُ قولِ جهمِ بنِ صفوانَ ومن اتبعَه، حيثُ ظنُّوا أنَّ الإيمانَ مجردُ تصديقِ القلبِ وعلمِه، ولم يجعلُوا أعمالَ القلبِ من الإيمانِ، وظنُّوا أنَّه قد يكونُ الإنسانُ مؤمنًا كاملَ الإيمانِ بقلبِه، وهو مع ذلك يسبُّ اللهَ ورسولَه ويعادِي اللهَ ورسولَه ويعادِي أولياءَ اللهِ، ويوالِي أعداءَ اللهِ ويقتلُ الأنبياءَ ويهدمُ المساجدَ ويهينُ المصحفَ، ويكرِّم

= والفرق بين الفرق (ص: ٢٢٢) والملل والنحل (١/ ٨٨).

(١) الملل والنحل (١/ ١٠٠).

الكفارَ غايةَ الكرامةِ ويهينُ المؤمنين غايةَ الإهانةِ، قالوا: هذه كلها معاصٍ لا تنافِي الإيمانَ الذي في قلبه، بل يفعلُ هذا وهو في الباطنِ عندَ اللهِ مؤمنٌ[(١)].

فالجهميةُ يزعمون أنَّ الإيمانَ باللهِ هو معرفةٌ باللهِ وبرسلِه وبجميعِ ما جاءَ من عندِ اللهِ، وأنَّ ما سوى المعرفةِ من الإقرارِ باللسانِ، والخضوعِ بالقلبِ، والمحبةِ للهِ ورسولِه، والتعظيمِ لهما، والخوفِ منهما، والعملِ بالجوارحِ، فليس بإيمانٍ، وزعمُوا أنَّ الكفرَ باللهِ هو الجهلُ به.

وزعمُوا أنَّ الإنسانَ إذا أتى بالمعرفةِ ثم جحدَ بلسانِه أنَّه لا يكفرُ بجحدِه، وأنَّ الإيمانَ لا يتبعضُ، ولا يتفاضلُ أهلُه فيه، وأنَ الإيمانَ والكفرَ لا يكونانِ إلا في القلبِ دونَ غيرِه من الجوارحِ[(٢)].

المعتزلةُ:

تعريفُها: هم أتباعُ عمرِو بنِ عبيدٍ[(٣)]، وواصلِ بنِ عطاءٍ الغزالِ[(٤)]

---

(١) مجموع الفتاوى (٧/١٨٧).

(٢) انظر مقالات الإسلاميين (ص: ١٣٢)، والفصل (٢/٨٨)، (٣/١٠٥).

(٣) هو: عمرو بن عبيد أبو عثمان البصري الزاهد، العابد، القدري، كبير المعتزلة وأولهم، أبو عثمان البصري. قال ابن حبان: كان من أهل الورع والعبادة إلى أن أحدث ما أحدث، واعتزل مجلس الحسن هو وجماعة معه فسموا المعتزلة.
قال: وكان يشتم الصحابة، ويكذب في الحديث وهمًا لا تعمدًا. مات بطريق مكة، سنة ثلاث. وقيل: سنة أربع وأربعين ومائة.
سير أعلام النبلاء (٦/١٠٤)، ميزان الاعتدال (٣/٢٧٣).

(٤) هو: واصل بن عطاءٍ أبو حذيفة البصريّ الغزّال مولى بني مخزوم وقيل: مولى بني ضبّة، ولد سنة ثمانين بالمدينة، هو رأس المعتزلة وكبيرهم ورئيسهم وأوّلهم كان تلميذ الحسن البصريّ. توفي مات سنة إحدى وثلاثين ومائة من الهجرة.
=

وأصحابِهم، سُمُّوا بذلك لما اعتزلوا الجماعةَ بعدَ موتِ الحسنِ البصريِّ – رحمَه اللهُ – في أوائلِ المائةِ الثانيةِ، وكانوا يجلسون معتزلين، فيقولُ قتادةُ وغيرُه: أولئك المعتزلةُ (١).

نشأةُ المعتزلةِ: قيل إنَّ واصلَ بنَ عطاءٍ هو الذي وضعَ أصولَ مذهبِ المعتزلةِ وتابعَه عمرُو بنُ عبيدٍ تلميذُ الحسنِ البصريِّ، فلمَّا كان زمنُ هارونِ الرشيدِ صنَّفَ لهم أبو الهذيلِ (٢) كتابين وبيَّنَ مذهبَهم (٣).

جملةٌ من عقائدِ المعتزلةِ:

قال الأشعريُّ رحمه الله: أصولُ المعتزلةِ الخمسةِ التي يبنون عليها أمرَهم، فقد أخبرَنا عن اختلافِهم فيها، وهي: التوحيدُ، والعدلُ، والمنزلةُ بينَ المنزلتين، وإثباتُ الوعيدِ، والأمرُ بالمعروفِ والنهيُ عن المنكرِ(٤).

ومن عقائدِهم الباطلةِ:

١- نفيُ رؤيةِ المؤمنين للهِ عز وجل يومَ القيامةِ، وجاءت في ذلك رواياتٌ بلغت حدَّ التواترِ.

=

الوافي بالوفيات (٢٧/ ٢٤٥)، ميزان الاعتدال (٤/ ٣٢٩).

(١) العقيدة الطحاوية (ص: ٥١٩).

(٢) هو محمد بن الهذيل بن عبد الله بن مكحول العبدي، من أئمة المعتزلة، كان شيخ البصريين في الاعتزال، ومصنف الكتب في مذاهبهم، وله مقالات في مذهبهم ومجالس ومناظرات، وكان خبيث القول، فارق إجماع المسلمين، ورد نص كتاب الله عز وجل، ولد في البصرة سنة خمسة وثلاثين ومائة للهجرة .
وفيات الأعيان (٤/ ٢٦٥)، تاريخ بغداد (٤/ ٥٨٢).

(٣) العقيدة الطحاوية (ص: ٥١٩).

(٤) مقالات الإسلاميين (ص: ٢٧٨).

قال الأشعريُّ رحمه الله: وأجمعت المعتزلةُ على أنْ اللهَ سبحانه لا يُرى بالأبصارِ في الدنيا والآخرةِ، ولا يجوزُ ذلك عليه[(١)].

٢- إنكارُ شفاعةِ رسولِ اللهِ ﷺ للمذنبين، وردَّوا الرواياتِ في ذلك عن السلفِ المتقدمين.

قال شيخُ الإسلامِ رحمه الله: وأمَّا الخوارجُ والمعتزلةُ فأنكروا شفاعتَه لأهلِ الكبائرِ، ولم ينكروا شفاعتَه للمؤمنين[(٢)] .

٣- جحدوا عذابَ القبرِ، ونفَوْا أنَّ الكفارَ في قبورِهم يعذَّبون، وقد أجمعَ على ذلك الصحابةُ والتابعون.

قال ابنُ تيميةَ رحمه الله: والقولُ الثالثُ الشاذُّ، قولُ منْ يقولُ: إنَّ البرزخَ ليس فيه نعيمٌ ولا عذابٌ، بل لا يكونُ ذلك حتى تقومَ القيامةُ الكبرى، كما يقولُ ذلك من يقولُه من المعتزلةِ ونحوِهم، الذين ينكرون عذابَ القبرِ ونعيمَه[(٣)].

٤- قالوا القرآنُ مخلوقٌ نظيرًا لقولِ إخوانِهم من المشركين الذين قالوا: ﴿إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٢٥]، فزعموا أنَّ القرآنَ كقولِ البشرِ.

٥- أثبتُوا أنَّ العبادَ يخلقون الشرَّ، نظيرًا لقولِ المجوسِ الذين أثبتُوا خالقين: أحدَهما يخلقُ الخيرَ والآخرَ يخلقُ الشرَّ، وزعمت القدريةُ أنَّ اللهَ

(١) مقالات الإسلاميين (ص: ١٥٧- ٢١٦).
(٢) مجموع الفتاوى (١/١٠٨-٣١٤).
(٣) مجموع الفتاوى (٤/٢٨٤).

يخلقُ الخيرَ وأنَّ الشيطانَ يخلقُ الشرَّ.

٦- زعمُوا أنَّ اللهَ ﷻ يشاءُ ما لا يكونُ، ويكونُ ما لا يشاءُ، خلافًا لما أجمعَ عليه المسلمون من أنَّ ما شاءَ اللهُ كان وما لم يشأْ لم يكنْ، وردًّا لقولِه ﷻ: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [الإنسان: **٣٠**]، فأخبرَ أنَّا لا نشاءُ شيئًا إلا وقد شاءُ اللهُ، ولهذا سمَّاهم رسولُ اللهِ ﷺ: «**مَجُوسُ هَذِهِ الْأُمَّةِ** »(١).

٧- زعمُوا أنَّ أفعالَ العبادِ غيرُ مخلوقةٍ للهِ، وزعمُوا أنَّ العبدَ يحدثُها أو يخلقُها دونَ اللهِ(٢).

وزعمُوا أنَّهم يملِكون الضرَّ والنفعَ لأنفسِهم دونَ اللهِ، ردًّا لقولِ اللهِ ﷻ: ﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [الأعراف: **١٨٨**]، وإعراضًا عن القرآنِ.

٨- يكذِّبون بعذابِ القبرِ والحوضِ، ولا يرَوْنَ الصلاةَ خلفَ أحدٍ من أهلِ القبلةِ والجمعةَ إلا من كان على هواهم، ويزعمون أنَّ أعمالَ العبادَ ليست في اللوحِ المحفوظِ (٣).

٩- وأقنطُوا الناسَ من رحمةِ اللهِ، وآيسوهم من رَوْحِه، وحكموا على العصاةِ بالنارِ والخلودِ فيها، خلافًا لقولِ اللهِ تعالى: ﴿ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ

---

(١) صحيح سنن أبي داود (**٤٦٩١**) قال رسول الله ع:"القدرية مجوس هذه الأمة، إن مرضوا لا تعودهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم".

(٢) انظر "الفتاوى" (**٨/ ٢٥١**)، ومقالات الإسلاميين (ص**٢٧٦**، **٢٧٧**).

(٣) كتاب "السنة" (ص:**١٩**) للإمام أحمد بن حنبل.

لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨].

وزعمُوا أنَّ منْ دخلَ النارَ لا يخرجُ منها، خلافًا لمَا جاءت به الروايةُ عن رسولِ اللهِ ﷺ: «**فَيُخْرَجُونَ مِنَ النَّارِ وَقَدِ امْتَحَشُوا**»(١).

١٠- نفَوْا صفاتِ اللهِ ﷻ، وأنكروا أنْ يكونَ لله يدان مع قولِه: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ﴾ [ص: ٧٥]، وأنكروا أنْ يكونَ له عينان مع قولِه: ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا ﴾ [القمر: ١٤] ولقولِه: ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴾ [طه: ٣٩]، وأنكروا أنْ تكونَ لله قوةٌ مع قولِه: ﴿ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ [الذاريات: ٥٨].

١١- يرَوْنَ الخروجَ على الحاكمِ المسلمِ إنْ كان فاسقًا، وحجتُهم الأحاديثُ التي جاء فيها تغييرُ المنكرِ باليدِ، وهذا خلافُ ما أجمعَ عليه أهلُ السُّنَّةِ، وقد سبقَ بيانُ ذلك(٢).

ولهم أقوالٌ واعتقاداتٌ فاسدةٌ أخرى أعرضتُ عن ذكرِها لعدمِ الإطالةِ.

مطلبٌ : هل الاسمُ للمسمّى أو هو المسمّى أو غيرُه؟

اعلم أنَّ هذا من الكلامِ المُحْدَثِ الذي لم يتكلَّمْ به أحدٌ من الصحابةِ الكرامِ، ولا التابعين لهم بإحسانٍ، وأمَّا الذي تكلَّمَ به فهم الجهميةُ

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٣٧)، ومسلم (٢٩٩-١٨٢).

(٢) راجع "الإبانة" (ص: ٥١-٥٤) لأبي الحسن الأشعري – وسيأتي ترجمة أبي الحسن الأشعري من أول ما كان معتزليًا إلى أن رجع إلى منهج أهل السنة – راجع الباب الرابع – المبحث الأول: الأصل التاسع.

والمعتزلةُ وغيرُهم من أهلِ البدعِ، قالوا: الاسمُ غيرُ المسمَّى؛ لأنَّ من عقائدِهم الفاسدةِ أنَّ أسماءَ اللهِ تعالى مخلوقةٌ، فلمَّا كان الأمرُ كذلك قامَ علماءُ أهلِ السُّنَّةِ بالردِّ عليهم، وبيانِ أنَّ أسماءَ اللهِ تعالى غيرُ مخلوقةٍ، فقال أكثرُ أهلِ السُّنَّةِ: الاسمُ للمسمَّى لقولِه تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، والمرادُ: أنَّه نفسُه له الأسماءُ الحسنى، فالذي له الأسماءُ الحسنى هو المسمَّى بها[(١)].

وقالت طائفةٌ من أهلِ السُّنَّةِ: الاسمُ هو المسمَّى، وحجتُهم قولُ اللهِ تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]، وغيرُها، ومن هؤلاءِ الإمامُ اللالكائيُّ[(٢)]، والبيهقيُّ[(٣)]، والبغويُّ، وغيرُهم.

قال اللالكائي: سياقُ ما فُسِّرَ من كتابِ اللهِ تعالى، وما رُوِيَ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، وورَدَ من لغةِ العربِ: على أنَّ الاسمَ والمسمَّى واحدٌ، وأنَّه هو هو لا غيرُه.

قال اللهُ تبارك وتعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ [الأعلى: ١-٢].

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقال تبارك وتعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَـٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠]....

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٦/١٩٨).
(٢) انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢/٣٢).
(٣) الاعتقاد (ص: ٧٠-٧١).

وقال تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ﴾ [قريش: ٣].

ولم يقلْ أحدٌ من العقلاءِ: من اسمُه ربُّ هذا البيتِ؟ ولا قال أحدٌ: أدعو الذي اسمُه: اللهُ.

وقال تبارك وتعالى: ﴿فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾ [العنكبوت: ٥٦].

وقال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦].

ومن أعظمِ الشركِ أنْ يقالَ: إنَّ العبادةَ لاسمِه، واسمُه مخلوقٌ، وقد أمرَ بالعبادةِ للمخلوقِ، وهذا قولِ المعتزلةِ والنجاريةِ، وغيرِهما من أهلِ البدعِ والكفرِ.

وقال تبارك وتعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١].

وأجمعَ المسلمون على أنَّ (هو) إشارةٌ إليه لا أنَّ اسمَه (هو).

وقال تبارك وتعالى: ﴿فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ﴾ [الحج: ٣٦] فأمرَ اللهُ تبارك وتعالى أنْ يُذكرَ اسمُه على البدنِ حين نحرِها للتقربِ إليه.

وعلى مذهبِ المبتدعةِ: لو ذَكرَ اسمَ زيدٍ أو عمرَ أو اللاتَ والعزَّى يجزئُه؛ لأنَّ هذه الأسماءَ مخلوقةٌ، وأسماءُ اللهِ عزَّ وجلَّ - عندَهم مخلوقةٌ[1].

قال شيخُ الإسلامِ رحمه الله - في معرضِ كلامِه عن الاسمِ والمسمَّى-: فإنَّ الناسَ قد تنازعوا في ذلك، والنزاعُ اشتُهرَ في ذلك بعدَ الأئمةِ، بعدَ أحمدَ وغيرِه، والذي كان معروفًا عندَ أئمةِ السُّنَّةِ أحمدَ وغيرِه: الإنكارُ على الجهميةِ الذين يقولون: أسماءُ اللهِ مخلوقةٌ.

---

(١) شرح أصول الاعتقاد (٢/ ٣٢٠-٣٢٥).

يقولون: الاسمُ غيرُ المسمَّى، وأسماءُ اللهِ غيرُه، وما كان غيرُه فهو مخلوقٌ، وهؤلاء هم الذين ذمَّهم السلفُ وغلَّظُوا فيهم القولَ؛ لأنَّ أسماءَ اللهِ من كلامِه، وكلامُ اللهِ غيرُ مخلوقٍ، بل هو المتكلِّمُ به، وهو المسمِّى لنفسِه بما فيه من الأسماءِ.... والمقصودُ هنا أنَّ المعروفَ عن أئمةِ السُّنَّةِ إنكارُهم على من قال: أسماءُ اللهِ مخلوقةٌ، وكان الذين يطلقون القولَ بأنَّ الاسمَ غيرُ المسمَّى هذا مرادُهم.

فلهذا يُروَى عن الشافعيِّ والأصمعيِّ وغيرِهما أنَّه قال: إذا سمعتَ الرجلَ يقولُ: الاسمُ غيرُ المسمَّى فاشهدْ عليه بالزندقةِ.

ولم يُعرفْ –أيضًا– عن أحدٍ من السلفِ أنَّه قال: الاسمُ هو المسمَّى، بل هذا قاله كثيرٌ من المنتسبين إلى السُّنَّةِ بعدَ الأئمةِ، وأنكرَه أكثرُ أهلِ السُّنَّةِ عليهم.

ثم منهم من أمسكَ عن القولِ في هذه المسألةِ نفيًا وإثباتًا، إذ كان كلٌّ من الإطلاقيْنِ بدعةٌ كما ذكرَه الخلالُ عن إبراهيمَ الحربيِّ وغيرِه، وكما ذكرَه أبو جعفرٍ الطبريُّ في الجزءِ الثاني سمَّاه (صريحَ السُّنَّةِ)، ذكرَ فيه مذهبَ أهلِ السُّنَّةِ المشهورِ في القرآنِ والرؤيةِ والإيمانِ بالقدرِ، والصحابةِ وغيرِ ذلك...

وذكرَ أنَّ القولَ في الاسمِ والمسمَّى من الحماقاتِ المبتدعةِ التي لا يُعرفُ فيها قولٌ لأحدٍ من الأئمةِ، وأنَّ حسبَ الإنسانِ أنْ ينتهيَ إلى قولِه تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وهذا هو القولُ بأنَّ الاسمَ للمسمَّى، وهذا الإطلاقُ اختيارُ أكثرِ المنتسبين إلى السُّنَّةِ من أصحابِ الإمامِ أحمدَ وغيرِه.

والذين قالوا: الاسمُ هو المسمَّى كثيرٌ من المنتسبين إلى السُّنَّةِ، مثلُ أبي بكرٍ عبدِ العزيزِ، وأبي القاسمِ الطبريِّ، واللالكائيِّ(١)، وأبي محمدٍ البغويِّ صاحبِ (شرحِ السُّنَّةِ)، وغيرِهم، وهو أحدُ قولَيْ أصحابِ أبي الحسنِ الأشعريِّ، واختارَه أبو بكر بنُ فوركَ وغيرُه... وهؤلاءِ الذين قالوا: إنَّ الاسمَ هو المسمَّى، لم يريدوا بذلك أنَّ اللفظَ المؤلفَ من الحروفِ هو نفسُ الشخصِ المسمَّى به، فإنَّ هذا لا يقولُه عاقلٌ، ولهذا يقالُ: لو كان الاسمُ هو المسمَّى لكان من قال (نارٌ) احترقَ لسانُه.

ومن الناسِ من يظنُّ أنَّ هذا مرادُهم، ويشفعُ عليهم، وهذا غلطٌ عليهم، بل هؤلاءِ يقولون: اللفظُ هو التسميةُ، والاسمُ ليس اللفظَ، بل هو المرادُ باللفظِ فإنَّك إذا قلتَ: يا زيدُ، يا عمرُو، فليس مرادُك دعاءَ اللفظِ، بل مرادُك دعاءُ المسمَّى باللفظِ، وذكرتَ الاسمَ فصارَ المرادُ بالاسمِ هو المسمَّى(٢).

وقال في موضعٍ آخرَ: في معرضِ ردّهِ على من قال من أهلِ السُّنَّةِ: إنَّ الاسمَ هو المسمَّى بدليلِ قولِه: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١].

واللهُ تعالى قد أمرَ بتسبيحِ اسمِه، وأمرَ بالتسبيحِ باسمِه، كما أمرَ بدعائِه بأسمائِه الحسنَى فيُدعَى بأسمائِه الحسنَى، ويُسبَّحُ اسمُه، وتسبيحُ اسمِه هو تسبيحٌ له، إذ المقصودُ بالاسمِ المسمَّى، كما أنَّ دعاءَ الاسمِ هو دعاءُ المسمَّى، قال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ

(١) هذا خطأ، فإن أبا القاسم الطبري هو اللالكائي رحمه الله، ولعله تصحيف.
(٢) مجموع الفتاوى (٦/١٨٦-١٨٨).

﴿فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠].

والله تعالى يأمرُ بذكرِه تارةً، وبذكرِ اسمِه تارةً، كما يأمرُ بتسبيحِه تارةً، وتسبيحِ اسمِه تارةً، فقال: ﴿ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤١]، ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥]، وهذا كثيرٌ، وقال: ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ [المزمل: ٨]. كما قال: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾: [الأنعام: ١١٨]...

ولكنْ هنا يقالُ: باسمِ اللهِ، فيُذكرُ نفسُ الاسمِ الذي هو (ألف – سين – ميم)، وأمَّا في قولِه: ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ﴾ فيقالُ: سبحانَ اللهِ، والحمدُ للهِ، ولا إلهَ إلا اللهُ.

وهذا أيضًا ممَّا يبينُ فسادَ قولِ من جعلَ الاسمَ هو المسمَّى(١).

وقال رحمه الله: وأمَّا الذين يقولون: إنَّ (الاسمَ للمسمَّى) كما يقولُه أكثرُ أهلِ السُّنَّةِ، فهؤلاءِ وافقوا الكتابَ والسُّنَّةَ والمعقولَ، قال اللهُ تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقال: ﴿أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠]، وقال النبيُّ ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا(٢)» انتهى(٣).

وهذا هو الراجحُ عندي؛ لأنَّه يوافقُ الكتابَ والسُّنَّةَ، واللهُ أعلمُ.

---

(١) المصدر السابق: (٦/ ٢١٠).

(٢) صحيح: تقدم تخريجه.

(٣) مجموع الفتاوى: (٦/ ٢٠٧).

فائدةٌ جليلةٌ:

أسماءُ اللهِ تعالى لها ثلاثُ دلالاتٍ:

١- دلالةِ مطابقةٍ.

٢- دلالةِ تضمنٍ.

٣- دلالةِ التزامٍ.

فإذا قلتَ "العزيزُ" دلَّ هذا الاسمُ على ذاتِ اللهِ ﷻ دلالةَ مطابقةٍ، ودلَّ على صفةِ العزةِ دلالةَ تضمنٍ – وقد تقدَّمَ أنَّ أسماءَ اللهِ تعالى دالَّةٌ على صفاتِه فكلُّ اسمٍ دالٌّ على صفةٍ أو عدةِ صفاتٍ يتضمنُها الاسمُ – ودالٌّ على القوةِ والقدرةِ والقهرِ والغلبةِ وغيرِ ذلك من دلالاتِ الالتزامِ، فالعزيزُ لا تكونُ له عزةٌ بغيرِ قوةٍ وقدرةٍ وقهرٍ وغلبةٍ إلى غيرِ ذلك من صفاتِ العزةِ.

قال ابنُ القيمِ رحمه الله: إنَّ الاسمَ من أسمائِه تبارك وتعالى كما يدلُّ على الذاتِ والصفةِ التي اشتُقَّ منها بالمطابقةِ، فإنَّه يدلُّ على دلالتيْنِ أُخرييْنِ بالتضمُّنِ واللزومِ، فيدلُّ على الصفةِ بمفردِها بالتضمُّنِ، وكذلك على الذاتِ المجردةِ عن الصفةِ، ويدلُّ على الصفةِ الأخرى باللزومِ، فإنَّ اسمَ "السميعِ" يدلُّ على ذاتِ الربِّ وسمعِه بالمطابقةِ، وعلى الذاتِ وحدَها، وعلى السمعِ وحدَه بالتضمُّنِ، ويدلُّ على اسمِ "الحيِّ" وصفةِ الحياةِ بالالتزامِ، وكذلك سائرُ أسمائِه وصفاتِه (١).

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٣٦).

قال ابنُ تيميةَ رحمه الله: ولفظُ "الماهيَّةِ" مأخوذٌ من قولِ السائلِ ما هو؟ و"ما هو" سؤالٌ عمَّا يتصورُه المسئولُ ليجيبَ عنه، وتلك هي الماهيَّةُ للشيءِ في نفسِه، والمعنى المدلولُ عليه باللفظِ لابدَ أنْ يكونَ مطابقًا للفظِ، فتكونُ دلالةُ اللفظِ عليه بالمطابقةِ، ودلالةُ اللفظِ على بعضِ ذلك المعنى بالتضمُّنِ، ودلالتُه على لازمِ ذلك المعنى بالالتزامِ (١).

قال حافظُ الحكميُّ رحمه الله(٢): دلالةُ أسماءِ اللهِ تعالى حقٌّ على حقيقتِها، مطابقةً وتضمنًا والتزامًا، فدلالةُ اسمِه تعالى "الرحمنِ" على ذاتِه عز وجل مطابقةً، وعلى صفةِ الرحمةِ تضمنًا، وعلى الحياةِ وغيرِها أي: من سائرِ صفاتِ الكمالِ التزامًا، وهكذا سائرُ أسمائِه تبارك وتعالى، وليست أسماءُ اللهِ تعالى غيرَه كما يقولُه الملحدون في أسمائِه، تعالى اللهُ عمَّا يقولون علوًّا كبيرًا(٣).

---

(١) منهاج السنة النبوية (٥/ ٤٥٢).

(٢) حافظ بن أحمد بن علي الحكمي: من علماء جيزان بين الحجاز واليمن. ونشأ بدويًا يرعى الغنم ثم قرأ القرآن. ولما بلغ السادسة عشرة بدأ بطلب العلم، ثم تفرغ للدراسة فظهر فضله، عين مديرا للمعهد العلمي حتى توفي بمكة. من رسائله المطبوعة: (الجوهرة الفريدة في العقيدة) و(سلم الوصول إلى علم الأصول) أرجوزة، و (معارج القبول) شرح لها، و (أعلام السنة المنشورة) وتوفي سنة سبع وسبعين وثلاثمائة وألف من الهجرة وعمره خمسة وثلاثون عاما.

(٣) معارج القبول (١/ ١١٩).

المبحثُ الثاني: ذكرُ أشهرِ العلماءِ الذين اعتنَوْا بجمع أسماءِ اللّهِ الحسنَى، وسردُ الأسماءِ التي قاموا بجمعِها:

اعتنتْ طائفةٌ من علماءِ السلفِ والخلفِ بجمعِ أسماءِ اللهِ الحسنَى، وبذلُوا الجهدَ والوقتَ في جمعِها، وكلٌّ منهم كان له منهجٌ سارَ عليه في طريقةِ الجمعِ، وهؤلاءِ العلماءُ هم:

١- جعفرُ الصادقِ (١): تُوُفِّيَ (١٤٨هـ)، وقد ذكرَ ابنُ حجرٍ أسماءَ اللهِ الحسنَى التي جمعَها جعفرُ الصادقِ (٢).

٢- أبو زيدٍ اللغويُّ (٣): تُوُفِّيَ (٢١٥هـ)، وقد أقرَّه على ما جمعَه من الأسماءِ سفيانُ بنُ عيينةَ (٤).

---

(١) هو: جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الصادق أبو عبد الله المدني. كانت ولادته سنة ثمانين للهجرة، أحد الأئمة الاثني عشر على مذهب الإمامية، وكان من سادات أهل البيت ولقب بالصادق لصدقه في مقالته وفضله، أشهر من أن يذكر، توفي سنة ثمان وأربعين ومائة.
غاية النهاية في طبقات القراء (١/١٩٦)، وفيات الأعيان (١/٣٢٧).

(٢) راجع فتح الباري (١١/٢٢١).

(٣) أبو زيد سعيد بن أوس بن ثابت الخزرجي الأنصاري البصري، لغوي من أئمة الأدب. غلب عليه اللغات والنوادر وكان يرى رأي القدر، وكان ثقة في روايته. كانت وفاته بالبصرة في سنة خمس عشرة–وقيل أربع عشرة، وقيل ست عشرة ومائتين
وفيات الأعيان (٢/٣٧٨)، سير أعلام النبلاء (٩/٤٩٤).

(٤) هو: الإمام الكبير، حافظ العصر، شيخ الإسلام، أبو محمد سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي الكوفي، ثم المكي. ولد بالكوفة في سنة سبع ومائة، وطلب الحديث وهو حدث، بل غلام، ولقي الكبار، وحمل عنهم علما جما، وأتقن، وجود، وجمع، وصنف، وعمر دهرا، وازدحم الخلق عليه، وانتهى إليه علو الإسناد، ورحل إليه من البلاد، وألحق الأحفاد بالأجداد. ولقد كان خلق من طلبة الحديث يتكلفون =

كما ذكرَ ذلك ابنُ حجرٍ[(١)].

٣- أبو سليمانَ الخطابيُّ: تُوُفِّيَ (٣٨٨هـ)، وأوردَ الأسماءَ في شأنِ الدعاءِ (ص: ٩١) وما بعدَها.

٤- الحافظُ محمدُ بنُ إسحاقَ بنِ منده[(٢)]: تُوُفِّيَ (٣٩٦هـ)، وأوردَه في كتابِ التوحيدِ (ص: ١٣٣) وما بعدَها.

٥- أبو عبدِ اللهِ الحسينُ بنُ الحسنِ الحليميُّ[(٣)]: تُوُفِّيَ (٤٠٣هـ) وأوردَه في المنهاجِ في شعبِ الإيمانِ (١/١٨٨ - ٢٠٩) ووافقَه عليه البيهقيُّ في الأسماءِ والصفاتِ (ص: ٣٨) وما بعدَها.

٦- أبو محمدِ بنِ حزمٍ: تُوُفِّيَ (٤٥٦هـ)، وأوردَه في المحلَّى (٨/ ٣١).

٧- قوّامُ السُّنَّةِ إسماعيلُ بنُ محمدِ بنِ الفضلِ الأصبهانيُّ: تُوُفِّيَ (٥٣٥هـ)، وأوردَه في الحُجَّةِ في بيانِ المحجَّةِ (ص: ٣٧) وما بعدَها.

= الحج، وما المحرك لهم سوى لقي سفيان بن عيينة؛ لإمامته وعلو إسناده. وجاور عنده غير واحد من الحفاظ. قال الإمام الشافعي: لولا مالك وسفيان بن عيينة، لذهب علم الحجاز، صاحب سنة واتباع.
سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٥٤)، طبقات ابن سعد (٥/ ٤٩٧).

(١) فتح الباري (١١/ ٢٢١).

(٢) هو: محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مندة، حافظٌ من أولاد المحدّثين، أحد المكثرين والمحدثين، مولده سنة عشر وثلاثمائة، قال: كتبت عن ألف شيخ وسبعمائة شيخ. توفي سنة ست وتسعين وثلاثمائة.
تاريخ دمشق (٥٢/ ٢٩)، طبقات الحنابلة (٢/ ١٦٧).

(٣) هو: الشّيخ الإمام أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن محمّد بن حليم الحليميّ، أحد أئمّة الدّهر وشيخ الشافعيين بما وراء النّهر، ولد سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة، قدم نيسابور سنة سبع وسبعين حاجا فحدّث، توفي سنة ثلاث وأربعمائة.
طبقات الشافعية الكبرى (٤/ ٣٣٣)، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٣١)

٨- أبو بكرٍ محمدُ بنُ عبدِ اللهِ المشهورُ بابنِ العربيِّ المالكيِّ: تُوُفِّيَ (٥٤٣هـ)، وأوردَه في كتابِه أحكامِ القرآنِ (٢/ ٨٠٨، ٨١٥).

٩- أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ أحمدَ الأنصاريُّ القرطبيُّ: تُوُفِّيَ (٦٧١هـ)، صاحبُ التفسيرِ المشهورِ "الجامعِ لأحكامِ القرآنِ" وأوردَه في كتابِه شرحِ أسماءِ اللهِ الحسنَى (١/ ٦١) وما بعدَها.

١٠- ابنُ قَيِّمِ الجوزيَّةِ: تُوُفِّيَ (٧٥١هـ)، وأوردَه في "مدارجِ السالكين" "وبدائعِ الفوائدِ" وفي "النونيةِ".

١١- محمدُ بنُ المرتضَى اليمانيُّ المعروفُ بابنِ الوزيرِ[1]: تُوُفِّيَ (٨٤٠هـ)، في إيثارِ الحقِّ على الخلقِ (ص: ١٧١-١٧٢).

١٢- ابنُ حجرٍ العسقلانيُّ: تُوُفِّيَ (٨٥٢هـ)، في فتحِ الباري (١١/ ٢٢٢).

١٣- عبدُ الرحمنِ بنُ ناصرٍ السعديُّ: تُوُفِّيَ (١٣٧٦هـ)، في تيسيرِ الكريمِ الرحمنِ في تفسيرِ كلامِ المنانِ (٦/ ٢٩٨-٣٠٥).

١٤- محمدُ بنُ صالحٍ العثيمينُ: تُوُفِّيَ (١٤٢١هـ)، أوردَه في القواعدِ المثلَى (ص: ٢١).

وكلُّ هؤلاءِ العلماءِ اجتهدوا في جمعِ الأسماءِ الحسنَى رغبةً في الثوابِ الذي أخبرَ بِهِ رَسولُ اللهِ ﷺ في حَديثِ أَبي هُرَيْرَةَ رَضْيَ اللهُ عَنْهُ: «**إِنَّ لِلَّهِ**

(١) هو: محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي، أبو عبد الله، عز الدين، من آل الوزير: مجتهد باحث، من أعيان اليمن. وهو أخو الهادي بن إبراهيم. ولد في هجرة الظهران، وتعلم بصنعاء وصعدة ومكة. وأقبل في أواخر أيامه على العبادة، ولد في شهر رجب سنة خمس وسبعين وسبعمائة توفي بعد تسعة وثلاثين وثمانمائة للهجرة. الأعلام للزركلي (٥/ ٣٠٠)، البدر الطالع (٢/ ٨١).

تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»(١).

ونذكرُ هنا جمعَ الأسماءِ الحسنَى لكلِّ عالمٍ من العلماءِ المتقدِّمِ ذكرُهم على الترتيبِ(٢)، ثم نذكرُ حديثَ الأسماءِ المشهورِ – وقد سبقَ بيانُ الأدلةِ على أنَّه لا يثبتُ عن رسولِ اللهِ ﷺ والذي عوَّلَ عليه جماهيرُ العلماءِ أنَّ سردَ الأسماءِ في هذا الحديثِ مدرجٌ فيه، وقد رُوِيَ من ثلاثةِ طرقٍ كلُّها ضعيفةٌ.

وأشهرُها: روايةُ الوليدِ بنِ مسلمٍ، وقد تقدَّمَ أقوالُ أهلِ العلمِ فيه(٣).

الروايةُ الثانيةُ: روايةُ عبدِ الملكِ بنِ محمدٍ الصنعانيِّ(٤).

الروايةُ الثالثةُ: روايةُ عبدِ العزيزِ بنِ الحصينِ الترجمانَ(٥).

---

(١) متفق عليه: تقدم تخريجه.

(٢) هذا الجمع من كتاب معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى (ص:١٣٦ – ١٤٩) للشيخ الدكتور محمد بن خليفة التميمي عضو هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

(٣) راجع المبحث الثاني من هذا الباب – الأصل الرابع.

(٤) هو: عبد الملك بن محمد الحميرى البرسمي ، أبو الزرقاء ، و يقال أبو محمد ، الصنعاني الدمشقي، من صغار أتباع التابعين، قال الأزدي : ليس بالمرضي في حديثه، وضعفه ابن حبان وغير واحد.
أخرجه ابن ماجه (٣٨٦١) وقال البوصيري: ضعيف لضعف عبد الملك بن محمد الصنعاني وقد تقدم. وقد تقدم قول الحافظ ابن حجر (١١/٢١٥): وليست العلة عند الشيخين تفرد الوليد فقط، بل الاختلاف فيه، والاضطراب، وتدليسه، واحتمال الإدراج.

(٥) هو: عبد العزيز بن الحصين بن الترجمان أبو سهل ويقال أبو الأصبغ الخراساني ثم المروزي، أجمعوا على ضعفه. تاريخ دمشق (٣٦/٢٧٥)، ميزان الاعتدال (٢/٦٢٧)
ضعيف: أخرجه البيهقي في الاعتقاد (ص: ٥٧) وذكره العقيلي في الضعفاء (٣/١٥) وأعله بالاضطراب وضعف عبد العزيز.

١- جمعُ جعفرٍ الصادقِ (٨٠-١٤٨هـ) كما ذكرَ ابنُ حجرٍ في فتح الباري (٢١٧/١١)

	الأسماءُ التي وردتْ بصورةِ الاسمِ	الأسماءُ التي أُخذتْ بالاشتقاقِ أو بالإضافةِ
أ	اللهُ، الأولُ، الآخرُ، الأحدُ.	الإلهُ.
ب	البارئُ، الباسطُ، الباطنُ، البَرُّ، البصيرُ.	الباعثُ، الباقِي، البديعُ، البرهانُ.
ت	التوَّابُ.	
ج	الجبَّارُ.	
ح	الحفيظُ، الحقُّ، الحكيمُ، الحليمُ، الحميدُ، الحيُّ.	الحسيبُ.
خ	الخالقُ، الخلاَّقُ، الخبيرُ.	
ذ		ذو الجلالِ والإكرامِ، ذو الطوْلِ، ذو القوةِ.
ر	الربُّ، الرحمنُ، الرحيمُ، الرزَّاقُ، الرقيبُ، الرءوفُ.	الرفيعُ، ربُّ المشرقين وربُّ المغربين.
س	السلامُ، السميعُ.	السريعُ.
ش	الشاكرُ.	الشهيدُ، الشديدُ.
ص	الصمدُ.	الصادقُ.

ظ	الظاهرُ.	
ع	العزيزُ، العظيمُ، العليُّ، العليمُ.	العالمُ.
غ	الغفَّارُ، الغفورُ، الغنيُّ.	الغافرُ.
ف	الفتَّاحُ.	الفاطرُ، الفردُ، الفعَّالُ لما يريدُ.
ق	القابضُ، القدُّوسُ، القديرُ، القريبُ، القويُّ، القيومُ.	القائمُ، القابلُ، القاهرُ.
ك	الكبيرُ، الكريمُ.	الكافي.
ل	اللطيفُ.	
م	المؤمنُ، المبينُ، المتعالِ، المتكبِّرُ، المتينُ، المجيدُ، المجيبُ، المصوِّرُ، المقتدرُ، الملكُ، المليكُ، المنَّانُ، المهيمنُ.	المالكُ، المبدئُ، المعيدُ، المحيي، المميتُ، المتفضِّلُ، المحيطُ، المعينُ، المُقيتُ، المنعمُ، المولَى.
ن		النصيرُ.
هـ		الهادِي.
و	الواحدُ، الواسعُ، الوترُ، الودودُ، الوليُّ، الوهَّابُ.	الوارثُ، الوكيلُ.

٢- جمعُ أبي زيدٍ اللغويِّ الذي أقرَّه سفيانُ بنُ عيينةَ (١٠٧-١٩٨هـ) كما ذكرَ ذلك ابنُ حجرٍ في فتح الباري (١١/٢١٧-٢١٨).

	الأسماءُ التي وردتْ بصورةِ الاسمِ	الأسماءُ التي أُخذتْ بالاشتقاقِ أو بالإضافةِ
أ	اللهُ، الأولُ، الآخرُ، الأحدُ.	
ب	البارئُ، الباسطُ، الباطنُ، البَرُّ، البصيرُ	البديعُ، البرهانُ.
ت	التوَّابُ.	
ج	الجبَّارُ.	
ح	الحفيظُ، الحقُّ، الحكيمُ، الحليمُ، الحميدُ، الحيُّ.	الحسيبُ.
خ	الخالقُ، الخلاَّقُ، الخبيرُ.	
ذ		ذو الجلالِ والإكرامِ، ذو الطولِ، ذو القوةِ.
ر	الربُّ، الرحمنُ، الرحيمُ، الرزَّاقُ، الرقيبُ، الرءوفُ.	
س	السلامُ، السميعُ.	
ش	الشاكرُ.	الشهيدُ، الشديدُ.

ص	الصمدُ.	الصادقُ.
ظ	الظاهرُ.	
ع	العزيزُ، العظيمُ، العليُّ، العليمُ.	
غ	الغفورُ، الغنيُّ.	الغافرُ.
ف	الفتَّاحُ.	الفاطرُ، الفعَّالُ لما يريدُ.
ق	القابضُ، القدُّوسُ، القديرُ، القريبُ، القويُّ، القيومُ.	القائمُ، القابلُ، القادرُ، القاهرُ.
ك	الكبيرُ، الكريمُ.	الكافي.
ل	اللطيفُ.	
م	المؤمنُ، المبينُ، المتعالِ، المتكبِّرُ، المتينُ، المجيدُ، المجيبُ، المصوِّرُ، المقتدرُ، المنَّانُ، المهيمنُ.	المالكُ، المبدئُ المعيدُ، المحيي، المميتُ، المحيطُ، المُقيتُ، المولَى.
ن		النصيرُ، النورُ.
هـ		الهادي.
و	الواحد، الواسع، الودود، الوليُّ، الوهَّاب.	الوارث، الوكيل.

٣- جمعُ الخطابيِّ المتوفَى (٣٨٨هـ) في كتابِه شأن الدعاءِ (ص: ٨٤-١٨٠):

	الأسماءُ التي وردتْ بصورةِ الاسمِ	الأسماءُ التي أُخذتْ بالاشتقاقِ أو بالإضافةِ
أ	اللهُ، الأولُ، الآخرُ، الأحدُ.	
ب	البارئُ، الباسطُ، الباطنُ، البَرُّ، البصيرُ	الباعثُ، الباقِي، البادئُ، البديعُ.
ت	التوَّابُ.	
ج	الجبَّارُ، الجميلُ.	الجامعُ، الجليلُ.
ح	الحفيظُ، الحقُّ، الحكيمُ، الحليمُ، الحميدُ، الحيُّ.	الحسيبُ.
خ	الخالقُ، الخبيرُ.	الخافضُ (الرافعُ).
د	الديَّانُ.	الدائمُ.
ذ		ذو الجلالِ والإكرامِ، ذو الطولِ، ذو الفضلِ، ذو المعارجِ.
ر	الربُّ، الرازقُ، الرحمنُ، الرحيمُ، الرقيبُ، الرءوفُ.	الرافعُ، الرشيدُ.
س	السلامُ، السميعُ.	
ش	الشَّكورُ.	الشهيدُ.
ص	الصمدُ.	الصادقُ، الصبورُ.

ض		الضارُّ (النافعُ).
ظ	الظاهرُ.	
ع	العزيزُ، العظيمُ، العفوُّ، العليُّ، العليمُ	العدلُ، العلاَّمُ.
غ	الغفَّارُ، الغفورُ، الغنيُّ.	
ف		الفاطرُ.
ق	القابضُ، (الباسطُ)، القدُّوسُ، القريبُ، القهارُ، القيُّومُ، القويُّ.	القائمُ، القابلُ، القاهرُ.
ك	الكبيرُ، الكريمُ.	الكافِي.
ل	اللَّطيفُ.	
م	المؤمنُ، المبينُ، المتعالِ، المتكبِّرُ، المتينُ، المجيدُ، المصوِّرُ، المقتدرُ، الملكُ، المقدِّمُ المؤخِّرُ، الملكُ، المليكُ، المهيمنُ.	الماجدُ، مالكُ الملكِ، المانعُ، المبدئُ، المعيدُ، المجيبُ، المحصِي، المحيي المميتُ، المحيطُ، المدبِّرُ، المعزُّ، المذلُّ، المغنِي، المقتدرُ، المقدِّمُ، المؤخِّرُ، المُقسطُ، المُقيتُ، المنانُ، المنتقمُ، المولَى.
ن		النافعُ، النُّورُ.
هـ		الهادِي.
و	الواحدُ، الواسعُ، الوترُ، الودودُ، الوليُّ، الوهابُ.	الواجدُ، الوارثُ، الوالِي، الوكيلُ.

٤- جمعُ الحافظِ محمدِ بنِ إسحاقَ بنِ مندَه (٣١٠-٣٩٥هـ) في كتابِه التوحيد (ص: ١٣٣-٢٤٠):

	الأسماءُ التي وردتْ بصورةِ الاسمِ:	الأسماءُ التي أُخذتْ بالاشتقاقِ أو بالإضافةِ:
أ	اللهُ، الأولُ، الآخرُ، الأحدُ.	
ب	البارئُ، الباسطُ، الباطنُ، البصيرُ.	البارُّ، الباعثُ، الباقِي، البديعُ.
ت	التوَّابُ.	
ج	الجبَّارُ، الجوادَ، الجميلُ.	الجامعُ، الجليلُ.
ح	الحفيظُ، الحقُّ، الحكمُ، الحليمُ، الحميدُ، الحيُّ.	الحسيبُ، الحافظُ.
خ	الخالقُ، الخلاَّقُ، الخبيرُ.	
د	الديَّانُ.	الدائمُ، الدافعُ.
ذ		ذو الجلالِ والإكرامِ.
ر	الرازقُ، الربُّ، الرحمنُ، الرحيمُ، الرفيقُ، الرقيبُ، الرءوفُ.	الرافعُ، الرشيدُ.
س	السلامُ، السبُّوحُ، السميعُ، السيِّدُ.	الستَّارُ، السريعُ.
ش	الشافِي، الشاكرُ، الشَّكورُ.	الشاهدُ، الشديدُ، الشهيدُ.
ص	الصمدُ.	الصاحبُ، الصادقُ، الصانعُ، الصبورُ.

ط	الطيِّبُ.	الطاهرُ.
ظ	الظاهرُ.	
ع	العزيزُ، العظيمُ، العفوُّ، العليمُ، العليُّ.	العالمُ، العدلُ، العلاَّمُ.
غ	الغفَّارُ، الغفورُ، الغنيُّ.	الغافرُ.
ف	الفتَّاحُ.	الفاتحُ، الفاطرُ.
ق	القابضُ، (الباسطُ)، القدُّوسُ، القديرُ، القريبُ، القهَّارُ، القويُّ، القيومُ.	القائمُ، القادرُ، القاضِي، القاهرُ، القديمُ، القيَّامُ.
ك	الكبيرُ، الكريمُ.	الكافِي، الكفيلُ.
ل	اللطيفُ.	
م	المؤمنُ، المبينُ، المتكبِّرُ، المجيدُ، المصوِّرُ، المقتدرُ، الملكُ، المنَّانُ، المهيمنُ.	الماجدُ، المالكُ، المحيي، المطعِمُ، المعافِي، المعزُّ المذلُّ، المعطِي، المانعُ، المعينُ، المفرجُ، المفضلُ، المقدرُ، المقسطُ، المنعمُ، الموسعُ
ن		النورُ، النصيرُ، النذيرُ.
هـ		الهادي.
و	الواحدُ، الوترُ، الودودُ، الوليُّ، الوهَّابُ.	الوفيُّ.

٥- جمعُ أبي عبدِ اللهِ الحسينِ بنِ الحسنِ الحليميِّ المتوفَى (٤٠٣هـ) في كتابِه المنهاج في شعبِ الإيمانِ (١/ ١٨٨، ٢٠٩)، وموافقةُ البيهقيِّ له المتوفَى (٤٥٨هـ) في كتابِ الأسماء والصفات (٢٣-١١٨):

	الأسماءُ التي وردتْ بصورةِ الاسم:	الأسماءُ التي أُخذتْ بالاشتقاقِ أو بالإضافة:
أ	اللهُ، الأحدُ، الأولُ، الآخرُ.	
ب	البارئُ، الباسطُ، الباطنُ، البَرُّ، البصيرُ	الباعثُ، الباقِي، البديعُ.
ت	التوَّابُ.	
ج	الجبَّارُ، الجميلُ، الجوادُ.	الجامعُ، الجليلُ.
ح	الحفيظُ، الحقُّ، الحكمُ، الحليمُ، الحميدُ، الحيُّ، الحَيِيُّ.	الحافظُ، الحسيبُ، الحنَّانُ.
خ	الخالقُ، الخبيرُ، الخلاَّقُ.	الخافضُ (الرافعُ).
د	الديَّانُ.	
ذ		الذارئُ، ذو انتقام، ذو الجلالِ والإكرامِ، ذو الطوْلِ، ذو العرشِ، ذو الفضلِ، ذو المعارجِ.
ر	الرازقُ، الربُّ، الرحمنُ، الرحيمُ، الرقيبُ، الرءوفُ	الرافعُ، الخافضُ، الرشيدُ.
س	السبُّوحُ، السلامُ، السميعُ، السيِّدُ.	سريعُ الحسابِ.
ش	الشافِي، الشاكرُ، الشَّكورُ.	الشهيدُ.
ص	الصمدُ.	الصانعُ، الصادقُ، الصبورُ.

ض		الضارُّ (النافعُ).
ظ	الظاهرُ.	
ع	العزيزُ، العظيمُ، العفوُّ، العليُّ، العليمُ.	العالمُ، العدلُ، العلاَّمُ.
غ	الغفَّارُ، الغفورُ، الغنيُّ.	الغافرُ، الغالبُ، الغيَّاثُ.
ف	الفتَّاحُ.	الفاطرُ، فالقُ الحبِّ والنوى، الفردُ، الفعالُ لما يريدُ.
ق	القابضُ، (الباسطُ)، القدوسُ، القديرُ، القريبُ، القهارُ، القيومُ	القائمُ، القابلُ، القاهرُ.
ك	الكبيرُ، الكريمُ.	الكاشفُ، الكافِي، الكفيلُ.
ل	اللطيفُ.	
م	المؤمنُ، المبينُ، المتعالِ، المتكبِّرُ، المتينُ، المجيدُ، المصوِّرُ، المقتدرُ، المقدِّمُ المؤخِّرُ، الملكُ، المليكُ، المنَّانُ، المهيمنُ.	المجيبُ، المحصِي، المحيِي المميتُ، المدبِّرُ، المعزُّ المذلُّ، المعطِي المانعُ، المقسطُ، المُقيتُ.
ن		الناصرُ، النافعُ (الضارُّ)، النورُ، النصيرُ.
هـ		الهادِي.
و	الواحدُ، الواسعُ، الوترُ، الودودُ، الوليُّ، الوهابُ.	الواجدُ، الوارثُ، الوفيُّ، الوكيلُ.

٦- جمعُ عليِّ بنِ أحمدَ بنِ حزمٍ المتوفَى سنة (**٤٥٦هـ**) كما في كتابِ المحلَى (٦/ ٢٨٢):

أ	اللهُ، الأكرمُ، الإلهُ، الأحدُ، الأولُ، الأعلَى، الأكبرُ، الأعزُّ، الآخرُ.
ب	البصيرُ، الباطنُ، الباسطُ، البَرُّ، البارئُ.
ت	التوَّابُ.
ج	الجبَّارُ، جميلٌ.
ح	الحكيمُ، الحليمُ، الحيُّ، الحميدُ، الحقُّ.
خ	الخالقُ، الخلاَّقُ، الخبيرُ.
د	الدهرُ.
ر	الرحمنُ، الرحيمُ، الربُّ، الرزَّاقُ، الرءوفُ، الرفيقُ.
س	السلامُ، السَّميعُ، السيِّدُ، سبُّوحٌ.
ش	الشاكرُ، الشافِي، الشَّكورُ.
ص	الصمدُ.
ط	الظاهرُ.
ع	العظيمُ، العزيزُ، العليُّ، عفوٌّ، العليمُ.
غ	الغفورُ، الغفَّارُ، الغنيُّ.

ف	الفتَّاحُ.
ق	القيُّومُ، القريبُ، القاهرُ، القديرُ، القهَّارُ، القويُّ، القدُّوسُ، القابضُ.
ك	الكبيرُ، الكريمُ.
ل	اللطيفُ.
م	المجيبُ، المتكبِّرُ، المصوِّرُ، المقتدرُ، المجيدُ، المتعالِ، المتينُ، المبينُ، المؤمنُ، المهيمنُ، الملكُ، مليكٌ، محسانٌ، المسعِّرُ، المعطِي، المقدِّمُ، المؤخِّرُ.
و	الواحدُ، الوهَّابُ، الواسعُ، الوليُّ، الودودُ، الوترُ.

وعددُ هذه الأسماءِ أربعةٌ وثمانون اسمًا بَعَدِّ المزدوجِ من الأسماءِ وثمانونَ باعتبارِ المزدوجِ اسمًا واحدًا وهي (المقدِّمُ المؤخِّرُ) (الظاهرُ الباطنُ) (القابضُ الباسطُ) (الأولُ الآخرُ).

٧- جمعُ قوّامِ السُّنَّةِ إسماعيلَ بنِ محمدِ بنِ الفضلِ الأصبهانيِّ المتوفَى سنةَ (**٥٣٥هـ**) في كتابِه الحجةُ في بيانِ المحجةِ (ص: **٣٧**) وما بعدَها:

	الأسماءُ التي وردتْ بصورةِ الاسمِ:	**الأسماءُ التي أُخذتْ بالاشتقاقِ أو بالإضافةِ:**
أ	اللهُ، الأحدُ، الآخرُ، الأولُ.	أرحمُ الراحمين.
ب	البارئُ، الباسطُ، الباطنُ، البَرُّ، البصيرُ.	البادئُ، الباعثُ، الباقِي.
ت	التوَّابُ.	
ج	الجميلُ.	الجامعُ.
ح	الحقُّ، الحكيمُ، الحليمُ، الحميدُ، الحيُّ.	الحسيبُ، الحنَّانُ.
خ	الخالقُ.	الخافضُ (الرافعُ)، خيرُ الراحمين، خيرُ الغافرين، خيرُ الفاتحين، خيرُ الفاصلين، خيرُ الناصرين.
د		الدائمُ.
ذ		الذارئُ، ذو الجلالِ والإكرامِ، ذو المعارجِ.
ر	الرازقُ، الرحمنُ الرحيمُ، الرزَّاقُ الرقيبُ، الرءوفُ.	الرافعُ.

س	السميعُ، السيِّدُ.	
ش	الشاكرُ، الشَّكورُ	الشَّهيدُ.
ص	الصمدُ.	الصانعُ، الصادقُ.
ظ	الظاهرُ.	
ع	العزيزُ، العظيمُ، العليمُ.	العالمُ، العلاَّمُ.
غ	الغفَّارُ، الغفورُ.	الغافرُ.
ف		الفاطرُ.
ق	القابضُ (الباسطُ)، القدُّوسُ، القديرُ، القريبُ، القهَّارُ، القيُّومُ.	القائمُ، القادرُ، القاهرُ.
ك	الكبيرُ، الكريمُ.	الكافِي.
م	المبينُ، المتعالِ، المجيبُ، المجيدُ، المصوِّرُ، المقتدرُ، المليكُ، المهيمنُ.	الماجدُ، المانعُ، المحيطُ، المغيثُ، المُقسطُ المُقيتُ، المنَّانُ، المنيرُ
ن		النورُ.
و	الواحدُ، الواسعُ، الوليُّ، الوهابُ.	الواجدُ، الوالِي، الوكيلُ.

٨- جمعُ أبي بكرِ بنِ العربيِّ (٤٦٨-٥٤٣) في كتابِه أحكام القرآنِ (٢/ ٣٧٠-٣٨٢):

	الأسماءُ التي وردتْ بصورةِ الاسمِ:	الأسماءُ التي أُخذتْ بالاشتقاقِ أو بالإضافةِ:
أ	اللهُ، الأولُ، الآخرُ.	أهلُ التقوَى، أهلُ المغفرةِ.
ب	البارئُ، الباسطُ، الباطنُ، البصيرُ.	الباقِي، البالِي.
ت	التوَّابُ.	
ج	الجبَّارُ، الجميلُ، الجوادُ.	الجامعُ، الجليلُ.
ح	الحقُّ، الحكمُ، الحكيمُ، الحليمُ، الحميدُ، الحيُّ.	الحسيبُ، الحفيُّ.
خ	الخالقُ، الخبيرُ.	الخافضُ، خيرُ الفاصلين، خيرُ الماكرين، خيرُ المنزلين.
د		الدائمُ.
ذ		ذو انتقامٍ، ذو الطوْلِ، ذو الفضلِ، ذو المعارجِ.
ر	الربُّ، الرزَّاقُ، الرحمنُ الرحيمُ، الرقيبُ، الرءوفُ	الرافعُ، الرَّشيدُ، الرضَا، رفيعُ الدرجاتِ.
س	السَّلامُ، السَّميعُ، السَّيِّدُ.	الساخطُ.
ش	الشافِي، الشَّكورُ.	شديدُ المحالِ، الشَّفيعُ، الشَّهيدُ.
ص	الصَّمدُ.	الصَّادقُ، الصَّبورُ.
ض		الضارُّ (النافعُ).
ط	الطَّيبُ.	الطبيبُ.

ظ	الظاهرُ.	
ع	العزيزُ، العظيمُ، العفوُّ، العليمُ، العليُّ.	العالمُ، العدلُ، عدوُّ الكافرين، العلامُ.
غ	الغنيُّ.	غيورٌ.
ف	الفتَّاحُ.	الفاتنُ، فاطرُ السماواتِ والأرضِ.
ق	القابضُ (الباسطُ)، القدُّوسُ، القديرُ، القريبُ، القهَّارُ، القويُّ، القيُّومُ.	القائمُ، القادرُ، القاضِي، القيامُ، القيمُ.
ك	الكبيرُ، الكريمُ.	الكائنُ، الكافِي، الكفيلُ.
ل	اللطيفُ.	
م	المؤمنُ، المبينُ، المتكبِّرُ، المتينُ، المجيدُ، المستعَانُ، المصوِّرُ، المقتدرُ، المقدِّمُ، المؤخِّرُ، الملكُ، المليكُ، المهيمنُ.	المالكُ، المبتلِي، المبغضُ، المبلِي، المبرِمُ، المبدئُ، المعيدُ، متمُّ نورِه، المحبُّ، المحصِي، المحيطُ، المحيي المميتُ، مخزِي الكافرين، المدبِّرُ، المذكورُ، المريدُ، المعبودُ، المعزُّ، المذلُّ، المقدِّرُ، المقسطُ، مقلِّبُ القلوبِ، المُقيتُ، الممتحنُ، المنذرُ، الموسعُ، المولَى
ن		نورُ السماواتِ والأرضِ، النصيرُ، النافعُ
ه		الهادِي.
و	الواحدُ، الواسعُ، الودودُ، الوليُّ، الوهَّابُ.	الوارثُ، الوكيلُ.

٩- جمعُ القرطبيِّ (٦٧١هـ) في كتابِه الأسنَى في شرحِ الأسماءِ الحسنَى (٦١/١) وما بعدَها مع إكمالِ النقصِ من كتابِ تلخيص الحبيرِ لابنِ حجرٍ:

	الأسماءُ التي وردتْ بصورةِ الاسمِ:	الأسماءُ التي أُخذتْ بالاشتقاقِ أو بالإضافةِ:
أ	اللهُ، الأولُ، الآخرُ، الأحدُ، الأعزُّ، الأعلَى، الأكبرُ، الأكرمُ.	الأليمُ الأخذِ، الأمينُ، أهلُ التقوى، أهلُ المغفرةِ.
ب	البارئُ، الباسطُ، الباطنُ، البَرُّ، البصيرُ.	الباعثُ، الباقِي، البالِي، البديعُ، البرهانُ.
ت	التوَّابُ.	
ج	الجبَّارُ، الجميلُ، الجوادُ.	الجامعُ.
ح	الحفيظُ، الحقُّ، الحكمُ، الحكيمُ، الحليمُ، الحميدُ، الحيُّ، الحَيِيُّ.	الحاسبُ، الحافظُ، الحَفِيُّ، الحنَّانُ.
خ	الخالقُ، الخبيرُ، الخلاَّقُ.	الخافضُ، الخليفةُ، الخَفِيُّ.
د	الديَّانُ.	
ذ		ذو الجلالِ والإكرامِ، ذو الفضلِ، ذو انتقامٍ.
ر	الرازقُ، الربُّ، الرزَّاقُ، الرحمنُ الرحيمُ، الرفيقُ، الرقيبُ، الرءوفُ.	الراتقُ، الراشدُ، الرافعُ، الرَّشيدُ، رمضانُ.
س	السُّبُّوحُ، السِّتيرُ، السَّلامُ،	الساترُ، الستَّارُ، سريعُ الحسابِ،

	السَّميعُ، السَّيِّدُ.	سريعُ العقابِ.
ش	الشافِي، الشاكرُ، الشَّكورُ.	الشديدُ البطشِ، شديدُ العقابِ، الشفيعُ.
ص	الصَّمدُ.	الصاحبُ، الصَّادقُ، الصَّبورُ.
ض		الضارُّ (النافعُ).
ط	الطَّيِّبُ.	الطَّبيبُ..
ظ	الظاهرُ.	
ع	العزيزُ، العظيمُ، العفوُّ، العليمُ، العليُّ.	العدلُ
غ	الغفَّارُ، الغَّفورُ، الغنيُّ.	الغافرُ، الغالبُ، الغياثُ.
ف	الفتَّاحُ.	الفاتنُ، الفاتقُ، الفاطرُ، فالقُ الإصباحِ، فالقُ الحبِّ والنوَى، الفعَّالُ.
ق	القابضُ (الباسطُ)، القدُّوسُ، القديرُ، القريبُ، القهَّارُ، القويُّ، القيُّومُ.	القاضِي، القاهرُ.
ك	الكبيرُ، الكريمُ.	الكاتبُ، الكاشفُ، الكافِي، الكفيلُ.
ل	اللطيفُ.	
م	المؤمنُ، المبينُ، المتعالِ، المتكبِّرُ، المتينُ، المجيبُ،	المبارِكُ، المبدئُ، المعيدُ، المبرِمُ، المبقِي، المبلِي، المتوفِّي، مثبتُ

	المجيدُ، المحسنُ، المستعانُ، المصوِّرُ، المقتدرُ، المقدِّمُ، المؤخِّرُ، الملكُ، المليكُ، المنَّانُ، المهيمنُ.	القلوبِ، المحيطُ، المحيِي المميتُ، المخرجُ، المرسلُ، المرشدُ، المستجيبُ، المسعِّرُ، مصرفُ القلوبِ، المضلُّ، المعذِّبُ، المعزُّ المذلُّ، المعطِي، المانعُ، المغنِي، المغيثُ، المفضلُ، المفنِي، المقسطُ، مقلبُ القلوبِ، المقيتُ، الممتحِنُ، المنتقمُ، المنذِرُ، المنزِلُ، المهلِكُ، الموئِلُ، المولَى.
ن		الناصرُ، النافعُ، النصيرُ، النورُ.
ه		الهادِي، الهَوِيُّ.
و	الواحدُ، الواسعُ، الوترُ، الودودُ، الوليُّ، الوهَّابُ.	الواقِي، الوالِي، الوفيُّ، الوكيلُ.

١٠- الأسماءُ التي ذكرَها ابنُ القيمِ المتوفَى سنةَ (٧٥١) في نونيتِه المسماةِ "الكافيةُ الشافيةُ في الانتصارِ للفرقةِ الناجيةِ»، إلا ما كان بين قوسين فإنَّه من مدراجِ السالكين وبدائعِ الفوائدِ:

	الأسماءُ التي وردتْ بصورة الاسمِ:	الأسماءُ التي أُخذتْ بالاشتقاقِ أو بالإضافة:
أ	اللهُ، الأعلَى، الآخرُ (الأحدُ).	الإلهُ.
ب	(البارئُ)، الباسطُ، الباطنُ، البَرُّ، البصيرُ.	
ت	التوَّابُ.	
ج	الجبَّارُ، الجميلُ، الجوادُ.	(الجامعُ)، الجليلُ
ح	الحفيظُ، الحقُّ، الحكمُ، الحكيمُ، الحليمُ، الحميدُ، الحيُّ، الحيِيُّ.	الحسيبُ.
خ	الخالقُ، الخلاَّقُ.	الخافضُ (الرافعُ).
د	الديَّانُ.	
ذ		(ذو البطشِ).
ر	الربُّ، الرحمنُ، (الرحيمُ)، الرزَّاقُ، الرفيقُ، الرقيبُ، الرءوفُ.	الرافعُ، الرشيدُ.
س	السِّتِّيرُ، السَّلامُ، السَّميعُ، السَّيِّدُ.	(سريعُ الحسابِ).
ش	(الشاكرُ) الشَّكورُ.	(الشَّهيدُ)، (شديدُ العقابِ).

ص	الصَّمدُ.	الصَّبورُ.
ض		الضَّارُّ (النافعُ).
ظ	الظَّاهرُ.	
ع	العزيزُ، العظيمُ، العفوُّ، العليمُ، العليُّ.	العدلُ.
غ	(الغفَّارُ)، الغفورُ، الغنيُّ.	
ف	الفتَّاحُ.	
ق	القابضُ (الباسطُ)، القدُّوسُ، القديرُ، القريبُ، القهَّارُ، القيُّومُ، القويُّ.	القادرُ، القاهرُ
ك	(الكبيرُ)، الكريمُ.	الكفيلُ.
ل	اللطيفُ.	
م	(المؤمنُ)، المبينُ، (المتعالِ) (المتكبِّرُ)، المجيبُ، المجيدُ، المحسنُ، (المصوِّرُ)، المقدِّمُ المؤخِّرُ، الملكُ، المليكُ، المنَّانُ، المهيمنُ.	المانعُ المعطِي، المالكُ (مالكُ الملكِ)، (المحيِي) المميتُ)، المحيطُ، المعزُّ المذلُّ، المغيثُ، المقسطُ، (المنعمُ)، (المنتقمُ العفوُّ)، المولَى.
ن		النورُ.
و	الواحدُ، (الوترُ)، الودودُ، الوهَّابُ.	(الواجدُ)، (الوالِي).

١١- جمعُ محمدِ بنِ المرتضَى اليمانِي المعروفِ بابنِ الوزيرِ المتوفَى سنةَ (٨٤٠هـ) في كتابِه إيثار الحقِّ على الخلقِ (ص١٧١-١٧٢):

	الأسماءُ التي وردتْ بصورةِ الاسمِ:	الأسماءُ التي أُخذتْ بالاشتقاقِ أو بالإضافةِ:
أ	اللهُ، الأحدُ، الأعلى، الأعزُّ، الأكبرُ، الأكرمُ، الأولُ، الآخرُ.	الإلهُ، أحسنُ الخالقين، الأحكمُ، أحكمُ الحاكمين، أرحمُ الراحمين، أسرعُ الحاسبين، الأعظمُ، الأعلمُ، الأقربُ، الأقوى، أهلُ التقوى، أهلُ المغفرةِ.
ب	الباسطُ، الباطنُ، البَرُّ، البصيرُ.	البالغُ أمرِه، البديعُ.
ت	التوَّابُ.	
ج	الجبَّارُ.	جاعلُ الليلِ سكنًا، الجامعُ
ح	الحفيظُ، الحقُّ، الحكمُ، الحكيمُ، الحليمُ، الحميدُ، الحيُّ.	الحاسبُ، الحافظُ، الحاكمُ، الحسيبُ، الحفيُّ.
خ	الخالقُ، الخبيرُ، الخلاَّقُ.	خيرُ الحافظين، خيرُ الراحمين، خيرُ الرازقين، خيرُ الغافرين، خيرُ الفاصلين، خيرُ الماكرين، خيرُ المنزلين، خيرُ الناصرين، خيرُ الوارثين.

ذ		ذو انتقامٍ، ذو الجلالِ والإكرامِ، ذو الرحمةِ الواسعةِ، ذو الطوْلِ، ذو العرشِ العظيمِ، ذو الفضلِ العظيمِ، ذو القوةِ المتينُ، ذو المعارجِ
ر	الرازقُ، الربُّ، الرحمنُ، الرحيمُ، الرزَّاقُ الرقيبُ، الرءوفُ.	الرافعُ، الرشيدُ.
ز		الزَّارعُ.
س	السَّلامُ، السَّميعُ.	السَّريعُ.
ش	الشَّاكرُ، الشَّكورُ.	الشَّاهدُ، الشَّهيدُ.
ص	الصَّمدُ.	الصَّادقُ.
ظ	الظَّاهرُ.	
ع	العزيزُ، العظيمُ، العفوُّ، العليمُ، العليُّ.	العالمُ، عدوُّ الكافرين، علامُ الغيوبِ.
غ	الغفَّارُ، الغفُورُ، الغنيُّ.	الغافرُ، الغالبُ على أمرِه.
ف	الفتَّاحُ.	الفاتحُ، الفاطرُ، الفاعلُ، فالقُ الحبِّ والنوى، فالقُ الإصباحِ، الفعالُ لـِمَا يريدُ.

ق	القدُّوسُ، القديرُ، القريبُ، القهارُ، القويُّ، القيُّومُ.	القائمُ على كلِّ نفسٍ بما كسبتْ، القادرُ، القاهرُ.
ك	الكبيرُ، الكريمُ.	الكاتبُ، كاشفُ الضرِّ، الكافِي، الكفيلُ.
ل	اللطيفُ.	
م	المؤمنُ، المبينُ، المتكبِّرُ، المتينُ، المجيبُ، المجيدُ، المستعانُ، المصوِّرُ، المقتدرُ، الملكُ، المليكُ، المهيمنُ.	المالكُ، مالكُ الملكِ، المبتلِي، المبرِمُ، المتمُّ نورِه، المحيطُ، مخرجُ الحيِّ من الميِّتِ، مخرجُ الميِّتِ من الحيِّ، المرسلُ، المستمعُ، المقيتُ، المنتقمُ، المنذرُ، المُنْزِلُ، المنشِئُ. الموسعُ.
ن		الناصرُ، نعمَ القادرُ، نعمَ الماهدُ، نعمَ المولَى، نعمَ النصيرُ، نعمَ الوكيلُ، نورُ السماواتِ والأرضِ.
ه		الهادِي.
و	الواحدُ، الواسعُ، الودودُ، الوليُّ، الوهَّابُ.	الوارثُ، واسعُ المغفرةِ، وليُّ المؤمنين.

١٢- جمعُ ابنِ حجرٍ (٧٧٣-٨٥٢) كما في كتابِه فتح الباري (١١/٢١٩):

	الأسماءُ التي وردتْ بصورةِ الاسمِ	الأسماءُ التي أُخذتْ بالاشتقاقِ أو بالإضافةِ
أ	اللهُ، الأولُ، الآخرُ، الأحدُ، الأعلَى، الأكرمُ.	الإلهُ.
ب	البارئُ، الباطنُ، البَرُّ، البصيرُ.	البديعُ.
ت	التوَّابُ.	
ج	الجبَّارُ.	الجامعُ
ح	الحفيظُ، الحقُّ، الحكمُ، الحكيمُ، الحليمُ، الحميدُ، الحيُّ.	الحسيبُ، الحافظُ، الحفيُّ.
خ	الخالقُ، الخلاَّقُ، الخبيرُ.	
ر	الربُّ، الرَّحمنُ، الرَّحيمُ، الرزَّاقُ، الرقيبُ، الرءوفُ.	الرفيعُ.
س	السَّلامُ، السَّميعُ.	
ش	الشَّاكرُ، الشَّكورُ.	الشَّهيدُ، الشَّديدُ.
ص	الصَّمدُ.	
ظ	الظَّاهرُ.	
ع	العزيزُ، العظيمُ، العليُّ، العليمُ، العفوُّ.	العالمُ.
غ	الغفَّارُ، الغنيُّ، الغفورُ.	الغافرُ، الغالبُ.
ف	الفتَّاحُ.	الفاطرُ.

ق	القدُّوسُ، القديرُ، القريبُ، القهارُ، القيُّومُ، القويُّ.	القائمُ، القادرُ، القاهرُ.
ك	الكبيرُ، الكريمُ.	الكافِي، الكفيلُ.
ل	اللطيفُ.	
م	المؤمنُ، المبينُ، المتعالِ، المتكبرُ، المتينُ، المجيدُ، المجيبُ، المستعانُ، المصوِّرُ، المقتدرُ، الملكُ، المليكُ، المهيمنُ.	المالكُ، المحيطُ، المحيِي، المقيتُ، المنتقمُ، المولَى.
ن		النصيرُ، النافعُ.
ه		الهادِي.
و	الواحدُ، الواسعُ، الودودُ، الوليُّ، الوهَّابُ.	الوارثُ، الوكيلُ.

١٣- جمعُ الشيخِ عبدِ الرحمنِ بنِ ناصرِ بنِ سعدِي المتوفَى سنةَ (١٣٧٦هـ) كما في كتابِه تيسير الكريمِ الرحمنِ في تفسيرِ كلامِ المنانِ (٦/٢٩٨-٣٠٥):

	الأسماءُ التي وردتْ بصورةِ الاسمِ:	الأسماءُ التي أُخذتْ بالاشتقاقِ أو بالإضافةِ:
أ	اللهُ، الأحدُ، الأعلَى، الأولُ، الآخرُ.	
ب	البارئُ، الباسطُ، الباطنُ، البَرُّ، البصيرُ.	بديعُ السماواتِ والأرضِ.
ت	التوَّابُ.	
ج	الجبَّارُ، الجوادُ.	جامعُ الناسِ، الجليلُ.
ح	الحفيظُ، الحقُّ، الحكمُ، الحكيمُ، الحليمُ، الحميدُ، الحيُّ.	الحسيبُ.
خ	الخالقُ، الخبيرُ.	
ذ		ذو الجلالِ والإكرامِ.
ر	الربُّ، الرحمنُ الرحيمُ، الرزَّاقُ، الرقيبُ، الرءوفُ.	الرشيدُ.
س	السَّلامُ، السَّميعُ.	
ش	الشَّاكرُ، الشَّكورُ.	الشَّهيدُ.
ص	الصَّمدُ.	
ظ	الظَّاهرُ.	

ع	العزيزُ، العظيمُ، العفوُّ، العليمُ، العليُّ	العدلُ.
غ	الغفَّارُ، الغفورُ، الغنيُّ.	
ف	الفتَّاحُ.	الفعالُ لما يريدُ.
ق	القابضُ (الباسطُ)، القدُّوسُ، القديرُ، القريبُ، القهَّارُ، القيُّومُ، القويُّ.	
ك	الكبيرُ، الكريمُ.	الكافِي.
ل	اللطيفُ.	
م	المؤمنُ، المتكبِّرُ، المتينُ، المجيبُ، المجيدُ، المصوِّرُ، الملكُ، المهيمنُ.	المالكُ، الذي له الملكُ، المبدئُ، المعيدُ، المحيطُ، المعطِي، المانعُ، المغنِي، المقيتُ
ن		النورُ.
ه		الهادِي.
و	الواحدُ، الواسعُ، الودودُ، الوهَّابُ.	الوكيلُ.

١٤- جمعُ الشيخِ محمدِ بنِ صالحِ بنِ عثيمينَ في كتابِه القواعد المثلَى (ص: ٢١):

	الأسماءُ التي وردتْ بصورةِ الاسمِ:	الأسماءُ التي أُخذتْ بالاشتقاقِ أو بالإضافةِ:
أ	اللهُ، الأحدُ، الأعلَى، الأولُ، الآخرُ، الأكرمُ.	الإلهُ.
ب	البارئُ، الباسطُ، الباطنُ، البَرُّ، البصيرُ.	
ت	التوَّابُ.	
ج	الجبَّارُ، الجميلُ، الجوادُ.	
ح	الحفيظُ، الحقُّ، الحكمُ، الحكيمُ، الحليمُ، الحميدُ، الحيُّ، الحيِيُّ.	الحافظُ، الحسيبُ، الحفيُّ.
خ	الخالقُ، الخبيرُ، الخلاَّقُ.	
ر	الربُّ، الرحمنُ الرحيمُ، الرزَّاقُ، الرفيقُ، الرَّقيبُ، الرَّءوفُ.	
س	السُّبُّوحُ، السَّلامُ، السَّميعُ، السَّيِّدُ.	
ش	الشَّافِي، الشَّاكرُ، الشَّكورُ.	الشَّهيدُ.
ص	الصَّمدُ.	
ط	الطَّيِّبُ.	

ظ	الظَّاهرُ	
ع	العزيزُ، العظيمُ، العفوُّ، العليمُ، العليُّ.	
غ	الغفَّارُ، الغفورُ، الغنيُّ.	
ف	الفتَّاحُ.	
ق	القابضُ (الباسطُ)، القدُّوسُ، القديرُ، القريبُ، القهَّارُ، القيومُ، القويُّ.	القادرُ، القاهرُ.
ك	الكبيرُ، الكريمُ.	
ل	اللطيفُ..	
م	المؤمنُ، المبينُ، المتعالِ، المتكبِّرُ، المتينُ، المجيبُ، المجيدُ، المحسنُ، المصوِّرُ، المقتدرُ، المقدِّمُ، المؤخِّرُ، الملكُ، المليكُ، المنَّانُ، المهيمنُ.	المحيطُ، المعطِي، المقيتُ، المولِى.
ن		النصيرُ.
و	الواحدُ، الواسعُ، الوترُ، الودودُ، الوليُّ، الوهَّابَ.	الوارثُ، الوكيلُ.

حديثُ الأسماءِ المشهورُ والرواياتُ الثلاثةُ التي رُوِيَ بها:

حرف	طريقُ الوليدِ بنِ مسلمٍ:	طريقُ عبد الملكِ بنِ محمدٍ الصنعانيٌّ:	طريقُ عبدِ العزيزِ بنِ الحصينِ الترجمانَ:
أ	اللهُ، الأولُ، الآخرُ.	اللهُ، الأولُ، الآخرُ، الأحدُ، الأبدُ.	اللهُ، الأولُ، الآخرُ، الأحدُ، الأكرمُ، الإلهُ.
ب	البارئُ، البصيرُ، الباطنُ، الباعثُ، الباقِي.	البارئُ، البصيرُ، الباطنُ، الباعثُ، الباقِي، الباسطُ، البارُّ، البرهانُ.	البارئُ، البصيرُ، الباطنُ، الباعثُ، البديعُ، الباقِي، البادئُ
ج	الجبَّارُ، الجليلُ، الجامعُ.	الجبَّارُ، الجليلُ، الجامعُ، الجميلُ.	الجبَّارُ، الجليلُ، الجميلُ.
ح	الحليمُ، الحيُّ، الحفيظُ، الحقُّ، الحميدُ، الحكيمُ، الحكمُ، الحسيبُ.	الحليمُ، الحيُّ، الحافظُ، الحقُّ، الحكيمُ.	الحليمُ، الحيُّ، الحافظُ، الحقُّ، الحميدُ، الحنَّانُ.
خ	الخالقُ، الخبيرُ، الخافضُ (الرافعُ).	الخالقُ، الخبيرُ، الخافضُ (الرافعُ).	الخالقُ، الخبيرُ، الخلاَّقُ.
د		الدائمُ.	الدائمُ.
ذ	ذو الجلالِ والإكرامِ.	ذو القوةِ.	ذو الجلالِ والإكرامِ، ذو الطوْلِ، ذو المعارجِ، ذو الفضلِ.
ر	الرحمنُ، الرحيمُ،	الرحمنُ، الرحيمُ،	الرحمنُ، الرحيمُ،

	الرزَّاقُ، الرافعُ، الرءوفُ، الرشيدُ، الرقيبُ.	الرزَّاقُ، الرافعُ، الرءوفُ، الراشدُ، الربُّ.	الرزَّاقُ، الرفيعُ، الرءوفُ، الرقيبُ، الربُّ.
س	السَّلامُ، السَّميعُ.	السَّلامُ، السَّميعُ، السَّامعُ.	السَّلامُ، السَّميعُ.
ش	الشَّكورُ، الشَّهيدُ.	الشَّكورُ، الشَّهيدُ، الشَّديدُ.	الشَّكورُ، الشَّهيدُ، الشَّاكرُ.
ص	الصَّمدُ، الصَّبورُ.	الصَّمدُ، الصَّادقُ.	الصَّمدُ، الصَّادقُ.
ض	الضَّارُّ (النافعُ).	الضَّارُّ (النافعُ).	
ظ	الظَّاهرُ.	الظَّاهرُ.	الظَّاهرُ.
ع	العزيزُ، العليمُ، العظيمُ، العليُّ، العدلُ	العزيزُ، العليمُ، العظيمُ، العليُّ، العفوُّ، العالمُ	العزيزُ، العليمُ، العظيمُ، العليُّ، العفوُّ، العلاَّمُ.
غ	الغفُورُ، الغنيُّ، الغفَّارُ	الغفُورُ، الغنيُّ.	الغفُورُ، الغنيُّ، الغفَّارُ.
ف	الفتَّاحُ.		الفتَّاحُ، الفاطرُ.
ق	القيُّومُ، القادرُ، القهَّارُ، القويُّ، القابضُ، القدُّوسُ.	القيُّومُ، القادرُ، القاهرُ، القويُّ، القابضُ، القريبُ، القديمُ، القائمُ.	القيُّومُ، القادرُ، القاهرُ، القدُّوسُ، القريبُ، القديمُ، القديرُ.
ك	الكريمُ، الكبيرُ.	الكريمُ، الكافِي.	الكريمُ، الكبيرُ،

			الكافِي، الكفيلُ.
ل	اللطيفُ.	اللطيفُ.	اللطيفُ.
م	الملكُ، المؤمنُ، المهيمنُ، المتكبِّرُ، المصوِّرُ، المجيبُ، المجيدُ، المبدئُ، المعيدُ، المحيِي، المميتُ، المعزُّ المذلُّ، الماجدُ، المتينُ، المانعُ، المتعالِي، المنتقمُ، المقسطُ، المغنِي، مالكُ الملكُ، المقتدرُ، المقدِّمُ، المؤخِّرُ، المُقيتُ، المُحصِي.	الملكُ، المؤمنُ، المهيمنُ، المتكبِّرُ، المصوِّرُ، المجيبُ، المجيدُ، المبدئُ، المعيدُ، المحيِي، المميتُ، المعزُّ المذلُّ، الماجدُ، المتينُ، المعطي المانعُ، المبينُ، المقسطُ، المنيرُ، المتعالِ.	الملكُ، المؤمنُ، المهيمنُ، المتكبِّرُ، المصوِّرُ، المجيبُ، المجيدُ، المبدئُ، المعيدُ، المحيِي، المميتُ، المتينُ، المتعالِي، المولَي، المليكُ، المغيثُ، المقتدرُ، المدبِّرُ، المالكُ، المنَّانُ، المحيطُ.
ن	النورُ، النافعُ.	النورُ، النافعُ، الناظرُ.	النورُ، النصيرُ.
ه	الهادِي	الهادِي.	الهادِي.
و	الوكيلُ، الواحدُ الوهَّابُ، الودودُ، الوارثُ، الوليُّ، الوالِي، الواسعُ، الواجدُ.	الوكيلُ، الواحدُ الوهَّابُ، الودودُ، الوارثُ، الوليُّ، الوالِي، الوترُ، الواجدُ، الواقِي.	الوكيلُ، الواحدُ الوهَّابُ، الودودُ، الواسعُ، الوترُ.

المبحثُ الثالثُ: مناهجُ العلماءِ في جمعِ أسماءِ اللّهِ الحسنَى:

قدَّمْنَا الأدلةَ على أنَّ أسماءَ اللّهِ الحسنَى غيرُ محصورةٍ في عددٍ، وأنَّه لم يصحَّ حديثٌ عن رسولِ اللهِ ﷺ في تعيينِها، فاجتهدَ العلماءُ من السلفِ والخلفِ في جمعِ أسماءِ اللهِ الحسنَى، ووقعَ خلافٌ بينهم في الطرقِ التي سارُوا عليها في جمعِ الأسماءِ الحسنَى على أربعةِ مناهجَ [(١)]:

المنهج الأول: من اعتمدَ العدّ الواردَ في روايةِ الوليدِ بنِ مسلمٍ:

من هؤلاءِ بعضُ المحدَثين كالحاكمِ وابنِ حبانَ، وكذلكَ غالبُ شرّاحِ الأسماءِ الحسنَى حيثُ عوَّلوا في شروحِهم على ذلك العدِّ.

قال ابنُ الوزيرِ رحمه الله: وأهلُ هذا القسمِ هم ما بينَ معتقدٍ لصحةِ حديثِ الأسماءِ، أو مقلدٍ لمن صحَّحَ ومستأنسٍ بمتابعةِ الأكثرِ على القبولِ[(٢)].

المعترضُون على هذا المنهجِ:

من أهلِ العلمِ من اعترضَ على الاعتمادِ في عدِّ أسماءِ اللّهِ الحسنَى على حديثِ الوليدِ بنِ مسلمٍ الذي أخرجَه الترمذيُّ وغيرُه.

قال شيخُ الإسلامِ رحمه الله في معرضِ ردهِ على من قال: لا يجوزُ الدعاءُ إلا بالتسعة والتسعين اسمًا: إن جمهورَ العلماءِ على خلافِه، وعلى ذلك مضَى

---

(١) هذا التقسيم ملتقط من معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى (ص: ٨٤-١٢٧) باختصار وتصرف.

(٢) العواصم والقواصم (٧/٢٠٧).

سلفُ الأمَّةِ وأئمتُها، وهو الصوابُ لوجوهٍ:

أحدها: أنَّ التسعةَ والتسعين اسمًا لم يردْ في تعيينِها حديثٌ صحيحٌ عن النبيِّ ﷺ وأشهرُ ما عندَ الناسِ فيها حديثُ الترمذيِّ الذي رواه الوليدُ بنُ مسلمٍ عن أبي حمزةَ وحفاظُ أهلِ الحديثِ يقولون: هذه الزيادةُ ممَّا جمعَه الوليدُ بنُ مسلمٍ عن شيوخِه من أهلِ الحديثِ، وفيها حديثٌ ثانٍ أضعفُ من هذا، رواهُ ابنُ ماجه [(١)]، وقد رُوِيَ في عددها غيرُ هذين النوعين من جمعِ بعضِ السلفِ.

وهذا القائلُ الذي حصرَ أسماءَ اللهِ في تسعةٍ وتسعين، لم يمكنْه استخراجُها من القرآنِ، وإذا لم يقمْ على تعيينِها دليلٌ يجبُ القولُ به لم يمكنْ أن يقالَ: هي التي يجوزُ الدعاءُ بها دونَ غيرِها، لأنَّه لا سبيلَ إلى تمييزِ المأمورِ من المحظورِ، فكلُّ اسمٍ يُجهَلُ حالُه يمكنُ أنْ يكونَ من المأمورِ، ويمكنُ أنْ يكونَ من المحظورِ، وإنْ قيلَ: لا تدعُوا إلا باسمٍ له ذكرٌ في الكتابِ والسُّنَّةِ، قيل: هذا أكثرُ من تسعةٍ وتسعين.

الوجه الثاني: أنَّه إذا قيلَ تعيينُها على ما في حديثِ الترمذيِّ مثلاً، ففي الكتابِ والسُّنَّةِ أسماءٌ ليست في ذلك الحديثِ، مثلُ اسمِ "الربِّ" فإنَّه ليس في حديثِ الترمذيِّ، وأكثرُ الدعاءِ المشروعِ إنَّما هو بهذا الاسمِ، كقولِ آدمَ: ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا ﴾ [هود: ٤٧].. وأمثالِ ذلك.. وكذلك اسمُ "المنَّانِ" ففي الحديثِ الذي رواهُ أهلُ السُّننِ؛ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَمِعَ داعِيًا يَدْعو: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بَأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ لا إِلَهَ إِلّا أَنْتَ، يا مَنّانُ يا بَديعَ السَّماواتِ

---

(١) ضعيف: رواه ابن ماجه (٢٨٦١).

والْأَرْضِ يا ذا الْجَلالِ وَالْإِكْرامِ. فَقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: لَقَدْ دَعا اللهَ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ الّذي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجابَ وإذا سُئِلَ بِهِ أَعْطى»[(١)].

وهذا ردٌّ لقولِ من زعمَ أنَّه لا يمكنُ في أسمائِه.

وقد قال الإمامُ أحمدُ رحمه الله لرجلٍ ودَّعَه، قل: يا دليلَ الحائرين دلَّني على طريقِ الصادقين، واجعلني من عبادِك الصالحين. وقد أنكرَ طائفةٌ من أهلِ الكلامِ: كالقاضِي أبي بكرٍ[(٢)]، وأبي الوفاءِ بنِ عقيلٍ[(٣)] أن يكونَ من

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٤٤)، من طريق سعيد بن زربي، عن عاصم الأحول، وثابت عن أنس.

وأخرجه أحمد (٣/٢٦٥) من طريق محمد بن إسحاق، عن عبد العزيز بن مسلم، عن إبراهيم بن عبيد بن رفاعة عن أنس.

وأخرجه أبو داود (١٤٩٥)، والنسائي (٣/٥٢)، وأحمد (٣/١٥٣، ٢٤٥)، وابن حبان في موارد الظمآن (٢٣٨٢)، والبخاري في الأدب المفرد (٧٠٥)، وابن أبي شيبة (١/٢٧٢٠)، وصححه الألباني في الصحيحة (٣٤١١)، والحاكم (١/٦٨٣) من طرق عن خلف بن خليفة، قال: حدثنا حفص بن عمر عن أنس.

وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم.

(٢) هو: القاضي أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر وكنيته أبو بكر، كان من أكبر علماء الكلام وله كتاب "إعجاز القرآن" وكتب أخرى فريدة ومفيدة. ولد سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة وتوفي سنة ثلاث وأربعمائة من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية.

هداية القاري إلى تجويد كلام الباري (٢/٧٠٨)، الأعلام للزركلي (٧/٤٦).

(٣) هو: علي بن عقيل بن محمد بن عقيل بن أحمد البغدادي الظفري، المقرئ الفقيه، الأصولي، الواعظ المتكلم، أبو الوفاء، أحد الأئمة الأعلام، وشيح الإسلام. ولد سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة في جمادى الآخرة. اشتغل بمذهب المعتزلة في حداثته. وكان يعظم الحلاج، فأراد الحنابلة قتله، فهرب فترة. ثم أظهر التوبة وكتب براءته من مخالفة =

أسمائِه الدليلُ، لأنَّهم ظنُّوا أنَّ الدليلَ هو الدلالةُ التي يُستدَلُ بها، والصوابُ ما عليه الجمهورُ، لأنَّ الدليلَ في الأصلِ هو المُعَرِّفُ للمدلولِ، ولو كان الدليلُ ما يستدَلُّ به، فالعبدُ يستدلُّ به – أيضًا – فهو دليلٌ من الوجهين جميعًا

وأيضًا، فقد ثبتَ في الصحيحِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قالَ: «**إنَّ اللهَ وِتْرٌ، يُحبُّ الوِتْرَ**»[(١)] وليس هذا في هذه التسعةِ والتسعين، وثبتَ عنه في الصحيحِ قَوْلُهُ: «**إنَّ اللهَ جَميلٌ يُحبُّ الجَمَالَ**»[(٢)] وليس هو فيها... وتتبُّعُ هذا يطولُ... ثم ساقَ روايةَ الوليدِ بنِ مسلم فقال: ومن أسمائِه التي ليستْ في هذه التسعةِ و التسعين، اسمُه: السُّبُّوحُ. وفي الحديثِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّه كانَ يَقولُ: «**سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ**»[(٣)]. واسمه: «**الشَّافِي**»، كما ثبتَ في الصحيحِ؛ أَنَّهُ كانَ يَقولُ: «**أَذْهِبِ الْبَاسَ، رَبَّ النَّاسِ، وَاشْفِ أَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا**»[(٤)]. وكذلك أسماؤُه المضافةُ مثل: أرحمِ الراحمين، وخيرِ الغافرين، وربِّ العالمين، ومالكِ يومِ الدينِ، وأحسنِ الخالقين، وجامعِ الناسِ ليومٍ لا ريبَ فيه، ومقلبِ القلوبِ، وغيرِ ذلك مما =

أهل السنة. وكان فقيها مبرزا، مناظرا، جدلا، كثير المحفوظ، دقيق المعاني. وصنف كتبا كثيرة في الأصول والمذهب والخلاف، وجمع كتابا سماه «الفنون» يشتمل على ثلاثمائة مجلد أو أكثر. توفي سنة ثلاث عشرة وخمسمائة للهجرة. ذيل طبقات الحنابلة (٣١٦/١)، تاريخ الإسلام (٢٠٣/١١).

(١) أخرجه البخاري (٦٤١٠) ومسلم (٢٦٧٧).

(٢) أخرجه مسلم (١٤٧-٩١).

(٣) أخرجه مسلم (٤٨٧).

(٤) أخرجه البخاري (٥٧٤٣) ومسلم (٢١٩١).

ثبتَ في الكتابِ والسُّنَّةِ، وثبتَ في الدعاءِ بها بإجماعِ المسلمين، وليس من هذه التسعةِ والتسعين.

الوجه الثالث: ما احتجَّ به الخطابيُّ وغيرُه، وهو حديثُ ابنِ مسعودٍ عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ**... وساقَ الحديثَ»(١) كما تقدَّمَ (٢).

قال ابنُ الوزيرِ اليمانيُّ رحمه الله: تميزُ التسعةِ والتسعين يحتاجُ إلى نصٍّ متفقٍ على صحتِه، أو توقيفٍ ربانيٍّ، وقد عُدمَ النصُّ المتفقُ على صحتِه في تعيينِها، فينبغِي في تعيينِ ما تعيَّنَ منها الرجوعُ إلى ما وردَ في كتابِ اللهِ بنصِّه أو ما وردَ في المتفقِ على صحتِه من الحديثِ(٣).

المنهج الثاني: من اقتصرَ على ما وردَ إطلاقُه من الأسماءِ في النصوصِ، ويستبعدون ما يؤخذُ بالإضافةِ أو الاشتقاقِ:

كاسمِ اللهِ تعالى: اللهِ، الرحمنِ، الرحيمِ، الملكِ، القدوسِ، وغيرِ ذلك من الأسماءِ التي وردتْ بصورةِ الاسمِ، وقد تقدَّمَ بيانُ ذلك (٤).

هذا منهجُ ابنِ حزمٍ في عدِّ أسماءِ اللهِ تعالى، وقد انفردَ بهذا المنهجِ ولم يوافقْ عليه أحدٌ من أهلِ العلمِ، فمن نظرِ في جمعِ العلماءِ الذي قدمْنَاه وجدَ أنَّهم جميعا يأخذون بطريقِ الاشتقاقِ أو بالإضافةِ مع ما وردَ بصورةِ

---

(١) تقدم تخريجه – المبحث الأول – الأصل الثالث: في معرض كلام الخطابي.

(٢) مجموع الفتاوى (٢٢/ ٤٨٢-٤٨٦) باختصار.

(٣) العواصم من القواصم (٧/٢٢٨).

(٤) راجع جمع العلماء لأسماء الله الحسنى – المبحث الثاني.

الاسمِ.

قال ابنُ حجرٍ رحمه الله في معرضِ كلامِه عن جمعِ ابنِ حزمٍ للأسماءِ: فإنه اقتصرَ على ما وردَ فيه بصورةِ الاسمِ، لا ما يؤخذُ من الاشتقاقِ "كالباقِي" من قوله: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ [الرحمن: ٢٧]، ولا ما وردَ مضافًا "كالبديعِ" من قولِه تعالى: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الأنعام: ١٠١]، وسأبيِّنُ الأسماءَ التي اقتصرَ عليها قريبًا(١).

قال ابنُ العربيِّ المالكيُّ رحمه الله: قال سخيفٌ من جملةِ المغاربةِ (يعني ابنَ حزمٍ – رحمَه اللهُ تعالى–): عددتُ أسماءَ اللهِ فوجدتُها ثمانين، وجعل يعدِّدُ الصفاتِ النحويةَ، ويا ليتنِي أدركتُه، فلقد كانتْ فيه حُشَاشةٌ(٢) لو تفاوضتُ معه في الحقائقِ لا بد من قبولِه، واللهُ أعلمُ... إلى أنْ قال: «والعالِمُ" عندَنا اسمٌ، كزيدٍ اسمٌ وأحدُهما يدلُّ على الوجودِ، والآخرُ يدلُّ على الوجودِ ومعنًى معه زائدٌ عليه.

والذي يعضِّدُ ذلك أنَّ الصحابةَ وعلماءَ الإسلامِ حين عدَّدوا الأسماءَ ذكروا المشتقَ والمضافَ والمطلقَ في مساقٍ واحدٍ(٣).

المنهج الثالث: المتوسعون في عدِّ أسماءِ اللهِ الحسنَى:

هؤلاءِ أطلقُوا على اللهِ أسماءً لا تدخلُ في هذا البابِ، فأدخلوا في عدِّهم للأسماءِ ما لا يصحُّ إطلاقُه اسمًا، وإنْ كان له أصلٌ في بابِ الصفاتِ

---

(١) الفتح (١١/ ٢٢٠).

(٢) الحشاشة: روح القلب، ورمق حياة النفس – اللسان (٢/ ٤٥٩).

(٣) أحكام القرآن (٢/ ٣٦٧ – ٣٦٨) باختصار.

أو بابِ الإخبارِ، كالفاتنِ، والمنتقمِ، والمبغضِ، والمبلِي (١)، وغيرِ ذلك من الأسماءِ التي لا تصحُّ أنْ تطلقَ اسمًا للهِ تعالى.

لأنَّ اللهَ سبحانه وتعالى له الأسماءُ الحسنَى وأمرَ عبادَه الدعاءَ بها، فلا يجوزُ أنْ يطلقَ على اللهِ ﷻ اسمٌ ليسَ بحسنٍ أو اسمٌ يحملُ كمالًا ونقصًا، قال جلَّ ذكرُه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠] وقد بيَّنا معنَى "الحسنَى".

قال ابنُ القيمِ رحمه الله: إنَّ الصفةَ إذا كانتْ منقسمةً إلى كمالٍ ونقص لم تدخلْ بمطلقِها في أسمائِه، بل يُطلَقُ عليه منها كمالُها، وهذا كالمريدِ، والفاعلِ، والصانعِ، فإنَّ هذه الألفاظَ لا تدخلُ في أسمائِه، ولهذا غلطَ من سمَّاه بالصانعِ عندَ الإطلاقِ، بل هو الفعَّالُ لما يريدُ، فإنَّ الإرادةَ والفعلَ والصنعَ منقسمةٌ، ولهذا إنَّما أطلقَ على نفسِه من ذلك أكملَه فعلاً وخبرًا.

وأنَّه لا يلزمُ من الإخبارِ عنه بالفعلِ مقيَّدًا أن يُشتَقَّ له منه اسمٌ مطلقٌ، كما غلطَ فيه بعضُ المتأخرين، فجعلَ من أسمائِه الحسنَى – المُضِلَّ، والفاتنَ، والماكرَ – تعالى اللهُ عن قولِه (٢).

وقال في موضعٍ آخرَ: إنَّ اللهَ لم يصفْ نفسَه بالكبرِ والمكرِ، والخداعِ والاستهزاءِ مطلقًا، ولا ذلك داخلٌ في أسمائِه الحسنَى ومن ظنَّ من جهَّالِ المصنفين في شرحِ الأسماءِ الحسنَى أنَّ من أسمائِه، الماكرَ، والمخادعَ، والمستهزئَ، فقد فَاهَ بأمرٍ عظيمٍ تقشعرُّ منه الجلودُ وتكادُ الأسماعُ تصمُّ عندَ سماعِه، وغرَّ هذا الجاهلَ أنَّه سبحانه وتعالى أطلقَ على نفسِه هذه الأفعالَ،

---

(١) راجع جمع ابن العربي المتقدم – المبحث الثاني.

(٢) بدائع الفوائد (١/١٤٦).

فاشتقَّ له منها أسماءً، وأسماؤه كلها حسنَى فأدخلَها في الأسماءِ الحسنَى وقرنَها بالرحيمِ، الودودِ، الحكيمِ، الكريمِ، وهذا جهلٌ عظيمٌ.

فإنَّ هذه الأفعالَ ليست ممدوحةً مطلقًا، بل تمدحُ في مواضعَ وتذمُّ في مواضعَ، فلا يجوزُ إطلاقُ أفعالِها على اللهِ تعالى مطلقًا، فلا يقالُ: إنَّه تعالى يمكرُ، ويخادعُ، ويستهزئُ ويسمَّى بها، بل إذا كان لم يأتِ في أسمائِه الحسنَى المريدُ والمتكلمُ ولا الفاعلُ ولا الصانعُ لأنَّ مسمياتِها تنقسمُ إلى ممدوحٍ ومذمومٍ، وإنَّما يوصفُ بالأنواعِ المحمودةِ منها، كالحليمِ والحكيمِ والعزيزِ والفعالِ لما يريدُ، فكيف يكون منها الماكرُ والمخادعُ والمستهزئ (١).

قال الحكميُّ رحمه الله بعدَ أنْ نقلَ كلامَ ابنِ القيمِ المتقدمِ: ومن هنا يتبيَّنُ لك ما ذكرَنا من النظرِ في بعضِ ما عدَّه ابنُ العربيِّ المالكيِّ، فإنَّ الفاعلَ والزارعَ إذا أُطلقَا بدونِ متعلِّقٍ ولا سياقٍ يدلُّ على وصفِ كمالٍ فيهما فلا يفيدانِ مدحًا، أمَّا سياقُها في الآياتِ التي ذُكرتْ فيها فهي صفاتُ كمالٍ ومدحٍ، وتوحيدٍ كما قال تعالى: ﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَـٰعِلِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] وقال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾ [الواقعة: ٦٤] الآيات، بخلافِ إذا عُدَّتْ مجردةً عن متعلقاتِها وما سيقتْ فيه وله، وأكبرُ مصيبةٍ أنْ عُدَّ في الأسماءِ "رابعُ ثلاثةٍ، وسادسُ خمسةٍ" مصرِحًا قبلَ ذلك بقولِه في سورةِ المجادلةِ اسمان فذكرَهما، وهذا خطأٌ فاحشٌ (٢). انتهى.

---

(١) مدارج السالكين (٣/٤١٥).

(٢) معارج القبول (١/١١٩).

وأصحابُ هذا المنهج يرَوْنَ الأسماءَ جميعَها مشتقةً، وما منها اسمٌ إلا هو مشتقٌّ (١) ولذلك أدخلُوا مع المطلقِ من الأسماءِ المشتقَّ من الصفاتِ والأفعالِ، وكذلك الأسماءُ المضافةُ.

والخطأُ الذي وقعُوا فيه ليسَ أنَّهم اشتقُّوا من الصفاتِ والأفعالِ أسماءَ اللهِ، ولا لأنَّهم أدخلوا الأسماءَ المضافةَ في أسماءِ اللهِ تعالى فهذا حقٌّ عندَ جماهيرِ العلماءِ كمَا هو ظاهرٌ في جمعِهم لأسماءِ اللهِ، ولكنَّ الخطأَ الذي وقعوا فيه هو عدمُ وضعِ ضابطٍ للمشتقِّ من الصفاتِ أو الأفعالِ، فأدخلوا في أسماءِ اللهِ ما يصحُّ وما لا يصحُّ، ومن المعلومِ أنَّ أسماءَ اللهِ تعالى حسنَى ولا يجوزُ أنْ يكونَ فيها ما ليس بحسنٍ.

قال شيخُ الإسلامِ رحمه الله: الأسماءُ الحسنَى المعروفةُ هي التي يُدعَى اللهُ بها، كالأسماءِ الحسنَى التي جاءتْ في الكتابِ والسُّنَّةِ، وهي التي تقتضِي المدحَ والثناءَ بنفسِها، والعلمُ والقدرةُ والرحمةُ ونحوُ ذلك، وهي في نفسِها صفاتُ مدحٍ، والأسماءُ الدالةُ عليها أسماءُ مدحٍ (٢).

المنهج الرابع: **منهجُ المتوسطين**:

وهو المنهجُ الوسطُ بينَ طرفَيْ النقيضِ، فأصحابُ هذا المنهجِ لم يحجرُوا تحجيرَ ابنِ حزمٍ الذي اقتصرَ على المطلقِ من الأسماءِ واستبعدَ المشتقَّ والمضافَ، ولا هم كذلك توسعُوا توسعَ الذين أدخلُوا في هذا البابِ ما ليس منه وخلطُوا بينَ الأبوابِ الثلاثةِ – بابِ الأسماءِ وبابِ

(١) راجع أحكام القرآن (٢/٣٦٨) لابن العربي المالكي.

(٢) العقيدة الأصفهانية (ص: ٧٣).

الصفاتِ وبابِ الإخبارِ (١) – ولم يحفظُوا لهذا البابِ خصوصيتَه، فبابُ الأسماءِ هو أخصُّ الأبوابِ الثلاثةِ.

ولذلكَ راعَى أهلُ هذا المنهجِ هذه الخاصيةَ، واشترطُوا لصحةِ الإطلاقِ أنْ يكونَ الاسمُ في حالِ إطلاقِه مقتضيًا للمدحِ والثناءِ بنفسِه، ولذلك أخذُوا أسماءً بطريقِ الاشتقاقِ والإضافةِ، وبما أنَّ الأسماءَ جميعَها مشتقةٌ من الصفاتِ (٢)، فإنَّ من شرطِ إطلاقِ الاسمِ من الصفةِ، أنْ تكونَ الصفةُ في حالِ إطلاقِها غيرَ منقسمةٍ إلى كمالٍ ونقصٍ، أو مدحٍ وذمٍ، أو خيرٍ وشرٍ، فلا بدَ في حالِ إطلاقِها أنْ تكونَ مدحًا مطلقًا.

فليس كلُّ الصفاتِ تدلُّ في حالِ إطلاقِها على ما يُحمَدُ به الربُّ ويمدحُ، فالكلامُ، والإرادةُ، والاستواءُ، والنزولُ، صفاتٌ ولكنْ لا يشتقُّ منها الأسماءُ لعدمِ اقتضائِها المدحَ والثناءَ في حالِ إطلاقِها.

وهذا المنهجُ ناصَرَه وعاضَدَه أكثرُ العلماءِ الذين اهتمُّوا بجمعِ الأسماءِ الحسنَى، وبخاصةٍ المتقدمون منهم، وذلك واضحٌ في جمعِهم الذي ذكرْنَاه.

وقد وقعَ بعضُ الخلافِ بينَ أصحابِ هذا المنهجِ، وسنذكرُ سببَ الخلافِ.

مطلبٌ: أسبابُ اختلافِ العلماءِ في أسماءِ اللّهِ الحسنَى:

قد يقولُ قائلٌ قد قدمتم الأدلةَ على أنَّ أسماءَ اللهِ تعالى توقيفيةٌ، لا

---

(١) لمزيد من الإيضاح انظر مبحث الصفات والإخبار عن الله – الباب الرابع.

(٢) قال ابن القيم: فمن المعلوم أن أسماء الله الحسنى كلها مشتقة، فكل اسم من أسمائه مشتق، إما من صفة من صفاته أو فعل قائم به – شفاء العليل (ص: ٢٧١).

مجالَ للاجتهادِ والعقلِ فيها، ولكنْ تؤخذُ من الكتابِ والسُّنَّةِ الصحيحةِ، إذًا لماذا اختلفَ العلماءُ في عدِّ الأسماءِ الحسنَى؟

سببُ اختلافِ العلماءِ هو تحديدُ ضابطِ الاسمِ، فقد جاءَ في القرآنِ أسماءٌ وصفاتٌ للهِ، منها ما يصحُّ أنْ يُطلقَ اسمًا للهِ أو يشتقَّ منه اسمٌ، ومنها ما لا يصحُّ، فوقعَ الاختلافُ بسببِ تحديدِ ضابطِ الاسمِ، لا في أنَّها توقيفيةٌ أو لا، فجماهيرُ العلماءِ على أنَّ أسماءَ اللهِ توقيفيةٌ، وبالنظرِ في الأسماءِ الحسنَى التي قامَ بجمعِها العلماءُ والمناهجِ التي سارُوا عليها في جمعِ الأسماءِ، يتبينُ لنَا أنَّ أسبابَ الخلافِ الآتي:

السببُ الأولُ: هل أسماءُ اللهِ تعالى هي فقطْ التي جاءتْ في الكتابِ أو السُّنَّةِ بصورةِ الاسمِ – مثل، اللهِ – الرحمنِ، الرحيمِ، الملكِ، القدوسِ وغيرِ ذلك – دونَ المشتقِّ أو المضافِ؟

منهجُ ابنِ حزمٍ الاقتصارُ على المطلقِ من الأسماءِ دونَ المشتقِّ أو المضافِ، والجمهورُ على خلافِ ذلك [١].

الثاني: هل يشتقُّ من الفعلِ اسمٌ للهِ؟

قال تعالى: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧] فهل يقالُ "الباقي" من أسماءِ اللهِ أو لا؟ وقال جلَّ ذكرُه: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ [الفاتحة: ٧]، فهل يشتقُّ من أنعمتَ اسمًا للهِ؛ فيقالُ "المنعمُ" من أسماءِ اللهِ؟ وهكذا...

---

(١) راجع المبحث الثالث من هذا الباب.

الثالث: هل يشتقُّ من المضافِ اسمٌ للهِ؟

قال جلَّ وعلا: ﴿ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧]، فهل يقالُ "الجليلُ" من أسماءِ اللهِ، فهو لم يأتِ بصورةِ الاسمِ إنَّما وردَ مضافًا، وقولُه تعالى: ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ﴾ [آل عمران: ٩]، فمن العلماءِ من قالَ "الجامعُ" من أسماءِ اللهِ، ولم يردْ بصورةِ الاسمِ إنَّما اشْتُقَّ من المضافِ، وكذلك "العالِمُ" لم يُرَ إطلاقُه كاسمٍ إنَّما وردَ مضافًا في قولِه: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ [الزمر: ٤٦]، وكذلك اسمُ "فاطر" أُخِذَ بالاشتقاقِ من المضافِ في قولِه: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر: ١] إلى غيرِ ذلك من الأسماءِ التي لم تردْ بصورةِ الاسمِ إنَّما اشتُقَّتْ من المضافِ وعدَّها بعضُ أهلِ العلمِ من أسماءِ اللهِ كما هو واضحٌ في جمعِهم لأسماءِ اللهِ المتقدمِ.

الرابع: الأسماءُ المضافةُ هل تعدُّ من أسماءِ اللهِ تعالى أو لا؟

أمثلةُ ذلك: «أحسنُ الخالقين" جاءَ في قولِه تعالى: ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ [المؤمنون: ١٤]، "أحكمُ الحاكمين" جاءَ في قولِه: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ [التين: ٨].

"أرحمُ الراحمين" جاء في قولِه: ﴿ وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٥١].

"ذو الجلالِ والإكرامِ" في قولِه: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧].

قال ابنُ تيميةَ ؒ في معرضِ كلامِه في أسماءِ اللهِ تعالى: وكذلك أسماؤُه المضافةُ مثلُ: أرحمِ الراحمين، خيرِ الغافرين، وربِّ العالمين، ومالكِ يومِ الدينِ، وأحسنِ الخالقين، وجامعِ الناسِ ليومٍ لا ريبَ فيه،

ومقلبِ القلوبِ، وغيرِ ذلك مما ثبتَ في الكتابِ والسُّنَّةِ، وثبتَ في الدعاءِ بها بإجماعِ المسلمين [١].

الخامس: الأسماءُ المقيدةُ هل هي من أسماءِ اللهِ؟

اختلفَ العلماءُ في ذلك أيضًا:

أمثلةٌ للأسماءِ المقيدةِ التي عدَّها بعضُ العلماءِ من أسماءِ اللهِ تعالى «الحفيظُ»، قال سبحانه: ﴿ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴾ لم يردْ إطلاقُه، وإنَّما وردَ مقيدًا كما في الآيةِ.

«الحَفِيُّ»، قال جلَّ ثناؤه: ﴿ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴾ [مريم: ٤٧]، وردَ مقيدًا.

"الحسيبُ" قال جلَّ ذكرُه: ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴾ [النساء: ٦] لم يردْ إطلاقُه إنَّما وردَ مقيدًا كما في الآيةِ، وغيرُ ذلك من الأسماءِ التي عدَّها فريقٌ من أهلِ العلمِ من أسماءِ اللهِ، وقد جاءتْ مقيدةً ولم تأتِ بصورةِ الاسمِ.

السادس: هل يشتقُّ من كلِّ صفةٍ من صفاتِ اللهِ تعالى اسمٌ له؟

جماهيرُ العلماءِ على أنَّ الصفةَ إن كانت عندَ الإطلاقِ تحملُ كمالاً من وجهٍ وتحملُ نقصًا من وجهٍ آخرَ، لا يجوزُ أنَّ يُشتقَّ منها اسمٌ للهِ لأنَّه سبحانه له الأسماءُ الحسنَى.

مثالُ ذلك: قال تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ

(١) مجموع الفتاوى (٢٢/٤٨٥).

ٱلۡمَـٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣]، فلا يقالُ أنَّ من أسماءِ اللهِ "الماكرَ" أمَّا الصفةُ إنْ كانت كمالاً ومدحًا وثناءً عندَ الإطلاقِ فيجوزُ أنْ يُشتقَّ منها اسمٌ للهِ، والعلماءُ في ذلك كلِّه بينَ مقلٍّ ومكثرٍ، وقد تقدمَ بيانُ ذلك [(١)].

السابع: ورودُ الاسمِ في حديثٍ مختلَفٍ في تصحيحِه:

ويترتبُ على ذلك اختلافُ العلماءِ في ثبوتِ الاسمِ، فمن صحَّ عندَه الحديثُ أثبتَ الاسمَ، ومن لم يصحَّ عندَه الحديثُ ردَّ الاسمَ ولم يعدَّه من الأسماءِ.

مثال ذلك: قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ نَظِيفٌ يُحِبُّ النَّظَافَةَ** »[(٢)] فمنْ ثبتَ عندَه الحديثُ، عدَّ "النظيفَ" من أسماءِ اللهِ كما هو ثابتٌ عندَ ابنِ تيميةَ[(٣)]، ومن ضعَّفَ الحديثَ قال: «"النظيفُ" ليس من أسماءِ اللهِ... وهكذا في الأحاديثِ التي جاءَ فيها أسماءُ اللهِ.

بعدَ بيانِ أوجهِ الخلافِ بينَ العلماءِ في تحديدِ ضابطِ الاسمِ، يتبيَّنُ لنا أنَّه ليس لأحدٍ أنْ يدَّعيَ أنَّ جمعَ أسماءِ اللهِ الحسنَى لعالمٍ معينٍ هو الصحيحُ وما دونَه باطلٌ، فهذه دعوَى بلا دليلٍ، فالأسماءُ توقيفيةٌ وضوابطُها

---

(١) انظر المبحث الثالث: مناهج العلماء في جمع أسماء الله الحسنى – المنهج الثاني.

(٢) ضعيف: أخرجه الترمذي (٢٧٩٩)، وغيره ومداره على خالد بن إياس، عن عامر ابن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه مرفوعًا.
وذكره ابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/٢٢٤) وقال: هذا حديث لا يصح؛ قال يحيى: خالد بن إلياس ليس بشيء، ولا يكتب حديثه. وقال ابن حبان: "يروي الموضوعات عن الثقات لا يحل كتب حديثه إلا على التعجب.

(٣) راجع الفتاوى (٢٢/٤٨٤).

اجتهاديةٌ، وهذا ظاهرٌ في جمعِ العلماءِ لأسماءِ اللهِ كما تقدَّمَ، هذا واللهُ تعالى أعلمُ.

فائدةٌ: لابدّ من تحقيقِ شرطينِ في الاسمِ:

الأول: الحُسنُ: فلا يجوزُ إطلاقُ اسمِ للهِ ليس بحَسنٍ أو يحملُ معنًى حسنًا ومعنًى سيئًا؛ لأنَّ ذلك يخالفُ صحيحَ القرآنِ، قال جلَّ ذكرُه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقد تقدَّمَ تفسيرُ معنى "الحسنَى" عندِ أهلِ العلمِ، وتقدَّمَ أيضًا أنَّ هذا من الشروطِ التي دفعها العلماءُ لإثباتِ الاسمِ (١).

الثاني: ورودُ الاسمِ في القرآنِ أو السُّنَّةِ: ذلك لأنَّ أسماءَ اللهِ توقيفيةٌ لا تثبتُ إلا بدليلٍ من الكتابِ أو السُّنَّةِ أو كليهما، وقد قدَّمنَا الأدلةَ على ذلك (٢)، وقد أشارَ إلى هذين الشرطين شيخُ الإسلامِ (٣).

---

(١) راجع الحديث الأول من هذا الباب: الأصل الأول.

(٢) راجع المبحث الأول: الأصل الخامس.

(٣) المبحث الثالث – منهج المتوسعين.

المبحثُ الرابعُ: سردُ أسماءِ اللّهِ الحسنَى التي لا خلافَ بينَ أهلِ العلمِ أنّها من أسماءِ اللّهِ، ثم سردُ جملةٍ من أسماءِ اللّهِ التي اتفقَ عليها أكثرُ أهلِ العلمِ، ثم ذكرُ جملةٍ من الأسماءِ المضافةِ التي عدّها بعضُ أهلِ العلمِ من أسماءِ اللّهِ الحسنَى:

أولاً: الأسماءُ التي اتفقَ عليها العلماءُ:

أعنِي العلماءَ الذين اعتنَوْا بجمعِ الأسماءِ الحسنَى، وهذه الأسماءُ المتفقُ عليها ثلاثةٌ وثلاثون اسمًا، وبالنظرِ في هذه الأسماءِ، نجدُ أنَّها جاءتْ في النصِّ بصورةِ الاسمِ مطلقًا ولم تشتقَّ من الأفعالِ ولا من الإضافةِ، وكذا لم تردْ بصورةِ الإضافةِ، ولا التقييدِ، **وهذه الأسماءُ هي:**

اللّهُ – الرحمنُ – الرحيمُ – الرءوفُ – الحليمُ – الحميدُ – العليمُ – الحقُّ – الخالقُ – البارئُ – المصوِّرُ – السميعُ – البصيرُ – العزيزُ – العظيمُ – الحيُّ – الغنيُّ – الكريمُ – الصمدُ – الأولُ والآخرُ – الظاهرُ والباطنُ[(١)] – المهيمنُ – الرزَّاقُ – القدُّوسُ – القريبُ – القيُّومُ – الكبيرُ – الواحدُ – المجيدُ – التوَّابُ – الوهَّابُ[(٢)].

(١) الأول والآخر، والظاهر والباطن، من الأسماء المطلقة – أي يمكن أن يدعى بالاسم منفردًا – وهي أيضًا من الأسماء التي وردت في النص مزدوجة، وقد تقدم بيان ضابط الاسم المزدوج وهو الذي لا يجوز أن يطلق على الله إلا مقترنًا بغيره ليحصل الكمال في الاسم، أما إن ورد بصورة الاسم المطلق وكذا المزدوج فيجوز أن يطلق منفردًا ومقترنًا بغيره – راجع من هذا الباب: المبحث الأول – الأصل السادس.

(٢) راجع جداول أسماء الله الحسنى التي اعتنى بجمعها طائفة من علماء السلف والخلف، المبحث الثاني.

ثانيًا: **سردُ جملةٍ من أسماءِ اللّهِ الحسنَى التي عدّها أكثرُ أهلِ العلمِ من أسماءِ اللّهِ**:

الأحدُ – الأعلَى – الأكرمُ – الباسطُ – البَرُّ – الجبَّارُ – الجميلُ – الجوادُ – الحَكَمُ – الحكيمُ – الخبيرُ – الحَيِيُّ – الخلاَّقُ – الربُّ – الرفيقُ – الرقيبُ – السبُّوحُ – السلامُ – السيِّدُ – الشاكرُ – الشكورُ – الشافِي – العفوُّ – العليُّ – الغفورُ – الغفَّارُ – الفتَّاحُ – القابضُ – القديرُ – القهَّارُ – القويُ – اللطيفُ – المؤمنُ – المبينُ – المتعالِ – المتينُ – المجيبُ – المتكبِّرُ – المقتدرُ – المقدِّمُ والمؤَخِّرُ – الملكُ – المليكُ – المنَّانُ – الواسعُ – الوِترُ – الوليُّ – الإلهُ – الحسيبُ – الشهيدُ – القاهرُ – القادرُ – المحيطُ – المالكُ – المُقيتُ – المولَى – النورُ – الوارثُ – الوكيلُ – الحفيظُ – الهادِي (١).

ثالثًا: **جملةٌ من الأسماءِ المضافةِ التي عدّها بعضُ أهلِ العلمِ من أسماءِ اللّهِ الحسنَى**:

أحسنُ الخالقين: قال جلَّ ذكرُه: ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ﴾ [المؤمنون: ١٤]، ومن ذكرَه من أسماءِ اللهِ: ابنُ الوزيرِ وابنُ تيميةَ (٢).

أرحمُ الراحمين: قال اللهُ تعالى: ﴿ وَأَدۡخِلۡنَا فِي رَحۡمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٥١]، ومن عدَّه من الأسماءِ: الأصبهانيُّ وابنُ الوزير وابنُ تيميةَ (٣).

(١) راجع المصدر السابق.
(٢) مجموع الفتاوى (٢٢/٤٨٥).
(٣) المصدر السابق.

خيرُ الغافرين: قال تبارك وتعالى: ﴿ وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٥٥]، ومن عدَّه من الأسماءِ: الأصبهانيُّ، وابنُ الوزيرِ، وابنُ تيميةَ (١).

ذو الجلالِ والإكرامِ: قال جلَّ وعلا: ﴿ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴾ [الرحمن: ٢٧]، ومن ذكرَه: الوليدُ بنُ مسلمٍ عندَ الترمذيِّ وغيرِه، وفي جمعِ: جعفرَ الصادقِ، سفيانَ بنِ عيينةَ، الخطَّابيِّ، ابنِ مندَه، الحليميِّ، البيهقيِّ، الأصبهانيِّ، القرطبيِّ، وابنِ الوزيرِ.

ذو الطولِ: قال اللهُ تعالى: ﴿ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِ ﴾ [غافر: ٣]، ومن ذكرَه في جمعِه: جعفرُ الصادقُ، سفيانُ بنُ عيينةَ، الخطابيُّ، الحليميُّ، البيهقيُّ، ابنُ العربيِّ، وابنُ الوزيرِ.

ذو الفضلِ: جاءَ في قولِه تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ [آل عمران: ٧٤]، ومن ذكرَه: الخطابيُّ، الحليميُّ، البيهقيُّ، ابنُ العربيِّ، القرطبيُّ، وابنُ الوزيرِ.

ذو المعارجِ: قال تعالى: ﴿ مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ ﴾ [المعارج: ٣]، ومن ذكرَه في جمعِه للأسماءِ: الخطابيُّ، الحليميُّ، البيهقيُّ، الأصبهانيُّ، ابنُ العربيِّ، وابنُ الوزيرِ.

مقلِّبُ القلوبِ: عن ابنِ عمرَ رضيَ اللهُ عنهما قال: كانت يمينُ النبيِّ ﷺ: «لا وَمُقَلِّبِ القلوبِ»(٢).

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٢/٤٨٥).

(٢) أخرجه البخاري (٦٦٢٨).

ومن عدَّه من الأسماءِ ابنُ العربيِّ، القرطبيُّ، وابنُ تيميةَ (١).

إلى غيرِ ذلك من الأسماءِ التي وردتْ في النصِّ مضافةً وعدَّها بعضُ أهلِ العلمِ من الأسماءِ الحسنَى (٢).

(١) انظر مجموع الفتاوى (٢٢/٤٨٥).

(٢) راجع جداول الأسماء الحسنى – المبحث الثاني من هذا الباب.

المبحثُ الخامسُ: دعاءُ اللهِ تعالى لا يكونُ إلا بأسمائِه الحسنَى وصفاتِه العلَى:

اعلمْ أنَّ الدعاءَ في القرآنِ والسُّنَّةِ نوعان: دعاءُ عبادةٍ، ودعاءُ مسألةٍ.

قال اللهُ تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

قال ابنُ القيمِ رحمه الله: وهو مرتبتان:

إحداهما: دعاءُ ثناءٍ[(١)] وعبادةٍ.

والثاني: دعاءُ طلبٍ ومسألةٍ.

فلا يُثنَى عليه إلا بأسمائِه الحسنَى وصفاتِه العلَى، وكذلك لا يُسأل إلا بها، فلا يقالُ: يا موجودُ، أو يا شيءُ، أو يا ذاتُ اغفرْ لي وارحمني، بل يُسألُ في كلِّ مطلوبٍ باسمٍ يكون مقتضيًا لذلك المطلوبِ، فيكونُ السائلُ متوسِلاً إليه بذلك الاسمِ.

ومن تأملَّ أدعيةَ الرسلِ، ولاسيما خاتمُهم وإمامُهم، وجدَها مطابقةً

(١) من أدعية الثناء التي جاءت في الكتاب والسنة، دعاء يونس عليه السلام: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الأنبياء: ٨٧، ودعاء رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب: "لا إله إلاّ الله العظيم الحليم. لا إله إلاّ الله ربّ العرش العظيم. لا إله إلاّ الله ربّ السّموات وربّ الأرض وربّ العرش الكريم" أخرجه البخاري (٦٣٤٥، ٦٣٤٦)، مسلم (٢٧٣٠)، وهذه الأدعية وما شبهها لم يسأل العبد ربه شيئًا، بل أثنى عليه فقط، فهو دعاء ثناء يتضمن دعاء العبادة، فهو ثناء على الله وعبادة له، والله أعلم.

لهذا، وهذه العبارةُ أولَى من عبارةِ من قال: يتخلقُ بأسماءِ اللهِ، فإنَّها ليست بعبارةٍ سديدةٍ، وهي منتزعةٌ من قولِ الفلاسفةِ بالتشبيهِ بالإلهِ على قدرِ الطاقةِ.

وأحسنُ منها عبارةُ أبي الحكمِ بنِ برهانَ وهي التعبدُ، وأحسنُ منها العبارةُ المطابقةُ للقرآنِ وهي الدعاءُ المتضَمِّنِ للتعبدِ والسؤالِ (١).

قال ابنُ تيميةَ رحمه الله: على قولِ اللهِ عز وجل: ﴿ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ۝ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٥ – ٥٦].

هاتان الآيتانِ مشتملتانِ على آدابِ نوعيْ الدعاءِ: دعاءِ العبادةِ ودعاءِ المسألةِ؛ فإنَّ الدعاءَ في القرآنِ يرادُ به هذا تارةً، وهذا تارةً، ويرادُ به مجموعُهما؛ وهما متلازمان. فإنَّ دعاءَ المسألةِ هو طلبُ ما ينفعُ الداعِي وطلبُ كشفِ ما يضرُّه ودفعِه. وكلُّ من يملكُ الضرَّ والنفعَ فإنَّه هو المعبودُ، لابدَ أنْ يكونَ مالكًا للنفعِ والضرِّ... فهو يدعو للنفعِ والضرِّ دعاءَ المسألةِ، ويدعو خوفًا ورجاءً دعاءَ العبادةِ، فعُلمَ أنَّ النوعين متلازمان، فكلُّ دعاءِ عبادةٍ مستلزمٌ لدعاءِ المسألةِ، وكلُّ دعاءِ مسألةٍ متضمنٌ لدعاءِ العبادةِ (٢).

---

(١) بدائع الفوائد (١/ ١٤٩).

(٢) مجموع الفتاوى (١٥/ ١٠–١١)، وانظر بدائع الفوائد (٣/ ٥١٣).

استحبابُ إخفاءِ الدعاءِ:

قال اللهُ تبارك وتعالى: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةً﴾[الأعراف: ٥٥].

وأثنَى اللهُ على نبيِّه زكريا بقولِه: ﴿ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّٗا ﴾ [مريم: ٣].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

عن أبي موسى قال: كنا مع رسولِ اللهِ ﷺ في سفرٍ فجعلَ الناسُ يجهرون بالتكبيرِ، فقال النبيُّ ﷺ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لاَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِبًا، إِنَّهُ مَعَكُمْ، إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ، تَبَارَكَ اسْمُهُ وَتَعَالَى جَدُّهُ**»(١).

استحبَّ أكثرُ أهلِ العلمِ إخفاءَ الدعاءِ للآياتِ والحديثِ، وذلك لأنَّ إخفاءَ الدعاءِ أبلغُ في التضرعِ والخشوعِ، وأقربُ لحصولِ الإخلاصِ، فإنَّ الداعِيَ إذا أخفَى دعاءَه لم يدرِ به أحدٌ فيقطعُ على نفسِه حظَّها من العملِ، ويردُّ كيدَ الشيطانِ الذي لا يزالُ يوسوسُ له في كلِّ عملٍ حتى يفسدَه، وذلك بأنْ يوقعَه في الرياءِ تارةً، وفي العُجبِ تارةً إلى غيرِ ذلك من المفاسدِ، والمعصومُ من عصمَه اللهُ تعالى.

قال ابنُ العربيِّ المالكيُّ رحمه الله في معرضِ شرحِه لقولِ اللهِ تعالى: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةً﴾ الآية: الأصلُ في الأعمالِ الفرضيةِ الجهرُ،

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣٨٦) ومسلم (٤٤ – ٢٧٠٤).

والأصلُ في الأعمالِ النفليةِ السرُّ، وذلك لـمَا يتطرقُ إلى النفلِ من الرياءِ والتظاهرِ بها في الدنيا، والتفاخرِ على الأصحابِ بالأعمالِ (١).

قال القرطبيُّ رحمه الله: قولُه: ﴿ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ ﴾ هذا أمرٌ بالدعاءِ وتعبدٌ به، ثم قرنَ جلَّ وعزَّ بالأمرِ صفاتٍ تحسنُ معه، وهي الخشوعُ والاستكانةُ والتضرعُ، ومعنى "خُفْيَة" أي: سرًا في النفسِ ليبعدَ عن الرياءِ، وبذلك أثنَى على نبيِّه زكريا عليه السلامُ إذ قال مخبِرًا عنه: ﴿ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴾ [مريم: ٣]... ثم ساقَ حديثَ أبي موسى المتقدمَ (٢).

قال ابنُ كثيرٍ رحمه الله: ﴿ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعًا وَخُفۡيَةً ﴾ قيلَ: معناه تذللاً واستكانةً كقولِه: ﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٥]، ثم ساقَ حديثَ أبي موسى المتقدمَ، ثم قال: ﴿ تَضَرُّعًا وَخُفۡيَةً ﴾ قيل: السرُّ(٣).

وقال ابنُ جريرٍ رحمه الله: تضرُّعًا: تذللاً واستكانةً لطاعتِه، ﴿ وَخُفۡيَةً ﴾ يقول: بخشوعِ قلوبِكم وصحةِ اليقينِ بوحدانيتِه وربوبيتِه فيمَا بينكم وبينَه، لا جهارًا ومراءاةً (٤).

قال القاسميُّ رحمه الله: والتضرعُ: تَفَعُّلٌ من الضراعةِ وهو الذلُّ، والخُفيةُ بضمِّ الخَاء وكسرِها مصدرُ خَفِيَ كرَضِيَ، بمعنى اختفَى، أي: استتَرَ وتوارَى، وإنَّما طلبَ الدعاءَ مع تَيْنِكَ الحالتين لأنَّ المقصودَ من الدعاءِ أنْ يشاهدَ العبدُ حاجتَه وعجزَه وفقرَه لربِّه ذي القدرةِ الباهرةِ، والرحمةِ

(١) أحكام القرآن (٢/٣٤٢).
(٢) تفسير القرطبي (٧/٢١٦).
(٣) تفسير ابن كثير (٢/١٣٣).
(٤) المصدر السابق.

الواسعةِ، وإذا حصلَ له ذلك فلا بدَ صونُه من الرياءِ وذلك بالاختفاءِ وتوصُّلاً للإخلاصِ... ثم ساقَ حديثَ أبي موسى المتقدمَ (١). انتهى.

وقد ذكرَ ابنُ تيميةَ فوائدَ عديدةً لإخفاءِ الدعاءِ تركتُ ذكرَها تحاشيًا للإطالةِ (٢).

مطلبٌ: هل يجوزُ دعاءُ اللهِ تعالى بصفةٍ من صفاتِه وإنْ لم تكنْ اسمًا له؟

ابتداءً لا بدَ أنْ نفرَّقَ بينَ أمرين.

الأول: دعاءُ الصفةِ: كأنْ يقولُ الداعِي: يا وجهَ اللهِ، يا كلامَ اللهِ، يا حياةَ اللهِ، يا رحمةَ اللهِ، يا علمَ اللهِ... إلى آخرِه، فهذا لا يجوزُ، بل هو حرامٌ بالإجماعِ؛ لأنَّ الصفةَ ليستْ عينَ الموصوفِ، وهذا يُشعِرُ بأنَّ الصفةَ بائنةٌ عنه ومستقلةٌ، وهذا وجهُ كونِه شِركًا.

قال ابنُ تيميةَ رحمه الله: وأمَّا دعاءُ صفاتِه وكلماتِه، فكفرٌ باتفاقِ المسلمين، فهل يقولُ مسلمٌ: يا كلامَ اللهِ اغفرْ لي وارحمنِي وأغثنِي أو أعنِّي، أو يا علمَ اللهِ أو يا قدرةَ اللهِ أو يا عزَّةَ اللهِ، أو يا عظمةَ اللهِ ونحوُ ذلك، أو سُمِعَ من مسلمٍ أو كافرٍ أنَّه دعا لذلك من صفاتِ اللهِ، وصفاتِ غيرِه، أو يطلبُ من الصفةِ جلبَ منفعةٍ أو دفعَ مضرَّةٍ، أو إعانةً أو نصرًا أو إغاثةً(٣).

الثاني: دعاءُ اللهِ والتعوُّذُ بصفاتِه: كقولِ القائلِ: اللَّهمَّ ارحمني برحمتِك، فهذا يجوزُ، فقد تكونُ الصفةُ تتضمنُ اسمًا للهِ، وقد تكونُ الصفةُ

---

(١) محاسن التأويل (٣/ ٥٧١).

(٢) إن شئت راجع مجموع الفتاوى (١٥/ ١٥-٢٠).

(٣) الرد على البكري (١/ ١٨١)، وانظر الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٣/ ٢٢٦، ٢٧٥، ٣١٥).

لا تتضمنُ اسمًا للهِ، فكلُّ اسمٍ للهِ دالٌّ على صفةٍ له سبحانه – كما سبقَ بيانُه، وليست كلُّ صفاتِ اللهِ هي أسماءً له(١) – جلَّ في عُلاه – وهذا ما لا خلافَ فيه بينَ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ.

فيجوزُ أنْ ندعوَ اللهَ ﷻ بصفةٍ من صفاتِه وإنْ لم تكنْ اسمًا له، وقد دلتْ السُّنَّةُ على هذا، فقد استعاذَ رسولُ اللهِ ﷺ بصفاتِ اللهِ الّتي ليست أسماءً له، وقد تقدمَ معنَى الاستعاذةِ وأنَّها طلبُ دفعِ الشرِّ عن العبدِ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا ثُمَّ قَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ، حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ**» (٢).

فكلماتُ اللهِ صفةٌ من صفاتِ اللهِ وليست اسمًا له، وقد استعاذَ بها رسولُ اللهِ ﷺ، وكذا استعاذَ بمعافاةِ اللهِ من عقوبتِه، واستعاذَ بوجهِه الكريمِ وسلطانِه من الشيطانِ، وكلُّها صفاتٌ له وليست أسماءً.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَأَعُوذُ بِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ**»(٣).

عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ ﴾ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:"أَعُوذُ بِوَجْهِكَ". قَالَ: ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ قَالَ: «أَعوذُ بِوَجْهِكَ" ﴿أَو

---

(١) انظر الباب الرابع: توحيد الصفات.

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٠٨/٥٥) عن خولة بنت حكيم السلمية رضي الله عنها.

(٣) أخرجه مسلم (٤٨٦/٢٢٢) من حديث عائشة رضي الله عنها.

يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا وَيُذِيقَ بَعۡضَكُم بَأۡسَ بَعۡضٍۗ﴾ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هَذَا أَهْوَنُ**». أَوْ «**هَذَا أَيْسَرُ**»(١).

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ؛ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ قَالَ: «**أَعُوذُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ وَسُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**». قَالَ: أَقَطْ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: فَإِذَا قَالَ ذَلِكَ، قَالَ الشَّيْطَانُ: حُفِظَ مِنِّى سَائِرَ الْيَوْمِ(٢).

كَانَ رَسُولُ اللهِ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: «**يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ**»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، آمَنَّا بِكَ وَبِمَا جِئْتَ بِهِ فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا؟ قَالَ: «**نَعَمْ، إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ**»(٣).

ومقلِّبُ القلوبِ عندَ جماهيرِ العلماءِ ليس اسمًا للهِ.

وقولُه ﷺ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ العَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلاَ أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلاَ أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلاَّمُ الغُيُوبِ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي - أَوْ قَالَ: فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ - فَاقْدُرْهُ لِي، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي - أَوْ قَالَ: فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ - فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي عَنْهُ، وَاقْدُرْ لِي الخَيْرَ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ**

(١) أخرجه البخاري (٤٦٢٨، ٧١٣١، ٧٤٠٦).

(٢) صحيح سنن أبي داود (٤٤٦).

(٣) أخرجه الترمذي (٢١٤٠)، وأبو يعلى (٣٦٨٧، ٣٦٨٨)، وغيرهما من طرق عن أبي سفيان عن أنس به، وله شاهد من حديث عبد الله بن عمرو في صحيح مسلم (١٧/٢٦٥٤).

رَضِّنِي بِهِ، وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ»(١).

إلى غيرِ ذلك من الأدعيةِ النبويةِ التي سألَ بها رسولُ اللهِ ﷺ اللهَ تبارك وتعالى بصفاتِه العُلَى التي ليست أسماءً له.

قال شيخُ الإسلام رحمه الله: إنَّ استعاذةَ النبيِّ ﷺ بعفوه ومعافاتِه من عقوبتِه، مع أنَّه لا يستعاذُ بمخلوقٍ، كسؤالِ اللهِ بإجابتِه وإثابتِه، وإنْ كان لا يُسأَلُ مخلوقٌ، ومن قال من العلماءِ لا يُسأَلُ إلا به، لا ينافِي السؤالَ بصفاتِه.

كما أنَّ الحلفَ لا يُشرعُ إلا باللهِ كما ثبتَ في الحديثِ الصحيحِ عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصْمُتْ**»(٢).... ومع هذا فالحلفُ بعزةِ اللهِ، ولعمرُ اللهِ، ونحوُ ذلك مما ثبتَ عن النبيِّ ﷺ الحلفُ به، لم يدخلْ في الحلفِ بغيرِ اللهِ(٣).

قال الشيخُ سليمانُ بنُ عبدِ اللهِ رحمه الله في معرضِ شرحِه حديثَ: «**لا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللهِ إلا الجَنَّةُ**»(٤).

والظاهرُ أنَّ المرادَ لا يُسألُ بوجهِ اللهِ إلا الجنةُ، أو ما هو وسيلةٌ إليها، كالاستعاذةِ بوجهِ اللهِ من غضبِه ومن النارِ ونحوِ ذلك ممَّا هو واردٌ في أدعيتِه ﷺ وتعوذاتِه.. وساقَ حديثَ جابرٍ المتقدمَ(٥).

---

(١) أخرجه البخاري (١١٦٢، ٦٣٨٢) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري: (٦٦٤٦)، ومسلم (١٦٤٦).

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/٣٢٦).

(٤) ضعيف: رواه أبو داود (١٦٧١)، وذكره ابن عدي في الكامل (٤/٢٤١) واستنكره. وسليمان بن معاذ، هو ابن قرم وقد اتفقوا على ضعفه.

(٥) تيسير العزيز الحميد (ص:٦٦٠) لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب.

خطأ من ظنَّ أنَّ السماءَ قِبلَةُ الدعاء:

اعلمْ أنَّ قبلةَ الدعاءِ هي قِبلةُ الصلاةِ، وهذا مُجمَعٌ عليه عند أهْل السُّنَّةِ؛ فيُستحَبُّ للداعِي أنْ يَستَقبلَ القِبلةَ؛ لأنَّ النبيَّ ﷺ كانَ يَستَقبلُ القِبلةَ في دُعائِه في مَواطِنَ كثيرةٍ، منها ما رَوَاهُ مُسلمٌ منْ حَديثِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضي الله عَنهُما في دُعَاءِ النبيِّ ﷺ على المشركين يومَ بَدْرٍ، وَفِيهِ: «فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ القبلةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ: اللهُمَّ أَنْجِزْ لي ما وَعَدْتَني»(١)، وغيره من الأحاديث الدالة على ذلك.

قال ابنُ أبي العزِّ رحمه الله في مَعرضِ رَدِّه على مَن أنكَر صفةَ العلوِّ للهِ جَلَّ في عُلاه:

فمَن قال: إنَّ للدعاءِ قبلةً غيرَ قبلةِ الصلاةِ، أو أنَّ له قبلتين: إحداهما الكعبةُ، والأخرى السماءُ، فقَد ابتدعَ في الدينِ، وخالفَ جَماعةَ المسلمين... إلى أنْ قالَ: القبلةُ هي ما يستقبلُه العابدُ بوجْهِه، كما تُستقبَلُ الكعبةُ في الصلاةِ والدعاءِ والذكر ... فلو كانت السماءُ قبلةَ الدعاءِ لكان المشروعُ أنْ يوجِّهَ الداعِي وجهَهُ إليها، وهذا لم يُشرعْ والموضعُ الذي ترفعُ اليدُ إليه لا يُسمَّى قبلةً، لا حقيقةً ولا مجازًا، ولأنَّ القبلةَ في الدعاءِ أمرٌ شرعيٌّ تُتَّبعُ فيه الشرائعُ، ولم يأمُرْ الرسلُ أنَّ الداعيَ يَستقبلُ السماءَ بوجهِه، بل نَهَوْا عن ذلك (٢).

---

(١) صحيح مسلم (١٧٦٣).

(٢) شرح الطحاوية (ص: ٢٧١ – ٢٧٢) بتصرف وانظر بيان تلبيس الجهمية (٤/٥٤٣).

البابُ الرابعُ: توحيدُ صفاتِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ

ويحوِي ثلاثةَ مباحثَ:

المبحثُ الأولُ: أصولُ اعتقادِ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ في بابِ الصفاتِ.

المبحثُ الثاني: إثباتُ جملةٍ من صفاتِ اللهِ تعالى التي اتَّصفَ بها وأظهرَها لعبادِه.

المبحثُ الثالثُ: الإخبارُ عن اللهِ تعالى.

توحيدُ صفاتِ اللهِ ﷻ

هذا بابٌ كثرَ فيه الكلامُ وضلتْ فيه أفهامٌ وزلتْ فيه أقدامُ أقوامٍ، ومن نظرَ في مقالاتِ هؤلاءِ وجدَ العجبَ وعلمَ أنَّ سببَ ضلالِهم انحرافُهم عن الاعتصامِ بالكتابِ والسُّنَّةِ بفهمِ الصحابةِ الكرامِ ومن تبعَهم بإحسانٍ، فقدَّموا العقلَ على النقلِ فضلُّوا وأضلُّوا؛ لأنَّ تقديمَ العقلِ على النقلِ يتضمنُ القدحَ في العقلِ والنقلِ معًا، ذلك لأنَّ العقلَ الصريحَ يعلمُ أنَّه مهما أوتِيَ من علمٍ فعلمُه إلى الوحيِ كقطرةِ ماءٍ بالإضافةِ إلى بحرٍ.

ولذا كان أسعدُ الناسِ بفهمِ نصوصِ الصفاتِ هم أهلَ السُّنَّةِ والجماعةِ أصحابَ العقولِ الصريحةِ الذين يثبتُونَ للهِ تعالى ما أثبتَه لنفسِه وما أثبتَه له نبيُّه ﷺ، وينفُون ما نفَاهُ اللهُ تعالى عن نفسِه ونفَاه عنه نبيُّه ﷺ - بأدلةِ الكتابِ وما رُوِيَ عن رسولِ اللهِ ﷺ بالأسانيدِ الصحيحةِ - من غيرِ تمثيلٍ ولا تشبيهٍ ولا تأويلٍ(١)، ومن غيرِ تعطيلٍ ولا تكييفٍ، لعلمِهم

---

(١) وأما معنى التأويل في كلام العرب: فإنه التفسير والمرجع والمصير - جامع البيان (٣/ ٢٥٠) للطبري قال القرطبي: والتأويل يكون بمعنى: التفسير، كقولك: تأويل هذه الكلمة على كذا، ويكون بمعنى ما يئول إليه الأمر - الجامع لأحكام القرآن (٣/ ١٩).

والتأويل ينقسم إلى ثلاثة: أقسام:

الأول: التأويل المحمود: وهو التفسير والتعبير وبيان المعنى كما تقدم من كلام الطبري والقرطبي، وفي الحديث أن رسول الله ﷺ دعا لابن عباس فقال "اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل" أخرجه أحمد (١/ ٣٢٨، ٣٣٥) وبنحوه أخرجه البخاري =

الكاملِ ويقينِهم الجازمِ أنَّه سبحانه ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

ونذكرُ هنا مباحثَ لبيانِ توحيدِ صفاتِ اللهِ عَزَّلَجَلَّ:

=

(١٤٣) ومسلم (٢٤٧٧).

الثاني: التأويل الذي لا يعلم حقيقته إلا الله: قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ ﴾ [آل عمران: ٧].

قال ابن كثير: التأويل يطلق ويراد به في القرآن معنيان: أحدهما: التأويل بمعنى حقيقة الشيء وما يئول أمره إليه، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ﴾ [يوسف: ١٠٠]، وقوله: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ﴾ [الأعراف: ٥٣]، أي حقيقة ما أخبروا به من أمر المعاد، فإن أريد بالتأويل هذا فالوقف عند الجلالة، لأن حقيقة الأمور كنهها لا يعلمه على الجلية إلا الله عز وجل... وأما إن أريد بالتأويل المعنى الآخر وهو التفسير والبيان والتعبير عن الشيء كقوله: ﴿ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ﴾ [سورة يوسف: ٣٦] أي: بتفسيره ... فالوقف على: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾ لأنهم يعلمون ويفهمون ما خوطبوا به بهذا الاعتبار، وإن لم يحيطوا علمًا بحقائق الأشياء على كنه ما هي عليه، وعلى هذا فيكون قوله "يقولون أمنا به" حال منهم – تفسير ابن كثير (١/٢٢٧ – ٢٢٨).

الثالث: التأويل المذموم: وهو صرف الكلام عن حقيقته التي تراد منه، كتأويل أهل البدع لصفات الله تعالى، يقولون: استوى: بمعنى استولى، وجه الله: ثواب الله إلى غير ذلك وسيأتي قريبًا.

قال ابن تيمية: لفظ التأويل يراد به التفسير المُبَيِّن لمراد الله به، فذلك لا يعاب بل يحمد، ويراد بالتأويل الحقيقة التي استأثر الله بعلمها فذلك لا يعلمها إلا هو... وأما التأويل المذموم والباطل: فهو تأويل أهل التحريف والبدع الذين يتأولونه على غير تأويله ويدعون صرف اللفظ عن مدلوله إلى غير مدلوله بغير دليل يوجب ذلك – العقيدة التدمرية (ص: ١١٢ – ١١٣) باختصار.

المبحثُ الأولُ: أصولُ اعتقادِ أهلِ السُّنّةِ والجماعةِ في صفاتِ اللّهِ ﷻ:

هذه الأصولُ مستقاةٌ من الوحييْن – الكتابِ والسُّنَّةِ – لأنَّ صفاتِ اللهِ ﷻ توقيفيةٌ كأسمائِه، لا مجالَ للعقلِ فيها أي لا مجالَ للاجتهادِ فيها، لأن الكلامَ في الصفاتِ لإثباتِ الصفةِ لا كيفيةِ الصفةِ التي هي من الغيبِ الذي لا يعلمُه إلا اللهُ سبحانه وتعالى(١).

الأصلُ الأولُ: إثباتُ صفاتِ اللّهِ تعالى كما أثبتَها لنفسِه وأثبتَها له نبيّه ﷺ، ونفيُ ما نفَاه اللّهُ عن نفسِه ونفّاه عنه نبيّه ﷺ، من غيرِ تعطيلٍ ولا تحريفٍ ولا تكييفٍ، ومن غيرِ تشبيهٍ ولا تمثيلٍ:

ذهبَ أهلُ البدعِ من المعتزلةِ والجهميةِ وغيرِهم إلى نفي صفاتِ اللهِ تعالى. وحجتُهم في ذلك أنَّ إثباتَ الصفاتِ يقتضِي تشبيهَ الخالقِ بالمخلوقِ والمشاركةَ بينَه سبحانه وبينَ سائرِ المخلوقاتِ في الصفاتِ، وغفلُوا عن أنَّ الاشتراكَ في المُسمَّى لا يقتضِي التماثُلَ بينَ الخالقِ والمخلوقِ في الصفةِ، فاللهُ سبحانه منزهٌ عن مشاركةِ العبدِ في صفاتِه.

على سبيلِ المثالِ: الإنسانُ يتكلَّمُ والنملُ يتكلَّمُ، قال تعالى: ﴿قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ [النمل: ١٨]، ولا أحدَ يعلمُ كيفيةَ كلامِ النملِ، وكيفيةُ كلامِ الإنسانِ معلومةٌ، فالاشتراكُ في مسمَّى الصفةِ لا يقتضِي الاشتراكَ في

(١) أخذت بعض أسماء عناوين هذه الأصول من كتاب القواعد المثلى لابن العثيمين رحمه الله.

كيفيةِ الصفةِ.

ومثالٌ آخرُ: المسلمُ يسجدُ وبعضُ مخلوقاتِ اللهِ تسجدُ، قال جلَّ ذكرُه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [الحج: ١٨]، فصفةُ السجودِ ثابتةٌ للإنسانِ والمخلوقاتِ المذكورةِ في الآيةِ، أمَّا كيفيةُ السجودِ فهي بالنسبةِ للمسلمِ معلومةٌ، وكيفيةُ سجودِ هذه المخلوقاتِ لا يعلمُها إلا اللهُ تعالى.

النملةُ لها رجلٌ والإنسانُ له رجلٌ والتباينُ والتفاضلُ بينهما كبيرٌ، والعصفورُ له وجهٌ والأسدُ له وجهٌ والتباينُ والتفاضلُ بينهما واضحٌ، والأمثلةُ في ذلك كثيرةٌ. فإذا كان هذا التفاوتُ والتفاضلُ بينَ المخلوقاتِ جائزٌ، فصفاتُ اللهِ -جلَّ وعلا- أولَى أنْ يكونَ بينَها وبينَ صفاتِ المخلوقِ من التباينِ والتفاضلِ ما لا يعلمُه إلا اللهُ، قال اللهُ تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

فإثباتُ صفاتِ اللهِ تعالى توقيفيٌّ، أي لا مجالَ للعقلِ والاجتهادِ فيه، وإنَّما ثبتَ بالنصِّ من الكتابِ أو السُّنَّةِ.

قال أبو عثمانَ الصابونيُّ رحمه الله: أصحابُ الحديثِ -حفظَ اللهَ أحياءَهم ورحمَ أمواتَهم- يشهدون للهِ تعالى بالوحدانيةِ، وللرسولِ صلَّى الله عليه وسلَّمَ بالرسالةِ والنبوةِ، ويعرفون ربَّهم عزَّ وجلَّ بصفاتِه التي نطقَ بها وحيُهُ وتنزيلُهُ، أو شهدَ له بها رسولُه ﷺ على ما وردت الأخبارُ الصحاحُ به ونقلت العدولُ الثقاتُ عنه، ويثبتُون له جلَّ جلالُه ما أثبتَه لنفسِه في كتابِه

وعلى لسانِ رسولِه صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، ولا يعتقدون تشبيهًا لصفاتِ خلقِه، فيقولون: إنَّه خلقَ آدمَ بيدِه كما نصَّ سبحانه عليه في قولِه عزَّ منْ قائلٍ: ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ [ص: ٧٥]، ولا يحرفُون الكلامَ عن مواضعِه بحملِ اليدين على النعمتين أو القوتين تحريفَ المعتزلةِ والجهميةِ أهلكهم اللهُ، ولا يكيِّفُونها بكيْفٍ أو يشبِّهونَها بأيدِي المخلوقين تشبيهَ المشبِّهَةِ خذلَهم اللهُ.

وقد أعاذَ اللهُ تعالى أهلَ السُّنَّةِ من التحريفِ والتشبيهِ والتكييفِ، ومنَّ عليهم بالتعريفِ والتفهيمِ، حتى سلكُوا سبيلَ التوحيدِ والتنزيهِ، وتركُوا القولَ بالتعطيلِ والتشبيهِ، واتَّبعُوا قولَ اللهِ عزَّ وجلَّ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١][(١)].

قال الإمامُ أحمدُ رحمه الله: لا يصفُ اللهَ إلا بما وصفَ به نفسَه أو وصفَه به رسولُه ﷺ، لا يتجاوزُ القرآنَ والحديثَ، ومذهبَ السلف: أنَّهم يصفُون اللهَ بما وصفَ به نفسَه، وبما وصفَه به رسولُه، من غيرِ تحريفٍ ولا تعطيلٍ، ومن غيرِ تكييفٍ ولا تمثيلٍ، ونعلمُ أنَّ ما وُصِفَ اللهُ به من ذلك فهو حقٌّ ليس فيه لغزٌ ولا أحاجٍ، بل معناه يعرفُ من حيثُ يعرفُ مقصودَ التكلمِ بكلامِه، لا سيَّما إذا كانَ المتكلمُ أعلمَ الخلقِ بما يقولُ، وأفصحَ الخلقِ في بيانِ العلمِ، وأفصحَ الخلقِ في البيانِ والتعريفِ، والدلالةِ والإرشادِ[(٢)].

قال شيخُ الإسلامِ رحمه الله: وجِماعُ القولِ في إثباتِ الصفاتِ: هو القولُ

---

(١) اعتقاد السلف و أصحاب الحديث (ص: ١٧-١٨).

(٢) انظر مجموع الفتاوى (٥/٢٦).

بما كان عليه سلفُ الأمَّةِ وأئمتُها، وهو أنْ يُوصفَ اللهُ بما وصفَ به نفسَه، وبما وصفَه به رسولُه، ويُصانُ ذلك عن التحريفِ والتمثيلِ، والتكييفِ والتعطيلِ، فإنَّ اللهَ ليس كمثلِه شيءٌ لا في ذاتِه، ولا في صفاتِه، ولا في أفعالِه، فمن نفَى صفاتِه كان معطِّلاً، ومن مثَّلَ صفاتِه بصفاتِ خلقِه كان ممثِّلًا، والواجبُ إثباتُ الصفاتِ ونفيُ مماثلتَها لصفاتِ المخلوقاتِ، إثباتًا بلا تشبيهٍ وتنزيهًا بلا تعطيلٍ، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، ردًّا على المعطِّلةِ، فالممثلُ يعبدُ صنمًا، والمعطِّلُ يعبدُ عدمًا(١).

قال أيضًا رحمه الله: والجهميةُ والمعتزلةُ يقولون: من أثبتَ للهِ صفاتٍ وقال: إنَّ اللهَ يُرَى في الآخرةِ والقرآنَ كلامُ اللهِ ليس بمخلوقٍ فإنَّه مجسِّمٌ مشبِّهٌ، والتجسيمُ باطلٌ. وشبهتُهم في ذلك: أنَّ الصفاتِ أعراضٌ لا تقومُ إلا بجسمٍ، وما قام به الكلامُ وغيرُه من الصفاتِ لا يكونُ إلا جسمًا ولا يرى إلا ما هو جسمٌ أو قائمٌ بجسمٍ...

وأمَّا مخالفةُ هؤلاءِ لنصوصِ الكتابِ والسُّنَّةِ وما استفاضَ عن سلفِ الأمةِ، فهذا أظهرُ وأشهرُ من أنْ يخفَى على عالمٍ، ولهذا أسَّسُوا دينَهم على أنَّ بابَ التوحيدِ والصفاتِ لا يُتَّبَعُ فيه ما دلَّ عليه الكتابُ والسُّنَّةُ والإجماعُ، وإنَّما يُتَّبعُ فيه ما رأَوْهُ بقياسِ عقولِهم، وأمَّا نصوصُ الكتابِ والسُّنَّةِ فإمَّا أنْ يؤوِّلُوها وإمَّا أنْ يفوِّضُوها، وإمَّا أنْ يقولُوا: مقصودُ الرسولِ أنْ يخيِّلَ إلى الجمهورِ اعتقادًا ينتفعون به في الدنيا وإنْ كانَ كاذبًا وباطلاً كما يقولُ ذلك

(١) مجموع الفتاوى (٦/ ٥١٥).

من يقولُه من المتفلسفةِ وأتباعِهم.

وحقيقةُ قولِهم إنَّ الرسلَ كذَبَتْ فيما أخبرتْ به عن اللهِ وملائكتِه وكتبِه ورسلِه واليومِ الآخرِ لأجلِ ما رأَوْهُ من مصلحةِ الجمهورِ في الدنيا...

ومذهبُ سلفِ الأمةِ وأئمتِها: أنْ يوصفَ اللهُ بما وَصفَ به نفسَه وبما وصفَه به رسولُه من غيرِ تحريفٍ ولا تعطيلٍ ومن غيرِ تكييفٍ ولا تمثيلٍ، يثبتُون للهِ ما أثبتَه من الصفاتِ وينفُون عنه مماثلةَ المخلوقاتِ، يثبتُون له صفاتِ الكمالِ، وينفُون عنه ضروبَ الأمثالِ، ينزِّهونه عن النقصِ والتعطيلِ، وعن التشبيهِ والتمثيلِ، إثباتًا بلا تشبيهٍ، وتنزيهًا بلا تعطيلٍ، وفي قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ﴾ ردٌّ على الممثلةِ،وقولِه سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] ردٌّ على المعطلةِ.

ومن جعلَ صفاتِ الخالقِ مثلَ صفاتِ المخلوقِ فهو المُشَبِّهُ المُبْطِلُ المذمومُ... إلى أنْ قال: وهذا ممَّا يدلُّ عليه الكتابُ والسُّنَّةُ وصريحُ العقلِ، ولا يمكنُ أنْ يخالفَ فيه عاقلٌ، فإنَّ اللهَ تعالى سمَّى نفسَه بأسماءٍ، وسمَّى بعضَ عبادِه بأسماءٍ، وكذلك سمَّى صفاتِه بأسماءٍ وسمَّى بعضَها صفاتٍ لخلقِه، وليس المُسمِّى كالمُسمَّى. فسمَّى نفسَه حيًّا عليمًا قديرًا رءوفًا رحيمًا عزيزًا حكيمًا سميعًا بصيرًا ملكًا مؤمنًا جبارًا متكبرًا، كقولِه: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقوله: ﴿ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ [الشورى: ٥٠]، وقال: ﴿ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٢٥]، وقال: ﴿ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٢٨، ٢٤٠]، وقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحج: ٦٥]، وقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ [النساء: ٥٨]، وقال: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ

إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ [الحشر: ٢٣].

وقد سمَّى بعضَ عبادِه حيًّا، فقال: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ﴾ [الروم: ١٩]، وبعضَهم عليمًا بقوله: ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾ [الذاريات: ٢٨]، وبعضَهم حليمًا بقولِه: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠١]، وبعضَهم رءوفًا رحيمًا بقوله: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، وبعضَهم سميعًا بصيرًا بقوله: ﴿فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: ٢]، وبعضَهم عزيزًا بقولِه: ﴿قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ﴾ [يوسف: ٥١]، وبعضَهم ملكًا بقولِه: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف: ٧٩]، وبعضَهم مؤمنًا بقولِه: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا﴾ [السجدة: ١٨]، وبعضَهم متكبرًا جبارًا بقولِه: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥].

ومعلومٌ أنَّه لا يماثِلُ الحيُّ الحيَّ، ولا العليمُ العليمَ، ولا العزيزُ العزيزَ، ولا الرءوفُ الرءوفَ، ولا الرحيمُ الرحيمَ، ولا الملكُ الملكَ، ولا الجبارُ الجبارَ، ولا المتكبرُ المتكبرَ[(١)].

قال ابنُ القيمِ رحمه الله: وتوحيدُ الجهميةِ والفلاسفةِ مناقضٌ لتوحيدِ الرسلِ من كلِّ وجهٍ. فإنَّ مضمونَه إنكارُ حياةِ الربِّ وعلمِه وقدرتِه وسمعِه وبصرِه وكلامِه واستوائِه على عرشِه، ورؤيةِ المؤمنين له بأبصارِهم

---

(١) منهاج السنة النبوية (٢/ ١٠٧-١١٢) باختصار، وانظر التدمرية (ص: ٢١) وما بعدها.

عيانًا من فوقِهم يومَ القيامةِ، وإنكارِ وجهِه الأعلَى ويديه ومجيئِه وإتيانِه ومحبتِه ورضاه وغضبِه وضحكِه، وسائرِ ما أخبرَ به الرسولُ عنه. ومعلومٌ أنَّ هذا التوحيدَ هو نفسُ تكذيبِ الرسولِ بما أخبرَ به عن اللهِ، فاستعارَ له أصحابُه اسمَ التوحيدِ. ثم يقالُ: لو كان الحقُّ فيما يقولُه هؤلاءِ النُّفَاةُ المعطِّلون لكان قبولُ الفِطَرِ له أعظمَ من قبولِها للإثباتِ الذي هو ضلالٌ وباطلٌ عندَهم، فإنَّ اللهَ تعالى نصبَ على الحقِّ الأدلةَ والأعلامَ الفارقةَ بين الحقِّ والباطلِ، وجعلَ فِطَرَ عبادِه مستعدةً لإدراكِ الحقائقِ (١).

قال أبو القاسمِ الأصبهانيُّ رحمه الله: قال علماءُ السلفِ: جاءت الأخبارُ عن النبيِّ ﷺ متواترةً في صفاتِ اللّهِ تعالى موافقةً لكتابِ اللهِ تعالى، نقلَها السلفُ على سبيلِ الإثباتِ والمعرفةِ والإيمانِ به والتسليمِ، وتركِ التمثيلِ والتكييفِ وأنَّه ﷻ أزليٌّ بصفاتِه وأسمائِه التي وصفَ بها نفسَه أو وصفَه الرسولُ ﷺ بها، فمن جحدَ صفةً من صفاتِه بعدَ ثبوتٍ كان بذلك جاحدًا.

ومن زعمَ أنَّها محدثةٌ لم تكنْ ثم كانت دخلَ في حكمِ التشبيهِ في الصفاتِ التي هي محدثةٌ في المخلوقِ زائلةٌ بفنائِه غيرُ باقيةٍ، وذلك أنَّ اللهَ تعالى امتدحَ نفسَه بصفاتِه، ودعا عبادَه إلى مدحِه بذلك وصدَّقَ به المصطفَى ﷺ وبيَّن مرادَ اللهِ فيما أظهرَه لعبادِه من ذكرِ نفسِه وأسمائِه وصفاتِه (٢). انتهى.

والأئمةُ المشهورون كلُّهم يثبتونَ الصفاتِ للهِ تعالى، ويقولون: إنَّ

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية المعطلة (١/ ١٧٥).

(٢) الحجة في بيان المحجة (ص: ٦٧).

القرآنَ كلامُ اللهِ ليس بمخلوقٍ، ويقولون: إنَّ اللهَ يُرى في الآخرةِ.

هذا مذهبُ الصحابةِ والتابعين لهم بإحسانٍ من أهلِ البيتِ وغيرِهم، وهذا مذهبُ الأئمةِ المتبوعين، مثلِ: مالكِ بنِ أنسٍ والثوريِّ والليثِ بنِ سعدٍ والأوزاعيِّ وأبي حنيفةَ والشافعيِّ وأحمدَ بنِ حنبلٍ وإسحاقَ وداودَ ومحمدِ بنِ خزيمةَ ومحمدِ بنِ نصرٍ المروزيِّ وأبي بكرِ بنِ المنذرِ ومحمدِ بنِ جريرٍ الطبريِّ وأصحابِهم (١).

الأصلُ الثاني: نفيُ مشابهةِ صفاتِ اللهِ لصفاتِ خلقِه:

وهذا من أصولِ اعتقادِ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ، وخالفتْهم طائفةٌ من أهلِ البدعِ وهم المشبِّهةُ الذين شبَّهوا صفاتِ اللهِ جلَّ وعلا بصفاتِ المخلوقِ، فمن شبَّهَ صفاتِ اللهِ بصفاتِ المخلوقِ فهو ضالٌّ مبتدعٌ، فأهلُ السُّنَّةِ والجماعةِ يثبتُون ما أثبتَه اللهُ لنفسِه وأثبتَه له رسولُه ﷺ من غيرِ تشبيهٍ ولا تمثيلٍ ومن غيرِ تكييفٍ ولا تعطيلٍ ولا تأويلٍ.

قال أبو حنيفة رحمه الله: وصفاتُه كلُّها خلافُ صفاتِ المخلوقين، يعلمُ لا كعلمِنا، ويقدرُ لا كقدرتِنا، ويرى لا كرؤيتِنا(٢).

وقال الشافعيُّ رحمه الله -لما سئلَ عن صفاتِ اللهِ-: حرامٌ على العقولِ أنْ تمثِّلَ اللهَ تعالى، وعلى الأوهامِ أن تحدَّه، وعلى الظنونِ أن تقطعَ، وعلى النفوسِ أنْ تفكرَ، وعلى الضمائرِ أنْ تعمقَّ، وعلى الخواطرِ أن تحيطَ، وعلى

(١) منهاج السنة (٢/١٠٦، ١٠٧).
(٢) انظر شرح الطحاوية (ص: ١٢٠).

العقولِ أن تعقلَ إلا ما وصفَ به نفسَه، أو على لسانِ نبيِّه عليه الصلاةُ والسلامُ(١).

قال شيخُ الإسلامِ رحمه الله: وأمَّا لفظُ "المشبِّهةِ" فلا ريبَ أنَّ أهلَ السُّنَّةِ والجماعةِ والحديثِ من أصحابِ مالكٍ والشافعيِّ وأبي حنيفةَ وأحمدَ وغيرِهم متفقون على تنزيهِ اللهِ تعالى عن مماثلةِ الخلقِ وعلى ذمِّ المشبهةِ الذين يشبِّهون صفاتِه بصفاتِ خلقِه، ومتفقون على أنَّ اللهَ ليس كمثلِه شيءٌ: لا في ذاتِه ولا في صفاتِه ولا في أفعالِه.

وطريقةُ سلفِ الأمةِ وأئمتِها: أنَّهم يصفُون اللهَ بما وصفَ به نفسَه وبما وصفَه به رسولُه من غيرِ تحريفٍ ولا تعطيلٍ، ولا تكييفٍ ولا تمثيلٍ، إثباتًا بلا تمثيلٍ وتنزيهًا بلا تعطيلٍ، إثباتَ الصفاتِ ونفيَ مماثلةِ المخلوقاتِ.

قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ فهذا ردٌّ على الممثلةِ. وقال: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] ردًّا على المعطلةِ (٢).

قال الأصبهانيُّ رحمه الله: قال أبو يعلى: أنكرَ أحمدُ رحمةُ اللهُ عليه التشبيهَ، وقال أئمةُ أصحابِ الحديثِ في أخبارِ الصفاتِ: أمْرُوها كما جاءتْ.

وفي روايةِ المروزيِّ: عن أحمدَ: أحاديثُ الصفاتِ تُمَرُّ كما جاءتْ.

قال أهلُ السُّنَّةِ: ما جاءَ عن الرسولِ ﷺ في الصفاتِ بأسانيدَ صحاحٍ فهو حقٌّ.

---

(١) نقله عنه شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٤/ ٦).

(٢) منهاج السنة النبوية (٢/ ٥٢٣).

وقال أحمدُ في روايةِ حنبلٍ رحمه الله: يضحكُ اللهُ ولا نعلمُ كيف ذلك إلا بتصديقِ الرسولِ ﷺ.

وقد نصَّ أحمدُ على القولِ بظاهرِ الأخبارِ من غيرِ تشبيهٍ ولا تأويلٍ.

قال أحمدُ بنُ نصرٍ رحمه الله[(١)]: سألتُ سفيانَ بنِ عيينةَ عن حديثِ النبيِّ ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ**»[(٢)] وحديث: «**إِنَّ قَلْبَ ابْنِ آدَمَ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابعِ الرَّحْمَنِ**»[(٣)] وحديث: «**إِنَّ اللَّهَ يَعْجَبُ أويَضْحَك**»[(٤)]؟

فقال سفيانُ رحمه الله: هي كما جاءتْ، نُقرُّ بها ونُحدِّث بلا كيفٍ...

وقال أبو عبيدٍ رحمه الله: هذه أحاديثُ صحاحٌ حملَها أصحابُ الحديثِ والفقهاءُ بعضُهم عن بعضٍ، وهي عندَنا حقٌّ لا شكَ فيه ولكنْ إذا قيل: كيفَ وضعَ قدمَه فيها؟ وكيفَ ضحكَ؟ قلنا: لا نفسِّرُ هذا ولا سمعنَا أحدًا يفسِّرُه.

قال أهلُ العلمِ من أهلِ السُّنَّةِ: هذه الأحاديثُ ممَّا لا يدركُ حقيقةُ علمِه بالفكرِ والرويَّةِ[(٥)].

---

(١) المراسيل لأبي داود (٧٥).

(٢) أخرجه البخاري (٧٤١٤)، ومسلم (٢١/٢٧٨٦) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) لم أقف عليه بهذا اللفظ.

(٥) الحجة في بيان المحجة (ص: ٢٢٠) للأصبهاني.

وعن مالكٍ رحمه الله: أنَّ رجلاً جاءَ إليه، فقال له: يا أبا عبدِ اللهِ: ﴿ٱلرَّحۡمَـٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] كيفَ استوَى؟... فقال: الكيفُ غيرُ معقولٍ، والاستواءُ منه غيرُ مجهولٍ، والإيمانُ به واجبٌ، والسؤالُ عنه بدعةٌ، فإنِّي أخافُ أنْ تكونَ ضالاًّ وأُمرَ به فأُخرجَ (١).

قال ابنُ تيميةَ رحمه الله: وقولُ مالكٍ من أنبلِ جوابٍ وقعَ في هذه المسألةِ وأشدِّه استيعابًا، لأنَّ فيه نبذَ التكييفِ وإثباتَ الاستواءِ المعقولِ، وقد ائتمَّ أهلُ العلمِ بقولِه واستجودُوه واستحسنُوه (٢).

قال نعيمُ بنُ حمَّادٍ رحمه الله شيخُ البخاريِّ: من شبَّهَ اللهَ بخلقِه فقد كفرَ، ومن جحدَ ما وصفَ اللهُ به نفسَه فقد كفرَ، وليس ما وصفَ اللهُ به نفسَه ولا رسولُه تشبيهًا (٣).

قال إسحاقُ بنُ راهويهِ رحمه الله: من وصفَ اللهَ فشبَّهَ صفاتِه بصفاتِ أحدٍ ممَّن خلقَه اللهُ فهو كافرٌ باللهِ العظيمِ، لأنَّه وصفٌ لصفاتِه، إنَّما هو استسلامٌ لأمرِ اللهِ ولِمَا سنَّ الرسولُ ﷺ (٤).

---

(١) أخرجه الدارمي في الرد على الجهمية (١٠٤) وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٣٢٥، ٣٢٦)، والبيهقي في الأسماء والصفات (ص: ٥٦١)، وفي الاعتقاد (ص: ١١٩)، وقال الذهبي في العلو (ص: ١٠٣) وهذا ثابت عن مالك، وقال ابن حجر في الفتح (١٣/٤٠٦- ٤٠٧): إسناده جيد.

(٢) مجموع الفتاوى (٥/ ٥٢٠).

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣/ ٢٢٢) والفتاوى (٥/ ١١٠).

(٤) المصدر السابق.

الأصلُ الثالثُ: **الكلامُ في الصفاتِ كما جاءتْ في الكتابِ العزيزِ والسّنّةِ على الحقيقةِ**:

قال الطبري رحمه الله بعدَ أنْ ذكرَ جملةً من الصفاتِ:

فإنْ قال لنا قائلٌ: فما الصوابُ في معانِي هذه الصفاتِ التي ذُكرتْ، وجاءَ ببعضِها كتابُ اللهِ عزَّ وجلَّ ووحيُه، وجاءَ ببعضِها رسولُ اللهِ ﷺ ؟

قيل: الصوابُ من هذا القولِ عندَنا أنْ نثبتَ حقائقَها على ما نعرفُ من جهةِ الإثباتِ ونفيِ التشبيهِ، كما نفَى عن نفسِه جلَّ ثناؤُه فقال: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].... إلى أنْ قال: فثبتَ كلُّ هذه المعانِي التي ذكرْنا أنَّها جاءتْ بها الأخبارُ والكتابُ والتنزيلُ على ما يُعقلُ من حقيقةِ الإثباتِ، وننفِي عنه التشبيهَ[(١)].

قال الأصبهانيُّ رحمه الله: الكلامُ في صفاتِ اللهِ ﷻ ما جاءَ منها في كتابِ اللهِ أو رُوِيَ بالأسانيدِ الصحيحةِ عن رسولِ اللهِ ﷺ.

فمذهبُ السلفِ رحمةُ اللهِ عليهم أجمعين: إثباتُها وإجراؤُها على ظاهرِها، ونفيُ الكيفيةِ عنها، وقد نفَاها قومٌ فأبطلُوا ما أثبتَه اللهُ، وذهبَ قومٌ من المثبتين إلى البحثِ عن التكييفِ.

والطريقةُ المحمودةُ هي الطريقةُ المتوسطةُ بينَ الأمرين، وهذا لأنَّ الكلامَ في الصفاتِ فرعٌ على الكلامِ في الذاتِ، وإثباتُ الذاتِ إثباتُ وجودٍ لا إثباتُ كيفيةٍ، فكذلك إثباتُ الصفاتِ، وإنَّما أثبتنَاها لأنَّ التوقيفَ وردَ

---

(١) التبصرة في معالم الدين (ص: ١٤١-١٤٥).

بها، وعلى هذا مضَى السلفُ... فإن قيل: كيفَ يصحُّ إيمانٌ بما لا نحيطُ علمًا بحقيقتِه؟

قيل: إن إيمانَنا صحيحٌ بحقِّ منْ كَلَّفَنَاهُ، وعلمُنا محيطٌ بالأمرِ الذي أُلْزِمْنَاه وإنْ لم نعرفْ ما تحتَها حقيقةَ كيفيتِه. وقد أُمِرْنَا بأنْ نؤمنَ بملائكةِ اللهِ وكتبه ورسلِه واليومِ الآخرِ وبالجنةِ ونعيمِها، وبالنارِ وعذابِها، ومعلومٌ أنَّا لا نحيطُ علمًا بكلِّ شيءٍ منها على التفصيلِ، وإنَّما كُلفْنَا الإيمانَ بها جملةً(١).

قال السجزيُّ رحمه الله: وقد اتفقتْ الأئمةُ على أنَّ الصفاتِ لا تؤخذُ إلا توقيفًا، وكذلك شرحُها لا يجوزُ إلا بتوقيفٍ، فقولُ المتكلمين في نفي الصفاتِ: أرَى إثباتَها بمجردِ العقلِ، أو حملَها على تأويلٍ مخالفٍ للظاهرِ ضلالٌ(٢).

قال ابنُ عبدِ البرِّ رحمه الله: ومن حقِّ الكلامِ أنْ يُحملَ على حقيقتِه حتى تتفقَ الأمةُ أنَّه أريدَ به المجازُ، إذْ لا سبيلَ إلى اتباعِ ما أُنزل إلينا من ربِّنا إلَّا على ذلك، وإنَّما يُوجَّهُ كلامُ اللهِ عزَّ وجلَّ إلى الأشهرِ والأظهرِ من وجوهِه ما لم يمنعْ ذلك ما يجبُ له التسليمُ، ولو ساغَ ادِّعاءُ المجازِ لكلِّ مُدَّعٍ ما ثبتَ شيءٌ من العباراتِ، وجلَّ اللهُ عزَّ وجلَّ عن أنْ يخاطبَ إلا بما تفهمُه العربُ في معهودِ مخاطباتِها ممَّا يصحُّ معنَاه عن السامعين(٣).

وقال أيضًا رحمه الله: أهلُ السُّنَّةِ مجمِعون على الإقرارِ بالصفاتِ الواردةِ

---

(١) الحجة في بيان المحجة (ص: ٧٠).
(٢) رسالة السجزي إلى أهل زبيد (ص: ١٢١).
(٣) التمهيد (٧/ ١٣١).

كلِّها في القرآنِ والسُّنَّةِ والإيمانِ بها وحملِها على الحقيقةِ لا على المجازِ[(١)].

الأصلُ الرابعُ: لم يزلْ ولا يزالُ اللهُ سبحانه متصفًا بصفاتِ الكمالِ:

صفاتُ اللهِ تعالى أزليةٌ أبديةٌ، لا يسبقُها عدمٌ ولا يلحقُها فناءٌ، فهو سبحانه لم يزلْ بصفاتِه القائمةِ بذاتِه، أولٌ بلا مبتدأٍ وآخرٌ بلا منتهًى، قال جلَّ ذكرُه: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ﴾ [الحديد: ٣]، وكان ﷺ يدعو عندَ النوم: «**اللهُمَّ أَنتَ الأَوْلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيءٌ**»[(٢)].

قال الطحاويُّ رحمه الله: ما زال بصفاتِه قديمًا[(٣)] قبلَ خلقِه، لم يزددْ بكونِهم شيئًا لم يكنْ قبلَهم من صفتِه، وكما كان بصفاتِه أزليًّا كذلك لا يزالُ عليها أبديًّا[(٤)].

قال ابنُ أبي العزِّ رحمه الله: أي أنَّ اللهَ سبحانه وتعالى لم يزلْ متصفًا بصفاتِ الكمالِ: صفاتِ الذاتِ وصفاتِ الأفعالِ. ولا يجوزُ أنْ يُعتَقَدَ أنَّ اللهَ وُصفَ بصفةٍ بعدَ أنْ لم يكنْ متصفًا بها، لأن صفاتِه سبحانه كمالٌ، وفقدُها صفةُ نقصٍ، ولا يجوزُ أنْ يكونَ قد حصلَ له الكمالُ بعد أنْ كان

---

(١) نفس المصدر (٧/ ١٤٥).

(٢) أخرجه مسلم (٢٧١٣).

(٣) القديم ليس من أسماء الله، ويجوز أن نخبر به عن الله تعالى إذا احتيج لذلك، قال ابن تيمية: إذا احتيج إلى الإخبار عنه مثل أن يقال: ليس هو بقديم ولا موجود ولا ذات قائمة بنفسها، ونحو ذلك، فقيل في تحقيق الإثبات بل هو -سبحانه- قديم موجود، وهو ذات قائمة بنفسها- الفتاوى (٩/ ٣٠٠- ٣٠١).

(٤) العقيدة الطحاوية (ص: ٧٥).

متصفًا بضدِه، ولا يردُ على هذا صفاتُ الفعلِ والصفاتُ الاختياريةُ ونحوُها، كالخلقِ والتصويرِ والإحياءِ والإماتةِ والقبضِ والبسطِ والطيِّ والاستواءِ والإتيانِ والمجيءِ والنزولِ والغضبِ والرضَا ونحوِ ذلك مما وصفَ به نفسَه ووصفَه به رسولُه، وإن كنَّا لا ندركَ كنهَه وحقيقتَه التي هي تأويلُه، ولا ندخلُ في ذلك متأوِّلين بآرائِنا ولا متوهمين بأهوائِنا ولكنَّ أصلَ معناه معلومٌ لنا... ولا يطلقُ عليه أنَّه حدثَ بعدَ أنْ لم يكنْ، ألَا ترى أنَّ من تكلَّمَ اليومَ كان متكلِّمًا بالأمسِ، ولا يقالُ: إنَّه حدثَ له الكلامُ، ولو كان غيرَ متكلمٍ لأنَّه كالصفرِ والخرسِ ثم تكلَّم، يقالُ: حدثَ له كلامٌ.

فالساكتُ لغيرِ آفةٍ يسمَّى "متكلِّمًا بالقوةِ" بمعنى أنَّه يتكلمُ إذا شاءَ، وفي حالِ تكلُّمِه يسمَّى "متكلِّمًا بالفعلِ"... إلى أنْ قال: واللهُ تعالى هو الذاتُ الموصوفةُ بصفاتِ اللازمةِ؛ ولهذا قال الشيخُ رحمَه اللهُ: "لا زالَ بصفاتِه" ولم يقلْ: لا زالَ وصفاتُه؛ لأنَّ العطفَ يؤذنُ بالمغايرةِ..

وكذلك قال الإمامُ أحمدُ رحمه الله: في مناظرتِه للجهميةِ: لا نقولُ: اللهُ وعلمُه، اللهُ وقدرتُه، اللهُ ونورُه، ولكنْ نقولُ: اللهُ بعلمِه وقدرتِه ونورِه هو إلهٌ واحدٌ سبحانه وتعالى...

فقال ابنُ أبي العزِّ رحمه الله: فعُلِمَ أنَّ الذاتَ لا يُتصوَرُ انفصالُ الصفاتِ عنها بوجهٍ من الوجوهِ، وإنْ كانَ الذهنُ قد يفرضُ ذاتًا مجردةً عن الصفاتِ كمَا يفرضُ المحالَ، وقد قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: «**أَعُوذُ بعزة اللهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِر**»[(١)]، وَقَالَ ﷺ: «**أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا**

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٠٢) من حديث عثمان بن أبي العاص الثّقفيّ أنّه شكا إلى رسول =

خَلَقَ»[١]، ولا يعوذُ ﷺ بغيرِ اللهِ، وكذا قال ﷺ: «**اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لاَ أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ**»[٢][٣].

قال ابنُ القيم رحمه الله: أفعالُ الربِّ تبارك وتعالى صادرةٌ عن أسمائِه وصفاتِه، وأسماءُ المخلوقين صادرةٌ عن أفعالِهم، فالربُّ تبارك وتعالى أفعالُه عن كمالِه، والمخلوقُ كمالُه عن أفعالِه، فاشتُقتْ له الأسماءُ بعدَ أنْ كَمُلَ بالفعلِ، فالربُّ لم يزلْ كاملاً، فحصلتْ أفعالُه عن كمالِه، لأنَّه كاملٌ بذاتِه وصفاتِه، فأفعالُه صادرةٌ عن كمالِه، كَمُلَ ففعلَ، والمخلوقُ فعلَ فكَمُلَ الكمالَ اللائقَ به[٤].

الأصلُ الخامسُ: نفيُ الصفاتِ التي نفاها اللهُ تعالى عن نفسِه ونفاها عنه نبيُّه ﷺ في الأحاديثِ التي رُوِيتْ عنه بأسانيدَ صحيحةٍ مع إثباتِ كمالِ الضدِّ:

نفَى اللهُ تعالى عن نفسِه كلَّ صفةِ نقصٍ مع إثباتِ كمالِ الضدِّ؛ لأنَّ الإثباتَ بعدَ النفيِ أوكدُ في المعنَى، ولأنَّ النفيَ المحضَ ليس كمالاً، قال جلَّ ذكرُه: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، فنفَى وجودَ آلهةٍ =

اللّه ﷺ وجعًا يجده فى جسده منذ أسلم. فقال له رسول اللّه ﷺ « ضع يدك على الّذى تألّم من جسدك وقل باسم اللّه. ثلاثًا. وقل سبع مرّاتٍ أعوذ باللّه وقدرته من شرّ ما أجد وأحاذر ».

(١) أخرجه مسلم (٢٧٠٨).

(٢) أخرجه مسلم (٤٨٦).

(٣) شرح العقيدة الطحاوية (ص: ٧٥-٧٨) باختصار، والرد على الزنادقة والجهمية للأمام أحمد (ص: ٢٨٠).

(٤) بدائع الفوائد (١/ ١٦٢).

غيرِه ثم أثبتَ الكمالَ لنفسِه بتفردِه بالألوهيةِ.

ونفَى عن نفسِه اتخاذَ الولدِ والشريكِ والوليِّ لكمالِ غنَاه عن الولدِ والشريكِ والوليِّ وعن الخلقِ جميعًا، فقال جلَّ ثناؤه: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴾ [الإسراء: ١١١]، ونفَى عن نفسِه الظلمَ لكمالِ عدلِه، ونفِى السِنَةَ لكمالِ قيوميَّتِه، فنفَى عن نفسِه كلَّ صفةِ نقصٍ مع إثباتِ الكمالِ له سبحانه وتعالى وﷻ.

قال ابنُ تيميةَ رحمه الله: وينبغِي أنْ يعلمَ أنَّ النفيَ ليس فيه مدحٌ ولا كمالٌ، إلا إذا تضمَّنَ إثباتًا وإلا فمجردُ النفيِ ليس فيه مدحٌ ولا كمالٌ؛ لأنَّ النفيَّ المحضَ عدمٌ محضٌ، والعدمُ المحضُ ليس بشيءٍ... فلهذا كان عامةُ ما وصفَ اللهُ به نفسَه من النفيِ متضمنًا لإثباتِ مدحٍ كقولِه: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ إلى قولِه: ﴿ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، فنفيُ السِّنَةِ والنومِ يتضمَّنُ كمالَ الحياةِ والقيامِ فهو مبينٌ لكمالِ أنَّه الحيُّ القيومُ.

وكذلك قولُه: ﴿ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ﴾ أي لا يَكْرِثُه[(١)] ولا يُثْقِلُه، وذلك مستلزمٌ لكمالِ قدرتِه وتمامِها، بخلافِ المخلوقِ القادرِ إذا كان يقْدِرُ على الشيءِ بنوعِ كلفةٍ ومشقةٍ فإنَّ هذا نقصٌ في قدرتِه وعيبٌ في قوتِه.

وكذلك قولُه تعالى: ﴿ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى

(١) كرث: كرثه الأمر يكرثه ويكرثه كرثًا وأكرثه: ساء واشتد عليه وبلغ المشقة – اللسان (٦٢٨/٧).

ﵟٱلۡأَرۡضِﵞ [سبأ: ٣]، فإنَّ نفيَ العزوبِ مستلزمٌ لعلمِه بكلِّ ذرةٍ في السماواتِ والأرضِ.

وكذلك قولُه تعالى: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٖ﴾ [ق: ٣٨]، فإنَّ نفيَ مسِّ اللُّغُوبِ الذي هو التعبُ والإعياءُ دلَّ على كمالِ القدرةِ ونهايةِ القوةِ، بخلافِ الخلقِ الّذي يلحقُه من النَّصَبِ والكلالِ ما يلحقُه.

وكذلك قولُه: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، إنَّما نفيُ الإدراكِ الذي هو الإحاطةُ كما قالَه أكثرُ العلماءِ، ولم ينفِ مجردَ الرؤيةِ لأنَّ المعدومَ لا يُرى، وليس في كونِه لا يُرى مدحٌ، إذ لو كان كذلك لكان المعدومُ ممدوحًا وإنَّما المدحُ في كونِه لا يُحاطُ به وإنْ رُئِيَ، كما أنَّه لا يُحاطُ به وإنْ عُلِمَ، فكمَا أنَّه إذا عُلِمَ لا يُحاط به علمًا، فكذلك إذا رُئِيَ لا يُحاطُ به رؤيةً.

فكان في نفيِ الإدراكِ من إثباتِ عظمتِه ما يكونُ مدحًا وصفةَ كمالٍ، وكان ذلك دليلاً على إثباتِ الرؤيةِ لا على نفيِها، لكنَّه دليلٌ على إثباتِ الرؤيةِ مع عدمِ الإحاطةِ وهذا هو الحقُّ الذي اتفقَ عليه سلفُ الأمةِ وأئمتُها[(١)].

قال ابنُ القيمِ رحمه الله: النفيُ لا يتحققُ إلا بإثباتِ صفاتِ الكمالِ فإنَّه مدحٌ له وثناءٌ أثنَى به على نفسِه، والعدمُ المحضُ لا يُمدحُ به أحدٌ ولا يُثْنَى

(١) العقيدة التدمرية (ص: ٥٧-٥٩).

به عليه، ولا يكونُ كمالًا له، بل هو أنقصُ النقصِ وإنَّما يكونُ كمالًا إذا تضمَّنَ الإثباتَ، كقولِه تعالى: ﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، لكمالِ حياتِه وقيوميَّتِه، وقولِه: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، لكمالِ غناه وملكِه وربوبيَّته، وقولِه: ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [فصلت: ٤٦]. وقولِه: ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٤٩]، لكمالِ غناه وعدلِه ورحمتِه، وقولِه: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨]، لكمالِ قدرتِه... وهكذا ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [الشورى: ١١]، وهو متضمِّنٌ لإثباتِ جميعِ الكمالِ على وجهِ الإجمالِ (١). انتهى.

ونفَى رسولُ اللهِ ﷺ عن اللهِ تعالَى صفاتِ النقصِ وأثبتَ له الكمالَ:

عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي غَزَاةٍ، فَجَعَلْنَا لَا نَصْعَدُ شَرَفًا، وَلَا نَعْلُو شَرَفًا، وَلَا نَهْبِطُ فِي وَادٍ إِلَّا رَفَعْنَا أَصْوَاتَنَا بِالتَّكْبِيرِ. قَالَ: فَدَنَا مِنَّا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ؛ فَإِنَّكُمْ مَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا**»(٢).

وقالَ ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، أَلاَ إِنَّ المَسِيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ العَيْنِ اليُمْنَى، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ**»(٣).

---

(١) الصواعق المرسلة (١/١٥٢)، وانظر طريق الهجرتين (ص: ١١٤) وبدائع الفوائد (١/١٤٤).

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٩٢)، ومسلم (٢٧٠٤)، أحمد في المسند (٣/٢١٠).

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٣٩) ومسلم (١٦٩).

الأصلُ السادسُ: الإثباتُ المفصَّلُ والنفيُ المجمَلُ:

منهجُ القرآنِ في إثباتِ صفاتِ الكمالِ على وجهِ التفصيلِ، ونفي صفاتِ النقصِ عن اللهِ على وجهِ الإجمالِ، وهذا منهجُ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ في الكلامِ عن الصفاتِ، عكسَ أهلِ البدعِ والأهواءِ الذين يذكرُون صفاتِ الكمالِ على وجهِ الإجمالِ، ويذكرُون النفيَ مفصلاً.

قال ابنُ أبي العزِّ رحمه الله: في شرحِه قولَ اللهِ تعالى: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقولَه: ﴿ وَلَا يَـُٔودُهُۥ ﴾ أي: لا يَكْرِثُه ولا يُثْقِلُه ولا يعجزُه، فهذا النفيُ لثبوتِ كمالِ ضدِّه، وكذلك كلُّ نفيٍ يأتي في صفاتِ اللّهِ تعالى في الكتابِ والسُّنَّةِ إنَّما هو لثبوتِ كمالِ ضدِّه..

ولهذا يأتي الإثباتُ في كتابِ اللهِ مفصلاً والنفيُ مجملاً عكسَ طريقةِ أهلِ الكلامِ المذمومةِ، فإنَّهم يأتون بالنفيِ المفصَّلِ والإثباتِ المجمَلِ... وهذا النفيُ المجردُ مع كونِه لا مدحَ فيه، فيه إساءةُ أدبٍ، فإنَّك لو قلتَ للسلطانِ: أنتَ لستَ بزبالٍ ولا كسَّاحٍ ولا حجَّامٍ ولا حائكٍ، لأدَّبكَ على هذا الوصفِ وإنْ كنتَ صادقًا، وإنَّما تكونُ مادحًا إذا أجملتَ النفيَ فقلتَ: أنتَ لستَ مثلَ أحدٍ من رعيَّتِك، أنتَ أعلى منهم وأشرفُ وأجلُّ، فإذا أجملتَ في النفيِ أجملتَ في الأدبِ.

والتعبيرُ عن الحقِّ بالألفاظِ الشرعيةِ النبويَّةِ الإلهيةِ هو سبيلُ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ، والمعطِّلةُ يُعرضونَ عمَّا قالَه الشارعُ من الأسماءِ والصفاتِ، ولا يتدبرون معانيَها ويجعلون ما ابتدعُوه من المعاني والألفاظِ هو المحكَّمَ

الذي يجبُ اعتقادُه واعتمادُه [(١)].

قال شيخُ الإسلامِ ﵀: فالرسلُ وصفُوا اللهَ بصفاتِ الكمالِ، ونزَّهُوه عن النقائصِ المناقضةِ للكمالِ، ونزَّهُوه عن أنْ يكونَ له مثلٌ في شيءٍ من صفاتِ الكمالِ، وأثبتُوا له صفاتِ الكمالِ على وجهِ التفصيلِ، ونفَوْا عنه التمثيلَ، فأتَوْا بإثباتٍ مفصلٍ ونفيٍ مجملٍ[(٢)].

الأصلُ السابعُ: إثباتُ الكمالِ المطلقِ للهِ تعالى من كلِّ وجهٍ:

قال اللهُ تعالى: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [النحل: ٦٠].

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الروم: ٢٧].

قال البغويُّ ﵀: «مثلُ السَّوْءِ»: صفةُ السوْءِ من الاحتياجِ إلى الولدِ وكراهيةِ الإناثِ، وقتلِهِنَّ خوفَ الفقرِ، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾: الصفةُ العليَا، وهي التوحيدُ وأنَّه لا إلهَ إلا هو. وقيل: جميعُ صفاتِ الجلالِ والكمالِ، من العلمِ والقدرةِ والبقاءِ وغيرِها من الصفاتِ[(٣)].

قال ابنُ كثيرٍ ﵀: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ أي الكمالُ المطلقُ من كلِّ

---

(١) شرح الطحاوية (ص: ٥٧-٥٨).

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٣/ ١١١)، وانظر مجموع الفتاوى (٦/ ٣٧، ٥١٥).

(٣) معالم التنزيل (٥/ ٢٥).

وجهٍ وهو منسوبٌ إليه(١).

قال السعديُّ رحمه الله: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ وهو كلُّ صفةِ كمالٍ وكلُّ كمالٍ في الوجودِ فاللهُ أحقُّ به من غيرِ أنْ يستلزمَ ذلك نقصًا بوجهٍ، وله المثلُ الأعلى في قلوبِ أوليائِه وهو التعظيمُ والإجلالُ والمحبةُ والإنابةُ والمعرفةُ(٢).

قال ابنُ القيمِ: قولُه: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ وقولُه: ﴿ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ من أعظمِ الأدلةِ على ثبوتِ صفاتِ كمالِه سبحانه وتعالى.

فإن قلتَ: فما حقيقةُ المثلِ الأعلى؟ قلتُ: قد أُشكلَ هذا على جماعةٍ من المفسرين واستشكلُوا أقوالَ السلفِ فيه:

فإن ابنَ عباسٍ وغيرَه قالوا: ﴿مَثَلُ ٱلسَّوْءِ﴾ العذابُ والنارُ، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾: شهادةُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ.

قال قتادةُ رحمه الله: هو الإخلاصُ والتوحيدُ.

قال الواحديُّ رحمه الله(٣): هذا قولُ المفسرين في هذه الآيةِ، ولا أدري لم قيل للعذابِ مثلُ سَوْءٍ والإخلاصُ المثلُ الأعلى؟ قال: وقال قومٌ: المثلُ السوْءِ الصفةُ من احتياجِهم للولدِ وكراهتِهم للإناثِ خوفَ العيْلةِ والعارِ،

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/٥٨٣).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٤٤٣).

(٣) الإمام، العلامة، الأستاذ، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، صاحب التفسير، وإمام علماء التأويل لزم الأستاذ أبا إسحاق الثعلبي، وأكثر عنه. مات: بنيسابور في جمادى الآخرة، سنة ثمان وستين وأربعمائة. سير أعلام النبلاء (١٨/٣٣٩)، طبقات المفسرين (١/١٢٧).

ولله المثلُ الأعلى الصفةُ العليا وتنزُّهُه وبراءتُه من الولدِ، قال: وهذا قولٌ صحيحٌ..

قلتُ (ابنُ القيمِ) ﷺ المثلُ الأعلى: يتضمَّنُ الصفةَ العليا وعلمَ العالمين بها، ووجودَها العلميَّ والخبرَ عنها وذكرَها، وعبادةَ الربِّ سبحانه بواسطةِ العلمِ والمعرفةِ القائمةِ بقلوبِ عابدِيه وذاكريه [(١)].

وقال في موضعٍ آخرَ: صفاتُ اللهِ كلُّها صفاتُ كمالِ محضٍ، فهو موصوفٌ من الصفاتِ بأكملِها، وله من الكمالِ أكملُه[(٢)].

قال شيخُ الإسلامِ ﷺ: إذا أَثْبَتَ له صفاتِ الكمال ونفَى مماثلةَ غيرِه له فيها، فإنَّ هذا نفيُ المماثلةِ فيما هو مستحَقٌّ له، وهذا حقيقةُ التوحيدِ، وهو أنْ لا يشركَه شيءٌ من الأشياءِ فيما من خصائصِه، وكلُّ صفةٍ من صفاتِ الكمالِ فهو متصفٌ بها على وجهٍ لا يماثلُه فيه أحدٌ، ولهذا كان مذهبُ سلفِ الأمةِ وأئمتِها إثباتَ ما وصفَ به نفسَه من الصفاتِ، ونفيَ مماثلتِه لشيءٍ من المخلوقاتِ [(٣)].

وقال في موضعٍ آخرَ: الكمالُ ثابتٌ للهِ، بل ثابتٌ له أقصَى ما يمكنُ من الأكمليةِ، بحيثُ لا يكونُ وجودُ كمالٍ لا نقصَ فيه إلا وهو ثابتٌ للربِّ تبارك تعالى يستحقُّه بنفسِه المقدسةِ [(٤)].

---

(١) الصواعق المرسلة (١/ ١٥٦).
(٢) بدائع الفوائد (١/ ١٦٨).
(٣) العقيدة التدمرية (ص: ١٢٤).
(٤) مجموع الفتاوى (٦: ٧١).

الأصلُ الثامنُ: إذا كانت الصفةُ تحملُ معنًى الكمالِ والنقصِ، لا تثبتُ للهِ تعالى منها إلا ما كان حالَ الكمالِ:

إذا كانت الصفةُ كمالًا في حالٍ ونقصًا في حالٍ لم تكن جائزةً في حقِّ اللهِ ولا ممتنعةً على سبيلِ الإطلاقِ، فلا تُثبَتُ له إثباتًا مطلقًا ولا تُنفَى نفيًا مطلقًا، بل لابدَ من التفصيلِ.

فتجوزُ في الحالِ التي تكونُ كمالًا وتمتنعُ في الحالِ التي تكونُ نقصًا وذلك كالمكرِ، والكيدِ والخداعِ ونحوِها.

فهذه الصفاتُ تكونُ كمالًا إذا كانت في مقابلةٍ من يعاملون الفاعلَ بمثلِها، لأنَّها حينئذٍ تدلُّ على أنَّ فاعلَها قادرٌ على مقابلةِ عدوِّه بمثلِ فعلِه أو أشدَّ، وتكون نقصًا في غيرِ هذه الحالِ، ولهذا لم يذكرْها تعالى من صفاتِه على سبيلِ الإطلاقِ، وإنَّما ذكرَها في مقابلةِ من يعاملونه ورسلَه بمثلِها، كقولِه تعالى: ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٣٠]، وقولِه: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝١٥ وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ [الطارق: ١٥-١٦]، وقولِه: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ۝١٨٢ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾ [الأعراف: ١٨٢-١٨٣]، وقولِه: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ ﴾ [النساء: ١٤٢]، وقولِه: ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ۝١٤ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٤-١٥].

ولهذا لمْ يذكر اللهُ أنَّه خانَ من خانُوه، فقالَ تعالى: ﴿ وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٧١]، فقال: "فأمكنَ منهمْ" ولم يقلْ: فخانَهم، لأنَّ الخيانةَ خدعةٌ في مقامِ الائتمانِ، وهي صفةُ ذمٍّ مطلقًا...

وليسَ كلُّ كمالٍ في المخلوقِ كمالًا في اللهِ، وليس كلُّ كمالٍ في اللهِ كمالًا في المخلوقِ، فمثلاً التكبُّرُ صفةُ الكمالِ في اللهِ وفي المخلوقِ صفةُ نقصٍ، والأكلُ والشربُ والنكاحُ صفةُ كمالٍ للإنسانِ، وصفةُ نقصٍ بالنسبةِ للهِ ولهذا يُنَزَّهُ اللهُ عنها، فالكمالُ المطلقُ غيرُ النسبيِّ للهِ على الإطلاقِ والنقصِ المطلقِ يُنَزَّهُ اللهُ عنه".

قال قطربُ رحمه الله(١): ﴿ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ ﴾ أي: يجازيهم جزاءَ الاستهزاءِ وكذلك: ﴿ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ ﴾ [التوبة: ٧٩]، ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ﴾...

قال أبو الحسنِ بنِ مهديٍّ رحمه الله(٢): والخداعُ من اللهِ سبحانه أنْ يظهرَ لهم ويعجلَ من الأموالِ والنعمِ ما يدخرونه ويؤخرَ عنهم عذابَه وعقابَه،

---

(١) هو: محمد بن المستنير أبو علي البصري المعروف بقطرب، كان أحد العلماء بالنحو واللغة، أخذ عن سيبويه، وعن جماعة من علماء البصريين، ويقال: إن سيبويه لقبه قطربًا لمباكرته إياه في الأسحار، كان يرى رأي المعتزلة النظامية، وكان موثقا فيما يحكيه، وكان من أئمة عصره؛ وله من التصانيف كتاب معاني القرآن وكتاب الاشتقاق وكتاب القوافي وكتاب النوادر وكتاب الأزمنة وكتاب الفرق وكتاب الأصوات، وتوفي سنة ست ومائتين، رحمه الله تعالى.
تاريخ بغداد (٤/ ٤٨٠)، وفيات الأعيان (٤/ ٣١٢)، الأعلام للزركلي(٧/ ٩٥).

(٢) هو: علي بن محمد بن مهدي، أبو الحسن الطبري، من تلامذة الأشعري، وإنه كان أحد تلاميذه الأربعة الذين اختصوا به، قال عنه السبكي: " كان من المبرزين في علم الكلام، والقوامين بتحقيقه، ... وكان مفتنا في أصناف العلوم" توفي في حدود سنة ٣٨٠هـ.
طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ٤٦٦)، وتبيين كذب المفتري ص(١٩٥).

إذ كانوا يُظهرون الإيمانَ به وبرسولِه ويضمرون خلافَ ما يُظهرون، فاللهُ سبحانه يُظهرُ لهم من الإحسانِ في الدنيا خلافَ ما يُغيِّبُ عنهم من عذابِ الآخرةِ... قال: والخداعُ معناه: في كلامِ العربِ: الفسادُ...

وتأويلُ قولِه: ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ ﴾ [النساء: ١٤٢]، أي: يُفسدُ عليهم نعمَهم في الدنيا بمَا يصيِّرُهم إليه من عذابِ الآخرةِ[(١)].

قال: والمكرُ من اللهِ سبحانه استدراجُهم من حيثُ لا يعلمون، وقد يوصفُ اللهُ سبحانه بالمكرِ على هذا المعنَى، ولا يوصفُ بالاحتيالِ؛ لأنَّ المحتالَ هو الذي يقلِّبُ الفكرةَ حتى يهتدِيَ بتقليبِ الفكرةِ إلى وجهِ ما أرادَ، والماكرُ الذي يستدرِجُ فيأخذُ من وجهِ غفلةِ المستدرَجِ، قال ﷻ: ﴿سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [القلم: ٤٤].

قال الفراءُ رحمه الله[(٢)]: المكرُ من اللهِ الاستدراجُ، لا على معنى مكرِ المخلوقين[(٣)].

---

(١) شرح القواعد المثلى (ص: ١١٩-١٢٠) للعلامة ابن العثيمين، وانظر مجموع الرسائل والمسائل (٢/ ٢٢١) لابن تيمية.

(٢) هو: العلامة، صاحب التصانيف، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظورٍ الأسديّ مولاهم، الكوفيّ، النّحويّ، صاحب الكسائيّ، وكان ثقة إماما، نزل بغداد، وأملى بها كتبه في معاني القرآن، وعلومه، مات الفرّاء: بطريق الحجّ، سنة سبعٍ ومائتين، وله ثلاثٌ وستّون سنةً -رحمه الله-.

سير أعلام النبلاء (١٠/ ١١٨)، تاريخ بغداد (١٦/ ٢٢٤)، معجم الأدباء (٦/ ٢٨١٢).

(٣) الأسماء والصفات (٦٠٩-٦١٢) للبيهقي.

قال الزجَّاجُ ﵀: المكرُ من الخلقِ خبثٌ وخداعٌ، ومن اللهِ ﷻ: المجازاةُ... كقولِه تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ﴾ لأن مكرَه مجازاةٌ ونصرٌ للمؤمنين(١).

قال القرطبيُّ ﵀ في معرضِ شرحِه لقولِ اللهِ تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠]: المكرُ: التدبيرُ في الأمرِ في خفيةٍ ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ﴾ ابتداءٌ وخبرٌ، والمكرُ من اللهِ: هو جزاؤُهم بالعذابِ على مكرِهم من حيثُ لا يشعرون(٢).

الأصلُ التاسعُ: نفيُ بعضِ الصفاتِ كنفيِ الصفاتِ كلِّها:

مذهبُ الأشاعرةِ أنَّهم لا يثبتُون من صفاتِ اللهِ إلا سبعَ صفاتٍ، بزعمِهم أنَّها الصفاتُ التي توافقُ العقلَ، فقدَّموا العقلَ على النقلِ فَضَلُّوا وأضلُّوا، وهذه الصفاتُ هي "الحياةُ والعلمُ، والقدرةُ والإرادةُ، والسمعُ والبصرُ، والكلامُ بالمعنَى، فنقولُ لهم: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَـٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة: ١٨٥].

قال ابنُ تيميةَ ﵀: من فرَّقَ بينَ صفةٍ وصفةٍ، مع تساويهما في أسبابِ الحقيقةِ والمجازِ: كان متناقضًا في قولِه متهافتًا في مذهبِه، مشابهًا لمن آمنَ ببعضِ الكتابِ وكفرَ ببعضٍ(٣).

فالقولُ في بعضِ الصفاتِ كالقولِ في البعضِ الآخرِ.

---

(١) زاد المسير (١/٣٩٥) لابن الجوزي.
(٢) الجامع لأحكام القرآن (٧/٣٧٩).
(٣) مجموع الفتاوى (٥/٢١٢).

قال ابنُ القيمِ رحمه الله: مذهبُ الأشعريِّ ومن وافقَه، أنَّه معنًى واحدٌ (أي الكلامُ) قائمٌ بذاتِ الربِّ، وهو صفةٌ قديمةٌ أزليةٌ، ليس بحرفٍ ولا صوتٍ، لا ينقسمُ ولا له أبعاضٌ ولا له أجزاءٌ ولا عينُ الأمرِ وعينُ النهيِ وعينُ الخبرِ وعينُ الاستخبارِ، الكلُّ من واحدٍ وهو عينُ التوراةِ والإنجيلِ والقرآنِ والزبورِ... إذا عبَّرَ ذلك المعنى بالعربيةِ كان قرآنًا، وإنْ عبَّرَ عنه بالعبرانيةِ كان توراةً، وإن عبَّرَ عنه بالسريانيةِ كان اسمُه إنجيلاً، والمعنى واحدٌ[(١)].

قال ابنُ تيميةَ رحمه الله: قولُ القائلِ: إنَّ القرآنَ حرفٌ وصوتٌ قائمٌ به: بدعةٌ، وقولُه معنًى قائمٌ بذاتِه: بدعةٌ، لم يقلْ أحدٌ من السلفِ لا هذا ولا هذا[(٢)].

وهؤلاءِ الذين لا يثبتُون للهِ تعالى إلا سبعَ صفاتٍ منتسبون إلى أبي الحسنِ الأشعريِّ[(٣)] وكان معتزليًّا وأقامَ على مذهبِ الاعتزالِ أربعين سنةً وكان لهم إمامًا ثم تابَ وعادَ إلى منهجِ أهلِ السُّنَّةِ، **ولأبي الحسنِ الأشعريِّ ثلاثةُ أحوالٍ:**

أولُها: حالُ الاعتزالِ التي رجعَ عنها.

---

(١) انظر الصواعق المرسلة (٢/٤٦٩)، وانظر أضواء البيان (٢/ ١٩-٢٠).

(٢) الفتاوى (٥/٢٦٥).

(٣) هو: علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبي بردة بن أبي موسى عبد الله بن عبد الله بن قيس الأشعري أبو الحسن البصري، ولد سنة ستّين ومائتين، وهو أحد أئمة المتكلمين صاحب التصانيف في الأصول، والملل والنحل كالموجز، ومقالات الإسلاميين، والإبانة.
طبقات الشافعيين (١/٢٠٨)، تاريخ بغداد (١٣/ ٢٦٠).

قال ابنُ كثيرٍ رحمه الله: .. وأنَّه صحبَ الجبائيَّ(١) أربعين سنةً، ثم رجعَ عنه (٢).

الحالُ الثاني: كان يقولُ بقولِ أهلِ السُّنَّةِ وقولِ الجهميةِ معًا.

قال ابنُ تيميةَ رحمه الله: فأمَّا ابنُ كلابٍ، فقولُه مشوبٌ بقولِ الجهميةِ، وهو مركبٌ من قولِ أهلِ السُّنَّةِ وقولِ الجهميةِ، وكذلك مذهبُ الأشعريِّ في الصفاتِ وأمَّا في القدرِ والإيمانِ فقولُه قولُ جهمٍ (٣).

الحالُ الثالثُ: إثباتُ الصفاتِ للهِ تعالى على منهجِ السلفِ من غير تكييفٍ ولا تعطيلٍ ولا تشبيهٍ ولا تمثيلٍ.

قال ابنُ تيميةَ رحمه الله: وأمَّا الأشعريُّ نفسُه وأئمةُ أصحابِه، فلم يختلفْ قولُهم في إثباتِ الصفاتِ الخبريةِ وفي الردِّ على من يتأوَّلُها... وهذا مذكورٌ في كتبِه كلِّها كـ "الموجزِ الكبيرِ" و "المقالاتِ الصغيرةِ والكبيرةِ" و "الإبانةِ" وغيرِ ذلك.. والأشعريُّ اُبتُلِيَ بطائفتين، طائفةٍ تبغضُه وطائفةٍ تحبُّه وكلٌّ منهما يكذبُ عليه (٤).

---

(١) هو: عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب بن سلام بن خالد بن حمران بن أبان مولى عثمان بن عفان، وهو أبو هاشم بن أبي علي الجبائي المتكلم، شيخ المعتزلة ومصنف الكتب على مذاهبهم، سكن بغداد إلى حين وفاته. قال: ولدت في سنة سبع وأربعين ومائتين. ومات سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة ببغداد.
تاريخ بغداد (١٢/٣٢٧)، وفيات الأعيان (٣/ ١٨٣).

(٢) البداية والنهاية (١١/ ٢٨١) لابن كثير.

(٣) مجموع الفتاوى (١٦/٣٠٨).

(٤) الفتاوى (١٢/٣٠٣).

وقال – رحمَه اللهُ – في موضعٍ آخرَ: لكنَّ الأشعريَّ ونحوَه أعظمُ موافقةً للإمامِ أحمدَ بنِ حنبلٍ ومن قبلَه من الأئمةِ في القرآنِ والصفاتِ (١).

قال أبو الحسنِ الأشعريُّ رحمه الله: في كتابِ "الإبانةِ عن أصولِ الديانةِ"... فإنْ قال قائلٌ: قد أنكرتُم قولَ المعتزلةِ والجهميةِ والحروريةِ والرافضةِ والمرجئةِ، فعرِّفونا قولَكم الذي به تقولون، وديانتَكم التي بها تدينون.

قال: قولُنا الذي نقولُ به وديانتُنا التي ندينَ بها: التمسكُ بكتابِ ربِّنا عز وجل وبسُنَّةِ نبيِّنا ﷺ وما رُوِيَ عن الصحابةِ والتابعين وأئمةِ الحديثِ، ونحنُ بذلك معتصمون وبما كان يقولُ به أبو عبدِ اللهِ أحمدُ بنُ حنبلٍ – رفعَ اللهُ درجتَه وأجزلَ مثوبتَه – قائلون، ولِمَنْ خالفَ فيه مجانِبُون، لأنَّه الإمامُ الفاضلُ والرئيسُ الكاملُ... وذكرَ ثبوتَ الصفاتِ ومسائلَ في القدرِ والشفاعةِ وبعضِ السمعياتِ، وقرَّرَ ذلك بالأدلةِ النقليةِ والعقليةِ(٢).

والمتأخرون الذين ينتسبُون إليه أخذُوا بالمرحلةِ الثانيةِ من مراحلِ عقيدتِه والتزمُوا طريقَ التأويلِ في عامَّةِ الصفاتِ ولم يثبتُوا إلا السبعَ المذكورةَ في هذا البيتِ:

حيٌّ عليمٌ قديرٌ والكلامُ له ... إرادةٌ وكذاك السمعُ والبصرُ

على خلافٍ بينَهم وبينَ أهلِ السُّنَّةِ في كيفيةِ إثباتِها (٣).

---

(١) مجموع الفتاوى (٤/ ١٩).

(٢) مجموع الرسائل والمسائل (١/ ١٨٤) لابن تيمية، والإبانة (ص: ٥٦) وما بعدها لأبي الحسن الأشعري.

(٣) مجموع الرسائل (١/ ١٨٤).

قال شيخُ الإسلامِ رحمه الله: في الردِّ على من يثبتُ الصفاتِ السبعَ دونَ غيرِها: فإنْ كان المخاطَبُ ممَّنْ يقرُّ بأنَّ اللهَ حيٌّ بحياةٍ، عليمٌ بعلم، قديرٌ بقدرةٍ، سميعٌ بسمعٍ بصيرٌ ببصرٍ، متكلمٌ بكلامٍ، مريدٌ بإرادةٍ، ويجعلُ ذلك كلَّه حقيقةً وينازِع في محبتِه ورضاه وغضبِه وكراهيتِه، فيجعلُ ذلك مجازًا ويفسرُه إمَّا بالإرادةِ، وإمَّا ببعضِ المخلوقاتِ من النعمِ والعقوباتِ.

قيل له: لا فرقَ بينَ ما نفيْتَه وبينَ ما أثبتَّه، بل القولُ في أحدِهما كالقولِ في الآخرِ، فإنْ قلتَ: إنَّ إرادَته مثلَ إرادةِ المخلوقين، فكذلك محبتُه ورضاه وغضبُه، وهذا هو التمثيلُ وإنْ قلتَ: له إرادةٌ تليقُ به كما للمخلوقِ إرادةٌ تليقُ به. قيل لك: وكذلك له محبةٌ تليقُ به وللمخلوقِ محبةٌ تليقُ به، وله رضًا وغضبٌ يليقُ به وللمخلوقِ رضًا وغضبٌ يليقُ به (١).
وقال - رحمَه اللهُ - في موضعٍ آخرَ: الجهميةُ الأشعريةُ يقولون: إنَّ له صفاتٍ سبعًا: الحياةُ والعلمُ، والقدرةُ والإرادةُ والكلامُ والسمعُ والبصرُ، وينفُون ما عدَاها (٢).

الأصلُ العاشرُ: لا يجوزُ أنْ يُستدَلّ على العلمِ الإلهي بقياسٍ تمثيليّ أو شموليّ، ولكنْ يستعملُ في ذلك قياسُ الأَوْلَى:

ومما يوضِّحُ هذا: أنَّ العلمَ الإلهيَ لا يجوزُ أنْ يُستدَلَّ فيه بقياسِ تمثيلٍ يستوِي فيه الأصلُ والفرعُ، ولا بقياسٍ شموليٍّ تستوِي أفرادُه، فإنَّ اللهَ سبحانه وتعالى ليس كمثلِه شيءٌ، فلا يجوزُ أنْ يمثَّلَ بغيرِه، ولا يجوزُ أنْ

---

(١) العقيدة التدمرية (ص: ٣١-٣٢).
(٢) مجموع الفتاوى (٦/ ٣٥٩).

يدخلَ هو وغيرُه تحتَ قضيةٍ كليةٍ تستوِي أفرادُها، ولهذا لمَّا سلكَ طوائفُ من المتفلسفةِ والمتكلمةِ مثلَ هذه الأقيسةِ في المطالبِ الإلهيةِ لم يصلُوا بها إلى يقينٍ، بل تناقضتْ أدلتُهم وغلبَ عليهم بعدَ التناهِي الحيرةُ والاضطرابُ لما يرَوْنَه من فسادِ أدلتِهم أو تكافئِها.

ولكنْ يستعملُ في ذلك قياسُ الأَوْلَى، سواءٌ كان تمثيلاً أو شمولًا، كما قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾[1] [النحل: ٦٠]، مثلُ أنْ نعلمَ أنَّ كلَّ كمالٍ ثبتَ للممكنِ أو المحدثِ لا نقصَ فيه بوجهٍ من الوجوهِ، وهو ما كان كمالًا للموجودِ غيرَ مستلزمٍ للعدمِ، فالواجبُ القديمُ [2] أَوْلَى به، وكلُّ كمالٍ لا نقصَ فيه بوجهٍ من الوجوهِ ثبتَ نوعُه للمخلوقِ - المربوبِ المعلولِ المدبَّرِ فإنَّما استفادَه من خالقِه وربِّه ومدبِّرِه - فهو أحقُّ به منه، وأنَّ كلَّ نقصٍ وعيبٍ في نفسِه - وهو ما تضمَّنَ سلبَ هذا الكمالِ إذا وجبَ نفيُه عن شيءٍ ما من أنواعِ المخلوقاتِ والمحدثاتِ والممكناتِ - فإنَّه يجبُ نفيُه عن الربِّ تبارك وتعالى بطريقِ الأَوْلَى، وأنَّه أحقُّ بالأمورِ الوجوديةِ من كلِّ موجودٍ، وأمَّا الأمورُ العدميةُ فالممكنُ بها أحقُّ ونحوُ ذلك.

مثلُ هذه الطرقِ هي التي كان يستعملُها السلفُ والأئمةُ في مثلِ هذه المطالبِ، كما استعملَ نحوَها الإمامُ أحمدُ ومَنْ قبلَه وبعدَه من أئمةِ أهلِ

---

(١) سبق بيان أقوال أهل العلم في معنى "المثلى الأعلى" - راجع الأصل السابع.

(٢) بعض السلف يخبرون عن الله بـ "قديم - موجود - واجب الوجود" وهذه ليست أسماء الله ولكن من باب الإخبار، وسيأتي بيان ذلك في مبحث الإخبار عن الله تعالى بإذن الله.

الإسلامِ (١).

الأصلُ الحادي عشرَ: بابُ الصفاتِ أوسعُ من بابِ الأسماءِ:

ذلك لأنَّ كلَّ اسمٍ يدلُّ على صفةٍ للهِ تعالى كما بيَّنا في بابِ الأسماءِ، ولا يشتقُّ من كلِّ صفةٍ اسمًا للهِ ﷻ، فمن صفاتِ اللهِ تعالى، الغضبُ والرضَا والكلامُ والمحبةُ والاستواءُ وغيرُ ذلك، فلا يجوزُ أنْ يُشتقَّ من هذه الصفاتِ أسماءٌ للهِ تعالى، فيقالُ: الغاضبُ، الراضِي، المتكلِّمُ، المحبُّ، والمستوِي؛ لا، بل هي صفاتٌ للهِ جلَّ وعلا، ولو فعلْنَا ذلك لوقعْنَا في المحذورِ وهو تسميةُ اللهِ تعالى بما لم يسمِّ به نفسَه ولم يسمِّه به رسولُه ﷺ وقد تقرَّرَ في بابِ أسماءِ اللهِ تعالى أنَّها توقيفيةٌ، وسبقتْ الأدلةُ وأقوالُ أهلِ العلمِ في بيانِ ما يجوزُ أن يُطلَقَ اسمًا للهِ تعالى، وما لا يجوزُ (٢).

مطلبٌ: المضافِ إلى اللهِ تعالى:

المضافُ إلى اللهِ ﷻ نوعان:

الأولُ: إضافةُ الصفةِ إلى الموصوفِ، كقولِه تعالى: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ﴾ [الذاريات: ٥٨]، إلى غيرِ ذلك.

الثاني: إضافةُ المخلوقِ إلى الخالقِ، وهذه إضافةُ تشريفٍ كقولِه تعالى:

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/٢٩٧-٢٩٨).

(٢) راجع الباب الثالث: توحيد أسماء الله – المبحث الثالث: منهج المتوسعين في عد أسماء الله الحسنى، وانظر مدارج السالكين (٣/٤١٥)، وبدائع الفوائد (١/١٦٢)، والقواعد المثلى (ص:٣٠)

﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ﴾ [الشمس: ١٣]، وقولِه سبحانه وتعالى في عيسى عليه السلامُ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١]، فعيسى كان بكلمةٍ من اللهِ وهي كما قال أهلُ العلمِ كنْ فكانَ وليس عيسى هو الكلمةَ كما زعمَ الجهميةُ وغيرُهم، ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ أي: روحٌ من عندِ اللهِ مخلوقةٌ وليس كما زعمَ النصارَى أنَّه روحُ اللهِ.

قال ابنُ تيميةَ رحمه الله:... فإضافةُ الروحِ إلى اللهِ إضافةُ ملكٍ لا إضافةُ وصفٍ، إذْ كلُّ ما يضافُ إلى اللهِ إنْ كان عينًا قائمةً بنفسِها فهو ملكٌ له، وإن كان صفةً قائمةً بغيرِها ليس لها محلٌّ تقومُ به فهو صفةٌ للهِ.

فالأولُ كقولِه: ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا﴾ [الشمس: ١٣]، وقولِه: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾ [مريم: ١٧-١٩]، وقال: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾ [التحريم: ١٢]، وقال عن آدم: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٩].

والثاني، كقولِنا: علمُ اللهِ، وكلامُ اللهِ، وقدرةُ اللهِ، وحياةُ اللهِ، وأمرُ اللهِ، لكنْ قد يعبَّرُ بلفظِ المصدرِ عن المفعولِ فيسمَّى المعلومُ علمًا، والمقدورُ قدرةً، والمأمورُ به أمرًا، والمخلوقُ بالكلمةِ كلمةً، فيكونُ ذلك مخلوقًا، كقولِه: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل: ١]، وقولِه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا

﴿وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ﴾ [آل عمران: ٤٥][١].

قال ابنُ القيمِ رحمه الله:

والله أخبرَ في الكتابِ بأنَّه ... منه ومجرورٌ بـ مِنْ نوعانِ
عينٌ ووصفٌ قائمٌ بالعينِ فالـ ... أعيانُ خلقُ الخالقِ الرحمنِ
والوصفُ بالمجرورِ قامَ لأنَّه ... أَوْلَى به في عرفِ كلِّ لسانِ
ونظيرُ ذَا أيضًا سواءٌ ما يضا ... فُ إليه من صفةٍ ومن أعيانِ
فإضافةُ الأوصافِ ثابتةٌ لمَنْ ... قامتْ به كإرادةِ الرحمنِ
وإضافةُ الأعيانِ ثابتةٌ له ... ملكًا وخلقًا ما هُمَا سيَّانِ
فانظرْ إلى بيتِ الإلهِ وعلمِه ... لمَّا أضيفَا كيفَ يفترقانِ
وكلامُه كحياتِه وعلمه ... في ذي الإضافةِ إذْ هما وصفان
لكنَّ ناقتَه وبيتَ إلهنا ... فكعبدِه أيضًا هُمَا ذاتانِ
فانظرْ إلى الجهميِّ لمَّا فاتَه الـ ... حقُّ المبينُ وواضحُ البرهانِ
كانَ الجميعُ لديه بابًا واحدًا ... والصبحُ لاحَ لمَنْ له عينانِ[٢]

قال السعديُّ رحمه الله معلقًا على هذه الأبياتِ:

وحاصلُ ذلك أنَّ الذي يضيفُه اللهُ إلى نفسِه إمَّا أعيانٌ يخصُّها بهذه الإضافةِ المفْضِيةِ للاختصاصِ والتشريفِ، مثلَ عبدِ اللهِ، وناقةِ اللهِ، وبيتِ اللهِ، ومثلُه ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ [الفرقان: ٦٣]، فهذه أعيانٌ قائمةٌ بأنفسِها،

---

(١) مجموع الفتاوى (٩/ ٢٩٠-٢٩١)، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٣/ ١١٦).

(٢) القصيدة النونية (ص: ٧٢) لابن القيم.

وهي من جملةِ المخلوقاتِ لكنَّه أضافَها لنفسِه تفضيلاً لها على غيرِها وتعظيمًا.

وأما إضافةُ أوصافٍ، كعلمِ اللهِ وقدرتِه وإرادتِه وكذلك كلامُه وحياتُه، فهذه الإضافةُ تقتضِي قيامَها باللهِ وأنَّه الموصوفُ بها، وكذلك ما أخبرَ أنَّه منه، فإنْ كان أعيانًا منه كقولِه: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ [الجاثية: ١٣]، فهذه منه خلقًا وتقديرًا، وإن كان ذلك أوصافًا كقولِه: ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ [الجاثية: ٢]، دلَّ على أنَّ ذلك من صفاتِه لامتناعِ قيامِ الصفةِ بنفسِها، ولهذا لمَّا اهتدَى السلفُ لهذا الفرقِ الذي يحصلُ به الفرقانُ بينَ الحقِّ والباطلِ هُدُوا إلى الصراطِ المستقيمِ، ولمَّا ضلَّ عنه الجهميةُ ونحوُهم وقعُوا في الأقوالِ الباطلةِ، واللهُ أعلمُ(١).

قال ابنُ كثيرٍ رحمه الله: قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ [النساء: ١٧١]، أي: إنَّما هو عبدٌ من عبادِ اللهِ وخلقٌ من خلقِه، قال له: كنْ فكانَ، ورسولٌ من رسلِه ﴿ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ ﴾ أي: خلَقَه بالكلمةِ التي أَرسَلَ بها جبريلَ عليه السلامُ إلى مريمَ فنَفَخَ فيها من روحِه بإذنِ ربِّه عز وجل فكانَ عيسى بإذنِه عز وجل وصارتْ تلك النفخةُ التي نفخَها في جيبِ درعِها، فنزلتْ حتى ولجتْ فرجَها، بمنزلةِ لقاحِ الأبِ والأمِ، والجميعُ مخلوقٌ للهِ عز وجل، ولهذَا قيلَ لعيسى: إنَّه كلمةُ اللهِ وروحٌ منه، لأنَّه لم يكنْ له أبٌ يولدُ منه

(١) المصدر السابق.

وإنَّما هو ناشئٌ عن الكلمةِ التي قال له بها كنْ فكانَ، والروحِ التي أُرسلَ بها جبريلُ.

قال تعالى: ﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ﴾ [المائدة: ٧٥]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران: ٥٩]، وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٩١]، وقال تعالى: ﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا ﴾ [التحريم: ١٢]، إلى آخرِ السورةِ.

وقال تعالى إخبارًا عن المسيحِ: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ ﴾ [الزخرف: ٥٩](١).

قال القرطبيُّ رحمه الله: قولُه تعالى: ﴿ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ ﴾ أي: هو مكوَّنٌ بكلمةِ (كنْ) فكانَ بشرًا من غيرِ أبٍ، والعربُ تسمِّي الشيءَ باسمِ الشيءِ إذا كان صادرًا عنه، وقيل (كلمتُه) بشارةُ اللهِ تعالى مريمَ عليها السلامُ ورسالتُه إليها على لسانِ جبريلَ عليه السلامُ، وذلك قولُه: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ﴾ [آل عمران: ٤٥]، وقيل (الكلمةُ) هاهنا بمعنى الآيةِ، قال تعالى: ﴿ وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا ﴾ [التحريم: ١٢].. ومعنى ﴿ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ ﴾ أمرَ بها مريمَ.

---

(١) تفسير ابن كثير (١/٥٧٣ – ٥٧٤).

وقولُه تعالى: ﴿ وَرُوحٌ مِّنۡهُ ﴾ هذا الذي أوقعَ النصارَى في الإضلالِ، فقالوا: عيسى جزءٌ منه فجهِلُوا وضلُّوا، وعنه أجوبةٌ ثمانيةٌ:

قال أُبيُّ بنُ كعبٍ: خلقَ اللهُ أرواحَ بني آدمَ لَّما أخذَ عليهم الميثاقَ ثم ردَّها إلى صُلبِ آدمَ وأمسكَ عندَه روحَ عيسى عليه السلامُ، فلمَّا أرادَ خلقَه أرسلَ الروحَ إلى مريمَ فكانَ منه عيسى عليه السلامُ، فلهذا قال: ﴿وَرُوحٌ مِّنۡهُ﴾.

وقيل: هذه الإضافةُ للتفضيلِ وإنْ كان جميعُ الأرواحِ من خلقِه، وهذا كقولِه: ﴿ وَطَهِّرۡ بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ ﴾ [الحج: ٢٦].

قيل: قد يسمَّى من تظهرُ منه الأشياءُ العجيبةُ روحًا، وتضافُ إلى اللهِ تعالى فيقالُ: هذا روحُ اللهِ، أي: من خلقِه، كما قالَ في النعمةِ إنَّها من اللهِ، وكان عيسى يبرئُ الأكمهَ والأبرصَ ويحيي الموتَى فاستحقَّ هذا الاسمَ.

قيل: يسمَّى روحًا بسببِ نفخةِ جبريلَ عليه السلامُ ويسمَّى النفخُ روحًا لأنَّه ريحٌ يخرجُ من الروحِ... وقد وردَ أنَّ جبريلَ نفخَ في درعِ مريمَ فحملتْ بإذنِ اللهِ، وعلى هذا يكونُ ﴿ وَرُوحٌ مِّنۡهُ ﴾: معطوفًا على المضمَرِ الذي هو اسمُ اللهِ في ﴿ أَلۡقَىٰهَآ ﴾ التقديرُ: ألقَى اللهُ وجبريلُ الكلمةَ إلى مريمَ.

قيل: ﴿ وَرُوحٌ مِّنۡهُ ﴾ أي من خلقِه، كما قال: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعًا مِّنۡهُ ﴾ [الجاثية: ١٣]، أي من خلقِه [(١)].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٦/٢٥-٢٦)، وانظر مجموع الفتاوى (١٧/١٥٠-١٥٣) =

مطلبٌ: أقسامُ وأنواعُ صفاتِ اللّهِ عزّ وجلّ:

اعلـمْ أنَّ الـصفاتِ قـسمان: قـسمٌ ثابـتٌ للهِ تعـالى، وقـسمٌ منفـيٌ عنـه سبحانه.

القسمُ الأولُ: الصفاتُ الثابتةُ للّهِ تعالى:

وتـشملُ كـلَّ مـا وصـفَ اللهُ بـه نفسَه مـن الـصفاتِ الذاتيـةِ المعنويـةِ والخبريةِ، والصفاتِ الفعليةِ.

أولاً: الصفاتُ الذاتيـةُ: هي التي لم يزلْ ولا يـزالُ متصفًا بها، وهـي نوعان: معنويةٌ وخبريةٌ.

١- المعنويـةُ: مثـلُ: الحيـاةِ، والعلـمِ، والقـدرةِ، والحكمـةِ، ومـا أشـبهَ ذلك، وهذا على سبيلِ التمثيلِ لا الحصرِ.

٢- الخبريةُ: مثلُ: اليدين، والوجهِ، والعينين، وما أشبهَ ذلك ممَّا سمَّاه نظيرَ أبعاضٍ وأجزاءٍ لنا.

فاللهُ تعالى لم يزلْ له يدان، ووجهٌ، وعينان، لم يحدثْ له شيءٌ من ذلك بعدَ أنْ لم يكنْ، ولـن ينفكَ عـن شيءٍ منه، كما أنَّ اللهَ لم يزلْ حيًّا ولا يزالُ حيًّا، ولم يزلْ عالمًـا ولا يزالُ عالمًـا، ولم يزلْ قادرًا ولا يزالُ قادرًا، وهكذا. يعني: ليس حياتُه تتجددُ، ولا قدرتُه تتجددُ، ولا سمعُه يتجددُ، بـل هـو موصـوفٌ بهـذا أزلاً وأبـدًا، وتجدُّدُ المـسموعِ لا يـستلزمُ تجدُّدَ الـسمعِ، فأنـا

=

لابن تيمية.

مثلاً عندما أسمعَ الأذانَ الآنَ، فهذا ليس معناه أنَّه حدثَ لي سمعٌ جديدٌ عندَ سماعِ الأذانِ، بل هو منذُ خلقَه اللهُ فيَّ، لكنَّ المسموعَ يتجددُ، وهذا لا أثرَ له في الصفةِ.

واصطلحَ العلماءُ -رحمَهم اللهُ- على أنْ يسمُّوها الصفاتِ الذاتيةَ، قالوا: لأنَّها ملازِمةٌ للذاتِ، لا تنفكُّ عنه.

ثانيًا: الصفاتُ الفعليةُ: هي الصفاتُ المتعلقةُ بمشيئتِه، وهي نوعان.

١- صفاتٌ لها سببٌ معلومٌ: مثلُ: الرضَا، فاللهُ عزَّ وجلَّ إذا وُجِدَ سببُ الرضَا؛ رضِيَ، كما قال تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧].

٢- صفاتٌ ليس لها سببٌ معلومٌ: مثلُ: النزولُ إلى السماءِ الدنيا حينَ يبقَى ثلثُ الليلِ الآخرِ.

ومن الصفاتِ ما هو صفةٌ ذاتيةٌ وفعليةٌ باعتبارين، فالكلامُ صفةٌ فعليةٌ باعتبارِ آحادِه، لكنْ باعتبارِ أصلِه صفةٌ ذاتيةٌ؛ لأنَّ اللهَ لم يزلْ ولا يزال متكلمًا، لكنَّه يتكلمُ بما شاءَ، كما سيأتي في بحثِ الكلامِ إنْ شاءَ اللهُ تعالى.

اصطلحَ العلماءُ -رحمِهم اللهُ- أنْ يسمُّوا هذه الصفاتِ: الصفاتِ الفعليةَ؛ لأنَّها من فعلِه سبحانه وتعالى.

ولها أدلةٌ كثيرةٌ من القرآنِ، مثلُ: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]، و﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨]، و﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ [المائدة: ١١٩]،

و﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ﴾ [التوبة: ٤٦]، و﴿أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ﴾ [المائدة: ٨٠].

وليس في إثباتِها للهِ تعالى نقصٌ بوجهٍ من الوجوهِ، بل هذا من كمالِه أنْ يكونَ فاعلًا لما يريدُ.

وأولئك القومُ المحرِّفون يقولون: إثباتُها من النقصِ! ولهذا ينكرون جميعَ الصفاتِ الفعليةِ، يقولون: لا يجيءُ، ولا يرضى، ولا يسخطُ، ولا يكرهُ، ولا يحبُّ، ينكرون كلَّ هذه الصفاتِ، بدعوَى أنَّ هذه حادثةٌ والحادثُ لا يقومُ إلا بحادثٍ، وهذا باطلٌ؛ لأنَّه في مقابلةِ النصِّ، وهو باطلٌ بنفسِه؛ فإنَّه لا يلزمُ من حدوثِ الفعلِ حدوثُ الفاعلِ(١).

القسمُ الثاني: الصفاتُ المنفيةُ عن اللهِ عزَّ وجلَّ:

هي الصفاتُ التي نفَاها اللهُ تعالى عن نفسِه بنصِّ الكتابِ والسُّنَّةِ، مع اعتقادِ ثبوتِ كمالِ الضدِّ كما سبقَ بيانُه، ومن هذه الصفاتِ المنفيَّةِ عنه سبحانه: الظلمُ، والسِّنَةُ والنومُ، والنسيانُ، واتخاذُ الولدِ، وغيرُ ذلك.

قال جلَّ ثناؤُه: ﴿وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا﴾ [الكهف: ٤٩].

وقال سبحانه: ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقال: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّٗا﴾ [مريم: ٦٤].

وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٖۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا

(١) العقيدة الواسطية لابن عثيمين (١/٦٧-٦٩) بتصرف يسير.

فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [مريم: ٣٥].

وقال سبحانه: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا﴾ [مريم: ٨٨-٩٣].

المبحثُ الثاني: إثباتُ جملةٍ من صفاتِ اللهِ تعالى التي اتَّصفَ بها وأظهرَها لعبادِه:

سبقَ بيانُ أنَّ صفاتِ اللهِ تعالى توقيفيةٌ لا مجالَ للاجتهادِ والعقلِ فيها، وإنَّما نثبتُ للهِ تعالى ما أثبتَه لنفسِه وأثبتَه له رسولُه ﷺ، وننفِي ما نفَاه اللهُ سبحانه عن نفسِه ونفَاه عنه رسولُه ﷺ، وذلك بأدلةِ الكتابِ وما رُوِيَ عنه ﷺ بالأسانيدِ الصحيحةِ، وكلُّ ذلك من غيرِ تشبيهٍ ولا تمثيلٍ ومن غيرِ تكييفٍ ولا تعطيلٍ ولا تأويلٍ.

ونذكرُ هاهنا جملةً من صفاتِ اللهِ ﷻ:

إثباتُ العلمِ للهِ – جلّ وعلا ـ:

العلمُ صفةٌ من صفاتِ اللهِ، لم يزلْ ولا يزالُ عالمًا بما كان وما سيكونُ والذي لم يكنْ لو كان كيف يكونُ، وسيأتي الكلامُ عن علمِ اللهِ جلَّ وعلا باستفاضةٍ في بابِ الإيمانِ بالقدرِ، ونذكرُ هنا الأدلةَ على صفةِ العلمِ مجملةً:

قال جلَّ ذكرُه: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾ [الأنعام: ٥٩].

وقال: ﴿هُوَ أَعۡلَمُ بِكُمۡ إِذۡ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَإِذۡ أَنتُمۡ أَجِنَّةٞ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾ [النجم: ٣٢].

وقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ جَعَلَكُمۡ أَزۡوَٰجٗاۚ وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٖ وَلَا يُنقَصُ

مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [فاطر: ١١].

وقال: ﴿ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٣٠]

وقال جلَّ ذكرُه: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١٧].

وقال: ﴿ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ [البقرة: ٧٧]

وقال: ﴿ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ [طه: ٧].

وقال: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقال: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾ [الطلاق: ١٢] والآياتُ في إثباتِ العلمِ للهِ كثيرةٌ جدًّا ولكنَّ ما ذكرْنَاه – وأقلُّ منه – يكفِي.

والأدلةُ من السّنّةِ أيضًا كثيرةٌ جدًّا، نذكرُ منها:

قولَه ﷺ في دعاءِ الاستخارةِ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ**»(١).

وفي حديثِ موسى عليه السلامُ والخضرِ، قال الخضرُ لموسى: «**إِنَّكَ عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَكَهُ اللَّهُ تَعَالَى لَا أَعْلَمُهُ وَأَنَا عَلَى عَلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللهِ عَلَّمَنِيْهِ اللهُ لَا تَعْلَمَهُ**»(٢).

ولما سُئلَ رسولُ اللهِ ﷺ عن ذرارِي المشركين قال: «**اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ** »(٣).

---

(١) صحيح: تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري (١٢٢)، ومسلم (٤٣٨٥).

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٩٨)، ومسلم (٢٦٥٩).

قال أبو سعيدٍ الدارميُّ رحمه الله بعدَ أنْ ذكرَ جملةً من الآياتِ الدالةِ على صفةِ العلمِ للهِ: فمنْ آمنَ بكتابِ اللهِ وصدَّقَ رسلَ اللهِ اكتفى ببعضِ ما ذكرْنَا في علمِ اللهِ السابقِ في الخلقِ، وأعمالِهم قبلَ أنْ يعملُوها، ومنْ يُحصِي ما في كتابِ اللهِ وفي آثارِ رسولِ اللهِ ﷺ وأصحابِه والتابعين في إثباتِ علمِ اللهِ له والإقرارِ به، ويكفِي في معرفةِ ذلك أقلُّ ممَّا جمعْنَا [(١)].

قال ابنُ خزيمةَ رحمه الله: تباركتْ أسماؤُه وجلَّ ثناؤُه بالوحيِ المنزَّلِ على النبيِّ ﷺ والذي يُقرأُ في المحاريبِ والكتاتيبِ من العلمِ الذي هو من علمِ العامِّ، لا ينقلُ الأخبارَ التي هي من نقلِ علمِ الخاصِّ، ضدَّ قولِ الجهميةِ المعطلةِ الذين لا يؤمنون بكتابِ اللهِ ويحرفون الكَلِمَ عن مواضعِه – تشبُّهًا باليهودِ – ينكرون أنَّ للهِ علمًا، يزعمون أنَّهم يقولون أنَّ اللهَ هو العالِمُ، وينكرون أنَّ للهِ علمًا مضافًا إليه من صفاتِ الذاتِ.

قال اللهُ – جلَّ وعلا – في محكمِ تنزيلِه: ﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦ ﴾ [النساء: ١٦٦]، وقال ﷻ: ﴿ فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ ﴾ [هود: ١٤].

فأعلمَنَا اللهُ أنَّه أنزلَ القرآنَ بعلمِه، وأخبرَنَا جلَّ ثناؤُه أنَّ الأنثَى لا تحملُ ولا تضعُ إلا بعلمِه، فأضافَ اللهُ – جلَّ وعلاَ – إلى نفسِه العلمَ الذي خبَّرَنَا أنَّه أنزلَ القرآنِ بعلمِه، وأنَّ الأنثَى لا تحملُ ولا تضعُ إلا بعلمِه[(٢)].

---

(١) الرد على الجهمية (ص: ١٢٧) لأبي سعيد عثمان بن سعيد الدارمي.

(٢) يشير إلى قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ جَعَلَكُمۡ أَزۡوَٰجٗاۚ وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٖ وَلَا يُنقَصُ مِنۡ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ =

فكفرَتْ الجهميةُ وأنكرتْ أنَّ يكونَ لخالقِنا علمًا مضافًا إليه من صفاتِ الذاتِ، تعالى اللهُ عمَّا يقولُ الطَّاعنون في علمِ اللهِ علوًّا كبيرًا، فيقالُ لهم: خبِّرُونا عمَّنْ هو عالمٌ بالأشياءِ كلِّها، ألهُ علمٌ أم لا؟ فإنْ قال: اللهُ يعلمُ السرَّ والنجوَى وأخفَى، وهو بكلِّ شيءٍ عليمٌ، قيل له: فمن هو عالمٌ بالسرِّ والنجوَى وهو بكلِّ شيءٍ عليمٌ، ألهُ علم أم لا علمَ له؟ فلا جوابَ لهم لهذا السؤالِ إلا الهربُ ﴿ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥٨] (١).

إثباتُ السمعِ والبصرِ للهِ تعالى:

من صفاتِ اللهِ التي وصفَ ﷺ بها نفسَه السمعُ والبصرُ، قال اللهُ ﷻ واصفًا نفسَه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وقال: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ [النساء: ١٣٤].

وقال: ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [البقرة: ١٣٧].

وقال: ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ﴾ [آل عمران: ١٨١].

وقال: ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١].

وقال لموسى: ﴿ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [طه: ٤٦].

=

ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [فاطر: ١١].

(١) كتاب التوحيد (ص: ١٧) لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، وهذا مذهب أهل السنة والجماعة – راجع كلام شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٥/٣٣٨-٣٣٩) واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٣/ ٥١) وغيرها من كتب الأئمة المعتبرين.

وعن عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عنها قالتْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذي وَسِعَ سَمْعُهُ الأَصْوَاتَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى النبي ﷺ: ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا ﴾(١).

وعَن عُرْوَةَ، عَن عَائِشَةَ؛ أَنَّهَا حدثته أنها قالت لرسول الله: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ قَالَ: «لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدُّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلاَلٍ ، فَلَمْ يُجِبْنِى إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلاَّ وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ: ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمِ الأَخْشَبَيْنِ، فَقَالَ النبيُّ ﷺ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا» (٢).

عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، إِنَّكُمْ لاَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِبًا، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا، إِنَّ الذي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري معلقًا بصيغة الجزم (١٣/٢٧٢)، وابن ماجه (٢٠٦٣)، وأحمد (٦/٤٦)، وابن أبي عاصم في السنة(٦٢٥)، والحاكم (٢/٥٢٣).

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٣١) ومسلم (١٧٩٥).

(٣) أخرجه البخاري (٦٣٨٤) ومسلم (٢٧٠٤).

عن أَبِي يُونُسَ سُلَيْمُ بْنُ جُبَيْرٍ مَوْلَى أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقْرَأُ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨] إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨] قَالَ: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَضَعُ إِبْهَامَهُ عَلَى أُذُنِهِ، وَالَّتِي تَلِيهَا عَلَى عَيْنِهِ»، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقْرَؤُهَا وَيَضَعُ إِصْبَعَيْه»[(١)].

قال ابنُ القيمِ ﷺ: وقرأ ﷺ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ وضعَ يديْهِ على عينيْهِ وأذنيْهِ تحقيقًا لصفةِ السمعِ والبصرِ، وأنَّهما حقيقةٌ لا مجازٌ[(٢)].

قال أبو القاسمِ الأصبهانيُّ ﷺ: من صفاتِ اللهِ التي وصفَ بها نفسَه السمعُ والبصرُ، قال اللهُ ﷻ واصفًا نفسَه: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]... وذكرَ الآياتِ والأحاديثَ كما تقدَّمَ[(٣)].

قال البيهقيُّ ﷺ في معرضِ شرحِه لحديثِ أبي هريرةَ المتقدم: والمرادُ بالإشارةِ المرويةِ في هذا الخبرِ تحقيقُ الوصفِ للهِ ﷻ بالسمعِ والبصرِ، وأشارَ إلى محلي السمعِ والبصرِ منَّا لإثباتِ صفةِ السمعِ والبصرِ للهِ تعالى، كما يُقالُ: قبضَ فلانٌ على مالِ فلانٍ ويشارُ باليدِ، على معنى أنَّه حازَ مالَه، أفادَ الخبرُ أنَّه سميعٌ بصيرٌ له سمعٌ وبصرٌ لا على معنَى أنَّه عليمٌ، إذا لو كان بمعنَى العلمِ لأشارَ في تحقيقِه إلى القلبِ لأنَّه محلُّ العلومِ منَّا، وليس الخبرُ

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٢٨) وابن حبان (٢٦٥) وابن خزيمة في التوحيد (٤٦).
(٢) الصواعق المرسلة (٢/٣٦٧).
(٣) الحجة في بيان المحجة (ص: ٧٠).

فيه إثباتُ الجارحةِ، تعالى اللهُ عن شبهِ المخلوقينَ علوًّا كبيرًا [١].

قال أبو الحسنِ الأشعريُّ رحمه الله: وأجمعُوا على أنَّه عزَّ وجلَّ يسمعُ ويرَى [٢].

قال ابنُ القيمِ رحمه الله: وهو سميعٌ بصيرٌ له السمعُ والبصرُ، يسمعُ ويبصرُ، وليس كمثلِه شيءٌ في سمعِه وبصرِه [٣].

الفرقُ بينَ سمعِ الخالقِ وسمعِ المخلوقِ المحدَثِ، ورؤيةِ الخالقِ ورؤيةِ المخلوقِ:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه؛ قَالَ اجْتَمَعَ عِنْدَ الْبَيْتِ قُرَشِيَّانِ وَثَقَفِيٌّ - أَوْ ثَقَفِيَّانِ وَقُرَشِيٌّ - كَثِيرَةٌ شَحْمُ بُطُونِهِمْ قَلِيلَةٌ فِقْهُ قُلُوبِهِمْ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ: أَتُرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ مَا نَقُولُ؟ قَالَ الآخَرُ: يَسْمَعُ إِنْ جَهَرْنَا وَلاَ يَسْمَعُ إِنْ أَخْفَيْنَا . وَقَالَ الآخَرُ: إِنْ كَانَ يَسْمَعُ إِذَا جَهَرْنَا فَإِنَّهُ يَسْمَعُ إِذَا أَخْفَيْنَا. فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَـٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ الآيَةَ. [٤].

قال الأصبهانيُّ رحمه الله: ... فرؤيةُ الخالقِ لا تكونُ كرؤيةِ المخلوقِ، وسمعُ الخالقِ لا يكونُ كسمعِ المخلوقِ، قال اللهُ تعالى: ﴿فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥]، وليس رؤيةُ اللهِ تعالى أعمالَ

(١) الأسماء والصفات (ص: ٢٥٦).
(٢) رسالة إلى أهل الثغر (ص: ٢٢٥).
(٣) الصواعق المرسلة: (٣/ ١٠٢٠).
(٤) أخرجه البخاري (٤٨١٧) ومسلم (٢٧٧٥).

بني آدمَ كرؤيةِ رسولِ اللهِ ﷺ والمؤمنين، وإن كان اسمُ الرؤيةِ يقعُ على الجميعِ... فاللهُ تعالى يرَى ما تحتَ الثرَى وما تحتَ الأرضِ السابعةِ السفلَى وما في السماواتِ العُلَى، لا يغيبُ عن بصرِه شيءٌ من ذلك ولا يخفَى، يرَى ما في جوفِ البحارِ ولُجَجِها كما يرَى ما في السماواتِ، وبنو آدمَ يرَوْنَ ما قَرُبَ من أبصارِهم ولا تدركُ أبصارُهم ما يبعدُ منهم، ولا يدركُ بصرُ أحدٍ من الآدميين ما يكونُ بينَه وبينَه حجابٌ، وقد تتفقُ الأسامِي وتختلفُ المعانِي(١).

ذِكْرُ ما يدلّ على أنّ اللهَ تعالى ينظرُ إلى عبادِه:

قال اللهُ جلَّ ذكرُه: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّـٰجِدِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٨-٢١٩].

وفي حَديثِ جِبْرِيلَ أَنَّهُ سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عنِ الإِحْسانِ فقال: «**أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»(٢).

ذكرُ ما يدلّ على أنّ اللهَ ﷻ يعرِضُ عما يكرهُ لا ينظرُ إليه:

قال اللهُ ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٧٧].

عَنْ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ**

(١) الحجة في بيان المحجة (ص: ٧٣-٧٤).
(٢) البخاري: (٥٠) ومسلم (٩).

يَقْتَطِعُ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، هُوَ عَلَيْهَا فَاجِرٌ، لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ» فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً ﴾ [[آل عمران: ٧٧] الآية (١).

وقَالَ ﷺ: «ثَلاَثَةٌ لاَ يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلاَ يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: رَجُلٌ كَانَ لَهُ فَضْلُ مَاءٍ بِالطَّرِيقِ، فَمَنَعَهُ مِنِ ابْنِ السَّبِيلِ، وَرَجُلٌ بَايَعَ إِمَامًا لاَ يُبَايِعُهُ إِلاَّ لِدُنْيَا، فَإِنْ أَعْطَاهُ مِنْهَا رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطِهِ مِنْهَا سَخِطَ، وَرَجُلٌ أَقَامَ سِلْعَتَهُ بَعْدَ الْعَصْرِ، فَقَالَ: وَاللَّهِ الَّذِي لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ لَقَدْ أَعْطَيْتُ بِهَا كَذَا وَكَذَا، فَصَدَّقَهُ رَجُلٌ، ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً ﴾ [آل عمران: ٧٧](٢).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ - قَالَ أَبُو مُعَاوِيَةَ: وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ - وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: شَيْخٌ زَانٍ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ»(٣).

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لاَ يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَى مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلاَءَ»(٤)(٥).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى

---

(١) أخرجه البخاري (٢٣٥٦، ٢٣٥٧) ومسلم (١٣٨) باختلاف.

(٢) أخرجه البخاري (٢٣٥٨) ومسلم (١٠٨).

(٣) أخرجه مسلم (١٠٧).

(٤) أخرجه البخاري (٥٧٨٣) ومسلم (٢٠٨٥).

(٥) التوحيد لابن منده (ص: ٢٨٢) وما بعدها.

أَجْسَادِكُمْ، وَلَا إِلَى صُوَرِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُم»(١).

إثباتُ العينِ للهِ – جلّ ثناؤه-:

قال اللهُ تعالى: ﴿ وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا ﴾ [هو: ٣٧].

وقال سبحانه: ﴿ تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا ﴾ [القمر: ١٤].

وقال جلَّ ثناؤه: ﴿وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ﴾ [طه: ٣٩].

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَا ﴾ [الطور: ٤٨].

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّهُ قَالَ: ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ يومًا بَينَ ظَهْرَيِّ النَّاسِ المَسيحَ الدَّجَّالَ، فَقالَ: «**إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، أَلاَ إِنَّ المَسِيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ العَيْنِ اليُمْنَى، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنبَةٌ طَافِيَةٌ** »(٢).

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ لاَ يَخْفَى عَلَيْكُمْ، إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ - وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى عَيْنِهِ - وَإِنَّ المَسِيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ العَيْنِ اليُمْنَى، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنبَةٌ طَافِيَةٌ**»(٣).

ذهبُ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ إلى إثباتِ صفةِ العينِ للهِ تعالى مع اليقينِ الجازمِ أنَّه سبحانه ليس كمثلِه شيءٌ لا في صفاتِه ولا في أفعالِه. فاعتقادُ أهلِ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٦٤).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٣٩) ومسلم (١٦٩).

(٣) أخرجه البخاري (٧٤٠٧).

السُّنَّةِ أنَّ اللهَ تعالى لا يشتركُ مع العبادِ في الصفاتِ وإن اتحدتْ الأسماءُ.

وبعضُ السلفِ حملَ "العينَ" في الآياتِ على الرؤيةِ أي بمرأًى منِّي، ومنهم من حملَها على الحفظِ والكَلاءَةِ، وليس معنَى هذا نفيَ العينِ، فإنَّ اللهَ سبحانه وتعالى إذا كان يكلؤُه بعينِه لزمَ من ذلك أنْ يراه، فنثبتُ العينَ للهِ تعالى بدلالةِ اللفظِ.

قال ابنُ خزيمةَ رحمه الله: إثباتُ العينِ للهِ – جلَّ وعلا – على ما ثبَّتَه الخالقُ البارئُ لنفسِه في محكم تنزيلِه، وعلى لسانِ نبيِّه ﷺ... وذكرَ الآياتِ كما تقدَّمَ ثم قال: فواجبٌ على كلِّ مؤمنٍ أنْ يثبتَ لخالقِه وبارئِه ما ثبَّتَ الخالق البارئُ لنفسِه من العينِ، وغيرُ مؤمنٍ منْ ينفِي عن اللهِ تبارك وتعالى ما قد ثبَّتَه اللهُ في محكم تنزيلِه ، ببيانِ النبيِّ ﷺ الذي جعلَه اللهُ مبيِّنًا عنه ﷻ في قولِه: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل: ٤٤].

فبيَّنَ النبيُّ ﷺ أنَّ للهِ عينين فكان بيانُه موافقًا لبيانِ محكمِ التنزيلِ، الذي هو مسطورٌ بينَ الدفتين، مقروءٌ في المحاريبِ والكتاتيبِ... وساقَ حديثَ أبي هريرةَ وفيه أنَّه رَضِيَ اللهُ عنه قال في هذه الآية: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ [النساء: ٥٨]: رأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ يضعُ إبهامَه على أذنِه وإصبعَه التي تليها على عينِه. قال أبو هريرةَ رَضِيَ اللهُ عنه رأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ يفعلُ ذلك (١)...

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٢٨).

واستدلَّ أيضًا بحديثِ المسيحِ الدجالِ كما تقدَّمَ (١).

قال اللالكائيُّ رحمه الله: سياقُ ما دلَّ من كتابِ اللهِ عز وجل وسنةِ رسولِه ﷺ على أنَّ من صفاتِ اللهِ عز وجل الوجهَ والعينين واليدين... ثم استدلَّ بقولِه تعالى: ﴿ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا ﴾ وقولِه: ﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾.

قال: رُوِيَ عن ابنِ عباسٍ في تفسيرِ "أعينِنَا" أنَّه أشارَ إلى عينيهِ... واستدلَّ أيضًا بحديثِ الدجالِ على إثباتِ صفةِ العينِ للهِ تعالى (٢).

قال ابنُ العثيمين: قولُه تعالى عن سفينةِ نوحٍ: ﴿ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا ﴾ [القمر: ١٤]، وقولُه لموسَى: ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴾ [طه: ٣٩]. أنَّ المعنَى في هاتين الآيتين على ظاهرِ الكلامِ وحقيقتِه.

لكنْ ما ظاهرُ الكلامِ وحقيقتُه؟ هل يقالُ: إنَّ ظاهرَه وحقيقتَه أنَّ السفينةَ تجري في عينِ اللهِ، وأنَّ موسَى عليه الصلاةُ والسلامُ يُرَبَّى فوقِ عينِ اللهِ؟

أم يقالُ: إنَّ ظاهرَه أنَّ السفينةَ تجرِي وعينُ اللهِ ترعَاها وتكلؤُها، وكذلك تربيةُ موسَى تكونُ على عينِ اللهِ تعالى يرعَاه ويكلؤُه بها؟

ولا ريبَ أنَّ القولَ الأولَ باطلٌ من وجهين:

الأولِ: أنَّه لا يقتضِيه الكلامُ بمقتضَى الخطابِ العربيِّ، والقرآنُ إنَّما نزلَ بلغةِ العربِ، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾

---

(١) كتاب التوحيد (ص: ٤٥-٤٦) لابن خزيمة.

(٢) شرح أصول الاعتقاد (٣/٦٥-٦٦، ٧٧).

[يوسف: ٢].. ولا أحدَ يفهمُ من قولِ القائلِ "فلانٌ يسيرُ بعينِي" أنَّ المعنى: أنَّه يسيرُ داخلَ عينِه، ولا من قولِ القائلِ: «فلانٌ تخرَّجَ على عينِي» أنَّ تخرُّجَه كان وهو راكبٌ على عينِه. ولو ادَّعى مُدَّعٍ أنَّ هذا ظاهرُ اللفظِ في هذا الخطابِ لضحكَ منه السفهاءُ فضلاً عن العقلاءِ...

فإذا تبيَّنَ بطلانُ هذا من الناحيةِ اللفظيةِ والمعنويةِ، تعيَّنَ أنْ يكونَ ظاهرُ الكلامِ هو **القولَ الثاني**: القائلَ بأنَّ السفينةَ تجرِي وعينُ اللهِ ترعَاها وتكلؤُها، وكذلك تربيةُ موسَى تكونُ على عينِ اللهِ يرعاه ويكلؤُه بها...

وفسَّرَ بعضُ السلفِ قولَه تعالى: ﴿ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا ﴾ أي: بمرأًى منَّا، وليس مرادُهم بذلك أنَّ اللهَ لا عينَ له، وقد احتجَّ بذلك بعضُ الناسِ، فقالوا: إنَّ السلفَ فسَّروا العينَ بالرؤيةِ.

ونحن نقولُ: الرؤيةُ لازمُ العينِ، وتفسيرُ الشيءِ بلازمِه صحيحٌ، لأنَّه تفسيرٌ بجزءِ معناه، فإنَّ الدلالةَ كمَا سبقَ إمَّا مطابقةٌ وإما تضمُّنٌ وإمَّا التزامٌ[1].

قال عبدُ اللهِ بنُ أحمدَ ﵀: في بابِ الصفاتِ: إثباتُ العينينِ للهِ ﷿... واستدلَّ بحديثِ الدجالِ[2].

إثباتُ اليدين للهِ ـ تعالى ـ:

قال اللهُ ﷿ لإبليسَ: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ﴾

(١) شرح القواعد المثلى (ص: ٣١٦-٣٢٠) باختصار.

(٢) السنة (ص: ٤٠٦) لعبد الله بن أحمد بن حنبل.

[ص: ٧٥].

وقال سبحانه عن اليهود: ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌ ﴾ فقال تكذيبًا لهم: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٦٤].

وقال جلَّ ذكره: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعًا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

وقال سبحانه: ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡ ﴾ [الفتح: ١٠].

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما؛ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**إِنَّ اللَّهَ يَقْبِضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الأَرْضَ وَتَكُونُ السَّمَوَاتُ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ**»(١).

عَنْ طَاوُسَ سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ؛ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُونَا خَيَّبْتَنَا وَأَخْرَجْتَنَا مِنَ الْجَنَّةِ. قَالَ لَهُ آدَمُ: يَا مُوسَى اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِكَلاَمِهِ، وَخَطَّ لَكَ بِيَدِهِ، أَتَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ قَدَّرَ اللَّهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً؟ فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى**» ثَلاَثًا (٢).

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ ﷻ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ**

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤١٢) ومسلم (٢٧٨٨) واللفظ للبخاري.

(٢) أخرجه البخاري (٦٦١٤) ومسلم (٢٦٥٢).

فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا»(١).

وقال النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ يَمِينَ اللَّهِ مَلأَى لاَ يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فَإِنَّهُ لَمْ يَنْقُصْ مَا فِي يَمِينِهِ، وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ وَبِيَدِهِ الأُخْرَى الْفَيْضُ - أَوِ الْقَبْضُ - يَرْفَعُ وَيَخْفِضُ»(٢).

وفي حديثِ الشفاعةِ الطويلِ، وفيه: «... فَيَأْتُونَهُ، فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ، أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ»(٣).

وفي الصحيحين: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلّ يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ بَيْنَ يَدَيْكَ...»(٤).

وَعَنْ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَا أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً؟... وفيه: قَالَ: رَبِّ فَأَعْلَاهَا مَنْزِلَةً؟ قَالَ: أُولَئِكَ الَّذِيْنَ أَرَدْتُ، غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنَ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ»(٥).

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٢٧).

(٢) أخرجه البخاري (٧٤١٩) ومسلم (٩٩٣).

(٣) أخرجه البخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (١٩٤).

(٤) أخرجه البخاري (٧٥١٨)، ومسلم (٢٨٢٩).

(٥) أخرجه مسلم (١٨٩).

قال أبو عثمانَ الصابونيُّ رحمه الله في معرضِ كلامِه عن عقيدةِ السلفِ وأهلِ الحديثِ:

ولا يعتقدون تشبيهًا لصفاتِه بصفاتِ خلقِه، فيقولونَ إنَّه خلقَ آدمَ بيديه، كما نصَّ عليه في قولِه – عزَّ مِنْ قائلٍ –: ﴿ **قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ** ﴾ [ص: ٧٥]، ولا يحرِّفون الكلمَ عن مواضعِه بحملِ اليدينِ على النعمتينِ أو القوتينِ، تحريفَ المعتزلةِ الجهميةِ – أهلكهمُ اللهُ – ولا يكيفونَهما بكيفٍ أو شبَّهَهَا بأيدِي المخلوقين تشبيهَ المشبِّهةِ – خذلَهمُ اللهُ (١).

قال أبو الحسنِ الأشعريُّ رحمه الله: وأجمعُوا على أنَّه عزَّ وجلَّ يسمعُ ويرَى، وأنَّ له تعالى يديْنِ مبسوطتيْنِ(٢).

قال أبو بكرٍ الآجريُّ رحمه الله: يقالُ للجهمي – الذي ينكرُ أنَّ اللهَ عز وجل خلقَ آدمَ بيدِه –: كفرتَ بالقرآنِ، ورددتَ السُّنَّةَ وخالفتَ الأمةَ... وساقَ الأدلةَ التي تدلُّ على إثباتِ اليدِ للهِ تعالى من الكتابِ والسُّنَّةِ كما تقدَّمَ (٣).

قال الأصبهانيُّ رحمه الله: فصلٌ في إثباتِ اليدِ للهِ تعالى صفةً له... وذكرَ الآياتِ ثم قال: ذكرُ البيانِ من سُنَّةِ النبيِّ ﷺ على إثباتِ اليدِ موافقًا للتنزيلِ... وساقَ حديثَ موسى عليه السلامُ مع آدمَ.

---

(١) اعتقاد السلف وأصحاب الحديث (ص: ١٦١-١٦٢) لأبي عثمان إسماعيل بن عبدالرحمن الصابوني.

(٢) رسالة إلى أهل الثغر (ص: ٢٢٥).

(٣) الشريعة (ص: ٢٦٢).

قال أبو زرعةَ الرازيُّ رحمه الله(١): المعطِّلَةُ النافيةُ الذين ينكرُون صفاتِ اللهِ ﷻ التي وصفَ بها نفسَه في كتابِه وعلى لسانِ نبيِّه ﷺ، ويكذِّبون بالأخبارِ الصحاحِ التي جاءتْ عن رسولِ اللهِ ﷺ في الصفاتِ ويتأوَّلونها بآرائِهم المنكوسةِ على موافقةِ ما اعتقدُوا من الضلالةِ، وينسبون رواتِها إلى التشبيهِ، فمنْ نسبَ الواصفين ربَّهم تبارك وتعالى بما وصفَ به نفسَه في كتابِه وعلى لسانِ نبيِّه ﷺ - من غيرِ تمثيلٍ ولا تشبيهٍ - إلى التشبيهِ فهو معطِّلٌ نافٍ ويُستدَلُّ عليهم بنسبتِهم إياهم إلى التشبيهِ أنَّهم معطلةٌ نافيةٌ، وكذلك كان أهلُ العلمِ يقولون: منهم عبدُ اللهِ بنُ المباركِ(٢) ووكيعُ بنُ الجراحِ(٣).

قال ابنُ القيمِ رحمه الله: قولُه تعالى: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص: ٧٥]، قالت الجهميةُ: مجازٌ في النعمةِ أو القدرةِ، **وهذا باطلٌ من وجوهٍ:**

---

(١) هو: الإمام عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ القرشي المخزومي، أبو زرعة الرازي، مولى عياش بن مطرف بن عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة، أحد الأئمة المشهورين، والأعلام المذكورين، والجوالين المكثرين، والحفاظ المتقنين. توفي سنة أربع وستين ومائتين، وكان مولده سنة مائتين فمات وقد بلغ أربعًا وستين سنة.
تهذيب الكمال (١٩/ ٨٩)، طبقات الحنابلة (١/ ١٩٩).

(٢) هو: الإمام عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي التميمي، مولاهم أبو عبد الرحمن التركي، أحد الأئمة الأعلام، ولد سنة ثماني عشرة ومائة، وطلب العلم وهو ابن عشرين سنة، صاحب التصانيف النافعة، مات سنة ١٨١هـ.
سير أعلام النبلاء (٨/٣٧٨)، وشذرات الذهب (١/٢٩٥).

(٣) الحجة في بيان المحجة (ص: ٧٦-٧٧).

أحدِها: أنَّ الأصلَ الحقيقةُ، فدعوَى المجازِ مخالفةٌ للأصلِ.

الثاني: أنَّ ذلك خلافُ الظاهرِ، فقد اتَّفقَ الأصلُ والظاهرُ على بطلانِ هذه الدعوَى.

الثالثِ: أنَّ مدَّعِي المجازِ المعيَّنِ يلزمُه أمورٌ: أحدُها: إقامةُ الدليلِ الصارفِ عن الحقيقةِ...

الوجهِ الرابعِ: أنَّ اطِّرادَ لفظِها في مواردِ الاستعمالِ وتنوُّعَ ذلك وتصريفَ استعمالِه يمنعُ المجازَ، ألا ترَى قولَه: ﴿ خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص: ٧٥]، وقولَه: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤]، وقولَه: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧]، فلو كان مجازًا في القدرةِ لم يُستعملْ منه لفظُ يمينٍ.

وقولُه في الحديثِ الصحيح "المقسطُون عندَ اللهِ... وساقَ الحديثَ كما ذكرنَاه أولَ المسألةِ... وأطالَ النفسَ في الردِّ عليهم من عشرين وجهًا... إلى أنَّ قال: وردَ لفظُ اليدِ في القرآنِ والسُّنَّةِ وكلامِ الصحابةِ والتابعين في أكثرَ من مائةِ موضعٍ ورودًا متنوعًا متصرَّفًا فيه مقرونًا بما يدلُّ على أنَّها حقيقةٌ من الإمساكِ والطَّيِّ والقبضِ والبسطِ [(١)].

قال ابنُ تيميةَ رحمه الله: فقولُه: ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ لا يجوزُ أنْ يُرادُ به القدرةُ؛ لأنَّ القدرةَ صفةٌ واحدةٌ، ولا يجوزُ أنْ يعبِّرَ بالاثنين عن الواحدِ.

---

(١) الصواعق المرسلة (٢/٣٦٦-٣٨١) باختصار.

ولا يجوزُ أنْ يرادَ به النعمةُ؛ لأنَّ نعمَ اللهِ لا تحصَى، فلا يجوزُ أنْ يعبِّرَ عن النعمِ التي لا تحصى بصيغةِ التثنيةِ.

ولا يجوزُ أنْ يكونَ لمَا خلقتُ أنَا؛ لأنَّهم إذا أرادُوا ذلك أضافُوا الفعلَ إلى اليدِ، فتكونَ إضافتُه إلى اليدِ إضافةً له إلى الفعلِ كقولِه: ﴿ بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ ﴾ [الحج: ١٠]، ﴿ قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ ﴾ [آل عمران: ١٨٢] ومنه قولُه: ﴿ مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ ﴾ [يس: ٧١].

أمَّا إذا أضافَ الفعلَ إلى الفاعلِ، وعدَّى الفعلَ إلى اليدِ بحرفِ "الباءِ" كقولِه: ﴿ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ ﴾ فإنَّه نصَّ على أنَّه فَعَلَ الفعلَ بيدِه، ولهذا لا يجوزُ لمنْ تكلَّمَ أو مشَى أنْ يقالَ: فعلتَ هذا بيديك، ويقالَ: هذا فَعَلَتْهُ يداك، لأنَّ مجردَ قولِه: فَعَلَتْ كافٍ في الإضافةِ إلى الفاعلِ فلو لمْ يردْ أنَّه فَعَلَه باليدِ حقيقةً كان ذلك زيادةً محضةً من غيرِ فائدةٍ، ولستَ تجدُ في كلامِ العربِ ولا العجمِ – إنْ شاءَ اللهُ تعالى – أنَّ فصيحًا يقولُ: فعلتُ هذا بيديَّ أو فلانٌ فعلَ هذا بيديهِ إلا ويكونُ فعلَه بيديهِ حقيقةً، ولا يجوزُ أنْ يكونَ لا يدَ له، أو يكونَ له يدٌ والفعلُ وقعَ بغيرِها (١).

وقال ﵀ في موضعٍ آخرَ: ومن ذلك أنَّهم إذا قالُوا: بيدِه الملكُ أو عملتْه يداك، فهما شيئان:

أحدُهما: إثباتُ اليدِ.

الثاني: إضافةُ الملكِ والعملِ إليها. والثاني يقعُ فيه التجوُّزُ كثيرًا. أمَّا الأولُ فإنَّهم لا يطلقون هذا الكلامَ إلا لجنسٍ له يدٌ حقيقةً، ولا يقولون: يدُ

---

(١) مجموع الفتاوى (٦/٣٦٥-٣٦٦).

الهوى ولا يدُ الماء، فهبْ أنَّ قولَه: «بيدِه المُلْكُ»، قد عُلِمَ منه المرادُ بقدرتِه، لكنْ لا يُتَجَوَّزُ بذلك إلا لمنْ له يدٌ حقيقةً[١].

قال ابنُ خزيمةَ رحمه الله: فزعمَ أنَّ اليدَ هي القوةُ، وهذا من التبديلِ أيضًا وهو جهلٌ بلغةِ العربِ، والقوةُ إنَّما تسمَّى الأيْدَ في لغةِ العربِ لا اليدَ، فمنْ لا يفرقُ بينَ اليدِ والأيدِ فهو إلى التعليمِ والتسليمِ إلى الكتاتيبِ أحوجُ منه إلى الترؤسِ والمناظرةِ[٢].

وأمَّا كلمةُ -بأيدٍ- في قولِه تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَـٰهَا بِأَيۡيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٤٨].

فهي مصدرُ (فعلِه) آدَ يئدُّ أيْدًا، ومعناه: القوةُ[٣]، ويُضَعَّف فيقالُ: أَيَّدَه تأييدًا، ومعناه: قوَّاه، وليس جمعًا ليدٍ[٤].

فائدةٌ جليلةٌ:

توصفُ يدُ اللهِ عزَّ وجلَّ بأنَّها يمينٌ، وهذا ثابتٌ بالكتابِ والسُّنَّةِ، لقولِه تعالى: ﴿وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطۡوِيَّـٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧]. ولمَّا في الصحيحين: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**يَمِينُ اللَّهِ مَلْأَى، لَا يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ**»[٥].

---

(١) مجموع الفتاوى (٦/ ٣٧٠).

(٢) التوحيد (ص: ٧٨).

(٣) انظر تفسير الطبري (١٣/ ١١)، وتفسير القرطبي (١٧/ ٥٤)، وتفسير ابن كثير (٤/ ٢٩٤)، وتفسير البغوي (٧/ ٣٧٩)، وتيسير الكريم الرحمن (ص: ٨١١).

(٤) فتاوى اللجنة الدائمة في الأسماء الحسنى – فتوى رقم (١١٨٦٥).

(٥) أخرجه البخاري (٧٤١٩)، ومسلم (٩٩٣).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «... **وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ** »[(١)].

وقولِه ﷺ: «**مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلَا يَصْعَدُ إِلَى اللَّهِ إِلَّا الطَّيِّبُ، فَإِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُهَا بِيَمِينِهِ**»[(٢)].

فأهلُ السُّنَّةِ يؤمنون أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ له يدان وإحدى يديه يمينٌ، فهل توصفُ الأخرَى بأنَّها شمالٌ؟ أمْ كلتا يديهِ يمينٌ؟

ومِن العلماءِ مَنْ قال بإثباتِ الشِّمالِ أو اليسارِ، أي اليدِ الأخرَى شمالٍ أو يسارٍ، واستدلُّوا بما في صحيحِ مسلمٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**يَطْوِي اللَّهُ عز وجل السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟ ثُمَّ يَطْوِي الْأَرَضِينَ بِشِمَالِهِ**»[(٣)].

وأجيبَ عليه بأنَّ لفظةَ الشِّمالِ تفرَّدَ بها عمرُ بنُ حمزةَ، وهو ضعيفٌ، والحديثُ عندَ البخاريِّ ومسلمٍ من طريقٍ آخرَ وليس فيها لفظةُ الشِّمالِ[(٤)].

ومَنْ قال بهذا القولِ الإمامُ عثمانُ بنُ سعيدِ الدارميُّ[(٥)]، وأبو يعلَى

(١) أخرجه البخاري (٧٣٨٢)، ومسلم (٢٧٨٧).

(٢) أخرجه البخاري: (٧٤٣٠)، ومسلم: (١٠١٤).

(٣) أخرجه مسلم: (٢٧٨٨).

(٤) الأسماء والصفات للبيهقي (ص: ٤١٨).

(٥) الرد على المريسي (ص: ١٥٥).

الفـراءُ[١]، ومحمـدُ بـنُ عبـدِ الوهـابِ[٢]، وصـدِّيقُ خـان[٣]، ومحمـدُ خليـل هراس[٤].

وقال آخرون: كلتا يدي اللهِ يمينٌ لا شمالَ ولا يسارَ فيها، واستدلُّوا بقولِه ﷺ: «... **وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ**»[٥].

وبحديثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ عزَّ وَجَلَّ آدَمَ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ، قَالَ بِيَدِهِ، وَهُمَا مَقْبُوضَتَانِ: خُذْ أَيَّهُمَا شِئْتَ يَا آدَمُ. فَقَالَ: يَمِينَ رَبِّي، وَكِلْتَا يَدَيهُ يَمِينٌ مُبَارَكَةٌ**»[٦].

وقال: بهذا ابنُ خزيمةَ[٧]، وأحمدُ[٨]، والبيهقيُّ.

وقال الألبانيُّ رحمه الله: وهذا أولَى أنْ نقولَ كلتاهما يمينٌ، تأدبًا وتعظيمًا، إذ الشمالُ من صفاتِ النقصِ والضعفِ، ولم يسلمْ دليلٌ في وصفِ إحدى يدي اللهِ عزَّ وجلَّ بالشمالِ، فلذلك لا نتعدَى قولَه ﷺ: «**وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ**»[٩][١٠]. انتهى

---

(١) إبطال التأويلات (ص: ١٧٦).

(٢) كتاب التوحيد، قال: المسألة السادسة: التصريح بتسميتها الشمال.

(٣) قطف الثمار (ص: ٦٦).

(٤) في تعليقه على كتاب التوحيد لابن خزيمة (ص: ٦٦).

(٥) صحيح، تقدم تخريجه.

(٦) أخرجه ابن حبان (٦١٦٧)، وابن أبي عاصم في السنة (٢٠٦)، والحاكم وصححه والبيهقي في الأسماء والصفات (ص: ٤١٩)، وحسنه الألباني في ظلال الجنة.

(٧) كتاب التوحيد (ص: ٦٣).

(٨) طبقات الحنابلة (١/٣١٣).

(٩) تقدم تخريجه.

(١٠) مجلة الأصالة – العدد «٤» (ص: ٦٨).

وهذا هو الراجحُ عندي لموافقتِه صحيحَ السُّنَّةِ.

إثباتُ الوجهِ للهِ ﷻ:

اعتقادُ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ أنَّ للهِ – جلَّ وعلا – وجهًا يليقُ بجلالِه وعظيمِ سلطانِه، فليس كمثلِه شيءٌ.

قال جلَّ ذكرُه: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن: ٢٧].

وقال لنبيِّهِ محمدٍ ﷺ: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ [الكهف: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ [القصص: ٨٨].

وقال تبارك وتعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ﴾ [الروم: ٣٨]

وقال سبحانه حكايةً عن عبادِه المخلصين: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾ [الإنسان: ٩].

وقال جلَّ ثناؤُه: ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [الليل: ٢٠].

ولما زارَ النبيُّ ﷺ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ فِي مَرَضِهِ، قَالَ لَهُ: «**إِنَّكَ لَنْ تُخَلَّفَ بَعْدِي فَتَعْمَلَ عَمَلًا تُرِيدُ بِهِ وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا ازْدَدْتَ بِهِ رِفْعَةً وَدَرَجَةً**...»(١).

وفي حديثِ الثلاثةِ الذين انطبقتْ عليهم الصخرةُ فحبستْهم في الغارِ، قال كلُّ واحدٍ منهم: «**اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ**

---

(١) أخرجه البخاري (٦٧٣٣)، ومسلم (١٦٢٨).

فَفَرِجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ...» الحديث(١).

عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَعُوذُ بِوَجْهِكَ**» . قَالَ: ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ قَالَ: «**أَعُوذُ بِوَجْهِكَ**». قالَ: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**هَذَا أَهْوَنُ**» أَوْ «**هَذَا أَيْسَرُ**» (٢).

وعَنْ أَبِي مُوسَى؛ قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ فَقَالَ: «**إِنَّ اللَّهَ ﷻ لاَ يَنَامُ وَلاَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ. يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ. حِجَابُهُ النُّورُ** - وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ النَّارُ- **لَوْ كَشَفَهُ لأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ**(٣) **وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**» (٤).

قال محمدُ بنُ إسحاقَ رحمه الله: في قولِه: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧]، دلالةٌ أنَّ وجهَ اللهِ صفةٌ من صفاتِ الذاتِ لا أنَّ وجهَ اللهِ هو اللهُ، ولا أنَّ وجهَه غيرُه، لأنَّ وجهَ اللهِ لو كان اللهَ لقُرِئَ: ويبقَى وجهُ ربِّك ذي الجلالِ والإكرامِ.

قال: وزعمَت الجهميةُ أنَّ أهلَ السُّنَّةِ ومتَّبِعِي الآثارِ القائلين بكتابِ

---

(١) أخرجه البخاري (٢٢٧٢)، ومسلم (٢٧٤٣).

(٢) أخرجه البخاري (٤٦٢٨، ٧٣١٣، ٧٤٠٦).

(٣) سبحات وجهه: بضم السين والباء: أنواره وجلاله وعظمته – اللسان (٤/٤٦٧) مادة (سبح).

(٤) أخرجه مسلم (١٧٩).

ربِّهم وسنَّةِ نبيِّهم ﷺ المثبِتين للهِ ﷻ من صفاتِه ما وَصَفَ اللهُ به نفسَه في محكمِ تنزيلِه المثبتِ بينَ الدَّفتيْنِ وعلى لسانِ نبيِّهِ ﷺ بنقلِ العدلِ عن العدلِ موصولًا إليه - مشبهةٌ جهلاً منهم بكتابِ ربِّنا وسنَّةِ نبيِّنا ﷺ (١).

قال أبو حنيفةَ رحمه الله في "الفقه الأكبر": له يدٌ ووجهٌ ونفسٌ، كما ذكرَ تعالى في القرآنِ من ذكرِ اليدِ والوجهِ والنفسِ، فهو له صفةٌ بلا كيفٍ (٢).

قال أبو القاسمِ الأصبهانيُّ رحمه الله: ونحنُ نقولُ وعلماؤُنا جميعًا: إنَّ لمعبودِنا ﷻ وجهًا كمَا أعلمَنَا اللهُ في محكمِ تنزيلِه، ووصفَهُ بالجلالِ والإكرامِ وحكمَ له بالبقاءِ، وهو محجوبٌ عن أبصارِ أهلِ الدنيا لا يراهُ بشرٌ ما دامَ في الدنيا، ووجهُ ربِّنا قديمٌ لم يزلْ باقيًا ولا يزالُ فَنُفِيَ عنه الفناءُ، ووجوهُ بنِي آدمَ محدثةٌ مخلوقةٌ لم تكنْ، فكوَّنها اللهُ فانيةً غيرَ باقيةٍ، فهل في هذا تشبيهُ وجهِ ربِّنا ﷻ بوجوهِ بني آدمِ غيرُ اتفاقِ اسمِ الوجهِ وإيقاعُ اسمِ الوجهِ على وجهِ بنِي آدمَ كمَا سمَّى اللهُ تعالى وجهَه وجهًا؟ (٣)

قال الشنقيطيُّ رحمه الله: والوجهُ صفةٌ من صفاتِ اللهِ تعالى وصفَ بها نفسَه، فعلينَا أنْ نصدقَ ربَّنَا ونؤمنَ بمَا وصفَ به نفسَه مع التنزيهِ التامِّ عن مشابهةِ صفاتِ الخلقِ (٤).

إثباتُ الصورةِ للهِ -جلّ وعلا-:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه في الحديث الطويل في رُؤية

---

(١) الحجة في بيان المحجة (ص: ٨٥) .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (ص: ١٨٨).

(٣) الحجة في بيان المحجة (ص: ٨٥).

(٤) أضواء البيان (٧/ ٥٠١).

المؤمنين لرَبِّهم يَوْمَ القِيَامة، وفيه: «... **فَيَأْتِيهِمْ الْجَبَّارُ فِي صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ...**»(١).

الإيمانُ بأنّ اللّهَ ﷻ خلقَ آدمَ على صورتِه بلا كيفٍ:

عَنِ ابْنِ عُمَـــرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لَا تُقَبِّحُوا الْوَجْهَ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَةِ الرحمن**»(٢).

وفي حديثِ اختصامِ الملأِ الأعلَى، وفيه: قال النبيُّ ﷺ: «**رَأَيْتُ رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ...**»(٣).

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ؛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَفِى حَدِيثِ ابْنِ حَاتِمٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيَجْتَنِبِ الْوَجْهَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ**

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣).

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٥٢٩)، والآجري في الشريعة (٧٢٥)، والدارقطني في الصفات (٤٨)، وفي العلل (١٣/١٨٨) وأعله بالإرسال، وضعف الحديث ابن خزيمة في التوحيد (ص: ٤٣) ورد عليه الذهبي فقال: زل ابن خزيمة في حديث الصورة غفر الله له – سير أعلام النبلاء (٢٠/٨٧ –٨٨)، وصححه الإمامان أحمد وإسحاق بن راهويه- انظر ميزان الاعتدال (٢/٣٧٥)، ولسان الاعتدال (٢/٣٥٦).

(٣) أخرجه أحمد (١/٣٦٨)، والترمذي (٣٢٣٣)، وابن أبي عاصم في السنة (٤٦٩)، وأبو يعلى (٢٦٠٨)، وله طرق أخرى، وصححه الألباني في الإرواء (٦٨٤)، وفي الصحيحة (٣١٦٩).

وانظر علل الدارقطني (٦/٥٤-٥٧)، وقد أُعلّ الحديث بالاضطراب –انظر علل ابن أبي حاتم (١/٢٠)، وقال محمد بن نصر في «تعظيم قدر الصلاة» كما نقله عنه الحافظ ابن حجر في «النكت الظراف» (٤/٣٨): هذا حديث اضطرب الرواة في إسناده، وليس يثبت عند أهل المعرفة.

عَلَى صُورَتِهِ» (١).

اختلفَ العلماءُ في تأويلِه، فقالت طائفةٌ: الضميرُ في (صورتِه) عائدٌ على الأخِ المضروبِ، وهذا ظاهرُ روايةِ مسلمٍ. وقالت طائفةٌ: يعودُ إلى آدمَ، وفيه ضعفٌ. وقالت طائفةٌ: يعودُ إلى اللهِ تعالى، ويكونُ المرادُ إضافةَ تشريفٍ واختصاصٍ، كقولِه تعالى: ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ﴾، وكما يقالُ في الكعبةِ: بيتُ اللهِ ونظائرُه(٢)، واللهُ أعلمُ (٣).

قال الآجريُّ رحمه الله بعد قولِه: الإيمانُ بأنَّ اللهَ ﷻ خلقَ آدمَ على صورتِه بلا كيفٍ وبعدَ أنْ ساقَ حديثَ البابِ، قال: هذه من السننِ التي يجبُ على المسلمين الإيمانُ بها، ولا يقالُ فيها: كيفَ؟ ولِمَ؟ بل تُستقبلُ بالتسليمِ والتصديقِ، وتركِ النظرِ كما قال من تقدَّمَ من أئمةِ المسلمين (٤).

ورَوَى الخلالُ رحمه الله: عن أبي طالبٍ قال: سمعتُ أبا عبدِ اللهِ يقولُ: من قال: إنَّ اللهَ خلقَ آدمَ على صورةِ آدمَ فهو جهميٌّ، وأيُّ صورةٍ كانت لآدمَ قبلَ أنْ يخلقَ؟ (٥)

قال المروذيُّ رحمه الله(٦): سألتُ أبا عبدِ اللهِ أحمدَ بنَ حنبلٍ – رحمَه اللهُ –

---

(١) أخرجه مسلم (١١٥-٢٦١٢) وأحمد (٢/٢٤٤) وابن حبان (٥٦٠٥) وغيرهم.
(٢) وهذا اختيار ابن خزيمة / انظر كتاب التوحيد (ص: ٤٣-٤٤).
(٣) مسلم بشرح النووي (٨/٤١٣).
(٤) الشريعة: (ص: ٢٥٤-٢٥٥).
(٥) بيان تلبيس الجهمية (٦/٤١٦).
(٦) هو: أحمد بن محمّد بن الحجاج أبو بكر المعروف بالمروذي عالم بالفقه والحديث. أجل أصحاب أحمد بن حنبل، لورعه وفضله، وكان أحمد يأنس به وينبسط إليه، وهو الذي =

عن هذه الأحاديثِ التي تردُّها الجهميةُ في الصفاتِ والإسراءِ والرؤيةِ وقصةِ العرشِ، فصحَّحَها وقال: تلقَّتْها العلماءُ بالقبولِ، تُسَلَّمُ الأخبارُ كما جاءتْ (١).

قال الطبرانيُّ رحمه الله: سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ أحمدِ بنِ حنبلٍ يقولُ: قال رجلٌ لأبي: إنَّ فلانًا يقولُ في حديثِ رسولِ اللهِ ﷺ "**إنَّ اللهَ خلقَ آدمَ على صورتِه**" فقال: على صورةِ الرجلِ، قال أبي: كذبَ، هذا قولُ الجهميةِ، وأيُّ فائدةٍ في هذا؟ (٢)

قال ابنُ قتيبةَ رحمه الله: والذي عندي – واللهُ تعالى أعلمُ – أنَّ الصورةَ ليستْ بأعجبَ من اليدين والأصابعِ والعينِ، وإنَّما وقعَ الإلفُ لتلك لمجيئِها في القرآنِ، ووقعَت الوحشةُ من هذه لأنَّها لم تأتِ في القرآنِ، ونحنُ نؤمنُ بالجميعِ، ولا نقولُ في شيءٍ منه بكيفيةٍ ولا بحدٍّ (٣).

إثباتُ النفسِ للهِ – جلّ وعلا ـ:

قال اللهُ تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤].

وقال تبارك وتعالى: ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَـٰمُوسَىٰ ۝٤٠ وَٱصْطَنَعْتُكَ

= تولى إغماضه لما مات وغسله، وقد روى عنه مسائل كثيرة، وأسند عنه أحاديث صالحة. مات لست خلون من جمادى الأولى سنة خمس وسبعين ومائتين، ودفن قريبا من قبر أحمد بن حنبل.

تاريخ بغداد (٦/ ١٠٤)، الأعلام للزركلي (١/ ٢٠٥).

(١) أخرجه الآجري في الشريعة (٧٧١).

(٢) إبطال التأويلات (٧٤) للطبراني.

(٣) تأويل مختلف الحديث (ص: ٦٠٠) لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة.

لِنَفۡسِي﴾ [طه: ٤٠، ٤١].

وقال جلَّ ذكرُه: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٣٠].

وقال سبحانه عن عيسَى مخاطبًا ربَّه: ﴿تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي اللهُ عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً**» (١).

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ؛ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا رَوَى عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: «**يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلاَ تَظَالَمُوا. يَا عبادي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلاَّ مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ. يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلاَّ مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ. يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلاَّ مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ. يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ. يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي. يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي**

(١) أخرجه البخاري (٧٤٠٥) ومسلم (٢٦٧٥).

مُلْكِي شَيْئًا. يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا. يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلاَّ كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ. يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلاَ يَلُومَنَّ إِلاَّ نَفْسَهُ»(١).

وعَنْ جُوَيْرِيَةَ؛ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا بُكْرَةً حِينَ صَلَّى الصُّبْحَ وَهِيَ فِي مَسْجِدِهَا، ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ أَضْحَى وَهِيَ جَالِسَةٌ، فَقَالَ: «مَا زِلْتِ عَلَى الْحَالِ الَّتِي فَارَقْتُكِ عَلَيْهَا؟» قَالَتْ: نَعَمْ. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ، ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ وَزِنَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ»(٢).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ -وهُوَ يَكْتُبُ عَلَى نَفْسِهِ، وَهْوَ وَضْعٌ عِنْدَهُ عَلَى الْعَرْشِ-: إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي»(٣).

قال أبو بكرٍ رحمه الله: فاللهُ – جلَّ وعلا – أثبتَ في آيٍ من كتابِه أنَّ له نفسًا، وكذلك قد بيَّن على لسانِ نبيِّه ﷺ أنَّ له نفسًا، كما أثبتَ النفسَ في كتابِه، وكفرَت الجهميةُ بهذه الآيِ وهذه السننِ، وزعمَ بعضُ جهلتِهم أنَّ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٧).

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٢٦).

(٣) أخرجه البخاري (٧٤٠٤) ومسلم (٢٧٥١).

اللهَ تعالى إنَّما أضافَ النفسَ إليه على معنَى إضافةِ الخلقِ إليه، وزعمَ أنَّ نفسَه غيرُه، كما أنَّ خلقَه غيرُه، وهذا لا يتوهمُه ذو لبٍّ وعلمٍ فضلاً عن أنْ يتكلمَ به.

قد أعلمَ اللهُ في محكمِ تنزيلِه أنَّه كتبَ على نفسِه الرحمةَ أفيتوهَّمُ مسلمٌ أنَّ اللهَ تعالى كتبَ على غيرِه الرحمةَ؟ وحذَّرَ اللهُ العبادَ نفسَه، أفيحلُّ لمسلمٍ أنْ يقولَ: إنَّ اللهَ حذَّرَ العبادَ غيرَه؟ أو يتأوَّلَ قولَه لكليمِه موسَى: ﴿وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي﴾ [طه: ٤١]، فيقولَ معنَاه: واصطنعتُك لغيرِي من الخلقِ؟ أو يقولَ: أرادَ روحَ اللهِ بقولِه: ﴿ وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَ ﴾ [المائدة: ١١٦]، أرادَ ولا أعلمُ ما في غيرِك؟ هذا لا يتوهَّمُه مسلمٌ ولا يقولُه إلا معطِّلٌ كافرٌ(١).

قال ابنُ مندَه رحمه الله في معرضِ كلامِه عن صفاتِ اللهِ تعالى: بيانٌ آخرُ يدلُّ على ما تقدَّمَ من صفاتِ اللهِ ﷻ من ذكرِ النفسِ. قال ﷻ: ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ ﴾ [الأنعام: ٥٤].. واستدلَّ على إثباتِ صفةِ النفسِ بالآياتِ والأحاديثِ كما تقدَّمَ(٢).

قال الإمامُ أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ خفيفٍ رحمه الله(٣): في كتابِه الذي سمَّاه

---

(١) التوحيد لابن خزيمة (ص: ١٥-١٦).

(٢) التوحيد لابن منده (ص:٢٥٣).

(٣) هو: الشّيخ، الإمام، العارف، الفقيه، أبو عبد الله محمّد بن خفيف بن اسفكشار الضّبّيّ الفارسيّ الشّيرازيّ، شيخ الصّوفيّة. ولد: قبل السّبعين ومائتين وستّين، لقي الحلاّج، وهو من أعلم المشايخ بعلوم الظّاهر، متمسّكٌ بالكتاب والسّنّة، فقيهٌ شافعيٌّ، سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة.

=

"اعتقاد التوحيدِ بإثباتِ الأسماءِ والصفاتِ"... بعدَ أنْ ذكرَ الآياتِ والأحاديثَ التي تفيدُ إثباتَ النفسِ لله ﷻ قال: فقد صحَّ بظاهرِ قولِه أنَّه أثبتَ لنفسِه نفسًا، وأثبتَ له الرسولُ ذلك، فعلَى من صدَّقَ اللهَ ورسولَه اعتقادُ ما أخبرَ به عن نفسِه، ويكونُ ذلك مبنيًّا على ظاهرِ قولِه: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ ﴾ [الشورى: ١١] (١).

إثباتُ الأصابعِ للهِ – جلّ ثناؤه -:

عن عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: إِنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ**». ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ**» (٢).

وقَالَ عَبْدُ اللهِ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَقَالَ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ، إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْخَلاَئِقَ عَلَى إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَنَا الْمَلِكُ. فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ.؟ ثُمَّ قَرَأَ: ﴿مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ﴾ (٣).

وفي روايةِ مسلمٍ: «... **والجِبالُ وَالشَّجَرُ عَلَى إِصْبَعٍ، والماءُ والثَّرَى**

= سير أعلام النبلاء (١٦/٣٤٢)، تاريخ دمشق (٥٢/٤٠٥).

(١) الرسالة الحموية لابن تيمية (ص: ٧٧-٨٠).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٥٤).

(٣) أخرجه البخاري (٧٤١٥) ومسلم (٢٧٨٦) وغيرهما.

علَى إِصْبَعٍ، وسائرُ الخَلائِقِ علَى إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ فيقول: أنا الملكُ، أنا الملكُ...» (١).

قال الآجريُّ رحمه الله: بابُ الإيمانِ بأنَّ قلوبَ الخلائقِ بينَ إصبعين من أصابعِ الربِّ ﷻ بلا كيفٍ... ثم ذكرَ عن جمعٍ من الصحابةِ رَضِيَ اللهُ عنهم حديثَ عبدِ اللهِ بنِ عمرٍو كما تقدَّمَ أولَ المسألةِ، وحديثَ عبدِ اللهِ ابنِ مسعودٍ (٢).

قال بشرُ بنُ الحارثِ رحمه الله: هؤلاء الجهميةُ يتعاظمون هذا (٣).

قال ابنُ خزيمةَ رحمه الله: لو أنَّ جميعَ من خلقَهم اللهُ من بنِي آدمَ إلى وقتِنا هذا وقضَى خلقَهم إلى قيامِ الساعةِ، لو اجتمعُوا على معونةِ بعضِهم بعضًا وحاولُوا على قبضِ أرضٍ واحدةٍ من الأرضينَ السبعِ بأيديهم كانوا عاجزين عن ذلك غيرَ مستطيعين له، وكذلك لو اجتمعُوا جميعًا على طيِّ جزءٍ من أجزاءِ سماءٍ واحدةٍ لم يقدرُوا على ذلك ولم يستطيعُوا وكانوا عاجزين عنه، فكيف يكونُ - يا ذوي الحِجَا - من وصفَ يدَ خالقِه بما بيَّنَا من القوةِ والأيدِ ووصفَ يدَ المخلوقين بالضعفِ والعجزِ مشبِّهًا يدَ الخالقِ بيدِ المخلوقين؟ أو كيف يكونُ مشبِّهًا من يُثبتُ أصابعَ على ما بيَّنَه النبيُّ ﷺ للخالقِ البارِي؟

ونقولُ «إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ»

---

(١) أخرجه مسلم (١٩-٢٧٨٦).

(٢) الشريعة (ص: ٢٥٥) وما بعدها.

(٣) المصدر السابق.

تمامُ الحديثِ (١).

قال ابنُ الملقنِ رحمه الله: وأمَّا حديثُ الإصبعِ فإنَّه إذا لم يصحَّ أنْ يكونَ جارحةً لما قدمْنَاه من إبطالِ التجسيم، فتأويلُه ما قالَه أبو الحسنِ الأشعريُّ: إنَّ هذا وشبهَه مما أثبتَهُ الرسولُ ﷺ للهِ تعالَى ووَصْفُه به راجعٌ إلى أنَّه صفةُ ذاتٍ، لا يجوزُ تحديدُها ولا تكييفُها (٢).

قال ابنُ قتيبةَ رحمه الله في معرضِ شرحِه حديثَ البابِ: لا يجوزُ أنْ تكونَ الإصبعُ هاهنا نعمةً، وكقولِه تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧]، ولم يجزْ ذلك، ولا نقولُ: إصبعٌ كأصابعِنا، ولا يدٌ كأيدينَا ولا قبضةٌ كقبضاتِنا، لأنَّ كلَّ شيءٍ منه – جلَّ وعزَّ – لا يشبهُ شيئًا مِنَّا (٣).

قال البغويُّ رحمه الله: والإصبعُ المذكورُ في الحديثِ صفةٌ من صفاتِ اللهِ عزَّ وجلَّ (٤).

بيانُ ما يدلُّ على الذاتِ للهِ تبارك وتعالى:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَطُّ إِلَّا ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ، ثِنْتَيْنِ فِي ذَاتِ اللهِ**» (٥).

---

(١) كتاب التوحيد (ص: ٧٦).
(٢) التوضيح (٣٣/ ٢٧٠) لابن المقلن.
(٣) تأويل مختلف الحديث (ص: ٥٧٦) لابن قتيبة.
(٤) شرح السنة (١/١٦٨).
(٥) أخرجه البخاري (٥٠٨٤) ومسلم (٢٣٧١) واللفظ مسلم.

وعنِ ابنِ عبّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهُما مرفوعًا قال: «**تفكَّروا في كلِّ شيءٍ، ولا تَفَكَّروا في ذَاتِ اللهِ**» (١).

قال ابنُ مندَه رحمه الله: بيانُ ما يدلُّ على النفسِ والذاتِ... ثم ساقَ حديثَ ابنِ عباسٍ المتقدمَ، فقال: اختلفَ أهلُ العلمِ في معرفةِ معنَى الذاتِ فقال بعضُهم: ذاتُ اللهِ ﷻ حقيقةٌ، وقال بعضُهم: ذاتُ اللهِ بهجتُه، وقال بعضُهم: انقطعَ العلمُ دونَها، وقيل: استغرقت العقولُ والأوهامُ في معرفةِ ذاتِه، واختصرت أقاويلَهم.

والأَوْلَى وباللهِ التوفيقُ: أن ذاتَ اللهِ ﷻ موصوفةٌ بالعلم غيرُ مدرَكَةٍ بالإحاطةِ، ولا مرئيةٍ بالأبصارِ في دارِ الدنيا؛ لقولِ رسولِ اللهِ ﷺ: «**إنَّكُمْ لَنْ تَرَوا رَبَّكُمْ حتّى تَموتوا**»(٢)، وهو موجودٌ بحقائقِ الإيمانِ على الإيقانِ بلا إحاطةِ إدراكٍ بها، بل هو أعلمُ بذاتِه فهو موصوفٌ غيرُ مجهولٍ، وموجودٌ غيرُ مدركٍ، ومرئيٌّ غيرُ محاطٍ به لقربِه كأنَّك تراه، وقريبٌ غيرُ ملازقٍ، وبعيدٌ غيرُ منقطعٍ، يسمعُ ويرى وهو العليُّ الأعلَى، وعلى العرشِ استوَى تبارك وتعالى ظاهرٌ في ملكِه وقدرتِه، وقد حجبَ عن الخلقِ كنْهَ ذاتِه ودلَّهم

---

(١) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (ص: ٢٧١) وابن بطة في الإبانة (٣/٣١٦) وابن منده في التوحيد (ص: ٢٥٩) وذكره الأصبهاني في الحجة في بيان المحجة (ص: ٦٩) وقال ابن حجر: إسناده جيد – الفتح (١٣/ ٣٨٣).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٣٢٠)، وأحمد في المسند (٥/٣٢٤)، والنسائي في الكبرى (٧٧٦٤) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٤٥٩)، وفي رواية قال النبي ﷺ: تعلموا أنه لن يرى أحد منكم ربه عز وجل حتى يموت عن بعض أصحاب النبي ﷺ – أخرجه مسلم (٩٥– ١٦٩) كتاب الفتن.

عليه بآياتِه، فالقلوبُ تعرفُه والعقولُ لا تكيِّفُه، وهو بكلِّ شيءٍ محيطٌ وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ [(١)].

قال أبو القاسمِ الأصبهانيُّ ﷺ: قال قومٌ من أهلِ العلمِ: ذاتُ اللهِ حقيقةٌ، وقال بعضُهم: انقطعَ العلمُ دونَها، وقيل: استغرقت العقولُ والأوهامُ في معرفةِ ذاتِه.

وقيل: ذاتُ اللهِ موصوفةٌ بالعلمِ غيرُ مدرَكةٍ بالإحاطةِ ولا مرئيةٍ بالأبصارِ في دارِ الدنيا، وهو موجودٌ بحقائقِ الإيمانِ على الإيقانِ بلا إحاطةِ إدراكٍ، بل هو أعلمُ بذاتِه، وهو موصوفٌ غيرُ مجهولٍ وموجودٌ غيرُ مدركٍ... وساقَ كلامًا قريبًا لكلامِ ابنِ مندَه ثم استدلَّ على الذاتِ بحديثِ ابنِ عباسٍ المتقدمِ[(٢)].

قال سهلُ بنُ عبدِ اللهِ ﷺ: وقد سُئلَ عن ذاتِ اللهِ؟ فقال: ذاتُ اللهِ موصوفةٌ بالعلمِ غيرُ مدرَكةٍ بالإحاطةِ ولا مرئيةٍ بالأبصارِ في دارِ الدنيا، وهي موجودةٌ بحقائقِ الإيمانِ من غيرِ حدٍّ ولا إحاطةٍ ولا حلولٍ، وتراه العيونُ في العُقبَى، ظاهرًا في ملكِه وقدرتِه وقد حجبَ الخلقَ عن معرفةِ كنهِ ذاتِه ودلَّهم عليه بآياتِه.. [(٣)].

إثباتُ الرحمةِ للهِ – جلّ وعلا ـ:

قال اللهُ تعالى: ﴿ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٍ ﴾ [الأعراف: ٨١].

---

(١) التوحيد: (ص: ٢٥٩-٢٦١).

(٢) الحجة في بيان المحجة (ص:٦٨).

(٣) رسالة القشيري لأبي القاسم – العقيدة الطحاوية (ص: ١٨٨).

وقال سبحانه: ﴿ فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآ ﴾ [الروم: ٥٠].

وقال: ﴿ وَمِن رَّحۡمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾ [القصص: ٧٣].

وقال تبارك وتعالى: ﴿ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرۡحَمُ مَن يَشَآءُ ﴾ [العنكبوت: ٢١].

وقال: ﴿ كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ ﴾ [الأنعام: ١٢].

وعنْ أَبِي هرَيرَةَ؛ أَنّ رَسولَ اللهِ ﷺ قالَ: «**لمّا قَضى اللهُ الخَلْقَ كَتَبَ في كِتَابِه فَهو عِنْدَهُ فَوقَ العَرْشِ: إنَّ رَحْمَتي غَلَبَتْ غَضَبي**»[(١)].

وقولُه ﷺ: «**الله أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا**»[(٢)].

وقولُه ﷺ: «**ارْحَمُوا أَهْلَ الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ**»[(٣)].

الفرقُ بينَ رحمةِ الخالقِ – سبحانه وتعالى – ورحمةِ المخلوقِ:

الرحمةُ صفةٌ للهِ تعالى كسائرِ صفاتِه، أزليةٌ أبديةٌ لم يسبقْها عدمٌ ولا يلحقْها فناءٌ، لم يزلْ ولا يزالُ متصفًا بها.

أمَّا رحمةُ المخلوقِ فهي مخلوقةٌ محدثةٌ مثلُه، يسبقُها العدمُ ويلحقُها

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٩٤) ومسلم (٢٥٧١).

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٩٩) ومسلم (٢٧٥٤).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٩٤١)، والترمذي (١٩٢٤)، والحاكم (٤/١٥٩)، وصححه الألباني بشواهده في الصحيحة (٩٢٥).

الفناءُ، وقد خلقَ اللهُ رحمةً للخلقِ يتراحمُون بها [(١)]، وقد سمَّى بعضَ خلقِه رحمةً كما قال لنبيِّه ﷺ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. وسمَّى الجنةَ رحمتَه كما جاءَ في الحديثِ: «... **قالَ اللهُ للجنَّةِ: إِنَّما أنتِ رَحْمتي...**» [(٢)].

ومن صفاتِه سبحانه وتعالى العلمُ والقوةُ والقدرةُ والرحمةُ وغيرُ ذلك. وقد جعلَ للمخلوقِ هذه الصفاتِ على إجماعِ أهلِ السُّنَّةِ[(٣)] أنَّ أفعالَ العبادِ التي هي مقتضَى صفاتِهم مخلوقةٌ. وقد ذكرتُ في أكثرِ من موضعٍ أنَّ الاشتراكَ في المسمَّى لا يقتضِي التماثلَ في الصفةِ، فبينَ صفاتِ الخالقِ سبحانه وتعالى وصفاتِ المخلوقِ من التباينِ والتفاضلِ ما لا يعلمُه إلا اللهُ.

عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**جَعَلَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ وَأَنْزَلَ فِي الأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا. فَمِنْ ذَلِكَ الْجُزْءِ تَتَرَاحَمُ الْخَلَائِقُ حَتَّى تَرْفَعَ الدَّابَّةُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا خَشْيَةَ أَنْ تُصِيبَهُ**» [(٤)].

وعَنْ سَلْمَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ خَلَقَ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ مِائَةَ رَحْمَةٍ كُلُّ رَحْمَةٍ طِبَاقَ[(٥)] مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ،**

---

(١) سيأتي الحديث قريبا.

(٢) أخرجه البخاري (٤٨٥٠) ومسلم (٢٨٤٦).

(٣) انظر خلق أفعال العباد (ص: ٦٣) للإمام البخاري، وانظر منهاج السنة (٣/ ١١٠) لابن تيمية.

(٤) أخرجه مسلم (٢٧٥٢) وابن ماجه (٤٢٩٣).

(٥) طباق: أي بعضها فوق بعض – مختار الصحاح (ص: ١٦٦) مادة (ط – ب – ق).

فَجَعَلَ مِنْهَا فِي الأَرْضِ رَحْمَةً فبها تَعْطِفُ الْوَالِدَةُ عَلَى وَلَدِهَا وَالْوَحْشُ وَالطَّيْرُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَكْمَلَهَا بِهَذِهِ الرَّحْمَةِ»[(١)].

قال ابنُ القيمِ رحمه الله: واعلمْ أنَّ الرحمةَ المضافةَ إلى اللهِ تعالى نوعان:

أحدُهما: مضافٌ إليه إضافةَ مفعولٍ إلى فاعلِه.

والثاني: مضافٌ إليه إضافةَ صفةٍ إلى الموصوفِ بها.

فمن الأولِ قولُه في الحديثِ الصحيحِ: «**اِحْتَجَّتِ الجنةُ والنَّارُ**» فذكرَ الحديثَ وفيه: «**فَقَالَ للجنَّةِ إنَّما أنتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاء**»[(٢)]، فهذه رحمةٌ مخلوقةٌ مضافةٌ إليه إضافةَ المخلوقِ بالرحمةِ إلى الخالقِ تعالى، وسمَّاها رحمةً لأنَّها خُلقتْ بالرحمةِ وللرحمةِ... أما قولُه تعالى حكايةً عن ملائكتِه: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧]، فهذه رحمةُ الصفةِ التي وَسِعتْ كلَّ شيءٍ كما قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، وسَعَتُها عمومُ تعلُّقِها بكلِّ شيءٍ، كما أنَّ سَعَةَ علمِه تعالى عمومُ تعلُّقِه بكلِّ معلومٍ[(٣)].

قال الأقليشيُّ رحمه الله[(٤)]: وأمَّا رحمتُه الذاتيةُ فواحدةٌ، ورحماتُه المبتدعاتُ

---

(١) أخرجه مسلم (٢١ – ٢٧٥٣).

(٢) صحيح: تقدم تخريجه قريبًا.

(٣) بدائع الفوائد (٢/ ١٥٧–١٥٩) باختصار.

(٤) هو: العلاّمة، أبو العبّاس أحمد بن معدّ بن عيسى أحمد بن معدّ بن عيسى بن وكيلٍ التّجيبيّ، الأقليشيّ، الدّاني، فجاور بمكة سنين، وعاد يريد المغرب، فتوفي بقوص (من صعيد مصر)

سير أعلام النبلاء (٢٠/٣٥٨)، الأعلام للزركلي (١/٢٥٩).

متعددةٌ كما قال عليه السلامُ "مائة" ففي الأرضِ منها واحدةٌ (١).

قال ابنُ الحصارِ رحمه الله(٢): وإمَّا إطلاقُ هذا اللفظِ على كلامِ اللهِ تعالى ورسالتِه والعلمِ والحكمةِ، فمن ذلك قولُه تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾ [النحل: ٨٩]. وقال مخبرًا عن نوح عليه السلامُ: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ﴾ [هود: ٢٨]... وقد سمَّى سبحانه رسولَه رحمةً فقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. واعتبرْ أمثالَ ذلك.

وإذا تدبرتَ القرآنَ والأحاديثَ، فاحملْ كلَّ آيةٍ وحديثٍ على ما يليقُ به من ردِّ مفهومِ ذلك إلى الصفةِ أو الفعلِ (٣).

قال اللالكائيُّ رحمه الله في سياقِ كلامِه عن مخلوقاتِ اللهِ تعالى: ما رُوِيَ عن النبيِّ ﷺ في أنَّ الرحمةَ التي يتراحمُ بها الخلقُ مخلوقةٌ... وساقَ حديثَ أبي هريرةَ كما تقدَّمَ(٤).

قال شيخُ الإسلامِ رحمه الله في سياقِ كلامِه عن الصفاتِ: فبيَّنْتُ في بعضِ رسائلِي أنَّ الأمرَ وغيرَه من الصفاتِ يطلقُ على الصفةِ تارةً وعلى

(١) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (١/ ٨١-٨٢) للقرطبي.
(٢) هو: أحمد بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عثمان بن سعيد بن عبد الله الخولاني، عرف بابن الحصار، ثقة مقرئ مجود مشهور، مولده في سنة ثمان عشرة وأربعمائة وتوفى سنة ثمان وخمسمائة.
بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس (١/ ١٦٦).
(٣) شرح أسماء الله الحسنى للقرطبي (١/ ٨١-٨٢).
(٤) شرح أصول الاعتقاد (٤/ ٥٢٠).

متعلقِها أخرَى. فالرحمةُ صفةٌ للهِ، ويسمَّى ما خلقَ رحمةً، والقدرةُ من صفاتِ اللهِ تعالى، ويسمَّى المقدورُ قدرةً، ويسمَّى تعلقُها بالمقدورِ قدرةً، والخلقُ من صفاتِ - اللهِ تعالى - ويسمَّى خلقًا، والعلمُ من صفاتِ اللهِ ويسمَّى المعلومُ أو المتعلِّقِ علمًا، فتارةً يرادُ الصفةُ وتارةً يرادُ متعلقُها، وتارةً يرادُ نفسُ التعلُّقِ (١).

إثباتُ العلوِّ والاستواءِ - للهِ العليِّ الأعلَى -:

قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقال: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾ [الأعلى: ١].

فهذا كتابُ اللهِ من أولِه إلى آخرِه، وسنَّةُ رسولِه ﷺ من أولِها إلى آخرِها، ثم عامةُ كلامِ الصحابةِ والتابعين، ثم كلامُ سائرِ الأئمةِ مملوءٌ بما هو إمَّا نصٌّ وإمَّا ظاهرٌ في أنَّ اللهَ سبحانه وتعالى هو العليُّ الأعلَى، وهو فوقَ كلِّ شيءٍ، وهو على كلِّ شيءٍ وأنَّه فوقَ العرشِ، وأنَّه فوقَ السَّماءِ مثلُ قولِه تعالى: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠]، ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]، ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾ [الملك: ١٦]، ﴿أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗا﴾ [الملك: ١٧]، ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِ﴾ [النساء: ٥٨]، ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ﴾ [المعارج: ٤]، ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ﴾ [السجدة: ٥]، ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن

---

(١) مجموع الفتاوى (١٨/٦).

فَوۡقِهِمۡ﴾ [النحل: ٥٠]، وقولُه: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [السجدة: ٤]، في سبعةِ مواضعَ، وقولُه: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، وقولُه: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗاۚ﴾ [غافر: ٣٦-٣٧]، وقولُه: ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ﴾ [فصلت: ٤٢]، وقولُه: ﴿مُنَزَّلٞ مِّن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ﴾ [الأنعام: ١١٤]، إلى أمثالِ ذلك ممَّا لا يكادُ يحصَى إلا بكلفةٍ.

وفي الأحاديثِ الصحاحِ والحسانِ ما لا يحصَى إلا بالكلفةِ، مثلُ قصةِ معراجِ الرسولِ ﷺ إلى ربِّه[(١)]، ونزولِ الملائكةِ من عندِ اللهِ وصعودِها إليه، وقولِه في الملائكةِ الذين يتعاقبون فيكم بالليلِ والنهارِ: "ثُمَّ يَعْرُجُ الّذينَ باتوا فيكُمْ فَيَسْألُهُمْ وَهو أَعْلَمُ بِهِمْ" [(٢)].

وفي الصحيحِ في حديثِ الخوارجِ: «**أَلّا تَأْمَنوني وَأَنَا أَمينُ مَنْ في السّماءِ يَأْتيني خبرَ السماءِ صباحًا ومساءً**» [(٣)].. وقولِه في الحديثِ الصحيحِ للجاريةِ: «**أَينَ اللهُ؟**» قالت: في السماءِ، قالَ: «**مَنْ أنا؟**» قالت: أَنْتَ رَسولُ اللهِ، قال: «**أَعْتِقْها؛ فَإنَّها مؤمنةٌ**»[(٤)]... إلى أمثالِ ذلك ممَّا لا يحصِيه إلا اللهُ، من أبلغِ المتواتراتِ اللفظيةِ والمعنويةِ التي تُورثُ علمًا يقينًا من أبلغِ العلومِ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٩) ومسلم (١٦٣).
(٢) أخرجه البخاري (٥٥٥) ومسلم (٦٣٢) وغيرهما.
(٣) أخرجه البخاري (٤٣٥١) ومسلم (١٤٤-١٠٦٤).
(٤) أخرجه مسلم (٥٣٧) وأبو داود (٩٣٠).

الضروريةِ، أنَّ الرسولَ ﷺ المبلِّغَ عن اللهِ ألقَى إلى أمتِه المدعُوِّين: أنَّ اللهَ سبحانه على العرشِ وأنَّه فوقَ السماءِ، كما فطَرَ اللهُ على ذلك جميعَ الأممِ، عربَهم وعجمَهم في الجاهليةِ والإسلامِ إلا من اجتالتْه(١) الشياطينُ عن فطرتِه.

ثم عن السلفِ في ذلك من الأقوالِ ما لو جُمِعَ لبلغَ مئاتٍ أو ألوفًا.

ثم ليس في كتابِ اللهِ ولا في سنَّةِ رسولِه ﷺ ولا عن أحدٍ من سلفِ الأئمةِ - لا من الصحابةِ ولا من التابعين لهم بإحسانٍ، ولا عن الأئمةِ الذين أدركُوا زمنَ الأهواءِ والاختلافِ - حرفٌ واحدٌ يخالفُ ذلك، لا نصًّا ولا ظاهرًا(٢).

قال الصابونيُّ رحمه الله: ويعتقدُ أهلُ الحديثِ ويشهدُون أنَّ اللهَ سبحانه وتعالى فوقَ سبعِ سماواتٍ على عرشِه كما نطقَ به في كتابِه في قولِه عزَّ وجلَّ في سورةِ يونسَ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [يونس: ٣]... إلى أنْ قال: وعلماءُ الأمةِ وأعيانُ الأئمةِ من السلفِ رحمَهم اللهُ لم يختلفوا في أنَّ اللهَ على عرشِه، وعرشُه فوقَ سماواتِه، يثبتُون له مِن ذلك ما أثبتَه اللهُ تعالى ويؤمنون به، ويصدِّقُون الربَّ جلَّ جلالُه في خبرِه، ويطلقُون ما أطلقَه سبحانه وتعالى من استوائِه على العرشِ ويمرُّونه على ظاهرِه، ويَكِلُونَ علمَه إلى اللهِ، ويقولون: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧]، كما أخبرَ اللهُ تعالى عن الراسخين في العلمِ أنَّهم يقولون ذلك

---

(١) اجتالته: صرفته.

(٢) الرسالة الحموية لابن تيمية (١٥-١٩) باختصار.

ورَضِيَهُ منهم فأثنَى عليهم به[١]. انتهى.

وقد ذكرَ أهلُ العلمِ عن السلفِ أربعةَ أقوالٍ في تفسيرِ الاستواءِ:

الأولَ: وهو قولُ أبي العاليةِ والحسنِ البصريِّ، والربيعِ بنِ أنسٍ، أنَّ معناه: ارتفعَ.

الثاني: وهو قولُ مجاهدٍ، والحسنِ، وأبي العاليةِ، والربيعِ، وأبي عبيدٍ، أنَّ معناه: علَا.

الثالثَ: وهو قولُ ابنِ المباركِ، وكثيرٌ من أهلِ العلمِ ممَّن تابعَه على أنَّ المعنى: استقرَّ.

الرابعَ: وهو قولُ أبي عبيدةَ معمرِ بنِ المثنَى، أنَّ معناه: صعدَ.

وقد جمعَ هذه المقالاتِ ابنُ القيمِ -رحمَه اللهُ- في «النونية» فقال:

فلهُمْ عباراتٌ عليهَا أربعٌ ... قد حُصِّلَتْ للفارسِ الطَّحَّانِ

وهيَ استقرَّ وقد عَلا وكذلك ... ارتفعَ الذي ما فيهِ من نكرانِ

وكذاك قد صعدَ الذي هو رابعٌ ... وأبو عبيدةَ صاحبُ الشيبانِي

يختارُ هذا القولَ في تفسيرِه ... أدرَى من الجهميِّ بالقرآنِ[٢]

قال ابنُ أبي زمنينَ رحمه الله[٣]: ومن قولِ أهلِ السُّنَّةِ: أنَّ اللهَ عز وجل خلقَ

---

(١) عقيدة السلف أصحاب الحديث (ص: ٢٩-٣٠).

(٢) القصيدة النونية (٢/٢٠٠).

(٣) هو: الإمام، القدوة، الزاهد، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الأندلسي، الإلبيري، شيخ قرطبة، تفنن، واستبحر من العلم، وصنف في الزهد =

العرشَ واختصَّه بالعلوِّ والارتفاعِ فوقَ جميعِ ما خلقَه، ثم استوَى عليه كيفَ شاءَ، كما أخبرَ عن نفسِه في قولِه: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥][(١)].

قال البخاريُّ رحمه الله: وحذَّرَ يزيدُ بنُ هارونَ [(٢)] من الجهميةِ، وقال: من زعمَ أنَّ الرحمنَ على العرشِ استوَى على خلافِ ما يقرُّ في قلوبِ العامةِ، فهو جهميٌّ[(٣)].

قال اللالكائيُّ رحمه الله: ما رُوِيَ في قولِه: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، وأنَّ اللهَ على عرشِه في السماءِ، قال ﷻ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠]، وقال: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾ [الملك: ١٦]... فدلَّتْ هذه الآيةُ أنَّه تعالى في السماءِ وعلمُه محيطٌ بكلِّ مكانٍ من أرضِه وسمائِه، ورُوِيَ ذلك عن الصحابةِ: عن عمرَ وابنِ مسعودٍ وابنِ عباسٍ... وبه قال الفقهاءُ مالكُ بنُ أنسٍ وسفيانُ الثوريُّ وأحمدُ بنُ حنبلٍ... ثم ساقَ أدلةَ استواءِ اللهِ تعالى على العرشِ من الكتابِ والسُّنَّةِ وأقوالِ الأئمةِ [(٤)].

=

الزهد والرقائق. توفّي سنة أربعمائة أو ما قبلها.
سير أعلام النبلاء (١٧/١٨٨)، الوافي بالوفيات (٣/٢٦٠).

(١) أصول السنة (ص: ٨٨) لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الشهير بابن أبي زمنين.

(٢) هو: الإمام، القدوة، شيخ الإسلام، أبو خالدٍ السّلميّ يزيد بن هارون بن زاذي السّلميّ ولد في سنة ثماني عشرة ومائةٍ، وكان رأساً في العلم والعمل، ثقةً، حجّةً، كبير الشّأن.
سير أعلام النبلاء (٩/٣٥٨)، تاريخ بغداد (١٦/٤٩٨).

(٣) خلق أفعال العباد (٦٣) والسنة لعبد الله بن أحمد (ص: ٤٨).

(٤) شرح أصول الاعتقاد (٣/٢٢) ما بعدها باختصار.

قال أبو مطيعٍ البلخيُّ رحمه الله[(١)]**:** في كتابِ الفقهِ الأكبرِ: سألتُ أبا حنيفةَ عمَّن يقولُ لا أعرفُ ربِّي في السماءِ أو في الأرضِ؟ قال: كفرَ، لأنَّ اللهَ يقولُ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ وعرشُه فوقَ سبعِ سماواتِه فقلتُ: إنَّه يقولُ على العرشِ ولكنْ لا أدرِي العرشُ في السماءِ أو في الأرضِ، فقال: إنَّه إذا أنكرَ أنَّه في السماءِ كفرَ، لأنَّه تعالى في أعلَى عليين، وأنَّه يُدْعَى من أعلَى لا من أسفلَ [(٢)].

قال ابنُ خزيمةَ رحمه الله**:** فنحنُ نؤمنُ بخبرِ اللهِ -جلَّ وعلا- أنَّ خالقَنا مستوٍ على عرشِه، لا نبدِّلُ كلامَ اللهِ ولا نقولُ قولًا غيرَ الذي قيل لنا، كما قالت المعطِّلةُ الجهميةُ: إنَّه استولَى على العرشِ لا استوَى عليه، فبدَّلوا قولًا غيرَ الذي قيل لهم، كفعلِ اليهودِ كما أُمروا أنْ يقولوا حطةٌ فقالوا: حنطةٌ مخالفين لأمرِ اللهِ – جلَّ وعلا – كذلك الجهميةُ... إلى أنْ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**إذا سَأَلْتُمُ اللهَ فَاسْأَلوهُ الْفِرْدَوسَ، فَإِنّه أَوْسَطُ الجنةِ وأعلى الجنَّةِ – أُرَاهُ– وفَوقَهُ عَرْشُ الرّحمنِ ومِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهارُ الجنةِ**» [(٣)].

---

(١) هو : الإمام العالم العامل، أحد أعلام هذه الأمة الحكم بن عبد الله بن مسلمة بن عبد الرحمن أبو مطيع البلخي، وكان فقيها بصيرا بالرأي، ولكنه واه في ضبط الأثر، وولي قضاء بلخ، وقدم بغداد غير مرة وحدث بها، قال أبو داود: تركوا حديثه، وكان جهميًّا. وضعفه البخاري وأحمد والنسائي وغيرهم. مات ببلخ ليلة السبت لاثنتي عشرة خلت من جمادى الأولى سنة تسع وتسعين ومائة. قال: وحدّثني ابنه أنه مات وهو ابن أربع وثمانين.
تاريخ بغداد (٩/ ١٢١)، وميزان الاعتدال (١/ ٥٧٤).

(٢) مجموع الرسائل والمسائل (١/ ١٨٣) لابن تيمية.

(٣) جزء من حديث أخرجه البخاري (٢٧٩٠، ٧٤٢٣) وغيره.

قال أبو بكرٍ بنُ خزيمةَ رحمه الله: فالخبرُ يصرِّحُ أنَّ عرشَ ربِّنا – جلَّ وعلا – فوقَ جنتِه، وقد أعلمَنا – جلَّ وعلا – أنَّه مستوٍ على عرشِه، فخالقُنا عالٍ فوقَ عرشِه الذي فوقَ جنتِه (١).

قال شيخُ الإسلامِ رحمه الله: من توهَّمَ أنَّ كونَ اللهِ في السماءِ، بمعنَى أنَّ السماءَ تحيطُ به وتحوِيه، فهو كاذبٌ – إنْ نقلَه عن غيرِه – وضالٌّ – إنْ اعتقدَه في ربِّه – وما سمعْنَا أحدًا يفهمُ هذا من اللفظِ، ولا رأينَا أحدًا نقلَه عن واحدٍ، ولو سئلَ سائرُ المسلمينَ: هل تفهمُون من قولِ اللهِ ورسولِه: «إنَّ اللهَ في السماءِ» أنَّ السماءَ تحوِيه؟ لبادرُ كلُّ أحدٍ منهم إلى أنْ يقولَ هذا شيءٌ لعلَّه لم يخطرْ ببالِنا.

وإذا كانَ الأمرُ هكذا، فمن التكلُّفِ أنْ يجعلَ ظاهرَ اللفظِ شيئًا محالاً لا يفهمُه الناسُ منه، ثم يريدُ أنْ يتأولَه، بل عندَ الناسِ «إنَّ اللهَ في السماءِ»، "وهو على العرشِ" واحدٌ، إذ السماءُ إنَّما يرادُ به العلوُّ، فالمعنَى: أنَّ اللهَ في العلوِّ لا في السفلِ، وقد علمَ المسلمون أنَّ كرسيَّه – سبحانه وتعالى – وَسِعَ السمواتِ والأرضَ، وأنَّ الكرسيَّ في العرشِ كحلقةٍ ملقاةٍ بأرضٍ فلاةٍ، وأنَّ العرشَ خلقٌ من مخلوقاتِ اللهِ لا نسبةَ له إلى قدرةِ اللهِ وعظمتِه، فكيفَ يتوهَّمُ بعدَ هذا أنَّ خلقًا يحصرُه ويحوِيه؟ وقد قال سبحانه: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه: ٧١] وقال: ﴿ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ [آل عمران: ١٣٧]، بمعنى: على ونحوِ ذلك، وهو كلامٌ عربيٌّ حقيقةً لا مجازًا (٢).

---

(١) التوحيد (ص: ٨٩-٩١) باختصار.

(٢) مجموع الفتاوى (٥/١٠٦).

قال ابنُ أبي العزِّ رحمه الله في معرضِ كلامِه على إثباتِ صفةِ العلوِّ للهِ تعالى: ... التصريحُ بالعلوِّ المطلقِ الدالِّ على جميعِ مراتبِ العلوِّ، ذاتًا وقدرًا وشرفًا، كقولِه تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [سبأ: ٢٣]، ﴿ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ [الشورى: ٥١]... إلى أنْ قال: التصريحُ بأنَّه تعالى في السماءِ، وهذا عندَ المفسرين من أهلِ السُّنَّةِ على أحدِ وجهين:

إمَّا أنْ تكونَ "في" بمعنَى «على»، وإمَّا أنْ يرادَ بالسماءِ العلوُّ، لا يختلفون في ذلك، ولا يجوزُ الحملُ على غيرِه [(١)].

قال أبو عمرَ الطلمنكيُّ رحمه الله[(٢)]: أحدُ أئمةِ المالكيةِ، وهو شيخُ أبي عمرَ بنِ عبدِ البرِّ – في كتابِه الكبيرِ الذي سمَّاه "الوصول إلى معرفةِ الأصولِ" فذكرَ فيه من أقوالِ الصحابةِ والتابعين وتابعِيهم، وأقوالِ مالكٍ وأئمةِ أصحابِه ما إذا وقفَ عليه الواقفُ علمَ حقيقةَ مذهبِ السلفِ، وقال في هذا الكتابِ: أجمعَ أهلُ السُّنَّةِ على أنَّ اللهَ تعالى على عرشِه على الحقيقةِ لا على المجازِ [(٣)].

---

(١) العقيدة الطحاوية (ص: ٢٦٥).

(٢) هو الحافظ الفقيه أحمد بن محمد بن عبد الله بن لب بن يحيى بن محمد المقرئ الطلمنكي أبو عمر، كان أساساً في القراءات مذكوراً، وثقة في الرواية مشهوراً. وكان فاضلاً ضابطاً، شديداً في السّنّة، مولده سنة أربعون وثلاثمائة، وتوفي في ذي الحجة سنة ثمان وعشرين وأربعمائة، وله تسع وثمانون سنة.
بغية الملتمس (١/١٦٢)، سير أعلام النبلاء (١٧/٥٦٩).

(٣) الصواعق المرسلة (ص: ٣٥٣).

إبطالُ تأويلِ "استوَى" بمعنى استولَى:

رُوِيَ عن أبي سليمانَ – داودَ بنِ عليٍّ قال: كنَّا عندَ ابنِ الأعرابيِّ فأتاه رجلٌ، فقال له: ما معنَى قولِ اللهِ ﷻ: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ [طه: ٥]؟ فقال: هو على عرشِه كما أخبرَ ﷻ. فقال: يا أبا عبدِ اللهِ، ليس هذا معنَاه، إنَّما معنَاه: استولَى. قال: اسكتْ، ما أنتَ وهذا لا يُقالُ: استولَى على الشيءِ إلَّا أنْ يكونَ له مضادٌ، فإذا غلبَ أحدُهما قيل: استولَى [(١)].

قال ابنُ القيمِ رحمه الله: في ردِّه على من قال استوَى بمعنى استولَى. هذا الذي قاله باطلٌ من اثنين وأربعين وجهًا:

أحدَها: أنَّ لفظَ الاستواءِ في كلامِ العربِ الذي خاطبَنَا اللهُ تعالى بلغتِهم، وأنزلَ بها كلامَه، نوعان: مطلقٌ ومقيدٌ، فالمطلقُ ما لم يوصلْ معناه بحرفٍ مثلُ قولِه: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ ﴾ [القصص: ١٤]، وهذا معناه كَمُلَ وتمَّ، يقالُ: استوى النباتُ واستوى الطعامُ، وأمَّا المقيدُ فثلاثةُ أضربٍ: أحدُها: مقيدٌ بإلى كقولِه: ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [البقرة: ٢٩]، واستوى فلانٌ إلى السطحِ وإلى الغرفةِ، وقد ذكرَ سبحانه هذا المعدَّى بإلى في موضعين من كتابِه في البقرةِ في قولِه تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [البقرة: ٢٩]، والثاني في سورةِ فصلت: ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ ﴾ [فصلت: ١١]. وهذا معنى العلوِّ والارتفاعِ بإجماعِ السلفِ... والثالثُ: المقرونُ بواوِ

---

(١) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٩٧٨)، واللالكائي في أصول الاعتقاد (٦٦٦) وغيرهما.

(مع) التي تعدِّى الفعلَ إلى المفعولِ معه نحوَ استوى الماءُ والخشبةُ بمعنى: ساواها، وهذه معاني الاستواءِ المعقولةِ في كلامِهم، ليس فيها معنى استولى ألبتةَ ولا نقلَه أحدٌ من أئمةِ اللغةِ الذين يعتمدُ قولُهم، وإنَّما قاله متأخرُو النحاةِ ممن سلكَ طريقَ المعتزلةِ والجهميةِ...

الوجهَ الثاني: أنَّ الذين قالوا ذلك لم يقولُوه نقلاً، فإنَّه مجاهرةٌ بالكذبِ، وإنَّما قالوه استنباطًا وحملاً منهم للفظةِ استوى على استولى..

الوجهَ الثالثَ: أنَّ أهلَ اللغةِ لمَّا سمعوا ذلك أنكرُوه غايةَ الإنكارِ، ولم يجعلُوه من لغةِ العربِ.

قال ابنُ الأعرابيِّ رحمه الله(١) وقد سئلَ: هل يصحُّ أنْ يكونَ استوى بمعنَى استولى؟

فقال: لا تعرِفُ العربُ ذلك، وهذا من أكابرِ أئمةِ اللغةِ... وساقَ أوجهًا أخرَ(٢). انتهى.

وقد أبطلَ ابنُ تيميةَ – رحمَه اللهُ – من وجوهٍ مَنْ تأوَّلَ استوى بمعنى استولى(٣).

---

(١) هو: إمام اللغة ابن الأعرابيّ أبو عبد الله محمّد بن زيادٍ بن الأعرابيّ الهاشميّ مولاهم، الأحول، النّسّابة، ولد: بالكوفة، سنة خمسين ومائةٍ، صالحٌ، زاهدٌ، ورعٌ، صدوقٌ، حفظ ما لم يحفظه غيره، له مصنّفاتٌ كثيرةٌ أدبيّةٌ، مات بسامرّا، في سنة إحدى وثلاثين ومائتين.

معجم الأدباء (٦/ ٢٥٣٠)، سير أعلام النبلاء (١٠/ ٦٨٧).

(٢) الصواعق المرسلة (٢/ ٣٤٩) باختصار.

(٣) راجع مجموع الفتاوى (٥/ ١٤٤) وما بعدها.

فائدةٌ جليلةٌ:

خلقَ اللهُ تبارك وتعالى العرشَ لحكمةٍ لا يعلمُها إلا هو، ولم نُكلَّفْ بمعرفةِ الحكمةِ من ذلك، ولكنَّ ما كُلفْنَا به هو الإيمانُ بأنَّ اللهَ تعالى خالقُ كلِّ شيءٍ وهو مستغنٍ عن مخلوقاتِه، فالعرشُ وحملتُه والسماواتُ والأرضُ وكلُّ ما في الكونِ مفتقرٌ إليه محتاجٌ إليه، فهو سبحانه وتعالى كان ولا شيءَ معه، فهو الخالقُ قبلَ الخلقِ، خلقَهم لحكمةٍ وهو مستغنٍ عنهم - سبحانه وتعالى وﷻ.

قال الخطابيُّ رحمه الله: قولُه ﷺ: «**سُبْحانَ اللهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ ورِضا نَفْسِهِ وَزِنَةَ عَرْشِه وَمِدادَ كَلِماتِهِ**» (١).

وزنةُ العرشِ ثقلُه ورزانتُه، والعرشُ: خلقٌ عظيمٌ للهِ ﷻ لا يعلمُ قدرَ عظمِه ورزانةِ ثقلِه أحدٌ غيرُ اللهِ سبحانه، وهو مخلوقٌ ومحدودٌ، ألَا تراه يقولُ: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾ [الزمر: ٧٥]؟ وهو محمولٌ على كواهلِ الملائكةِ، واللهُ سبحانه حاملٌ حملتَه لا حاجةَ به إلى العرشِ، وليس بمكانٍ له ولا هو متمكنٌ فيه، ولا معتمدٌ عليه؛ لأنَّ هذا كلَّه من صفاتِ الحدثِ، لكنَّه بائنٌ منه ومن جميعِ خلقِه، وإنَّما جاءَ التنزيلُ ﴿ ٱلرَّحْمَـٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه: ٥]، فنحنُ نؤمنُ بما أنزلَ، ونقولُ كما قالَ، ولا نكيِّفُه ولا نحدُّه، ولا نتأولُه كما فعلَ نفاةُ الصفاتِ (٢).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٢٦) وأبو داود (١٥٠٣) والترمذي (٣٥٥٥) وابن خزيمة (٣٧١/١).

(٢) شأن الدعاء (ص: ٢٤٧-٢٤٨).

قال الطحاويُّ رحمه الله: وهو مستغنٍ عن العرشِ وما دونَه، محيطٌ بكلِّ شيءٍ وفوقَه، وقد أعجزَ عن الإحاطةِ خلقَه.

قال ابنُ أبي العزِّ رحمه الله: وإنَّما قال الشيخُ رحمَه اللهُ الكلامَ هنا؛ لأنَّه لمَّا ذكرَ العرشَ والكرسيَّ، ذكرَ بعدَ ذلك غِنَاه سبحانه عن العرشِ وما دونَ العرشِ، ليبيِّنَ أنَّ خلقَه للعرشِ واستواءَه عليه ليس لحاجتِه إليه، بل له في ذلك حكمةٌ اقتضتْهُ، وكونُ العالِي فوقَ السافلِ لا يلزمُ أنْ يكونَ السافلُ حاويًا للعالِي محيطًا به حاملاً له، ولا أنْ يكونَ الأعلَى مفتقرًا إليه، فانظرْ إلى السماءِ كيفَ هي فوقَ الأرضِ وليست مفتقرةً إليها. فالربُّ تعالى أعظمُ شأنًا وأجلُّ من أنْ يلزمَ من عُلُوِّهُ ذلك، بل لوازمُ علوِّه من خصائصِه، وهي حملُه بقدرتِه للسافلِ، وفقرُ السافلِ وغِناه هو سبحانه عن السافلِ، وإحاطتُه عز وجل به، فهو فوقَ العرشِ مع حملِه بقدرتِه للعرشِ وحملتِه، غِنَاه عن العرشِ وفقرِ العرشِ إليه، وإحاطتِه بالعرشِ وعدمِ إحاطةِ العرشِ به... (١).

إثباتُ صفةِ المعيّةِ – للّهِ جلّ وعلا ـ:

اعلمْ أنَّ المعيةَ نوعان: معيةٌ عامةٌ، ومعيةٌ خاصةٌ.

أمَّا المعيةُ العامةُ: فهي معيةُ علمٍ وإحاطةٍ واطلاعٍ ورؤيةٍ لا تغيبُ عنه سبحانه غائبةٌ، قال تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [يونس: ٦١].

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية (ص: ٢٥٨-٢٥٩).

وقال جلَّ ثناؤه: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ [النساء: ١٠٨].

وقال جلَّ ذكرُه: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ [الحديد: ٤].

وقال تبارك وتعالى: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُواْ ﴾ [المجادلة: ٧].

أجمعَ أهلُ السُّنَّةِ على أنَّ اللهَ تعالى مع عبادِه بعلمِه، وأنَّ علمَه في كلِّ مكانٍ لا يخلُو منه مكانٌ.

قال أبو بكرٍ الآجريُّ رحمه الله: فإنِّي أُحذِّرُ إخوانِي المؤمنين مذهبَ الحلوليةِ الذين لعبَ بهم الشيطانُ فخرجوا بسوءِ مذهبِهم عن طريقِ أهلِ العلمِ إلى مذاهبَ قبيحةٍ لا تكونُ إلا في كلِّ مفتونٍ هالكٍ.

زعمُوا أنَّ اللهَ ﷻ حالٌّ في كلِّ شيءٍ، حتى أخرجَهم سوءُ مذهبِهم إلى أنْ تكلمُوا في اللهِ ﷻ بما تُنكرُهُ العلماءُ العقلاءُ، لا يوافقُ قولَهم كتابٌ ولا سنَّةٌ، ولا قولُ الصحابةِ رضيَ اللهُ عنهم ولا قولُ أئمةِ المسلمين... إلى أنْ قال: والذي يذهبُ إليه أهلُ العلمِ: أنَّ اللهَ ﷻ سبحانه على عرشِه فوق سماواتِه وعلمُه محيطٌ بكلِّ شيءٍ، وقد أحاطَ علمُه بجميعِ ما خلقَ في السماواتِ العُلى، وبجميعِ ما في سبعِ أرضينَ وما بينَهما وما تحتَ الثرَى، يعلمُ السرَّ وأخفَى، ويعلمُ خائنةَ الأعينِ وما تخفِي الصدورُ، ويعلمُ الخطرةَ والهمةَ، ويعلمُ ما توسوسُ به النفوسُ... فإنْ قال قائلٌ: فما معنى قولِه: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ﴾ الآيةَ التي بها يحتجُّون؟

قيل له: علمُه ﷻ، واللهُ على عرشِه وعلمُه محيطٌ بهم وبكلِّ شيءٍ من خلقِه، كذا فسَّرَه أهلُ العلمِ (١).

وعن عبدِ اللهِ بنِ المباركِ رحمه الله: أنَّه سئلَ، كيف نعرفُ ربَّنا؟ قال: في السماءِ السابعةِ على عرشِه، ولا نقولُ: إنَّه هاهنا في الأرضِ (٢).

قال عبدُ اللهِ بنُ أحمدَ رحمه الله: حدثني أبي رحمَه اللهُ. ثنا شريحُ بنُ النعمانِ. حدثني عبدُ اللهِ بنُ نافعٍ قال: كان مالكُ بنُ أنسٍ يقولُ: الإيمانُ قولٌ وعملٌ، ويقولُ: كلَّمَ اللهُ موسَى.

وقال مالكٌ رحمه الله: اللهُ ﷻ في السماءِ وعلمُه في كلِّ مكانٍ لا يخلُو منه شيءٌ (٣).

قال معدانُ رحمه الله: سألتُ سفيانَ الثوريَّ عن قولِ اللهِ ﷻ: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ قال: علمُه (٤).

وعن الضحاكِ رحمه الله (٥): قال ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ ...﴾

(١) الشريعة (ص: ٢٣٢-٢٣٣).

(٢) أخرجه ابن منده في التوحيد (٨٩٩) وابن بطة في الإبانة (١١٢).

(٣) أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة (٥١٧) واللالكائي في أصول الاعتقاد (٦٧٣) وغيرهما.

(٤) أخرجه عبد الله في السنة (٥٨٢) والبخاري في خلق أفعال العباد (٢٩) واللالكائي في أصول الاعتقاد (٦٧٢).

(٥) هو: أبو محمّدٍ الضحاك بن مزاحم البلخي الخراساني، أبو القاسم: مفسر، وقيل: أبو القاسم، صاحب (التّفسير)، كان شعبة ينكر أن يكون الضحاك لقي ابن عباس قط . وثقه أحمد وابن معين، وضعفه يحيى بن سعيد خاصة فيما يرويه عن ابن عباس وأبي =

قال: هو اللهُ ﷻ على العرشِ وعلمُه معهم (١).

قال الطبريُّ رحمه الله: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ يقولُ: وهو شاهدٌ لكم أيُّها الناسُ أينَما كنتُم يعلَمُكُم ويعلمُ أعمالَكم ومتقلبَكم ومثواكم وهو على عرشِه فوقَ سماواتِه السبعِ (٢).

أمَّا المعيةُ الخاصةُ: فهي معيةُ النصرِ والتأييدِ، وهي للمؤمنين والمقربين كلٌّ بحسبِ منزلتِه، فليست معيتُه سبحانه للمؤمنين، كمعيتِه للأنبياءِ – صلواتُ اللهِ وسلامُه عليهم–.

قال جلَّ ذكرُه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨].

وقال تعالى لموسى وهارونَ: ﴿قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦].

وقال سبحانه عن النبيِّ صلى اللهُ عليه وسلَّمَ أنَّه قال لأبي بكرٍ وكان معه في الغارِ: ﴿لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

قال ابنُ رجبٍ الحنبليُّ رحمه الله: ومعيتُه مع أهلِ طاعتِه خاصةً، فهو سبحانه مع الذين اتقَوْا والذين هم محسنون، فالمعيةُ العامةُ تقتضِي التحذيرَ من علمِه، واطلاعِه، وقدرتِه، وبطشِه، وانتقامِه، والمعيةُ الخاصةُ تقتضِي

=

هريرة. وهو صدوقٌ في نفسه. مات سنة ثلاثين ومائة.
سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٩٩)، تاريخ دمشق (٢٤/ ٣٦٨).

(١) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (١٠٠٨).

(٢) جامع البيان (١٣/ ٢٨٢).

حسنَ الظنِّ بإجابتِه ورضاهُ وحفظِه وصيانتِه(١).

قال ابنُ تيميةَ رحمه الله: وذلك أنَّ اللهَ معنا حقيقةً وهو فوقَ العرشِ حقيقةً، كما جمعَ اللهُ بينَهما في قولِه سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤].

فأخبرَ أنَّه فوقَ العرشِ يعلمُ كلَّ شيءٍ، وهو معنَا أينَما كنَّا... وذلك أنَّ كلمةَ "مع" في اللغةِ إذا أُطلقتْ فليس ظاهرُها في اللغةِ إلا المقارنةَ المطلقةَ، من غيرِ وجوبِ مماسةٍ أو محاذاةٍ عن يمينٍ أو شمالٍ، فإذا قُيِّدتْ بمعنًى من المعاني دلَّتْ على المقارنةِ في ذلك المعنَى، فإنَّه يقالُ: ما زلنَا نسيرُ والقمرُ معنَا أو النجمُ معنَا... فاللهُ مع خلقِه حقيقةً وهو فوقَ عرشِه حقيقةً.

ثمَّ هذه "المعيةُ" تختلفُ أحكامُها بحسبِ الموارِدِ، فلمَّا قال: ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا ﴾ إلى قوله: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ [الحديد: ٤]، دلَّ ظاهرُ الخطابِ على أنَّ حكمَ هذه المعيةِ ومقتضَاها أنَّه مطَّلعٌ عليكم شهيدٌ عليكم، ومهيمنٌ عالمٌ بكم، وهذا معنَى قولِ السلفِ: إنَّه معهم بعلمِه، وهذا ظاهرُ الخطابِ وحقيقتُه. وكذلك في قولِه: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ إلى قولِه: ﴿ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُواْ ﴾ [المجادلة: ٧].

ولما قال النبيُّ ﷺ لصاحبِه في الغارِ: ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾

---

(١) فتح الباري لابن رجب (٢/ ٣٣٤).

[التوبة: ٤٠]، كان هذا أيضًا حقًّا على ظاهرِه، ودلَّتْ الحالُ على أنَّ حكمَ هذه المعيةِ هنا معيةُ الاطلاعِ والنصرِ والتأييدِ.

وكذلك قولُه تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨]، وكذلك قولُه لموسى وهارونَ: ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [طه: ٤٦]، هنا المعيةُ على ظاهرِها، وحكمُها في هذه المواطنِ النصرُ والتأييدُ.

وقد يدخلُ على صبيٍّ من يخيفُه فيبكِي، فيشرفُ عليه أبوه من فوقِ السقفِ فيقولُ: لا تخفْ أنَا معَك أو أنَا هنا أو أنَا حاضرٌ ونحوُ ذلك، ينبِّهُهُ على المعيةِ الموجبةِ بحكمِ الحالِ دفعَ المكروهِ، ففرَّقٌ بينَ معنى المعيةِ وبينَ مقتضاها، وربَّما صارَ مقتضاها من معناها فيختلفُ باختلافِ المواضعِ[1].

قال أبو عمرَ بنُ عبدِ البرِّ ﷺ: أجمعَ الصحابةُ والتابعون الذين حُمِلَ عنهم العلمُ في تأويلَ: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ ﴾ هو على العرشُ وعلمُه في كلِّ مكانٍ، وما خالفَهم في ذلك أحدٌ يُحتجُّ بقولِه[2].

إثباتُ صفةِ القربِ – للهِ العليّ الأعلَى–:

قال اللهُ تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

---

(١) مجموع الفتاوى (٥/ ١٠٣، ١٠٤).
(٢) مجموع الرسائل والمسائل (١/ ١٨٩).

وقال جلَّ ذكرُه: ﴿فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ﴾ [هود: ٦١].

وقال سبحانه في الحديثِ القدسيِّ: «**وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا ، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً**»(١).

قال شيخُ الإسلامِ رحمه الله: وأمَّا القربُ فذُكِرَ تارةً بصيغةِ المفردِ، كقولِه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ﴾ وفي الحديثِ: «**ارْبِعوا**(٢) **عَلى أَنْفُسِكُم**» إلى أنْ قال: «**الّذي تَدْعونَهُ أَقْرَبُ إلى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ راحِلَتِهِ**»(٣).

وتارةً بصيغةِ الجمعِ كقولِه: ﴿وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]، وهذا مثلُ قولِه: ﴿نَتۡلُواْ عَلَيۡكَ﴾ [القصص: ٣]، و ﴿نَقُصُّ عَلَيۡكَ﴾ [يوسف: ٣]، و ﴿عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٧]، و ﴿عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٩]، فالقراءةُ هنا حينَ يسمعُهُ من جبريلَ، والبيانُ هنا بيانُه لمنْ يبلُغُهُ القرآنُ.

ومذهبُ سلفِ الأئمةِ وأئمتِها وخَلَفِها: أنَّ النبيَّ ﷺ سمعَ القرآنَ من جبريلَ وجبريلُ سمعَهُ من اللهِ ﷻ وأمَّا قولُه: "**نتلُو**" و"**نقصُّ**" ونحوُه، فهذه الصيغةُ في كلامِ العربِ للواحدِ العظيمِ الذي له أعوانٌ يطيعونَه، فإذا

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٠٥) ومسلم (٢٦٧٥) وغيرهما.

(٢) اربعوا: ارفقوا بأنفسكم، واخفضوا أصواتكم – مسلم بشرح النووي (٣٣/٩).

(٣) أخرجه البخاري (٧٣٨٦) ومسلم (٢٧٠٤).

فعلَ أعوانُه فعلاً بأمرِه قال: نحنُ فعلنَا، كما يقولُ الملكُ: نحنُ فتحنَا هذا البلدَ، وهزمنَا هذا الجيشَ ونحوِ ذلك.

ومن هذا البابِ قولُه تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ ﴾ [الزمر: ٤٢]. فإنَّه سبحانه يتوفَّاها برسلِه الذين مقدِّمُهم ملكُ الموتِ، كما قال: ﴿ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا ﴾ [الأنعام: ٦١]، و ﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ﴾ [السجدة: ١١]، وكذلك ذواتُ الملائكةِ تقربُ من المحتضَرِ، وقولُه: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾... هو قربُ ذواتِ الملائكةِ وقربُ علمِ اللهِ، فذواتُهم أقربُ إلى قلبِ العبدِ من حبلِ الوريدِ، فيجوزُ أن يكونَ بعضُهم أقربَ إلى بعضِه من بعضٍ، ولهذا قال في تمامِ الآيةِ: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ﴾ [ق: ١٧]، فقولُه "إذ" ظرفٌ فأخبرَ أنَّهم أقربُ إليه من حبلِ الوريدِ حينَ يتلقَّى المتلقيان ما يقولُ، فهذا كلُّه خبرٌ عن الملائكةِ.

وقولُه «فإنِّي قريبٌ»، و «**إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِه**». هذا إنَّما جاءَ في الدعاءِ، لم يذكرْ أنَّه قريبٌ من العبادِ في كلِّ حالٍ، وإنَّما ذكرَ ذلك في بعضِ الأحوالِ، كَمَا في الحَديثِ: «**أَقْرَبُ مَا يَكونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ، وَهو ساجِدٌ**»[(١)]، ونحوِ ذلك.

وقولُهُ: «**مَنْ تَقَرَّبْ إِلَيّ شبرًا تَقَرّبْتُ إليه ذِراعًا ومَنْ تَقَرّبْ إِلِي ذراعًا تَقَربت إليه باعًا، ومَنْ أَتاني يَمْشي أَتيتهُ هَرْوَلَةً**»[(٢)] فقربُ الشيءِ من الشيءِ مستلزمٌ لقربِ الآخرِ منه، لكنْ قد يكونُ قربُ الثاني هو اللازمَ من قربِ

---

(١) أخرجه مسلم (٤٨٢) وأبو داود (٨٧٥) وأحمد (٢/ ٢٦٦).

(٢) متفق عليه: تقدم تخريجه قريبًا.

الأولِ، ويكونُ أيضًا قَرُبَ بنفسِه.

فالأولُ: كمنْ تقرَّبَ إلى مكةَ أو حائطِ الكعبةِ، فكلَّما قَرُبَ منه قَرُبَ الآخرُ منه من غيرِ أنْ يكونَ منه فعلٌ...

وفي الحديثِ الصحيحِ: «**مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ، مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو، ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمِ الْمَلَائِكَةَ، فَيَقُولُ: مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ؟**»(١). فهذا القربُ كلُّه خاصٌّ في بعضِ الأحوالِ دونَ بعضٍ، وليس في الكتابِ والسُّنَّةِ – قطُّ – قربُ ذاتِه من جميعِ المخلوقاتِ في كلِّ حالٍ، فعُلِمَ بذلك بطلانُ قولِ الحلوليةِ، فإنَّهم عمدُوا إلى الخاصِّ المقيدِ فجعلُوه عامًّا مطلقًا، كما جعلَ إخوانُهم الاتحاديةُ ذلك في مثلِ قولِه: «**كُنْتُ سَمْعَهُ**»(٢)، وقولِه: «**فَيَأْتِيهِمْ في صورَةٍ غَيْرِ صورَتِهِ**"(٣)، وقال على لسانِ نبيِّه: «**سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ**»(٤) وكلُّ هذه النصوصِ حجةٌ عليهم(٥).

قال ابنُ القيمِ رحمه الله: أمَّا قولُه تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾ [ق: ١٦]. فهذه الآيةُ لها شأنٌ، وقد اختلفَ فيها السلفُ والخلفُ على قولين:

فقالتْ طائفةٌ: نحنُ أقربُ إليه بالعلمِ والقدرةِ والإحاطةِ، وعلى هذا يكونُ المرادُ قربُه سبحانه بنفسِه، وهو نفوذُ قدرتِه ومشيئتِه فيه وإحاطةُ

---

(١) أخرجه مسلم (١٣٤٨).

(٢) جزء من حديث أخرجه البخاري (٦٥٠٢).

(٣) جزء من حديث أخرجه البخاري (٧٤٣٩) ومسلم (١٨٢).

(٤) أخرجه البخاري (٨٧٩) ومسلم (٣٩٢).

(٥) الفتاوى (٥/١٢٨-١٣٠).

علمِه به.

والقولُ الثاني: أنَّ المرادَ قربُ ملائكتِه منه، وأضافَ ذلك إلى نفسِه بصيغةِ ضميرِ الجمعِ على عادةِ العظماءِ في إضافةِ أفعالِ عبيدِها إليها بأوامرِهم ومراسيمِهم، فيقولُ الملكُ نحنُ قتلنَاهم وهزمنَاهم، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾ وجبريلُ هو الذي يقرؤُه على رسولِ اللهِ ﷺ وقال: ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ﴾ [الأنفال: ١٧]، فأضافَ قتلَ المشركين يومَ بدرٍ إليه، وملائكتُه هم الذين باشرُوه إذ هو بأمرِه، وهذا القولَ أصحُّ من الأولِ لوجوهٍ ... ذكرَها إلى أنْ قال: قال تعالى: ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٦]... والأصلُ أنَّ اللهَ قريبٌ من المحسنين ورحمتُه قريبةٌ منهم، فيكونُ قد أخبرَ عن قربِ ذاتِه وقربِ ثوابِه من المحسنين... وذكرَ أقوالاً أخرى. ثم قال: والذي عندِي أنَّ الرحمةَ لَمَّا كانتْ من صفاتِ اللهِ تعالى، وصفاتُه قائمةٌ بذاتِه، فإذا كانت قريبةً من المحسنين فهو قريبٌ سبحانه منهم قطعًا... والذي يُسَهِّل عليك فَهمَ هذا: معرفةُ عظمةِ الربِّ وإحاطتُه بخلقِه، وأنَّ السمواتِ السبعَ في يدِه كخردلةٍ في يدِ العبدِ، وأنَّه سبحانه يقبضُ السماواتِ بيدِه والأرضَ بيدِه الأخرَى ثم يهزُّهُنَّ [(١)]، فكيفَ يستحيلُ في حقِّ مَنْ هذا بعضُ عظمتِه أنْ يكونَ فوقَ عرشِه ويقربُ من خلقِه كيفَ شاءَ وهو على عرشِه؟ [(٢)]

قال محمدُ بنُ إسحاقَ بنِ خزيمةَ إمامُ الأئمةِ ؒ: من لم يقلْ: إنَّ اللهَ

---

(١) متفق عليه: تقدم تخريجه باختلاف – باب: إثبات الأصابع لله تعالى.

(٢) مختصر الصواعق المرسلة (٢/٤٥٣-٤٥٥) باختصار.

فوقَ سماواتِه على عرشِه، بائنٌ من خلقِه، وجبَ أنْ يستتابَ، فإنْ تابَ وإلا ضُربتْ عنقُه، ثم أُلقِيَ على مزبلةٍ لئلا يتأذى بريحِه أهلُ القبلةِ ولا أهلُ الذمةِ (١).

قال ابنُ زمنينَ رحمه الله: ومن أقوالِ أهلِ السُّنَّةِ: أنَّ اللهَ عز وجل خلقَ العرشَ واختصه بالعلوِّ والارتفاعِ فوقَ جميعِ ما خلقَ ثم استوَى عليه كيفَ شاءَ، كما أخبرَ عن نفسِه في قولِه: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥].

فسبحانه مَنْ بَعُدَ فلا يُرَى، وقَرُبَ بعلمِه وقدرتِه فسمعَ النجْوَى (٢).

قال ابنُ تيميةَ رحمه الله: أمَّا القربُ فهو كقولِه: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وقولِه: ﴿وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]، وقولِه: ﴿وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنكُمۡ﴾ [الواقعة: ١٨٥].

وقد افترقَ الناسُ في هذا المقامِ أربعَ فرقٍ:

فالجهميةُ النُفاةُ الذين يقولون : ليس داخلَ العالمِ، ولا خارجَ العالمِ، ولا فوقَ ولا تحتَ، لا يقولون بعلوِّهِ ولا بفوقيَّتِه، بل الجميعُ عندَهم متأوَّلٌ أو مفوَضٌ..

وقسمٌ ثانٍ يقولون: إنَّه بذاتِه في كلِّ مكانٍ، كما تقولُ النجاريةُ(٣) وكثيرٌ من الجهميةِ – عُبَّادُهم وصوفيَّتُهم وعوامُّهم – يقولون: إنَّه عينُ

---

(١) نقله ابن تيمية في الرسالة الحموية (ص: ٥٩).

(٢) أصول السنة (ص: ٨٨).

(٣) هم أصحاب الحسين بن محمد النجار – وهم فرقة من فرق الجهمية – انظر الملل والنحل للشهرستاني (١/ ١٠١).

وجودِ المخلوقاتِ، كمَا يقولُه "أهلُ الوحدةِ" القائلون بأنَّ الوجودَ واحدٌ، ومَنْ يكونُ قولُه مركَّبًا من الحلولِ والاتحادِ، وهم يحتجُّون بنصوصِ "المعيَّةِ والقربِ" ويتأوَّلون نصوصَ "العلوِّ والاستواءِ" وكلَّ نصٍّ يحتجُّون به حجةً عليهم...

والمعيةُ لا تدلُّ على الممازجةِ والمخالطةِ، وكذلك لفظُ القربِ، فعندَ الحلوليةِ أنَّه في حبلِ الوريدِ كما هو عندَهم في سائرِ الأعيانِ. وكلُّ هذا كفرٌ وجهلٌ بالقرآنِ.

والقسمُ الثالثُ: من يقولُ: هو فوقَ العرشِ، وهو في كلِّ مكانٍ، ويقولُ: أنَا أُقرُّ بهذه النصوصِ... وهو موجودٌ في كلامِ طائفةٍ من السالميةِ والصوفيةِ... وأمَّا هذا الصنفُ فيقولُ: أنا اتَّبعتُ النصوصَ كلَّها، لكنَّه غلطَ أيضًا، فكلُّ من قال: إنَّ اللهَ بذاتِه في كلِّ مكانٍ، فهو مخالفٌ للكتابِ والسُّنَّةِ وإجماعِ سلفِ الأمةِ وأئمتِها، مع مخالفتِه لمَا فطرَ اللهُ عليه عبادَه ولصريحِ المعقولِ وللأدلةِ الكثيرةِ... فإنْ قالوا: إنَّ العرشَ كذلك نقضُوا قولَهم: إنَّه نفسُه فوقَ العرشِ، وإنْ قالوا بحلولِه بذاتِه في قلوبِ العارفين كان هذا قولاً بالحلولِ الخاصِّ.

وقد وقعَ في ذلك طائفةٌ من الصوفيةِ حتى صاحبِ "منازل السائرين" في توحيدِه المذكورِ في آخرِ المنازلِ في مثلِ هذا الحلولِ، ولهذا كان أئمةُ القومِ يحذِّرون من مثلِ هذا.

وأمَّا القسمُ الرابعُ: فهم سلفُ الأمةِ وأئمتُها أئمةُ العلمِ والدينِ من شيوخِ العلمِ والعبادةِ، فإنَّهم أثبتُوا وآمنُوا بجميعِ ما جاءَ به الكتابُ والسُّنَّةُ كلِّه، من غيرِ تحريفٍ للكلمِ، أثبتُوا أنَّ اللهَ تعالى فوقَ سماواتِه، وأنَّه على

عرشِه بائنٌ من خلقِه، وهم منه بائنون، وهو أيضًا مع العبادِ عمومًا بعلمِه، ومع أنبيائِه وأوليائِه بالنصرِ والتأييدِ والكفايةِ، وهو أيضًا قريبٌ مجيبٌ(١).

إثباتُ صفةِ النزولِ للهِ ﷻ:

وصفةُ النزولِ من صفاتِ الأفعالِ يجبُ الإيمانُ بها، وبأنَّ اللهَ سبحانه وتعالى ينزِلُ إلى السماءِ الدنيا كلَّ ليلةٍ نزولاً يليقُ بجلالِه وكمالِه؛ لأنَّ الخبرَ صحَّ عن الصادقِ المعصومِ الذي لا ينطقُ عن الهوَى ﷺ. نؤمنُ بذلك بلا كيفٍ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ**» (٢).

قال أبو عثمانَ الصابونيُّ رحمه الله: فلمَّا صحَّ خبرُ النزولِ عن الرسولِ ﷺ أقرَّ به أهلُ السُّنَّةِ وقبلوا الخبرَ، وأثبتُوا النزولَ على ما قاله رسولُ اللهِ ﷺ، ولم يعتقدُوا تشبيهًا له بنزولِ خلقِه، ولم يبحثُوا عن كيفيتِه، إذ لا سبيلَ إليها بحالٍ، وعلمُوا وتحققُوا، واعتقدُوا أنَّ صفاتِ اللهِ سبحانه وتعالى، لا تشبهُ صفاتِ الخلقِ، كما أنَّ ذاتَه لا تشبهُ ذواتِ الخلقِ، تعالى اللهُ عمَّا يقولُ المشبِّهةُ والمعطِّلةُ علوًّا كبيرًا، ولعنَهم لعنًا كبيرًا (٣).

قال ابنُ تيميةَ رحمه الله بعدَ أنْ ساقَ حديثَ أبي هريرةَ المتقدِّمَ: قد

---

(١) مجموع الفتاوى (٥/٢٢٧ – ٢٣١).

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٢١) ومسلم (٧٥٨) وغيرهما.

(٣) اعتقاد السلف وأصحاب الحديث (ص: ٢٣٢).

استفاضتْ به السُّنَّةُ عن النبيِّ ﷺ واتفقَ سلفُ الأمةِ وأئمتُها وأهلُ العلمِ بالسُّنَّةِ والحديثِ على تصديقِ ذلك وتلقِّيه بالقبولِ، ومن قالَ ما قالَه الرسولُ فقولُه حقٌّ وصدقٌ، وإنْ كان لا يعرفُ حقيقةَ ما اشتملَ عليه من المعانِي كمنْ قرأَ القرآنَ ولم يَفهمْ ما فيه من المعانِي... وكانت الصحابةُ والتابعون تذكرُه وتؤثِرُه وتبلِّغُه وترويهِ في المجالسِ الخاصةِ والعامةِ (١).

وفي موضعٍ آخرَ، قال: إذَا تبيَّنَ هذا فقولُ السائلِ: كيفَ ينزلُ؟ بمنزلةِ قولِه: كيفَ استوى؟ وقولِه: كيفَ يسمعُ؟ وكيفَ يعلمُ ويقدرُ؟ وكيفَ يرزقُ؟ وقد تقدَّمَ الجوابُ عن مثلِ هذا السؤالِ من أئمةِ الإسلامِ مثلِ: مالكِ بنِ أنسٍ وشيخِه ربيعةَ بنِ أبي عبدِ الرحمنِ فإنَّه قد رَوَى من غيرِ وجهٍ؛ أنَّ سائلاً سألَ مالكًا عن قولِه: ﴿ ٱلرَّحْمَـٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه: ٥]، كيفَ استوى...؟ قال: الاستواءُ معلومٌ والكيفُ مجهولٌ والإيمانُ به واجبٌ والسؤالُ عنه بدعةٌ، وما أراكَ إلا رجلَ سوءٍ ثم أمرَ فأُخرِجَ (٢).

وهكذا سائرُ الأئمةِ قولُهم يوافقُ قولَ مالكٍ: في أنَّا لا نعلمُ كيفيةَ استوائِه كما لا نعلمُ كيفيةَ ذاتِه، ولكنْ نعلمُ معنى النزولِ ولا نعلمُ كيفيَّتَه، ونعلمُ معنى السمعِ والبصرِ والعلمِ والقدرةِ ولا نعلمُ كيفيةَ ذلك(٣).

قال محمدُ بنُ حسينٍ رحمه الله(٤): بابُ الإيمانِ والتصديقِ بأنَّ اللهَ ﷻ ينزلُ

---

(١) الفتاوى (٥/٣٢٢).

(٢) صحيح: تقدم تخريجه.

(٣) الفتاوى (٥/٣٦٥).

(٤) هو الإمام، المحدّث، القدوة، شيخ الحرم الشّريف، أبو بكرٍ محمّد بن الحسين بن عبد =

إلى سماءِ الدنيا كلَّ ليلةٍ، الإيمانُ بهذا واجبٌ، ولا يسعُ المسلمَ العاقلَ أنْ يقولَ: كيفَ ينزلُ؟ ولا يردُّ هذا إلا المعتزلةُ.

وأمَّا أهلُ الحقِّ فيقولون: الإيمانُ به واجبٌ بلا كيفٍ، لأنَّ الأخبارَ صحَّتْ عَنْ رَسولِ اللهِ ﷺ: «**أَنَّ اللَّهَ ﷻ يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ**» والذين نقلُوا إلينَا هذه الأخبارَ هم الذين نقلُوا إلينَا الأحكامَ من الحلالِ والحرامِ وعِلْمَ الصلاةِ والزكاةِ والصيامِ والحجِّ والجهادِ، فكما قبلَ العلماءُ عنهم ذلك، كذلك قبلُوا منهم هذه السُّنَّةَ وقالوا: منْ ردَّها فهو ضالٌّ خبيثٌ، يَحْذَرُونَه ويُحَذِّرُونَ منه[(١)].

قال أبو سعيدٍ الدارميُّ رحمه الله: فهذه الأحاديثُ قد جاءتْ كلُّها وأكثرُ منها في نزولِ الربِّ تبارك وتعالى في هذه المواطنِ، وعلى تصديقِها والإيمانِ بها أدركْنَا أهلُ الفقهِ والبصرِ من مشايخِنا، لا ينكرُها منهم أحدٌ ولا يمتنعُ من روايتِها، حتى ظهرتْ هذه العصابةُ فعارضتْ آثارَ رسولَ اللهِ ﷺ برَدٍّ وتشمَّرُوا لدفعِها بجدٍّ، فقالُوا: كيفَ نزولُه هذا؟ قلنا: لم نُكَلَّفْ معرفةَ كيفيةِ نزولِه في دينِنَا، ولا تعقلُه قلوبُنَا، وليس كمثلِه شيءٌ من خلقِه فنشبِّهَ منه فعلاً أو صفةً بفعلِهم وصفتِهم، ولكنْ ينزلُ بقدرتِه ولطفِ ربوبيَّتِه كيفَ يشاءُ، فالكيفُ منه غيرُ معقولٍ والإيمانُ بقولِ رسولِ اللهِ ﷺ في نزولِه

= الله البغداديّ الآجرّيّ، صاحب التّواليف، وكان صدوقاً، خيّراً، عابداً، صاحب سنّةٍ واتّباعٍ، مات بمكّة في المحرّم سنة ستّين وثلاثمائة وكان من أبناء الثّمانين – رحمه الله ورضي عنه –.

سير أعلام النبلاء (١٦/١٣٣)، تاريخ بغداد (٣/٣٥).

(١) الشريعة (ص: ٢٤٧) للآجري.

واجبٌ، ولا يُسألُ الربُّ عمّا يفعلُ كيفَ يفعلُ وهم يُسألون [١].

وقال عبدُ الرحمنِ بنُ منده رحمه الله: إياكَ أنْ تكونَ فيمنْ يقولُ: أنَا أؤمنُ بربٍّ يفعلُ ما يشاءُ، ثم تنفِي ما في الكتابِ والسُّنَّةِ ممَّا شاءَ اللهُ وأوجبَ على خلقِهِ الإيمانَ به [٢].

قال البخاريُّ رحمه الله: قال الفضيلُ بنُ عياضٍ: إذا قال لك الجهميُّ: أنا أكفرُ بربٍّ يزولُ عن مكانِه، فقل أنتَ: أؤمنُ بربٍّ يفعلُ ما يشاءُ [٣].

قال الخلالُ رحمه الله: أخبرَني عليُّ بنُ عيسَى أنَّ حنبلاً حدثَهم قال: سألتُ أبا عبدِ اللهِ عن الأحاديثِ التي تُروَى (أنَّ اللهَ ﷻ ينزلُ إلى السماءِ الدنيا، وأنَّ اللهَ يُرَى، وأنَّ اللهَ يضعُ قدمَه، وما أشبهَ ذلك).

فقال أبو عبدِ اللهِ رحمه الله: نؤمنُ بها ونصدقُ بها، لا كيفَ ولا معنَى ولا نردُّ منها شيئًا، ونعلمُ أنَّ ما جاءَ به الرسولُ حقٌّ إذا كانتْ بأسانيدَ صحاحٍ، ولا نردُّ على اللهِ قولَه، ولا نصفُهُ بأكثرَ ممَّا وصفَ به نفسَه، بلا حدٍّ ولا غايةٍ، ليس كمثلِهِ شيءٌ، وهذا الكلامُ وكلامُ الشافعيِّ من مشكاةٍ واحدةٍ[٤].

قال ابنُ زمنينَ رحمه الله: ومن قولِ أهلِ السُّنَةِ: أنَّ اللهَ ﷻ ينزلُ إلى السماءِ الدنيا، يؤمنُ بذلك من غيرِ أن يحدُّوا فيه حدًّا [٥].

---

(١) الرد على الجهمية (ص: ٩٠) لأبي سعيد عثمان بن سعيد الدارمي.

(٢) الفتاوى (٥/ ٣٩٤).

(٣) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد (٦١).

(٤) الصواعق المرسلة (٢/ ٤٤٢، ٤٤٣).

(٥) أصول السنة (ص: ١١٠).

قال ابنُ وضاح رحمه الله: وسألتُ يوسفَ بنَ عديٍّ[1] عن النزولِ؟ فقال: نعمْ، أقرُّ به ولا أحُدُّ فيه حدًّا، وسألتُ عنه ابنَ معينٍ، فقال: نعمْ، أقرُّ به لا أحُدُّ فيه حدًّا[2].

مطلبٌ: في أي وقتٍ من الليلِ ينزلُ ربّنَا – جلّ ذكره ـ:

جاءَ في وقتِ نزولِ ربِّنَا تبارك وتعالى ثلاثُ رواياتٍ:

الأُولى: قولُه ﷺ: «يَنْزِلُ رَبُّنا تَبَارَكَ وَتَعالى كُلَّ لَيْلَةٍ إلى السَّماءِ الدُّنْيا حينَ يَبْقى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخرِ...»[3].

والثانيةُ: «حينَ يَمْضِي ثُلُثُ الليْلِ الأوَلِ»[4].

والثالثةُ: «إذا مَضَى شَطْرُ الليْلِ أو ثُلُثاهُ، يَنْزِلُ اللهُ تَبارَكَ وَتَعالى إلى السماءِ الدّنْيا..»[5]، ونذكرُ أقوالَ أهلِ العلمِ في طريقِ الجمعِ بين الرواياتِ.

قال النوويُّ رحمه الله: ويحتملُ أنْ يكونَ النبيُّ ﷺ علمَ بأحدِ الأمرينِ في وقتٍ فأخبرَ به ثم أُعلمَ بالآخرِ في وقتٍ آخرَ فأَعلمَ به وسمعَ أبو هريرةَ الخبرين فنقلهما جميعًا، وسمعَ أبو سعيدٍ خبرَ الثلثِ الأولِ فقطْ فأخبرَ به مع

---

(١) هو: الإمام، الثّقة، يوسف بن عديّ بن زريق بن إسماعيل التّيميّ سكن مصر، وحدّث بها، وسكن أخوه بغداد، وهما من الكوفة، قال أبو زرعة: ثقةٌ، ذهب إلى مصر في التّجارة، ومات بها. وقال ابن حبّان: مات سنة اثنتين وعشرين ومائتين.
سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٨٥)، تهذيب الكمال (٣٢/ ٤٣٨).

(٢) المصدر السابق.

(٣) متفق عليه: تقدم تخريجه.

(٤) أخرجه مسلم (١٦٩-٧٥٨) من حديث أبي هريرة.

(٥) أخرجه مسلم (١٧٠-٧٥٨) من حديث أبي هريرة.

أبي هريرةَ، كما ذكرَه مسلمٌ في الروايةِ الأخيرةِ، وهذا ظاهرٌ (١).

قال الترمذيُّ رحمه الله: حديثُ أبي هريرةَ حديثٌ حسنٌ صحيحٌ أخرجه الأئمةُ الستةُ، وقد رُوِيَ هذا الحديثُ من أوجهٍ كثيرةٍ عن أبي هريرةَ؛ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**يَنْزِلُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعالى حينَ يَبْقى ثُلُثُ الليلِ الآخِرِ**» وهذا أصحُّ الرواياتِ (٢).

قال الحافظُ رحمه الله بعدَ ذكرِ قولِ الترمذيِّ: ويقوِّي ذلك أنَّ الرواياتِ المخالفةَ اُختُلِف فيها على رواتِها، وسلكَ بعضُهم طريقَ الجمعِ، وذلك أن الرواياتِ انحصرتْ في ستةِ أشياءَ: أولها: هذه، ثانيها: إذا مضَى ثلثُ الليلِ الأولِ، ثالثِها: الثلثُ الأولُ أو النصفُ، رابعِها: النصفُ، خامسِها: النصفُ أو الثلثُ الأخيرُ، سادسِها: الإطلاقُ.

فأمَّا الرواياتُ المطلقةُ فهي محمولةٌ على المقيدةِ، وأمَّا التي "بأوْ" فإنْ كانت للشكِّ فالمجزومُ به مقدَّمٌ على المشكوكِ فيه، وإنْ كانت للتردُّدِ بين حالين فيُجمعُ بذلك بين الرواياتِ بأنَّ ذلك يقعُ بحسبِ اختلافِ الأحوالِ لكونِ أوقاتِ الليلِ تختلفُ في الزمانِ وفي الآفاقِ باختلافِ تقدُّمِ دخولِ الليلِ عندَ قومٍ، وتأخرِه عندَ قومٍ.

وقال بعضُهم: يُحتملُ أنْ يكونَ النزولُ يقعُ في الثلثِ الأولِ والقولُ يقعُ في النصفِ وفي الثلثِ الثاني. وقيل: يُحمَلُ على أنَّ ذلك يقعُ في جميعِ الأوقاتِ التي وردتْ بها الأخبارُ، ويُحمَلُ على أنَّ النبيَّ ﷺ أُعلمَ بأحدَ

---

(١) مسلم بشرح النووي (٣/ ٢٩٤).

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي (٢/٤٣٢) للمباركفوري.

الأمورِ في وقتٍ فأَخبرَ به، ثم أُعلمَ به في وقتٍ آخرَ فأَخبرَ به، فنقلَ الصحابةُ ذلك عنه، واللهُ أعلمُ (١).

قال ابنُ تيميةَ رحمه الله بعدَ أنْ ذكرَ قولَ الترمذيِّ: والذي لا شكَّ فيه إذا بقيَ ثلثُ الليلِ الآخرِ، فإنْ كان النبيُّ ﷺ قد ذكرَ النزولَ أيضًا إذا مضَى ثلثُ الليلِ الأولِ، وإذا انتصفَ الليلُ، فقولُه حقٌّ وهو الصادقُ المصدوقُ، ويكونُ النزولُ أنواعًا ثلاثةً: الأولَ: إذا مضَى ثلثُ الليلِ الأولِ، ثمَّ إذا انتصفَ وهو أبلغُ، ثمَّ إذا بقيَ ثلثُ الليلِ وهو أبلغُ الأنواعِ الثلاثةِ (٢).

وقال في موضعٍ آخرَ: والليلُ يختلفُ، فيكونُ ثلثُ الليلِ بالمشرقِ قبلَ ثلثِه بالمغربِ، ونزولُه الذي أخبرَ به رسولُه إلى سماءِ هؤلاءِ في ثلثِ ليلِهم وإلى سماءِ هؤلاءِ في ثلثِ ليلِهم، لا يشغلُه شأنٌ عن شأنٍ، وكذلك – سبحانه – لا يشغلُه سمعٌ دونَ سمعٍ، ولا تغلطُه المسائلُ، بل سبحانه يكلِّمُ العبادَ يومَ القيامةِ ويحاسبُهم، لا يشغلُه هذا عن هذا (٣).

إثباتُ الإتيانِ والمجيءِ للهِ عز وجل:

قال اللهُ تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ﴾ [البقرة: ٢١٠].

وقال سبحانه: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا

(١) فتح الباري (٣/ ٣٨).
(٢) مجموع الفتاوى (٥/ ٤٧١).
(٣) الفتاوى (٥/ ١٣٣).

إِيمَـٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَـٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٨]. قال جل ثناؤه: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر: ٢٢].

وَقَالَ رَسولُ اللهِ ﷺ في حَديثِ الشَّفاعَةِ الطَّويلِ كَما في الصَّحِيحَينِ: «... **فَيَأْتيهِمْ اللهُ تَبارَكَ وَتَعالى في صورَةٍ غَيْرِ صورَتِهِ التي يَعْرِفون**»(١).

وقولُه صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: «... **وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً** »(٢).

قال أبو الحسنِ الأشعريُّ رحمه الله: وأجمعُوا على أنَّه عزَّ وجلَّ يجيءُ يومَ القيامةِ والملكُ صفًّا صفًّا(٣). انتهى.

وقد جاءتْ صفتَا الإتيانِ والمجيءِ مقترنتين في حديثٍ واحدٍ:

عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِي الله عنه قَالَ: قال النبي ﷺ: قَالَ الله تعالى: «**إِذَا تَلَقَّانِي عَبْدِي بِشِبْرٍ، تَلَقَّيْتُهُ بِذِرَاعٍ، وَإِذَا تَلَقَّانِي بِذِرَاعٍ، تَلَقَّيْتُهُ بِبَاعٍ، وَإِذَا تَلَقَّانِي بِبَاعٍ أَتَيْتُهُ بِأَسْرَعَ**»(٤).

قال النوويُّ رحمه الله: هكذا هو في أكثرِ النسخِ: (جئتُه أتيتُه)، وفي بعضِها: (جئتُه بأسرعَ) فقطْ، وفي بعضِها: (أتيتُه)، وهاتان ظاهرتان، والأولُ صحيحٌ أيضًا، والجمعُ بينهما للتوكيدِ وهو حسنٌ، لا سيَّما عندَ اختلافِ

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٣٧) ومسلم (١٨٢).
(٢) أخرجه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).
(٣) رسالة لأهل الثغر (ص: ٢٢٧).
(٤) أخرجه مسلم (٣-٢٦٧٦).

اللفظِ، واللهُ أعلمُ(١).

قال ابنُ القيمِ رحمه الله في معرضِ ردِّه على منْ قال إنَّ إتيانَ اللهِ تعالى ومجيئَه سبحانه مجازًا: تقديرُه: وجاءُ أمرِ ربِّك، هذا باطلٌ من وجوهٍ...الرابع: أنَّ في السياقِ ما يبطلُ هذا التقديرَ، وهو قولُه: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ﴾. فعطفُ مجيءَ المَلَكِ على مجيئِه سبحانه يدلُّ على تغايرِ المجيئين، وأنَّ مجيئَه سبحانه حقيقةٌ كما أنَّ مجيءَ المَلَكِ حقيقةٌ، بل مجيءُ الربِّ سبحانه أولَى أنْ يكونَ حقيقةً من مجيءِ المَلَكِ، وكذلك قولُه: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَۗ يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨]. ففرَّقَ بينَ إتيانِ الملائكةِ وإتيانِ الربِّ وإتيانِ بعضِ آياتِ ربِّك، فقسَّمَ ونوَّعَ، ومع هذا التقسيمِ يمتنعُ أنْ يكونَ القسمان واحدًا فتأملْ(٢).

قال أبو عثمانَ الصابونيُّ رحمه الله في ثنَايا كلامِه عن إتيانِ أهلِ السُّنَّةِ والحديثِ لصفاتِ اللهِ: ... وكذلك يثبتُون ما أنزَله اللهُ – عزَّ اسمُه – في كتابِه من ذكرِ المجيءِ والإتيانِ المذكوريْنِ في قولِه عز وجل... وذكرَ الآياتِ كما تقدَّمَ(٣).

قال شيخُ الإسلامِ رحمه الله في معرضِ كلامِه عن وصفِ اللهِ تعالى لنفسِه: وبالمجيءِ والإتيانِ في قولِه: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ﴾

---

(١) مسلم بشرح النووي (٩/٧).

(٢) مختصر الصواعق المرسلة (ص: ٣٥٨).

(٣) الرسالة في اعتقاد أهل السنة (ص: ١٩٢).

وقال: ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَۗ يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ﴾.

والأحاديثُ المتواترةُ عن النبيِّ ﷺ في إتيانِ الربِّ يومَ القيامةِ كثيرةٌ، وكذلك إتيانُه أهلَ الجنةِ يومَ الجمعةِ، وهذا مِمَّا احتجَّ به السلفُ على من ينكرُ الحديثَ، فبيَّنوا له أنَّ القرآنُ يصدِّقُ معنَى هذا الحديثِ (١).

إثباتُ صفةِ الضحكِ والعَجَبِ والقَدَمِ للّهِ – جلّ وعلا ـ:

قال اللهُ تعالى: ﴿بَلۡ عَجِبۡتُ وَيَسۡخَرُونَ﴾ [الصافات: ١٢].

والآيةُ دالةٌ على إثباتِ صفةِ العَجَبِ للهِ على قراءةِ ضمِّ التاءِ.

واختلفَ القُرَّاءُ في قراءةِ الآيةِ، فقرأهَا عامةُ قرَّاءِ الكوفةِ بضمِّ التاءِ (بل عجبتُ)، والمعنَى: عَجِبَ ربُّنا من عظيمِ ما قالَه المشركون في اللهِ، وسخرَ المشركون مما قالُوه، وصوَّبَ الطبريُّ كلا القراءتين.

وقال أبو زرعةَ عبدُ الرحمنِ بنُ زنجلةَ رحمه الله: قرأَ حمزةُ والكسائيُّ (بل عجبتُ ويسخَرُون) بضمِّ التاءِ، وقرأَ الباقون بفتحِ التاءِ... ثم قالَ: قال أبو عبيدٍ: قولُه: «بل عجبتَ» بالنصبِ: بل عجبتَ يا محمدُ من جهلِهم وتكذيبِهم، وهم يسخَرُون منك، ومنْ قرأَ: (عجبتُ) فهو إخبارٌ عن اللهِ عزَّ وجلَّ (٢).

عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ؛ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**عَجِبَ اللهُ مِنْ قَوْمٍ يَدْخلونَ الجنةَ في السَّلاسِلِ**»(٣).

---

(١) مجموع الفتاوى (٥/٣٧٥).

(٢) حجة القراءات (ص: ٦٠٦).

(٣) أخرجه البخاري (٣٠١٠).

وعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الجهني؛ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**يَعْجَبُ رَبُّكُمْ مِنْ رَاعِي غَنَمٍ فِي رَأْسِ شَظِيَّةٍ بِجَبَلٍ، يُؤَذِّنُ بِالصَّلاَةِ، وَيُصَلِّي، فَيَقُولُ اللَّهُ عَجَلًا: انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي هَذَا، يُؤَذِّنُ وَيُقِيمُ الصَّلاَةَ يَخَافُ مِنِّي، قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي وَأَدْخَلْتُهُ الْجَنَّةَ**»(١).

وفِي الصحيحين عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**قَدْ عَجِبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ - أَوْ ضَحِكَ - مِنْ فُلاَنٍ وَفُلاَنَةَ**»، وفي لفظ مسلم: «**قَدْ عَجِبَ اللهُ مِنْ صَنِيعِكُمَا بِضَيْفِكُمَا اللَّيْلَةَ**»(٢).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**يَضْحَكُ اللَّهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ يَدْخُلاَنِ الْجَنَّةَ: يُقَاتِلُ هَذَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلُ، ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَى الْقَاتِلِ فَيُسْتَشْهَدُ**»(٣).

وعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**آخِرُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ رَجُلٌ، فَهْوَ يَمْشِي مَرَّةً، وَيَكْبُو مَرَّةً**... إلى أن قال: **فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَدْخِلْنِيهَا، فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ مَا يَصْرِينِي مِنْكَ؟ أَيُرْضِيكَ أَنْ أُعْطِيَكَ الدُّنْيَا وَمِثْلَهَا مَعَهَا؟ قَالَ: يَا رَبِّ، أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟**»، فَضَحِكَ ابْنُ مَسْعُودٍ، فَقَالَ: أَلَا تَسْأَلُونِي مِمَّ أَضْحَكُ؟ فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ؟، قَالَ: هَكَذَا ضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ يَا رَسُولَ اللهِ؟، قَالَ:

---

(١) أخرجه أبو داود (١٢٠٣) والنسائي (٢/٢٠)، وأحمد (٤/١٤٥، ١٥٧، ١٥٨)، وابن أبي عاصم في السنة (٥٧٢)، وابن حبان (١٦٦٠)، والبيهقي في الكبرى (١/٤٠٥).

(٢) أخرجه البخاري (٣٧٩٨، ٤٨٨٩)، ومسلم (٢٠٥٤).

(٣) أخرجه البخاري (٢٨٢٦) ومسلم (١٨٩٠) وغيرهما.

«مِنْ ضَحِكِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حِينَ قَالَ: أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ فَيَقُولُ: إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ مِنْكَ، وَلَكِنِّي عَلَى مَا أَشَاءُ قَادِرٌ»(١).

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ؛ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لاَ تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَى فِيهَا وَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟ حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا قَدَمَهُ فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، وَتَقُولُ قَطْ قَطْ بِعِزَّتِكَ وَكَرَمِكَ. وَلاَ يَزَالُ فِي الْجَنَّةِ فَضْلٌ حَتَّى يُنْشِئَ اللَّهُ لَهَا خَلْقًا فَيُسْكِنَهُمْ فَضْلَ الْجَنَّةِ »(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تَحَاجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّار ، فَقَالَتِ النَّارُ... إلى قوله ﷺ: وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مِلْؤُهَا، فَأَمَّا النَّارُ: فَلاَ تَمْتَلِئُ حَتَّى يَضَعَ رِجْلَهُ، فتقول: قَطْ قَطْ قَطْ، فَهُنَالِكَ تَمْتَلِئُ وَيُزْوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ...»(٣).

وقَالَ ابن عَبْاسٍ رَضِيَ الله عنهما: «الْكُرْسِيُّ مَوْضِعُ الْقَدَمَيْنِ، وَالْعَرْشُ لَا يُقْدَرُ أَحَد قَدْرُهُ»(٤).

قال الدارقطنيُّ رحمه الله(٥) بعدَ أنْ ساقَ بعضَ أحاديثِ الصفاتِ: قال

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٧١) ومسلم (١٨٦) واللفظ له.

(٢) أخرجه البخاري (٦٦٦١) ومسلم (٣٧-٢٨٤٨) واللفظ له.

(٣) أخرجه البخاري (٤٨٥٠)، ومسلم (٣٥-٢٨٤٦).

(٤) أخرجه ابن خزيمة (٢١١-٢١٢-٢١٣)، وعبد الله بن أحمد في السنة (٦٣٤، ١١٠٦)، وابن أبي شيبة في العرش (٦١)، وابن منده في الرد على الجهمية (١٥)، والحاكم (٢/٢٨٢)، وصححه على شرطهما، ووافقه الذهبي، والدارقطني في الصفات (٣٦)، والطبراني في الكبير (١٢/٣٨)، وصححه الألباني في مختصر العلو (ص: ١٠٢).

(٥) الإمام، الحافظ، المجوّد، شيخ الإسلام، علم الجهابذة، أبو الحسن عليّ بن عمر بن =

أبو عبيدٍ رحمه الله: هذه أحاديثُ صحاحٌ حملَها أصحابُ الحديثِ والفقهاءِ بعضُهم عن بعضٍ، وهي عندَنا حقٌّ لا شكَّ فيها، ولكنْ إذا قيلَ: كيف وضعَ قدمَه، وكيف ضحكَ؟ قلنا: لا يُفسَّرُ هذا، ولا سمعْنَا أحدًا يفسِّرُه(١).

قال أبو العباسِ بنُ شريحٍ رحمه الله: وقد صحَّ عندَ جميعِ أهلِ الديانةِ والسُّنَّةِ إلى زمانِنا أنَّ جميعَ الآثارِ والأخبارِ الصادقةِ عن رسولِ اللهِ ﷺ في الصفاتِ يجبُ على المسلمِ الإيمانُ بها... وممَّا نطقَ به القرآنُ، كالفوقيَّةِ والنفسِ واليدينِ والسمعِ والبصرِ، وصعودِ الكلامِ الطيِّبِ إليه، والضحكِ والتعجبِ والنزولِ كلَّ ليلةٍ إلى سماءِ الدنيا (٢).

قال أحمدُ رحمه الله في روايةِ حنبلٍ: يضحكُ اللهُ ولا نعلمُ كيفَ ذلك إلَّا بتصديقِ الرسولِ ﷺ(٣).

قال محمدُ بنُ نصرٍ رحمه الله: قال: سألتُ سفيانَ بنَ عيينةَ وأنا في منزِلِه: كيف حَديثُ عَبْدِ اللهِ؛ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ تَعَالَى يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ**

=

أحمد بن مهديّ بن مسعود بن النّعمان بن دينار بن عبد الله البغداديّ، المقرئ، المحدّث، من أهل محلّة دار القطن ببغداد، ولد سنة ستٍّ وثلاثمائة، وقال الحاكم: شهدت بالله أنّ شيخنا الدّارقطنيّ لم يخلّف على أديم الأرض مثله في معرفة حديث رسول الله ﷺ وكذلك الصّحابة والتّابعين وأتباعهم.

سير أعلام النبلاء (١٦/ ٤٤٩)، الأعلام للزركلي (٤/ ٣١٤).

(١) الصفات (١/ ١٦٠) للدارقطني.

(٢) الصواعق المرسلة (٢/ ٤٤١).

(٣) الحجة في بيان المحجة (ص: ٢٢٠).

الْقِيَامَةِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ»[(١)]، وحديثُ أنَّ اللهَ ﷻ يعجبُ ويضحكُ..؟ فقال سفيانُ: هي كما جاءتْ نقرُّ بها ونحدِّثُ بها بلا كيفٍ[(٢)].

قال أبو بكرٍ بنُ خزيمةَ رحمه الله: إثباتُ ضحكِ ربِّنا ﷻ بلا صفةٍ تصفُ ضحكَه جلَّ ثناؤُه، لا ولا يُشَبَّهُ ضحكُه بضحكِ المخلوقين وضحكُهم كذلك، بل نؤمنُ بأنَّه يضحكُ كما أعلمَ النبيُّ ﷺ ونسكتُ عن صفةِ ضحكِهِ جلَّ وعلا، إذ اللهُ ﷻ استأثرَ بصفةِ ضحكِه، لم يطلعْنَا على ذلك[(٣)].

إثباتُ صفةِ الكلامِ للهِ ﷻ وأنَّ القرآنَ كلامُ اللهِ غيرُ مخلوقٍ:

من أصولِ اعتقادِ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ أنَّ من صفاتِ اللهِ تعالى الكلامَ، فلمْ يزلْ متكلِّمًا، يتكلمُ متى شاءَ وكيفَ شاءَ وإذا شاءَ[(٤)]، فصفاتُه سبحانه وتعالى لا يسبقُها عدمٌ و لا يلحقُها الفناءُ، وأنَّ القرآنَ كلامُ اللهِ غيرُ مخلوقٍ، وقد ذكرَ ابنُ بطةَ أربعةً وخمسين موضعًا في القرآنِ تدلُّ على أنَّ اللهَ سبحانه لم يزلْ متكلمًا وأنَّ القرآنَ كلامُ اللهِ غيرُ مخلوقٌ[(٥)].

وكلامُ اللهِ صفةٌ ذاتيةٌ فعليةٌ، ذاتيةٌ باعتبارِ أصلِه، وفعليةٌ باعتبارِ

---

(١) صحيح: تقدم تخريجه.

(٢) الصفات للدارقطني (١/١٦٨).

(٣) التوحيد (ص: ١٩١).

(٤) قال ابن تيمية: في معرض ذكره ما نقله ابن حامد عن أحمد، أنه حكى أنه لا يختلف قول أحمد أنه لم يزل متكلمًا كيف شاء وكما شاء، والقول الثاني: أنه يتكلم إذا شاء ويسكت إذا شاء – مجموع الفتاوى (١٧/١٦٦).

(٥) انظر الإبانة (٣/٢٢٧) وما بعدها.

آحادِه، ومن المعلومِ أنَّ أولَ من قال بخلقِ القرآنِ الجعدُ بنُ درهمٍ ثمَّ الجهمُ بنُ صفوانَ، وقد سُمِّيَتْ الجهميةُ بهذا الاسمِ نسبةً إليه، وظهرت هذه البدعةُ في زمنِ الخليفةِ المأمونِ وآلَ به الحالُ إلى أنَّه حملَ الأمةَ على القولِ بخلقِ القرآنِ وامتحنَ العلماءَ ثم هلكَ لعامِه، وقيلَ إنَّه بقيَ متوقِّفًا في الدعاءِ إلى بدعتِه، ثم صارَ الأمرُ إلى المعتصمِ إثرَ موتِ أخيه، وجرتْ المحنةُ المشهورةُ للإمامِ أحمدَ بنِ حنبلٍ رحمَه اللهُ فضُربَ وسُجنَ ليقولَ بأنَّ القرآنَ مخلوقٌ، فأبى الإمامُ إلا القولَ بأنَّ القرآنَ كلامُ اللهِ غيرُ مخلوقٍ، وقيل مكثَ في السجنِ ثمانيةً وعشرين شهرًا حتى ماتَ المعتصمُ، ووَلِيَ الخلافةَ ابنُه الواثقُ ولم يتعرضْ للإمامِ أحمدَ بشيءٍ إلا أنَّه بعثَ إليه يقولُ: لا تساكنِّي بأرضٍ، وقيل: أمرَه لا يخرجُ من بيتِه، ولمَّا وَلِيَ المتوكلُ بعدَ الواثقِ، خالفَ المأمونَ والمعتصمَ والواثقَ في الاعتقادِ.

قال حنبلٌ رحمه الله: وَلِيَ المتوكلُ جعفرٌ فأظهرَ اللهُ السُّنَّةَ، وفرجَ عن الناسِ، وكان أبو عبدِ اللهِ يحدِّثُنَا ويحدِّثُ أصحابَه في أيامِ المتوكلِ (١).

ذكرُ بعضِ الآياتِ الدالةِ على أنَّ اللهَ تعالى لم يزلْ متكلِّمًا:

قال اللهُ تبارك وتعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

وقال جلَّ ذكرُه: ﴿سَلَـٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨].

---

(١) انظر سير أعلام النبلاء للذهبي (٢/ ١٢٢٦ - ١٢٤٣) ط المكتبة العصرية - بيروت، وانظر حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني (٧/٣٤٣-٣٥٦).

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ﴾ [آل عمران: ٧٧].

وقال لأهلِ النارِ: ﴿ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨].

وقال: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٤].

وقال: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر: ٦٠].

ذكرُ بعضِ الآياتِ الدالةِ على أنَّ القرآنَ كلامُ اللهِ غيرُ مخلوقٍ:

قال ﷻ: ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وقال جلَّ ذكرُه: ﴿ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ [يونس: ٦٤].

وقال: ﴿وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ﴾ [الكهف: ٢٧].

وقال تبارك وتعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: ١٥].

وقال تعالى: ﴿ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ﴾ [النساء: ٨٧].

وقال جلَّ وعلا: ﴿ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ [الأنعام: ١١٥].

وقال: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا﴾ [الكهف: ١٠٩].

ذكرُ بعضِ الأدلةِ من السُّنَّةِ على أنَّ اللهَ تعالى لم يزلْ متكلِّمًا وأنَّ القرآنَ كلامُ اللهِ غيرُ مخلوقٍ:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَوِّذُ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ وَيَقُولُ: «**إِنَّ أَبَاكُمَا كَانَ يُعَوِّذُ بِهَا إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ، أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لاَمَّةٍ**»(١).

وعَنْ خَوْلَةَ بِنْتِ حَكِيمٍ السُّلَمِيَّةِ؛ أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِذَا نَزَلَ أَحَدُكُمْ مَنْزِلاً فَلْيَقُلْ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، فَإِنَّهُ لاَ يَضُرُّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْهُ**"(٢).

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ؛ أَنَّهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا لَقِيتُ مِنْ عَقْرَبٍ لَدَغَتْنِي الْبَارِحَةَ. قَالَ: «**أَمَا لَوْ قُلْتَ حِينَ أَمْسَيْتَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ لَمْ تَضُرَّكَ**»(٣).

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْرِضُ نَفْسَهُ عَلَى النَّاسِ فِي الْمَوْقِفِ، فَقَالَ: «**أَلاَ رَجُلٌ يَحْمِلُنِي إِلَى قَوْمِهِ، فَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أُبَلِّغَ كَلاَمَ رَبِّي**»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٧١) وغيره.

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٠٨).

(٣) أخرجه مسلم (٢٧٠٩).

(٤) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد (٨٧، ٢١٤)، وأحمد (٣/٣٩٠)، وأبو داود (٤٧٣٤)، وابن أبي شيبة (١٤/٣١٠)، وابن ماجه (٢٠١)، والحاكم (٢/٦٦٩)، وصححه الألباني على شرط البخاري في الصحيحة (١٩٤٧).

وفي الصحيحين في حديث احْتِجَاج آدم وموسى وفيه: «... **قَالَ لَهُ آدَمُ: يَا مُوسَى اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِكَلَامِهِ...**» الحديث[(١)].

وفي حديث الإفك، قَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها: «... **وَلَشَأْنِي فِي نَفْسِي كَانَ أَحْقَرَ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللَّهُ فِيَّ بِأَمْرٍ يُتْلَى،...**»[(٢)].

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**يَقُولُ الله تعالى: يَا آدَم فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْك، فَيُنَادَى بِصَوْتٍ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعْثًا إِلَى النَّارِ...**»[(٣)].

قال أحمدُ بنُ حنبلٍ رحمه الله في الردِّ على الجهميةِ أنَّهم قالوا: إنَّ اللهَ قد يتكلمُ ولكنَّ كلامَه مخلوقٌ، فقلنا: وكذلك بنو آدم كلامُهم مخلوقٌ فشبَّهتم اللهَ بخلقِه حينَ زعمتُم أنَّ كلامَه مخلوقٌ، ففي مذهبِكم أنَّ اللهَ كان في وقتٍ من الأوقاتِ لا يتكلَّمُ حتى خلقَ التكلُّمَ، وكذلك بنو آدم كانوا لا يتكلمون حتى خَلقَ لهم كلامًا، فجمعتُم بينَ كفرٍ وتشبيهٍ، فتعالى اللهُ عن هذه الصفةِ علوًّا كبيرًا، بل نقولُ: إنَّ اللهَ لم يزلْ متكلِّمًا إذا شاءَ، ولا نقولُ: إنَّه قد كانَ ولا يتكلَّمُ حتى خَلقَ كلامًا[(٤)].

وقال في موضعٍ آخرَ: أمَّا قولُهم: إنَّ الكلامَ لا يكونُ إلا من جوفٍ وفمٍ وشفتين ولسانٍ وأدواتٍ، فقد قال تعالى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦١٤)، ومسلم (٢٦٥٢).

(٢) أخرجه البخاري (٤١٤١)، ومسلم (٢٧٧٠).

(٣) أخرجه البخاري (٧٤٨٣).

(٤) الرد على الزنادقة والجهمية (ص: ٢٧٥-٢٧٨) للإمام أحمد.

يُسَبِّحْنَ ﴾ [الأنبياء: ٧٩]. أتُراها أنَّها سبَّحتْ بجوفٍ وفمٍ ولسانٍ وشفتين؟ والجوارحُ إذا شهدتْ على الكافرِ فقالوا: ﴿ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ ﴾ [فصلت: ٢١]. أتُراها نطقتْ بجوفٍ وفمٍ ولسانٍ؟ ولكنَّ اللهَ أنطقَها كيفَ شاءَ، وكذلك اللهُ يتكلمُ كيفَ شاءَ[١].

قال الدارميُّ رحمه الله: فاللهُ المتكلِّمُ أولاً وآخرًا، لم يزلْ له الكلامُ إذ لا متكلِّمَ غيرُه، ولا يزالُ له الكلامُ إذ لا يبقَى متكلِّمٌ غيرُه. فيقول ﴿ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ﴾ [غافر: ١٦]، أنَا الملكُ، أينَ ملوكُ الأرضِ؟ فلا ينكِرُ كلامَ اللهِ عز وجل إلا منْ يريدُ إبطالَ ما أنزلَ اللهُ عز وجل، وكيفَ يعجزُ عن الكلامِ من علَّمَ العبادَ الكلامَ وأنطقَ الأنامَ؟

قال اللهُ في كتابِه: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴾ [النساء: ١٦٤]، فهذا لا يحتملُ تأويلاً غيرَ نفسِ الكلامِ... ثم ذكرَ آياتٍ أخرَى كما قدَّمْنا[٢].

قال الآجريُّ رحمه الله: اعلمُوا -رحِمنا اللهُ تعالى وإيَّاكم- أنْ قولَ المسلمين الذين لم تزِغْ قلوبُهم عن الحقِّ، ووُفِّقُوا للرشادِ قديمًا وحديثًا: أنَّ القرآنَ كلامُ اللهِ تعالى ليسَ بمخلوقٍ، لأنَّ القرآنَ من علم اللهِ وعلمُ اللهِ لا يكونُ مخلوقًا – تعالى اللهُ عن ذلك – دلَّ على ذلك القرآنُ والسُّنَّةُ وقولُ الصحابةِ – رضيَ اللهُ عنهم – وقولُ أئمةِ المسلمين، لا ينكرُ هذا إلا

---

(١) نقله ابن تيمية في درء تعارض العقل مع النقل (١/ ٣٣٢).

(٢) الرد على الجهمية (ص: ١٤٠).

جهميٌّ خبيثٌ. والجهميُّ عندَ العلماءِ كافرٌ. قال اللهُ تعالى: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٦]... وذكرَ آياتٍ أخرَى (١).

قال ابنُ بطَّةَ رحمه الله في الردِّ على مقالةِ جهمِ بنِ صفوانَ:... فزعمُوا أنَّ القرآنَ مخلوقٌ، والقرآنُ من علمِ اللهِ تعالى وفيه صفاتُه العليا وأسماؤُه الحسنَى، فمنْ زعمَ أنَّ القرآنَ مخلوقٌ فقد زعمَ أنَّ اللهَ كان ولا علمَ. ومن زعمَ أنَّ أسماءَ اللهِ وصفاتِه مخلوقةٌ فقد زعمَ أنَّ اللهَ مخلوقٌ محدَثٌ وأنَّه لم يكنْ ثم كانَ، تعالى اللهُ عمَّا تقولُه الجهميةُ الملحدةُ علوًّا كبيرًا.

وكلُّ ما تقولُه وتنتَحِلُهُ، فقد أكذَبَهم اللهُ ﷻ في كتابِه وفي سنَّةِ رسولِه ﷺ وفي أقوالِ الصحابةِ وإجماعِ المسلمين... لأنَّ اللهَ ﷻ لم يزلْ عالمًا سميعًا بصيرًا متكلِّمًا تامًّا بصفاتِه العليَا وأسمائِه الحسنَى قبلَ كونِ الكونِ وقبلَ خلقِ الأشياءِ، لا يدفعُ ذلك ولا ينكرُه إلا الضالُّ الجحودُ الجهميُّ المكذبُ بكتابِ اللهِ وسنَّةِ نبيِّه ﷺ... ثم استدلَّ بأربعٍ وخمسين آيةً من القرآنِ وجملةٍ من أحاديثِ رسولِ اللهِ ﷺ (٢).

قال عبدُ اللهِ بنُ أحمدَ رحمه الله: سمعتُ أبي رحمه الله يقولُ: منْ قال القرآنُ مخلوقٌ فهو عندَنا كافرٌ؛ لأنَّ القرآنَ من علمِ اللهِ ﷻ وفيه أسماءُ اللهِ ﷻ (٣).

قال مالكٌ رحمه الله: من قال القرآنُ مخلوقٌ يُوجَعُ ضربًا ويُحبَسُ حتى

---

(١) الشريعة (ص: ٦٣).

(٢) الإبانة (٣/٢٢٦).

(٣) السنة (ص: ٢٦).

يموتُ (١).

قال أبو عثمانَ الصابونيُّ رحمه الله: ويشهدُ أهلُ الحديثِ ويعتقدون أنَّ القرآنَ كلامُ اللهِ وكتابُه ووحيُه وتنزيلُه غيرُ مخلوقٍ، ومن قال بخلقِه واعتقدَه فهو كافرٌ عندَهم (٢).

قال شيخُ الإسلامِ رحمه الله: قال أبو القاسمِ اللالكائيُّ – وقد سَمَّى علماءَ القرونِ الفاضلةِ ومن يليهم الذين نقلَ عنهم في كتابِه "أنَّ القرآنَ كلامُ اللهِ غيرُ مخلوقٍ": فهؤلاءِ خمسمائةٍ وخمسون نفسًا من التابعين وأتباعِ التابعين والأئمةِ المرضيين – سوى الصحابةِ – على اختلافِ الأمصارِ ومُضِيِّ السنينَ والأعوامِ، ومنهم نحوٌ من مائةِ إمامٍ ممَّن أخذَ الناسُ بقولِهم وتمذهبُوا بمذاهبِهم، ولو اشتغلتُ بنقلِ قولِ المحدثين لبَلَغَتْ أسماؤُهم ألوفًا كثيرةً، فنقلتُ عن هؤلاءِ عصرًا بعدَ عصرٍ لا ينكِرُ عليهم المنكِرُ، ومن أنكرَ قولَهم استتابُوه أو أمرُوا بقتلِه أو نفيِه أو صلبِه.

قال: ولا خلافَ بين الأمةِ أنَّ أولَ منْ قال: القرآنُ مخلوقٌ الجعدُ بنُ درهمٍ ثم الجهمُ بنُ صفوانَ، وكلاهما قتلَه المسلمون وممَّنْ أفتَى بقتلِ هؤلاءِ: مالكُ بنُ أنسٍ، ومحمدُ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ أبي ليلى، وسفيانُ بنُ عيينةَ، وأبو جعفرٍ المنصورُ الخليفةُ ومعتمرُ بنُ سليمانَ... وأبو عبيدٍ القاسمُ بنُ سلامٍ، وأبو ثورٍ، وأحمدُ بنُ حنبلٍ... وغيرُ هؤلاءِ من الأئمةِ(٣).

قال أبو حامدٍ الإسفرايينيُّ رحمه الله وكان من كبارِ أئمةِ السُّنَّةِ المثبتين

---

(١) السنة لعبد الله بن أحمد (١١).

(٢) الرسالة في اعتقاد أهل السنة (ص: ١٦٥).

(٣) مجموع الفتاوى (١٢/ ٤٢٠).

للصفاتِ: مذهبِي ومذهبُ الشافعيِّ – رحمَه اللهُ تعالى – وجميعِ علماءِ الأمصارِ: أنَّ القرآنَ كلامُ اللهِ ليسَ بمخلوقٍ، ومن قال مخلوقٌ فهو كافرٌ، وأنَّ جبريلَ عليه السلامُ سمعَه من اللهِ ﷻ وحملَه إلى محمدٍ ﷺ وسمعَه محمدٌ ﷺ من جبريلَ عليه السلامُ وسمعَه الصحابةُ رضيَ اللهُ عنهم من النبيِّ ﷺ، وأنَّ كلَّ حرفٍ منه كالباءِ والتاءِ كلامُ اللهِ ﷻ ليس بمخلوقٍ، ذكرَه في كتابِه «أصول الفقهِ»، وذكرَه عنه شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ في كتابِ «الأجوبة المصرية»(١).

أقوالُ أهلِ السّنّةِ في أنّ اللهَ تعالى يتكلمُ بصوتٍ يُسمَعُ:

دلَّتْ نصوصُ الكتابِ والسُّنَّةِ على أنَّ اللهَ –جلَّ في علاه– يتكلمُ بصوتٍ يُسمعُ، وقد سبقَ ذكرُ الأدلةِ على ذلك، مع ثبوتِ أنَّ اللهَ تعالى ليس كمثلِه شيءٌ، لا في كلامِه، ولا في صوتِه، ولا في ذاتِه، ولا في صفاتِه، ولا في أفعالِه، وقد تقرَّرَ هذا المعنى مرارًا.

قال قوامُ السُّنَّةِ رحمه الله: وقد أجمعَ أهلُ العربيةِ أنَّ ما عدا الحروفَ والأصواتَ ليس بكلامٍ حقيقةً(٢).

قال عبدُ اللهِ بنُ أحمدَ رحمه الله: سألتُ أبي رحمه الله عن قومٍ يقولون: لما كلَّمَ اللهُ عزَّ وجلَّ موسى لم يتكلمْ بصوتٍ؟ فقال أبي: بلَى، إنَّ ربك عزَّ وجلَّ يتكلَّمُ بصوتٍ، هذه الأحاديثُ نرويها كما جاءتْ.

---

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية (ص: ١٣٣-١٣٤) لابن القيم.
(٢) الحجة في بيان المحجة (ص: ٢٠٢٠).

وقال أبي: حديثُ ابنِ مَسْعُودٍ رضيَ اللهُ عنه: «إِذَا تَكَلَّمَ اللهُ عَزَ وجل سُمِعَ لَهُ صَوْتٌ كَجَرِ السِلْسِلَةِ عَلَى الصَفْوَانِ»، قال أبي: وهذه الجهمية تنكرُه(١).

قال البخاريُّ رحمه الله: إنَّ اللهَ يتكلمُ بصوتٍ لا يشبهُ صوتَ الخلقِ(٢).

قال البربهاريُّ رحمه الله: والإيمانُ بأنَّ اللهَ تبارك وتعالى هو الذي كلَّمَ موسَى بنَ عمرانَ يومَ الطورِ، وموسَى يسمعُ من اللهِ الكلامَ بصوتٍ وقعَ في مسامعِه منه لا من غيرِه، فمن قال غيرَ هذا فقد كفرَ باللهِ العظيمِ(٣).

قال أبو نصرٍ السجزيُّ رحمه الله: الكلامُ لا يكونُ إلا حرفًا وصوتًا ذا تأليفٍ واتساقٍ، وإن اختلفَتْ بهم اللغاتُ، وعبَّرَ عن هذا المعنَى الأوائلُ الذين تكلَّمُوا في العقلياتِ، وقالوا: الكلامُ حروفٌ متسقةٌ، وأصواتٌ متقطعةٌ، وقالت العربُ: الكلامُ: اسمٌ وفعلٌ وحرفٌ جاء لمعنًى.... إلى أنْ قال: فالإجماعُ منعقدٌ بينَ العقلاءِ على كونِ الكلامِ حرفًا وصوتًا(٤).

مطلبٌ: ما افترقتْ عليه أقاويلُ الجهميةِ في القرآنِ، وبيانُ الحقِّ في مسألةِ اللفظيةِ:

افترقَت الجهميةُ في القولِ في القرآنِ إلى ثلاثِ فرقٍ:

الأُولَى: قالوا: القرآنُ مخلوقٌ.

الثانيةِ: الواقفةُ، الذين يقولون: لا نقولُ القرآنُ مخلوقٌ ولا غيرُ

---

(١) السنة: (١/ ٢٨٠-٢٨١).
(٢) خلق أفعال العباد (ص: ١٣٧).
(٣) شرح السنة (ص: ٩٠).
(٤) رسالة السجزي إلى أهل زبيد (ص: ٨١).

مخلوقٍ.

الثالثةِ: اللفظيةُ، الذين يقولون: إنَّ تلاوةَ القرآنِ وقراءتَه واللفظُ به مخلوقٌ، وقولُهم يقتضِي القولَ بخلقِ القرآنِ.

ومنهم اللفظيةُ المثبتةُ الذين يقولون: صوتُ العبادِ وأصواتُ العبادِ غيرُ مخلوقةٍ.

قال أبو بكرٍ المروذيُّ رحمه الله: قال: سمعتُ أبا عبدِ اللهِ يقولُ: افترقَت الجهميةُ على ثلاثِ فرقٍ: الذين قالوا مخلوقٌ، والذي شكُّوا والذين قالوا: ألفاظُنا بالقرآنِ مخلوقةٌ. فقال أبو عبدِ اللهِ: ولا نقولُ هؤلاءِ واقفةٌ، نقولُ: هؤلاءِ شكَّاكةٌ (١).

وعن عبدِ اللهِ رحمه الله: قال: سمعتُ أبي مرةً أخرَى يُسألُ عن الواقفةِ، فقال: من كان يُحسنُ الكلامَ فهو جهميٌّ، وقال مرةً أخرَى: هم شرٌّ من الجهميةِ (٢).

وعن ميمونَ بنِ مهرانَ رحمه الله؛ أنه قال لأبي عبدِ اللهِ: ما نقولُ فيمنْ وقفَ، قال: لا أقولُ خالقٌ ولا مخلوقٌ؟ قال: هو مثلُ من قال: القرآنُ مخلوقٌ، هو جهميٌّ (٣).

قال ابنُ القيمِ رحمه الله في بيانِ مسألةِ اللفظيةِ: والحقُّ ما عليه أئمةُ الإسلامِ كالإمامِ أحمدَ والبخاريِّ وأهلِ الحديثِ: أنَّ الصوتَ صوتُ

---

(١) السنة لأبي بكر الخلال (١٧٧٧).

(٢) السنة للخلال (١٧٨٧).

(٣) السنة للخلال (١٧٨٣).

القارئ والكلامُ كلامُ الباريءِ... فإن قيل: فإذا كان الأمرُ كما قررتَ فكيفَ أنكرَ الإمامُ أحمدُ على من قال: لفظِي بالقرآنِ مخلوقٌ وبدَّعَه ونسبَه إلى التجهمِ، وهل كانت محنةُ أبي عبدِ اللهِ البخاريِّ إلا على ذلك، حتى هجرَه أهلُ الحديثِ ونسبُوه إلى القولِ بخلقِ القرآنِ.

قيل: معاذَ اللهِ أنْ يُظنَّ بأئمةِ الإسلامِ هذا الظنَّ الفاسدَ، فقد صرَّحَ البخاريُّ في كتابِه "خلقُ أفعالِ العبادِ" وفي آخرَ "الجامعُ" بأنَّ القرآنُ كلامُ اللهِ غيرُ مخلوقٍ. وقال: حدثَّنا سفيانُ بنُ عيينةَ قال: أدركتُ مشائخَنا منذُ سبعينَ سنةً، منهم عمرو بنُ دينارٍ يقولون: القرآنُ كلامُ اللهِ غيرُ مخلوقٍ(١)...

هذا مذهبُ الإمامِ البخاريِّ ومذهبُ الإمامِ أحمدَ وأصحابِهما من سائرِ أهلِ السُّنَّةِ، فخَفِيَ تفريقُ البخاريِّ وتمييزُه على جماعةٍ من أهلِ السُّنَّةِ والحديثِ ولم يفهمْ بعضُهم مرادَه وتعلقُوا بالمنقولِ عن أحمدَ نقلاً مستفيضًا؛ أنَّه قال: من قال لفظِي بالقرآنِ مخلوقٌ فهو جهميٌّ، ومن قال: غيرُ مخلوقٍ فهو مبتدِعٌ. وساعدَ ذلك نوعُ حسدٍ باطنٍ للبخاريِّ لـمَا كان اللهُ نشرَ له من الصيتِ والمحبةِ في قلوبِ الخلقِ واجتماعِ الناسِ عليه حيثُ حلَّ... فالبخاريُّ أعلمُ بهذه المسألةِ وأولَى بالصوابِ فيها من جميعِ من خالفَه، وكلامُه أوضحُ وأمتنُ من كلامِ أبي عبدِ اللهِ، فإنَّ الإمامَ أحمدَ سدَّ الذريعةَ حيثُ منعَ إطلاقَ لفظِ المخلوقِ نفيًا وإثباتًا على اللفظِ، فقالت طائفةٌ: أرادَ سدَّ بابِ الكلامِ في ذلك... وهذا المنعُ في النفي والإثباتِ من كمالِ علمِه باللغةِ والسُّنَّةِ وتحقيقِه لهذا البابِ، فإنَّه اُمتُحنَ به ما لمْ يُمتحَنْ به

(١) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد (ص: ١٧).

غيرُه، وصارَ قدوةً وإمامًا لحزبِ الرسولِ ﷺ.

وأبو عبدِ اللهِ البخاريُّ ميَّزَ وفصَّلَ وأشبعَ الكلامَ في ذلك، وفرَّقَ بين ما قامَ بالربِّ وبين ما قامَ بالعبدِ، وأوقعَ المخلوقَ على تلفُّظِ العبادِ وأصواتِهم وحركاتِهم وإكسابِهم، ونفَى اسمَ الخلقِ عن الملفوظِ وهو القرآنُ الذي سمعَه جبرائيلُ من اللهِ وسمعَه محمدٌ من جبرائيلَ، وقد شفَى في هذه المسألةِ في كتابِ "خلقُ أفعالِ العبادِ" وأتَى به من الفرقانِ والبيانِ بمَا يُزيل الشبهةَ ويُوضِّحُ الحقَّ ويبيِّنُ محلَه من الإمامةِ والدِّينِ، وردَّ على الطائفتين أحسنَ الردِّ(١).

قال الأصبهانيُّ رحمه الله: في الردِّ على اللفظيةِ.. وقولهم: لفظِي بالقرآنِ مخلوقٌ خطأٌ؛ لأنَّ قائلَ هذا يريدُ أنْ يتدرجَ إلى أنْ يقولَ القرآنُ مخلوقٌ، وهو لا يجسرُ أنْ يقولَه ظاهرًا فيقولُه باطنًا. فإنْ قيل: المرادُ بقولِه: لفظِي بالقرآنِ مخلوقٌ، إخراجِي القرآنَ من فمِي مخلوقٌ، يقال: هذا مجازٌ وليس بحقيقةٍ، وحقيقةُ اللفظِ كلامُ اللهِ له معنًى مفهومٌ، ومتى أمكنَ أنْ يُحمَلَ الشيءُ على حقيقتِه لم يجزْ أنْ يُحمَلَ على المجازِ، لأنَّ الحقيقةَ أصلٌ والمجازُ لا أصلَ له(٢).

قال ابنُ تيميةَ رحمه الله: وكذلك ذمُّ "الواقفةِ" وتضليلُهم – الذين لا يقولون مخلوقٌ ولا غيرُ مخلوقٍ – مأثورٌ عن جمهورِ هؤلاءِ الأئمةِ مثلِ ابنِ الماجشونِ وأبي مصعبٍ ووكيعِ بنِ الجراحِ وأبي الوليدِ الجاروديِّ –

---

(١) الصواعق المرسلة (٢/ ٤٨١ – ٤٨٤) باختصار، وانظر القصيدة النونية لابن القيم (ص: ٧٥) بشرح السعدي.

(٢) الحجة في بيان المحجة (ص: ٣٥٣).

صاحبِ الشافعيِّ – والإمامِ أحمدَ بنِ حنبلٍ وأبي ثورٍ وإسحاقَ بنِ راهويهِ، ومنْ لا يحصِي عددَهم إلا اللهُ.

وأما البدعةُ الثانيةُ، المتعلقةُ بالقرآنِ المنزَّلِ تلاوةُ العبادِ له، وهي "مسألةُ اللفظيةِ" فقد أنكرَ بدعةَ اللفظيةِ – الذين يقولون: إنَّ تلاوةَ القرآنِ وقراءتَه واللفظَ به مخلوقٌ – أئمةُ زمانِهم وجعلُوهم من الجهميةِ، وبيَّنُوا أنَّ قولَهم يقتضِي القولَ بخلقِ القرآنِ، وفي كثيرٍ من كلامِهم تكفيرُهم..

وكذلك أنكرَ بدعةَ "اللفظيةِ المثبتةِ" الذين يقولون: إنَّ لفظَ العبادِ أو صوتَ العبادِ به غيرُ مخلوقٍ، أو يقولون: إنَّ التلاوةَ التي هي فعلُ العبدِ وصوتُه غيرُ مخلوقٍ – الأئمةُ الذين بلغتْهم هذه البدعةُ، مثلُ الإمامِ أحمدَ بنِ حنبلٍ، وأبي عبدِ اللهِ البخاريِّ صاحبِ الصحيحِ، وأبي بكرٍ المروذيِّ أخصِّ أصحابِ الإمامِ أحمدَ بنَ حنبلٍ [1].

قال ابنُ جريرٍ الطبريُّ رحمه الله: وأمَّا القولُ في "ألفاظِ العبادِ بالقرآنِ" فلا أثرَ فيه نعلمُه عن صحابيٍّ مضَى ولا عن تابعيٍّ قفَا، إلا عمَّن في قولِه الشفاءُ والعفاءُ وفي اتباعِه الرشدُ والهدَى، ومن يقومُ لدينا مقامَ الأئمةِ الأولى، أبي عبدِ اللهِ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ حنبلٍ، فإنَّ إسماعيلَ الترمذيَّ حدثني قال: سمعتُ أبا عبدِ اللهِ بنِ أحمدَ بنِ حنبلٍ يقولُ: اللفظيةُ جهميةٌ، يقولَ اللهُ: ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾ ممَّنْ يسمعُ؟ قال ابنُ جريرٍ: وسمعتُ جماعةً من أصحابِنا – لا أحفظُ أسماءَهم – يحكُون عنه أنَّه كان يقولُ: من قال لفظِي

---

(١) مجموع الفتاوى (١٢/ ٤٢١-٤٢٢) باختصار.

بالقرآنِ مخلوقٌ فهو جهميٌّ، ومن قال: غيرُ مخلوقٍ فهو مبتدعٌ. قال ابنُ جريرٍ: ولا قولَ في ذلك عندَنا يجوزُ أنْ نقولَه إلا قولُه [١].

تأويلُ حديثِ إتيانِ سورةِ البقرةِ وآلِ عمرانَ يومَ القيامةِ كأنَّهما غمامتان:

عن أبي أُمامةَ البَاهِلي؛ قالَ: سَمِعْتُ رَسولَ اللهِ ﷺ يَقولُ: «**اِقرَءوا القُرْآنَ، فَإنّهُ يَأتي يومَ القِيامةِ شَفيعًا لأصْحابِهِ، اِقْرءوا الزّهْراوَيْنِ[٢]: البقرةَ وسورةَ آلِ عِمرانَ، فإنهما تَأتِيانِ يومَ القَيامَة كَأنّهما غَمامَتانِ أو كأنّهما غَيايَتانِ[٣] أو كأنّهما فِرْقانِ مِن طيرٍ صَوافَّ[٤] تُحاجّانِ عَن أَصْحابِهما، اِقرءوا سورةَ البقرةِ، فَإنّ أَخْذَها برَكَةٌ وتَرْكُها حَسْرَةٌ ولا تَسْتطيعُها الْبَطَلَةُ**»[٥].

قال الترمذيُّ رحمه الله: ومعنَى هذا الحديثِ عندَ أهلِ العلمِ: أنَّه يجيءُ ثوابُ قراءتِه، كذا فسَّرَ بعضُ أهلِ العلمِ هذا الحديثَ وما يشبِهُهُ من هذه الأحاديثِ، أنَّه يجيءُ ثوابُ قراءةِ القرآنِ، وفي حديثِ النَوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ عن النبي ﷺ، ما يدلُّ على ما فسَّروا، إذ قال النبي ﷺ: «**وَأَهْلُهُ الَّذِينَ**

---

(١) كتاب صريح السنة لابن جرير الطبري – نقلا من مجموع الفتاوى (١٢/٤٢٣) لابن تيمية.

(٢) قال القرطبي: وفي تسمية البقرة وآل عمران: بالزهراوين، وجهان: أحدهما: أنهما النيرتان مأخوذ من الزَّهْر والزُّهْرة، فإما لهدايتهما قارئهما بما يزهر له من أنوارهما، وإما لما يترتب على قراءتهما من النور التام يوم القيامة – المفهم (٢/٤٣٠).

(٣) قال أبو عبيد: الغياية: كل شيء يظل الإنسان فوق رأسه مثل السحابة والغبرة – شرح مسلم للمازري (١/٣٠٧).

(٤) أي: قطيعان وجماعتان – مسلم بشرح النووي (٣/٣٥٠)، وصواف: أي مصطفة – المفهم (٢/٤٣١).

(٥) أخرجه مسلم (٨٠٤).

يَعْمَلُونَ بِهِ فِي الدُّنْيَا»، ففي هذا دلالةُ أنَّه يجيءُ ثوابُ العملِ(١).

ونقلَ حنبلٌ عن أحمدَ رحمه الله أنَّه قال: إنَّما هو الثوابُ، وهو ما نصَّ عليه البخاريُّ(٢).

قال المازريُّ رحمه الله: قال بعضُ العلماءِ: يكونُ هذا الذي يؤتَى به يومَ القيامةِ جزاءُ قراءتِهما، فأجرَى اسمَهما على ما كان من سببِهما كعادةِ العربِ في الاستعارةِ(٣).

قال النوويُّ رحمه الله: قال العلماءُ: المرادُ أنَّ ثوابَهما يأتي كغمامتين(٤).

قال أبو العباسِ القرطبيُّ رحمه الله: ومعنَى الحديثِ: أنَّ صاحبَ هاتين السورتين في ظلِّ ثوابِهما يومَ القيامةِ، كَما قالَ: «**سَبعةٌ يُظِلُّهمُ اللهُ في ظِلِّهِ**»(٥)، وعبَّر عن هذا المعنى بتلك العبارةِ توسعًا واستعارةً إذ كان ذلك سببَهما(٦).

قال شيخُ الإسلامِ رحمه الله: وأحمدُ وغيرُه من أئمةِ السُّنَّةِ فسَّرُوا هذا الحديثَ بأنَّ المرادَ بهم مجيءُ ثوابِ البقرةِ وآلِ عمرانَ، كما ذُكرَ مثلُ ذلك من مجيءِ الأعمالِ في القبرِ وفي القيامةِ، والمرادُ ثوابُ الأعمالِ(٧).

---

(١) سنن الترمذي (٥/١٤٨).
(٢) خلق أفعال العباد (٣٠٣).
(٣) شرح مسلم للمازري (١/٣٠٧).
(٤) شرح مسلم للنووي (٣/٣٥٠).
(٥) أخرجه البخاري (٦٦٠) ومسلم (١٠٣١).
(٦) المفهم (٢/٤٣١).
(٧) الفتاوى (٥/٣٩٩).

قال ابنُ قتيبةَ ﵀: وأرادَ بقولِه: «﴿تَجِيءُ الْبَقَرَةُ وَآلُ عِمْرَانَ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ﴾» أي: ثوابُهما يأتِي حتى يظلَّه يومَ القيامةِ، ويأتِي ثوابُه الرجلَ في قبرِه، ويأتِي الرجلَ يومَ القيامةِ حتى يجادلَ عنه... والقرآنُ نفسُه لا يكونُ رجلاً ولا جسمًا، ولا يتكلمُ لأنَّه كلامٌ. ولو أمعنَ هؤلاءِ النظرَ، وأُوتُوا طرفًا من التوفيقِ، لعلمُوا أنَّه لا يجوزُ أنْ يكونَ القرآنُ مخلوقًا؛ لأنَّه كلامُ اللهِ ﷻ، وكلامُ اللهِ من اللهِ، وليسَ من اللهِ ﷻ شيءٌ مخلوقٌ (١).

شبهاتٌ لأهلِ البدعِ في هذه المسألةِ والردّ عليها:

استدلَّ أهلُ البدعِ ببعضِ آياتٍ من القرآنِ على قولِهم: إنَّ القرآنَ مخلوقٌ – تعالَى اللهُ عما يقولُ الظالمون علوًّا كبيرًا – ومن هذه الآياتِ:

الأولى: قولُ اللهِ تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢].

فقالوا: «محدثٍ» أي: لم يكنْ ثم كانَ، فدلَّ ذلك على أنَّ القرآنَ مخلوقٌ.

الردُّ: أجابَ أهلُ العلمِ أنَّ المحدثَ هو إنزالُ القرآنِ، فإنَّ اللهَ كان ينزِّلُ القرآنَ شيئًا بعدَ شيءٍ كمَا هو معلومٌ، وقيل: المحدَثُ: هي التلاوةُ عليهم وعلمُهم به، أمَّا القرآنُ فهو كلامُ اللهِ غيرُ مخلوقٍ.

قال البيهقيُّ ﵀: لم يقلْ: لا يأتيهم ذكرٌ إلا كانَ محدَثًا، وإنَّما قالَ: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنبياء:

---

(١) تأويل مختلف الحديث (ص: ٦٨٢-٦٨٣).

٢]، فدلَّ أنَّ (ذكرًا) غيرَ محدَثٍ.

ثم إنَّما أرادَ ذكرَ القرآنِ لهم، وتلاوتَه عليهم وعلمَهم به، وكلُّ ذلك محدَثٌ، والمذكورُ المتلوُّ المعلومُ غيرُ محدَثٍ، كما أنَّ ذكرَ العبدِ للهِ، وعلمَه به وعبادتَه له محدَثٌ، والمذكورَ المعلومَ المعبودَ غيرَ محدَثٍ.

وحينَ أُحْتُجَ به على أحمدَ، قال: قد يُحتمَلُ أنْ يكونَ تنزيلُه إلينا هو المحدَثُ، لا الذكرُ نفسُه محدَثٌ.

قال ﷺ: وهذا الذي أجابَ به أحمدُ بنُ حنبلٍ ﷺ ظاهرٌ في الآيةِ.

وإتيانُه: تنزيلُه على لسانِ المَلكِ الذي أتَى به، والتنزيلُ محدَثٌ، وقد أجابَ أحمدُ بالجوابِ الأولِ(١).

قال ابنُ تيميةَ ﷺ: وإنْ احتُجَّ بقولِه: ﴿مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢]، قيل له: هذه الآيةُ حجةٌ عليك، فإنَّه لمَّا قال: ﴿مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ﴾ عُلِمَ أنَّ الذكرَ منه محدَثٌ ومنه ما ليسَ بمحدَثٍ؛ لأنَّ النكرةَ إذا وُصفتْ مُيِّزَ بها بينَ الموصوفَ وغيرِه، كمَا لو قال: ما يأتيني من رجلٍ مسلمٍ إلا أكرمتُه، وما آكلُ إلا طعامًا حلالًا ونحوُ ذلك، ويُعلمُ أنَّ المحدَثَ في الآيةَ ليس هو المخلوقُ الذي يقولُه الجهميُّ، ولكنْ الذي أُنزَلَ جديدًا، فإنَّ اللهَ كان ينزِّلُ القرآنَ شيئًا بعدَ شيءٍ، فالمنزَّلُ أولاً هو القديمُ بالنسبةِ إلى المنزَّلِ آخرًا، وكلُّ ما تقدَّمَ على غيرِه فهو قديمٌ في لغةِ العربِ، كما قال ﴿كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ﴾ [يس: ٣٩]، وقال: ﴿تَٱللَّهِ

(١) الاعتقاد (ص: ١٠٠).

إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ﴾ [يوسف: ٩٥]، وقال: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُواْ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ [الأحقاف: ١١][(١)].

قال ابنُ بطةَ رحمه الله: ثمَّ إنَّ الجهميَّ.... ادَّعَى أمرًا آخرَ، فقال: أنا أجدُ في الكتابِ آيةً تدلُّ على أنَّ القرآنَ مخلوقٌ، فقيل له: أيُّ آيةٍ هي؟

قال: قولُ اللهِ عزَّ وجلَّ: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢] أفلا ترَوْنَ أنَّ كلَّ محدَثٍ مخلوقٌ؟

فوهمَ على الضعفاءِ والأحداثِ وأهلِ الغباوةِ وموَّهَ عليهم، فيقالُ له: إنَّ الذي لم يزلْ به عالمًا لا يكون محدَثًا، فعلمُه أزليٌّ كما أنَّه هو أزليٌّ، وفعلُه مضمرٌ في علمِه، وإنَّما يكونُ محدَثًا ما لم يكنْ به عالِمًا حتى عَلِمَهُ، فيقولُ: إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ لم يزلْ عالِمًا بجميعِ ما في القرآنِ قبلَ أنْ ينزِّلَ القرآنُ، وقبلَ أنْ يأتيَ به جبريلُ وينزلَ به على محمدٍ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ.

وقد قال: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، قبلَ أنْ يُخلَقَ آدمَ، وقال: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤]، يقولُ: كان إبليسُ في علمِ اللهِ كافرًا قبلَ أنْ يخلقَه، ثمَّ أُوحِيَ بما قد كان عَلِمَه من جميعِ الأشياءِ.

وقد أخبرَنَا عزَّ وجلَّ عن القرآنِ، فقال: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٤]، فنفَى عنه أنْ يكونَ غيرَ الوحيِ، وإنَّما معنَى قولِه: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ أرادَ: محدَثًا علمُه، وخبرُه، وزجرُه،

---

(١) مجموع الفتاوى (١٢/ ٥٢٢)، و(٦/ ١٦٠-١٦١)، و(١٦/ ٣٨٣-٣٨٤).

وموعظتُه عندَ محمدٍ ﷺ، وإنَّما أرادَ: أنَّ نزولَ القرآنِ عليك يُحْدِثُ لك، ولمنْ سمعَه علمًا وذكرًا لم تكونُوا تعلمونَه....

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ [طه: ١١٣]، فأخبرَ أنْ الذكرَ المحدَثَ هو ما يحدثُ من سامعيه وممَّنْ علمَه وأُنزلَ عليه، لا أنَّ القرآنَ محدَثٌ عندَ اللهِ، ولا أنَّ اللهَ كان ولا قرآنَ؛ لأنَّ القرآنَ إنَّما هو من علمِ اللهِ، فمنْ زعمَ أنَّ القرآنَ هو بَعْدُ، فقد زعمَ أنَّ اللهَ كان ولا علمَ ولا معرفةَ عندَه بشيءٍ ممَّا في القرآنِ، ولا اسمَ له، ولا عزةَ له، ولا صفةَ له حتى أُحْدَثَ القرآنُ.

ولا نقولُ إنَّه فعلُ اللهِ، ولا يقالُ: كان اللهُ قبلَه، ولكنْ نقولُ: إنَّ اللهَ لم يزلْ عالمًا، لا متَى عَلِمَ ولا كيفَ عَلِمَ، وإنَّما وَهِمَتْ الجهميةُ الناسَ ولبَّسَتْ عليهم بأنْ يقالَ: أليسَ اللهُ الأولَ قبلَ كلِّ شيءٍ، وكانَ ولا شيءَ، وإنَّما المعنَى في كانَ اللهُ قبلَ كلِّ شيءٍ، قبلَ السماواتِ والأرضِ، وقبلَ الأرضينَ، وقبلَ كلِّ شيءٍ مخلوقٍ.

فأمَّا أنْ نقولَ قبلَ عِلْمِهِ، وقبلَ قدرتِه، وقبلَ حكمتِه، وقبلَ عظمتِه، وقبلَ كبريائِه، وقبلَ جلالِه، وقبلَ نورِه، فهذا كلامُ الزنادقةِ.

وقولُه: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢]، فإنَّما هو ما يحدِثُه اللهُ عندَ نبيِّه وعندَ أصحابِه، والمؤمنين من عبادِه، وما يُحدِثُهُ عندَهم من العلمِ، وما لم يسمعُوه، ولم يأتِهم به كتابٌ قبلَه، ولا جاءهم به رسولٌ[١].

---

(١) الإبانة (٣/ ٣٦٢-٣٦٣)، وانظر: الرد على الزنادقة والجهمية، للإمام أحمد (ص: =

الآيـةُ الثانيـةُ: وممَّـا اسـتدلُّوا بـه، قـولُ اللهِ تعـالى: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا﴾ [الزخرف: ٣].

قالوا: جعلنَا أي: خلقْنَا، فزعمُوا أنَّ القرآنَ مخلوقٌ.

الردُّ: وهذا الاستدلالُ باطلٌ؛ لأنَّ كلمةَ (جعلَ) لها معانٍ كثيرةٌ بحسبِ سياقِ الكلامِ، فهي تأتِي بمعنَى: أوجدَ، وبمعنى: صيَّر، وبمعنى: الحكمِ على الشيءِ، وبمعنى: بعثَ أو أرسلَ، وبمعنى شرعَ، وقوله تعالى: (جعلنَاه) أي: صيرناه.

قال الكفويُّ رحمه الله: الجعلُ: أعمُّ من فَعَلَ وصَنَعَ، وسائرِ أخواتِها، وهو يجرِي مجرَى (صارَ) و(طفقَ) فلا يتعدَّى، نحوَ: (جعلَ زيدٌ يفعلُ كذا) أي: أقبلَ وأخذَ وشرعَ وتلبسَ.

ومعنى: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ﴾[1] [المائدة: ١٠٣]، ما شرعَ، وما وضعَ. ولذلك تعدَّى إلى مفعولٍ واحدٍ وهو: البحيرةُ.

ويجرِي مجرَى (أوجدَ) فيتعدَى إلى واحدٍ أيضًا، نحوَ: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام: ١].

ويكون بمعنى: إيجادِ الشيءِ من شيءٍ وتكوينِه منه، نحوَ: ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا﴾ [الشورى: ١١].

وبمعنى تصييرِ الشيءِ على حالةٍ دون حالةٍ، فيتعدَّى إلى اثنين، نحوَ: ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا﴾ [البقرة: ٢٢]....

= ٢٤٢-٢٤٧).

(١) ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٖ وَلَا سَآئِبَةٖ وَلَا وَصِيلَةٖ وَلَا حَامٖ﴾ [المائدة: ١٠٣].

ويكونُ الجعلُ بمعنَى: الحكمِ بالشيءِ على الشيءِ حقًّا كان، نحوَ: ﴿وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٧]، أو باطلاً، نحو: ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾ [الحجر: ٩١].

وبمعنَى: بعثَ، نحوَ: ﴿وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٥].

وبمعنى: قال، نحوَ: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [إبراهيم: ٣٠].

وبمعنَى: تبيَّن، نحو: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣](١).

قال ابنُ أبي العزِّ ﵀: أمَّا استدلالُهم بقولِه تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ فما أفسدَه من استدلالٍ، فإنَّ (جعلَ) إذا كان بمعنَى: خلقَ، يتعدَّى إلى مفعولٍ واحدٍ، كقولِه تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام: ١]، وقولِه تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠]. وإذا تعدَّى إلى مفعولين لم يكنْ بمعنَى (خلقَ)(٢).

قال شيخُ الإسلامِ ﵀: قولُه: ﴿جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣]، لم يقلْ: جعلنَاه فقطْ، حتى يُظَنَّ أنَّه بمعنَى خلقْنَا، ولكنْ قال: ﴿جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ أي: صيَّرنَاه عربيًّا؛ لأنَّه قد كان قادرًا على أنْ ينزِّلَه عجميًّا، فلمَّا أنزلَه عربيًّا كان قد جعلَه عربيًّا دونَ عجميٍّ، وهذه المسألةُ من أصولِ أهلِ السُّنَّةِ التي فارقُوا فيها الجهميةَ والمعتزلةَ والفلاسفةَ ونحوَهم(٣).

---

(١) الكليات (ص: ٢٩٠).

(٢) العقيدة الطحاوية (ص: ١٣٣-١٣٤).

(٣) مجموع الفتاوى (١٢/ ٥١٢).

الآيةُ الثالثةُ: التي احتجُّوا بها، قولُ اللهِ تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [التكوير: ١٩].

قالوا: هذا يدلُّ على أنَّ الرسولَ أحدَثَهُ، إمَّا جبريلُ عليه السلامُ أو محمدٌ ﷺ.

الردُّ: أنَّه تلقَّاه أو سمعَه من رسولٍ كريمٍ، فإضافةُ القولِ إلى الرسولِ إضافةُ تبليغٍ.

قال البيهقيُّ ؒ: أمَّا قولُ اللهِ عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [الحاقة: ٤٠]، فمعناه: قولٌ تلقَّاه عن رسولٍ كريمٍ أو سمعَه من رسولٍ كريمٍ، أو نزلَ به رسولٌ كريمٌ، فقد قال: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦٠]، فأثبتَ أنَّ القرآنَ كلامُ اللهِ عزَّ وجلَّ، ولا يكونُ شيءٌ واحدٌ كلامًا للرسولِ ﷺ وكلامًا للهِ، دلَّ أنَّ المرادَ بالأدلةِ ما قلنَاه(١).

قال ابنُ تيميةَ ؒ: وإنْ احتَجَّ بقولِه: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝١٩ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التكوير: ١٩-٢٠].

قيلَ له: فقد قال في الآيةِ الأخرَى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ۝٤١ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الحاقة: ٤٠-٤٢]، فالرسولُ في هذه الآيةِ محمدٌ ﷺ، والرسولُ في الأخرَى جبريلُ عليه السلامُ، فلو أُريدَ به أنَّ الرسولَ أحدثَ عبارتَه لَتَنَاقَضَ الخبرانِ، فعُلِمَ أنَّه أضافَه إليه إضافةَ تبليغٍ لا إضافةَ إحداثٍ، ولهذا

---

(١) الاعتقاد (ص: ١٠٠).

قال: (لَقولُ رسولٍ)، ولم يقلْ: مَلَكٌ ولا نبيٌّ، ولا ريبَ أنَّ الرسولَ بلَّغَه، كما قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧]، فكان النبيُّ ﷺ يعرِضُ نفسَه على الناسِ في الموسمِ ويقولُ: «**أَلَا رجلٌ يحملُنِي إلى قومِه لأبلغَ كلامَ ربِّي، فإنَّ قريشًا قد منعُونِي أنْ أبلِّغَ كلامَ ربِّي**[(١)]»[(٢)].

الآيةُ الرابعةُ: وأمَّا استدلالُهم بقولِه تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦].

قالوا: والقرآنُ شيءٌ فيكونَ داخلاً في عمومِ (كلِّ) فيكونُ مخلوقًا.

فمنْ أعجبِ العجبِ، وذلك أنَّ أفعالَ العبادِ كلَّها عندَهم غيرُ مخلوقةٍ للهِ تعالى، وإنَّما يخلقُها العبادُ جميعَها، لا يخلقُها اللهُ، فأخرجُوها من عموم (كلِّ) وأدخلوا كلامَ اللهِ في عمومِها مع أنَّه صفةٌ من صفاتِه، به تكونُ الأشياءُ المخلوقةُ، إذْ بأمرِه تكونُ المخلوقاتُ، قال تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، ففرَّقَ بينَ الخلقِ والأمرِ، فلو كان الأمرُ مخلوقًا لَلَزِمَ أنْ يكونَ مخلوقًا بأمرٍ آخرَ، والآخرُ بآخرَ إلى ما لا نهايةَ له، فيلزمُ التسلسلُ، وهو باطلٌ، وطردُ باطلٍ أنْ تكونَ جميعُ صفاتِه مخلوقةً[(٣)].

---

(١) صحيح، تقدم تخريجه.

(٢) مجموع الفتاوى (١٢/ ٥٢١)، وانظر الرد على الزنادقة والجهمية (ص: ٢٣٢-٢٣٦).

(٣) الطحاوية (ص: ١٣١-١٣٢).

تنبيهٌ:

ذكرتُ في هذا البابِ جملةً من صفاتِ اللهِ ﷻ، وبقيتْ صفاتٌ كثيرةٌ جدًّا لم أذكرْها، مثلَ: الإرادةِ والمشيئةِ والرضا والمحبةِ والفرحِ والغضبِ، والقدرةِ والقوةِ والحياةِ والعزةِ وغيرِ ذلك من صفاتِ اللهِ – جلَّ وعلا – الثابتةِ في الكتابِ والسُّنَّةِ وإجماعِ الأئمةِ المعتبرين – خشيةَ الإطالةِ، فالذي يقالُ في بعضِ الصفاتِ يقالُ في جميعِها. فقد عرفتَ مما تقدَّم من أقوالِ أهلِ العلمِ اعتقادَ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ في صفاتِ اللهِ جلَّ ثناؤُه، فتمسكْ به.

المبحثُ الثالثُ: الإخبارُ عن اللهِ تبارك وتعالى:

معنَى الإخبارِ: الخَبَرُ بالتحريكِ، واحدُ الأخبارِ. والخبرُ: ما أتاك من نبأٍ عمَّن تَسْتَخْبِرُ، قال ابنُ سيدَه: الخبرُ: النبأُ، الجمعُ أخبارٌ (١).

قال الكفويُّ رحمه الله: الخبرُ: هو الكلامُ الذي يقبلُ الصدقَ والكذبَ لأجلِ ذاتِه، أي: لأجلِ حقيقتِه من غيرِ نظرٍ إلى المُخبِرِ، والمادةُ التي تعلَّقُ بها الكلامُ، كأنْ يكونَ من الأمورِ الضروريةِ التي لا يقبلُ إثباتَها إلا الصدقُ، ولا يقبلُ نفيَها إلا الكذبُ(٢).

وقال رحمه الله: الإخبارُ: هو التكلُّمُ بكلامٍ يسمَّى خبرًا، والخبرُ اسمُ الكلامِ دالٌّ على كائنٍ وسيكونُ(٣).

قال الجرجانيُّ رحمه الله: الخبرُ: هو الكلامُ المحتمِلُ للصدقِ والكذبِ(٤).

كلُّ اسمٍ من أسماءِ اللهِ تعالى يصحُّ الإخبارُ به عن اللهِ، وكلُّ صفةٍ من صفاتِه جلَّ وعلا يصحُّ أنْ يُخبَرَ بها عنه، وليسَ شرطًا أنَّ كلَّ ما يُخبرُ به عن اللهِ أنْ يكونَ اسمًا أو صفةً له، بل يجوزُ أنْ يخبرَ عنه بما ليس اسمًا ولا صفةً بشرطِ ألّا يكونَ معناه سيئًا ولا من كلامِ أهلِ البدعِ (٥).

فالذي يدخلُ في بابِ الإخبارِ أوسعُ ممَّا يدخلُ في بابِ الأسماءِ

---

(١) اللسان (٣/١٢).

(٢) الكليات (ص: ٤١٥).

(٣) نفس المصدر (ص: ٦٤).

(٤) التعريفات (ص: ٩٩).

(٥) سيأتي بيان ذلك في آخر هذا المبحث.

والصفاتِ؛ لأنَّ أسماءَ اللهِ ﷻ وصفاتِه توقيفيةٌ – كما سبقَ بيانُ ذلك – ويترتَّبُ عليها عبودياتٌ للهِ تعالى، أمَّا الخبرُ فلا يترتَّبُ عليه ذلك.

قال ابنُ القيمِ رحمه الله: ما يدخلُ في بابِ الإخبارِ عنه تعالى أوسعُ ممَّا يدخلُ في بابِ أسمائِه وصفاتِه، كالشيءِ، والموجودِ، والقائمِ بنفسِه، فإنَّه يخبرُ عنه ولا يدخلُ في أسمائِه الحسنَى وصفاتِه العُليا... وما يطلقُ عليه من الإخبارِ لا يجبُ أنْ يكونَ توقيفيًّا كالقديمِ والشيءِ والموجودِ والقائمِ بنفسِه[(١)].

قال ابنُ تيميةَ رحمه الله: ويُفرَّقُ بين دعائِه والإخبارِ عنه، فلا يُدعَى إلا بالأسماءِ الحسنَى، وأمَّا الإخبارُ عنه فلا يكونُ باسمٍ سيئٍ، لكنْ قد يكونُ باسمٍ حسنٍ أو باسمٍ ليس بسيئٍ، وإنْ لم يحكمْ بحسنِه، مثل: اسمِ «شيءٍ، وذاتٍ، وموجودٍ»[(٢)].

وقال في موضعٍ آخرَ: فالفرقُ بينَ مقامِ المخاطبةِ ومقامِ الإخبارِ فرقٌ ثابتٌ بالشرعِ والعقلِ، وبه يظهرُ الفرقُ بينَ ما يُدعَى اللهُ به من الأسماءِ الحسنَى وبينَ ما يُخبرُ به عنه ﷻ ممَّا هو حقٌّ ثابتٌ لإثباتِ ما يستحقُّه سبحانه من صفاتِ الكمالِ ونفيِ ما تنزَّهَ عنه ﷻ من العيوبِ والنقائصِ – فإنَّه الملكُ القدوسُ السلامُ – سبحانه وتعالى عمَّا يقولُ الظالمون علوًّا كبيرًا.

وقال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ

---

(١) بدائع الفوائد (١٤٦-١٤٧) باختصار.

(٢) مجموع الفتاوى (٦/١٤٢).

﴿يُلْحِدُونَ فِيٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، مع قولِه: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَـٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ١٩].

ولا يقالُ في الدعاءِ: يا شيءُ(١).

وقال رحمه الله: وأمَّا الإخبارُ عنه فهو بحسبِ الحاجةِ، فإذا احتيجَ في تفهيمِ الغيرِ المرادِ إلى أنْ تُترجَمَ أسماؤُه بغيرِ العربيةِ، أو يعبَّرُ عنه باسمٍ له معنًى صحيحٌ لم يكنْ ذلك محرمًا(٢).

ذكرُ الأدلةِ من الكتابِ والسُّنَّةِ وأقوالِ أئمةِ السلفِ على جوازِ الإخبارِ عن اللهِ سبحانه بغيرِ أسمائِه وصفاتِه:

الدليلُ الأولُ في الكتابِ:

قال جلَّ ذكرُه: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَـٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ١٩]، فجعلَ سبحانه وتعالى كلمةَ "شيءٍ" موضعَ اسمِ اللهِ، ومن المعلومِ أنَّ "شيء" ليسَ اسمًا ولا صفةً للهِ عز وجل.

قال أبو جعفرٍ الطبريُّ رحمه الله: ... ثمَّ أخبرَهم بأنَّ أكبرَ الأشياءِ شهادةً اللهُ، الذي لا يجوزُ أنْ يقعَ في شهادتِه ما يجوزُ أنْ يقعَ في شهادةِ غيرِه من خلقِه من السهوِ والخطأِ والغلطِ والكذبِ..(٣).

قال القاسميُّ رحمه الله: استدلَّ الجمهورُ بقولِه تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ في جوابِ: ﴿أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَـٰدَةً﴾ على جوازِ إطلاقِ "الشيءِ" عليه تعالى،

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (١/ ١٦٤).

(٢) الجواب الصحيح على من بدل دين المسيح (٣/ ١٦٣).

(٣) جامع البيان (٥/ ٢١٤).

وكذا بقولِه سبحانه وتعالى: ﴿ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ [القصص: ٨٨][١].

قال القرطبيُّ رحمه الله في معرضِ شرحِه للآيةِ: ولفظُ "شيءٍ" هنا واقعٌ موقعَ اسمِ اللهِ تعالى، والمعنَى: اللهُ أكبرُ شهادةً...[٢].

الدليلُ الثاني: قال سبحانه وتعالى حكايةً عن لوطٍ: ﴿ قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ [هود: ٨٠].

قال بعضُ أهلِ العلمِ: «الركنُ الشديدُ» قُصِدَ به اللهُ، وهذا من بابِ الإخبارِ عنه سبحانه وتعالى، فالركنُ الشديدُ ليس من أسماءِ اللهِ ولا صفاتِه.

قال السعديُّ رحمه الله في تفسيرِه للآيةِ: كقبيلةٍ مانعةٍ لمنعتِكم، وهذا بحسبِ الأسبابِ المحسوسةِ، وإلا فإنَّه يأوِي إلى أقوَى الأركانِ وهو اللهُ الذي لا يقومُ لقوتِه أحدٌ[٣].

وفِي الصَّحيحَينِ مِنْ حَديثِ أَبِي هُرَيرةَ؛ قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «... وَيَرْحَمُ اللَّهُ لُوطًا، لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ »[٤].

قال السيوطيُّ رحمه الله: «ويرحمُ اللهُ لوطًا كانَ يأوِي إلى ركنٍ شديدٍ»: هو اللهُ جلَّ جلالُه، فإنَّه أشدُ الأركانِ وأمنعُها وأقوَاها[٥].

---

(١) محاسن التأويل (٣/ ٢٨٧).
(٢) الجامع لأحكام القرآن (٦/ ٣٧٤).
(٣) تيسير الكريم الرحمن (١/ ٣٨٦).
(٤) أخرجه البخاري (٣٣٧٢) ومسلم (١٥١).
(٥) الديباج على صحيح مسلم (١/ ١٧٢).

قال النوويُّ رحمه الله: فالمرادُ بالركنِ الشديدِ هو اللهُ سبحانه وتعالى، فإنَّه أشدُّ الأركانِ وأقوَاها وأمنعُها [(١)].

قال ابنُ حجرٍ رحمه الله: قَولُهُ: «**يَغْفِرُ اللَّهُ لِلُوطٍ، إِنْ كَانَ لَيَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ**» أي: إلى اللهِ سبحانه وتعالى [(٢)].

فأمَّا السُّنَّةُ:

فعَنْ أَسْماءَ؛ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**لَا شَيْءَ أَغْيَرُ مِنَ اللهِ** عز وجل»[(٣)].

فقد دلَّ الحديثُ على أنَّ النبيَّ ﷺ أخبرَ عن اللهِ جلَّ وعلا بأنَّه "شيءٌ".

مطلبٌ: بعضُ الألفاظِ التي أخبرَ بها الأئمةُ من السلفِ عن اللّهِ وليست من أسماءِ اللّهِ ولا صفاتِه ولم تأتِ في الكتابِ أو السّنّةِ:

قدَّمْنا الأدلةَ من الكتابِ والسُّنَّةِ على جوازِ الإخبارِ عن اللهِ بغيرِ أسمائِه وصفاتِه، ونذكرُ هنا بعضَ الألفاظِ التي أخبرَ بها الأئمةُ من السلفِ والخلفِ عن اللهِ سبحانه ولم تأتِ في الكتابِ أو السُّنَّةِ، ومن أمثلةِ ذلك[(٤)]:

الإخبارُ عن اللّهِ بـ "وبّخ":

قال الطبريُّ رحمه الله: هذه الآيةُ ممَّا وبَّخَ اللهُ بها المخاطبين من بنِي

---

(١) مسلم بشرح النووي (١/٤٦٢).

(٢) الفتح: (٦/٤٧٨).

(٣) أخرجه مسلم (٣٧-٢٧٦٢).

(٤) أكثر هذه الأمثلة نقلتها من كتاب "شرعية الإخبار عن الله بما لم يأت به قرآن أو سنة" لأبي عبد الله المصري.

إسرائيلَ[١].

قال البغويُّ رحمه الله: وبَّخَ اللهُ الكافرين بالتمتُّعِ بالطيباتِ في الدنيا[٢].

الإخبارُ عن اللهِ بـ "شَبَّهَ":

قال السيوطيُّ رحمه الله: أخرجَ الطستيُّ[٣]، عن ابنِ عباسٍ؛ أنَّ نافعَ بنَ الأزرقِ[٤] قال له: أخبِرْني عن قولِه ﷻ: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ﴾ [البقرة: ١٧١]. قال: شبَّهَ اللهُ أصواتَ المنافقين والكفارِ بأصواتِ البُهْمِ، أي: بأنَّهم لا يَعقلُون[٥].

الإخبارُ عن اللهِ بـ "عَيَّرَ":

قال ابنُ كثيرٍ رحمه الله: قال عبدُ الرزَّاقِ، عن معمرٍ، عن قتادةَ في قولِه تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾ [البقرة: ٤٤]. قال: كان بنو إسرائيلَ يأمرون الناسَ بطاعةِ اللهِ وبتقواهُ وبالبرِّ ويخالفون

(١) تفسير الطبري (١/٣٧٨).

(٢) تفسير البغوي (١/٢٦٠).

(٣) المحدّث، الثّقة، المسند، أبو الحسين عبد الصّمد بن عليّ بن محمّد بن مكرمٍ البغداديّ، الطّستيّ. وله جزءان مرويان للسّلفيّ، وعاش ثمانين سنةً.
توفّي في شعبان سنة ستٍّ وأربعين وثلاثمائة.
سير أعلام النبلاء (١٥/٥٥٦)، تاريخ بغداد (١٢/٣٠٧).

(٤) هو: نافع بن الأزرق الحروري، ينتسب اليه الأزارقة أكبر فرق الخوارج، كان أمير قومه وفقيههم. من أهل البصرة صحب في أول أمره عبد الله بن عباس
ميزان الاعتدال (٤/٢٤١)، لسان الميزان (٦/١٤٤).

(٥) الدر المنثور (١/٣٠٦).

فعَيَّرَهم اللهُ ﷻ، وكذلك قال السديُّ [(١)].

قال ابنُ عبدِ البرِّ رحمه الله: فيه دليلٌ على أنَّ الرِشوةَ عندَ اليهودِ أيضًا حرامٌ، ولولا حرمتُها عندَهم ما عَيَّرَهم اللهُ بقولِه: ﴿أَكَّـٰلُونَ لِلسُّحۡتِ﴾، وهو حرامٌ عندَ جميعِ أهلِ الكتابِ [(٢)].

الإخبارُ عن اللهِ بـ "حَثَّ":

قال أبو جريرٍ الطبريُّ رحمه الله: وإنَّما حَثَّ اللهُ تعالى ذكرُه عبادَه بهذه الآيةِ على المواظبةِ على الجهادِ في سبيلِه والصبرِ على قتالِ أعداءِ دينِه [(٣)].

قال القرطبيُّ رحمه الله: فختمَ السورةَ بالحَثِّ على اتباعِ القرآنِ وإنْ لم يكنْ مذكورًا كما قال في مفتتحِ السورةِ: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَـٰهُ فِى لَيۡلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ ﴾ [(٤)].

قال الشوكانيُّ رحمه الله[(٥)]: ثمَّ حَثَّ سبحانه على العفوِ فقال: ﴿ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ ﴾ [النحل: ١٢٦] [(٦)].

الإخبارُ عن اللهِ بـ "رَغَّبَ":

قال الحسنُ البصريُّ رحمه الله: العالِمُ من خشيَ الرحمنَ بالغيبِ ورغِبَ فيما

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٣٨١).

(٢) التمهيد (٩/ ١٤١).

(٣) الجامع لأحكام البيان (٢/ ٦٠٠).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (١٦/ ١٥٢).

(٥) هو الإمام محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني: فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن، من أهل صنعاء. ولد بهجرة شوكان ونشأ بصنعاء. وولي قضاءها سنة تسع وعشرين ومائتين وألف للهجرة ١٢٢٩ ومات حاكما بها. وكان يرى تحريم التقليد. الأعلام للزركلي (٦/ ٢٩٨)، البدر الطالع (٢/ ٢١٤).

(٦) فتح القدير (٣/ ٢٠٤) للشوكاني.

رَغَّبَ اللهُ فيه وزَهَّدَ فيما سَخِطَ الله فيه ثم تلا الحسنُ: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُاْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ [فاطر: ٢٨] (١).

الإخبارُ عن اللهِ بـ "حَكَى":

قال الشافعيُّ رحمه الله: ولم أعلمْ خلافًا في أنَّ القِصاصَ في هذه الأمةِ كما حَكَى اللهُ ﷻ أنَّه حكمَ به بينَ أهلِ التوراةِ (٢).

قال ابنُ كثيرٍ رحمه الله: وهذا كما حَكَى اللهُ تعالى عن حالِ المؤمنين الخُلَّصِ في قولِه: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ ﴾ [المؤمنون: ٦٠] (٣).

قال أبو عمرَ بنُ عبدِ البرِّ رحمه الله: وقد حَكَى اللهُ ﷻ في كتابِه العزيزِ مثلَ ذلك في قصةِ داودَ (٤).

الإخبارُ عن اللهِ بـ "خاطبَ":

قال الشافعيُّ رحمه الله: وإنَّما خاطبَ اللهُ ﷻ بفرائضِه البالغين من الرجالِ والنساءِ (٥).

قال ابنُ جريرٍ رحمه الله: خاطبَهم اللهُ والعربَ بالذي يعرفونه (٦).

قال القرطبيُّ رحمه الله: إنَّ اللهَ خاطبَهم بقولِه: ﴿أَنَّ مِنكُمۡ﴾[النساء: ٧٢](٧).

---

(١) تفسير ابن كثير (١١/ ٣٢٠).
(٢) أحكام القرآن للشافعي (١/ ٢٨١).
(٣) تفسير ابن كثير (٢/ ٧٧).
(٤) الاستذكار (٧/ ١٦٧).
(٥) الأم (٣/ ٢١٨).
(٦) تفسير الطبري (١/ ٤٦٠).
(٧) تفسير القرطبي (٥/ ٢٧٧).

قال البغويُّ رحمه الله: إنَّ اللهَ تعالى خاطبَهم بقولِه: ﴿ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ﴾ [المائدة: ٤](١).

قال ابنُ تيميةَ رحمه الله: فبتلك اللغةِ والعادةِ والعُرفِ خاطَبَهم اللهُ ورسولُه (٢).

قال ابنُ القيمِ: فأعلمَ ربُّنا تبارك وتعالى الذين خاطَبَهم بهذه الآياتِ من يهودِ بني إسرائيلَ الذين كانوا على عهدِ رسولِه (٣).

الإخبارُ عن اللهِ بـ "قَرَنَ":

قال ابنُ جريرٍ رحمه الله: فإنَّ اللهَ جلَّ ثناؤُه قد قَرَنَ بقولِه: ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ قولَه: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة: ٨١، ٨٢] (٤).

قال القرطبيُّ رحمه الله: ولهذا قَرَنَ تعالى الشكرَ لهما بشكرِه فقال: ﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ ﴾ [لقمان: ١٤] (٥).

قال ابنُ كثيرٍ رحمه الله: ثم قَرَنَ شهادةَ ملائكتِه وأُولِي العلمِ بشهادتِه فقال: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ ﴾ [آل

---

(١) تفسير البغوي (٢/١٣٨).
(٢) الفتاوى (٧/١٠٦).
(٣) إغاثة اللهفان (٢/٣٠٦).
(٤) تفسير الطبري (١/٤٢٩).
(٥) الجامع لأحكام القرآن (٢/١٨).

عمران: ١٨] [(١)].

قال ابنُ تيميةَ رحمه الله: وقَرَنَ بينَ اسمِه – اللهِ – واسمِه – النبيِّ – في المحبةِ فقال: ﴿ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [التوبة: ٢٤] [(٢)].

قال ابنُ القيمِ رحمه الله: وقد قَرَنَ اللهُ بينَهما في كتابِه في غيرِ موضعٍ [(٣)].

قال الشوكانيُّ رحمه الله: كلُّ ما نُهِيَ عنه من أولِ السورةِ قُرِنَ به وعيدٌ إلا من قولِه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمْ ﴾ [النساء: ١٩]، فإنَّه لا وعيدَ بعدَه إلا قولُه: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا﴾ [النساء: ٣٠][(٤)].

الإخبارُ عن اللهِ بـ "أضافَ":

قال البغويُّ رحمه الله: وإنَّما أضافَ اللهُ الإرسالَ إليه لأنَّ عيسَى عليه السلامُ إنَّما بعثَهم بأمرِه تعالى [(٥)].

قال الطبريُّ رحمه الله: ولذلك أضافَ اللهُ تعالى ذكرُه إلى إبليسَ خروجَ آدمَ وزوجتِه من الجنةِ[(٦)].

قال شيخُ الإسلامِ رحمه الله: وإنَّما أضافَه اللهُ إلى الرسولِ لأنَّه بلَّغَه وأدَّاه وجاءَ به من عندِ اللهِ[(٧)].

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٣٤).
(٢) مجموع الفتاوى (١/ ٥٣).
(٣) زاد المعاد (٤/ ٣٦٤).
(٤) فتح القدير (٤/ ١٨٥).
(٥) تفسير البغوي (٤/ ٩).
(٦) جامع البيان (١/ ٢٧٧).
(٧) مجموع الفتاوى (١٢/ ٣٧٧).

قال ابنُ القيم رحمه الله: كما أضافَ اللهُ إليه الفعلَ في كتابِه كلِّه، واللهُ هو الذي جعلَه فاعلاً[(١)].

قال الشوكانيُّ رحمه الله: أضافَ اللهُ سبحانه الإرسالَ إلى نفسِه في قولِه: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ﴾ [يس: ١٤] [(٢)].

الإخبارُ عن اللهِ بـ "تحدَّى":

قال الطبريُّ رحمه الله: بل مخرجُ الخطابِ بذلك عامٌّ للناسِ كافةً لهم؛ لأنه تحدَّى الناسَ كلَّهم بقولِه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١][(٣)].

قال ابنُ تيميةَ رحمه الله: فإنَّ اللهَ قد تحدَّى الخلقَ أنْ يأتُوا بسورةٍ مثلِه وأخبرَ أنَّهم لنْ يفعلُوا[(٤)].

قال الحكميُّ رحمه الله: هذا القرآنُ الذي تحدَّى اللهُ به أفصحَ الأممِ [(٥)].

الإخبارُ عن اللهِ بـ "نَزَّه":

قال ابنُ القيم رحمه الله: ولهذا أنكرَ اللهُ سبحانه على منْ جَوَّزَ عقلَه مثلَ هذا ونَزَّهَ نفسَه عنه، فقال تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴾ [القيامة: ٣٦] [(٦)].

---

(١) مدارج السالكين (٢/٢٨٥).
(٢) فتح القدير (٤/٣٦٤).
(٣) تفسير الطبري (١/٢٠٠).
(٤) الفتاوى (١٢/٤٤٢).
(٥) معارج القبول (٢/٣٩٧).
(٦) مفتاح دار السعادة (٢/٨٥).

قال ابنُ كثيرٍ رحمه الله: نَزَّهَ نفسَه الكريمةَ عن شركِهم وكفرِهم، فقال: ﴿سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [يونس: ١٨] (١).

قال ابنُ جريرٍ رحمه الله: ثم نَزَّهَ جلَّ ثناؤُه نفسَه وعظَّمها ورفعَها عمَّا قال فيه أعداؤُه الكفرةُ به، فقال: ﴿سُبْحَـٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ﴾ [النساء: ١٧١] (٢).

قال القرطبيُّ رحمه الله: (سبحانه) نزَّهَ نفسَه عن الصاحبةِ والأولادِ وعن الشركاءِ والأندادِ.

الإخبارُ عن اللهِ بـ "أنْكَرَ":

قال شيخُ الإسلامِ رحمه الله: وقد أَنْكَرَ اللهُ تعالى على المشركين نفيَهم اسمَ الرحمنِ (٣).

قال ابنُ كثيرٍ رحمه الله: وقد أَنْكَرَ عليهم ذلك في سورةِ البقرةِ (٤).

قال ابنُ القيمِ رحمه الله: ولهذا أَنْكَرَ اللهُ تعالى على من عَبَدَ من دونِه ما لا يملكُ ضرًّا ولا نفعًا، وذلك كثيرٌ في القرآنِ (٥).

الإخبارُ عن اللهِ بـ "رتَّبَ":

قال البغويُّ رحمه الله: أنَّ اللهَ تعالى رتَّبَ الطلاقَ على النكاحِ (٦).

---

(١) تفسير ابن كثير (٧/٣٤٦).
(٢) جامع البيان (٤/٣٧٥).
(٣) درء التعارض بين العقل والنقل (٢/٣٥٠).
(٤) تفسير ابن كثير (٥/١٠٣).
(٥) زاد المعاد (٣/٥١٣).
(٦) معالم التنزيل (١/٣٦١).

قال القرطبيُّ رحمه الله: رتَّبَ اللهُ سبحانه الشهادةَ بحكمتِه في الحقوقِ الماليةِ والبدنيةِ والحدودِ[(١)].

قال ابنُ تيميةَ رحمه الله: ممَّا يوضِّحُ هذا أنَّ اللهَ سبحانه في القرآنِ رتَّبَ الثوابَ والعقابَ على مجردِ الإرادةِ، كقولِه تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ﴾[(٢)].

قال السعديُّ رحمه الله: ... ما رتَّبَ اللهُ عليه الثوابَ [(٣)].

الإخبارُ عن اللهِ بـ "سَلَبَ":

قال السيوطيُّ رحمه الله: أخرجَ ابنُ عساكرَ، عن ابنِ عباسٍ؛ أنَّ آدمَ كان لغتُه في الجنةِ العربيةَ، فلمَّا عصَى سلبَه اللهُ العربيةَ [(٤)].

قال الطبريُّ رحمه الله: فلمَّا ماتوا سلبَهم اللهُ ذلك العزَّ كما سلبَ صاحبَ النارِ ضوءَه [(٥)].

قال ابنُ كثيرٍ رحمه الله: ولهذا سلبَهم اللهُ تعالى ما كان أنعمَ به عليهم وقُتِلَ من قُتِلَ منهم ببدرٍ [(٦)].

قال ابنُ تيميةَ رحمه الله: والمقصودُ أنَّ ما عندَ عوامِّ المؤمنين وعلمائِهم

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٢/ ٣٣٢).
(٢) الفتاوى (١٠/ ٧٤٤).
(٣) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٧٣).
(٤) الدر المنثور (١/ ١٥١).
(٥) تفسير الطبري (١/ ١٧٦).
(٦) تفسير ابن كثير (١٠/ ٥٣٠).

أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ من المعرفةِ واليقينِ والطمأنينةِ والجزمِ الحقِّ والقولِ الثابتِ والقطعِ بمَا هو عليه أمرٌ لا ينازِعُ فيه إلا من سلبَه اللهُ العقلَ والدينَ[(١)].

قال ابنُ القيمِ رحمه الله: فإنَّ من بخلَ بمالِه أنْ ينفقَه في سبيلِ اللهِ تعالى وإعلاءِ كلمتِه سلبَه اللهُ إيَّاه[(٢)]. انتهى.

الإخبارُ عن اللّهِ بـ "موجودٍ":

قال البيهقيُّ رحمه الله: وفي إثباتِ أسمائِه وإثباتِ صفاتِه؛ لأنَّه كونُه موجودًا فوُصفَ بأنَّه حيٌّ[(٣)].

قال ابنُ تيميةَ رحمه الله: وسائرُ صفاتِه كمالٌ، وهذا الموجودُ الواجبُ بنفسِه وهذه الصفاتُ لازمةٌ لذاتِه، وذاتُه مستلزمةٌ لها[(٤)].

قال ابنُ القيمِ رحمه الله: إنَّ ما يدخلُ في بابِ الإخبارِ عنه تعالى أوسعُ مما يدخلُ في بابِ أسمائِه وصفاتِه، كالشيءِ، والموجودِ، والقائمِ بنفسِه[(٥)].

قال ابنُ أبي العزِّ رحمه الله: فلابدَ أنْ تعتقدَ أنَّه موجودٌ وحقٌّ قائمٌ بنفسِه[(٦)].

---

(١) مجموع الفتاوى (٤/ ٤٩).
(٢) إغاثة اللهفان (٢/ ١٩٤).
(٣) الأسماء والصفات (ص: ١٦٧).
(٤) منهاج السنة (٢/ ١٧٠)، وانظر التدمرية (ص: ١٢٥)، مجموع الفتاوى (٦/ ١٤٣).
(٥) بدائع الفوائد (١/ ١٤٦).
(٦) شرح الطحاوية (ص: ٥١).

ضوابطُ الإخبارِ عن اللهِ تعالى:

يجوزُ الإخبارُ عن اللهِ تعالى بغيرِ أسمائِه وصفاتِه، وقد تقدَّمَ بيانُ ذلك وأدلتُه من الكتابِ والسُّنَّةِ، وضابطُ ذلك بشروطٍ:

الأول: ألا يتضمنَ الاسمُ نقصًا في حقِّ اللهِ؛ لأنَّه سبحانه نزَّهَ نفسَه عن صفاتِ النقصِ، وهذا بإجماعِ المسلمين، وكذا الاسمُ الذي أخبرَ به سبحانه عن نفسِه أفضلُ من غيرِه، على سبيلِ المثالِ لا يخبرُ عنه بـ "عايز"؛ لأنَّ العوزَ من الاحتياجِ وهو سبحانه الغنيُّ عن جميعِ خلقِه والجميعُ يحتاجُ إليه، ولكنْ يقالُ "يريدُ" كما جاءَ في القرآنِ.

قال ابنُ القيمِ رحمه الله: واختارَ سبحانه لنفسِه اسمَ "العِلْمِ" وما تصرَّف عنه، فوصفَ نفسَه بأنَّه عالمٌ وعليمٌ، وعلاّمٌ، ويعلمُ، وأخبرَ أنَّ له علمًا – دونَ لفظِ المعرفةِ – في القرآنِ، ومعلومٌ أنَّ الاسمَ الذي اختارَه اللهُ لنفسِه أكملُ نوعِه المشارِكُ له في معناه [1].

الثاني: أنْ يكونَ الاسمُ ليس سيئًا ولا يشترطُ أنْ يكونَ حسنًا.

الثالث: ألَّا يُتعبَدَ للهِ بها كما يُتعبَدُ بالأسماءِ والصفاتِ.

الرابع: ألَّا يكونَ من كلامِ أهلِ البدعِ؛ لأنَّه في الغالبِ يشتملُ على باطلٍ وكذبٍ على اللهِ تعالى.

قال شيخُ الإسلامِ رحمه الله: وأمَّا الإخبارُ عنه فلا يكونُ باسمٍ سيءٍ لكنْ قد يكونُ باسمٍ حسنٍ، أو باسمٍ ليسَ بسيءٍ، وإنْ لم يحكمْ بحسنِه، مثل اسمِ

---

(١) مدارج السالكين (٣/ ٣١١).

"شيءٍ، وذاتٍ، وموجودٍ".. وإنْ كان إذا أُخبِرَ عنه يُخبَرُ باسمٍ حسنٍ أو باسمٍ لا ينفِي الحسنَ، ولا يجبُ أنْ يكونَ حسنًا. وأمَّا في الأسماءِ المأثورةِ فمَا من اسمٍ إلا وهو يدلُّ على معنًى حسنٍ (١).

وقال رحمه الله في معرضِ كلامِه عن أهلِ البدعِ: وأمَّا الألفاظُ التي لا توجدُ في الكتابِ والسُّنَّةِ، بل ولا في كلامِ الصحابةِ والتابعين لهم بإحسانٍ وسائرِ الأئمةِ المسلمين لا إثباتُها ولا نفيُها وقد تنازعَ فيها الناسُ، فهذه الألفاظُ لا تُثبَتُ ولا تُنفَى إلا بعدَ الاستفسارِ عن معانيها، فإنْ وُجدتْ معانيها مما أثبتَه الربُّ لنفسِه أُثبتتْ، وإنْ وُجدتْ ممَّا نفاه الربُّ عن نفسِه نُفيت، وإن وجدنَا اللفظَ أُثبتَ به حقٌّ وباطلٌ، أو نُفِيَ به حقٌّ وباطلٌ أو كان مجمَلاً يُرادُ به حقٌّ وباطلٌ، وصاحبُه أرادَ بعضَها، لكنَّه عندَ الإطلاقِ يوهِمُ الناسَ أو يفهمُهم ما أرادَ وغيرَ ما أرادَ.

فهذه الألفاظُ لا يطلقُها إثباتُها ولا نفيُها، كلفظِ الجوهرِ والجسمِ والتحيزِ والجهةِ ونحوِ ذلك من الألفاظِ التي تدخلُ في هذا المعنَى، فقلَّ من تكلَّمَ بها نفيًا أو إثباتًا إلا وأدخلَ فيها باطلاً وإنْ أرادَ بها حقًّا.

والسلفُ والأئمةُ كرِهوا هذا الكلامَ المحدَثَ لاشتمالِه على باطلٍ وكذبٍ وقولٍ على اللهِ بلا علمٍ...

فالواجبُ أنْ يُجعلَ ما أنزَلَه اللهُ من الكتابِ والحكمةِ أصلاً في جميعِ هذه الأمورِ ثمَّ يُرَدُّ ما تكلَّمَ فيه الناسُ إلى ذلك، ويبيَّنَ ما في الألفاظِ المجملةِ من المعاني الموافقةِ للكتابِ والسُّنَّةِ فتُقبلُ، وما فيها من المعاني

---

(١) مجموع الفتاوى (٦/١٤٢-١٤٣) باختصار.

المخالفةِ للكتابِ والسُّنَّةِ فتردُّ[(١)].

قال ابنُ أبي العزِّ رحمه الله: والسلفُ لم يكرهُوا التكلَّمَ بالجوهرِ والجسمِ والعَرَضِ ونحوِ ذلك لمجردِ كونِه اصطلاحًا جديدًا على معانٍ صحيحةٍ – كالاصطلاحِ على ألفاظٍ لعلومٍ صحيحةٍ – ولا كرهُوا أيضًا الدلالةَ على الحقِّ والمحاجةِ لأهلِ الباطلِ، بل كرهُوه لاشتمالِه على أمورٍ كاذبةٍ مخالفةٍ للحقِّ، ومن ذلك مخالفتُها للكتابِ والسُّنَّةِ[(٢)].

قال الحافظُ ابنُ حجرٍ رحمه الله: واتفقُوا على أنَّه لا يجوزُ أنْ يُطلقَ على اسمٍ ولا صفةٍ تُوهِمُ نقصًا ولو وردَ ذلك نصًّا، فلا يقالُ ماهدٌ، ولا زارعٌ، ولا فالقٌ، ولا نحوُ ذلك وإنْ ثبتَ في قولِه: ﴿فَنِعْمَ ٱلْمَـٰهِدُونَ﴾، ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾، ﴿فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾ ونحوها، ولا يقالُ له ماكرٌ، ولا بنّاءٌ، وإنْ وردَ: ﴿وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ ، ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَـٰهَا﴾»[(٣)].

تمَّ بحمدِ اللهِ

(١) مجموع الفتاوى (١٧/ ٣٠٤ – ٣٠٧) باختصار.
(٢) الطحاوية (ص: ٢٤-٢٥).
(٣) الفتح (١١/ ٢٢٦).

فهرس المصادر والمراجع

١. الإبانة عن أصول الديانة ، لأبي الحسن الأشعري ، علي بن إسماعيل .

٢. الإبانة عن شريعة الفرق الناجية ومجانبة الفرق المذمومة ، لابن بطة ، أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري الحنبلي .

٣. اجتماع الجيوش الإسلامية على غـــزو المعطلة والجهمية ، لابن قيم الجوزية .

٤. أحاديث مُعلة ظاهرها الصحة ، للشيخ مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله

٥. الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ، للأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، المتوفى سنة **٧٣٩**هـ..

٦. أحكام القرآن ، لابن العربي ، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى: **٥٤٣**هـ) .

٧. الآداب الشرعية ، لأبي عبد الله محمد بن مفلح الحنبلي.

٨. الأدب المفرد ، للبخاري ، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: **٢٥٦**هـ) .

٩. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: **٤٦٣**هـ) .

١٠. الأسماء والصفات ، للبيهقي ، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: **٤٥٨**هـ) .

١١. الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر ، أبو الفضل أحمد بن علي بن

محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: **٨٥٢**هـ) .

١٢. أصول اعتقاد أهل السنة ، للالكائي = شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة .

١٣. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، للشنقيطي ، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني ، المتوفى سنة **١٣٩٣** هـ .

١٤. الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث، للبيهقي ، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: **٤٥٨**هـ) .

١٥. الأعلام ، للزركلي ، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: **١٣٩٦**هـ) .

١٦. إعلام الموقعين عن رب العالمين ، لابن قيم الجوزية ، المتوفى سنة **٧٥١**هـ .

١٧. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ، لشيخ الإسلام ابن تيمية .

١٨. إكمال المعلم شرح صحيح مسلم ، للقاضي عياض ، أبو الفضل اليحصبي ، المتوفى سنة **٥٤٤** هـ .

١٩. الإمام محمد بن عبد الوهاب دعوته وسيرته ، للشيخ ابن باز رحمه الله ، عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، المتوفى سنة **١٤٢٠** هـ .

٢٠. إنباه الرواة على أنباه النحاة ، للقفطي ، أبو الحسن علي بن يوسف ، المتوفى **٦٤٦** هـ .

٢١. الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف ، للمرداوي ، علاء الدين أبو

الحسين علي ابن سليمان الدمشقي الصالحي الحنبلي ، المتوفى سنة **٨٨٥**هـ

٢٢. الإيمان ، لابن منده ، محمد بن إسحاق بن يحيى بن منده .

٢٣. بدائع التفسير، لابن القيم.

٢٤. بدائع الفوائد ، لابن القيم ، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية ، المتوفى **٧٥١** هـ .

٢٥. البداية والنهاية ، للإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي ، المتوفى سنة **٧٧٤** هـ.

٢٦. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، للإمام الشوكاني ، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: **١٢٥٠**هـ) .

٢٧. بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ، للضبي ، أحمد بن يحيى ، المتوفى **٥٩٩** هـ .

٢٨. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، للسيوطي ، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: **٩١١**هـ) .

٢٩. بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية ، لابن تيمية ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي ، المتوفى سنة **٧٢٨** هـ .

٣٠. البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة ، لابن رشد ، أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي (المتوفى: **٥٢٠**هـ) .

٣١. تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام ، للذهبي ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: **٧٤٨**هـ)

، ط دار الغرب .

٣٢. التاريخ الأوسط ، للبخاري ، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: **٢٥٦**هـ) .

٣٣. تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم ، للتنوخي ، أبو المحاسن المفضل بن محمد بن مسعر التنوخي المعري (المتوفى: **٤٤٢**هـ) .

٣٤. تاريخ بغداد ، للخطيب البغدادي ، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: **٤٦٣**هـ) .

٣٥. تاريخ دمشق ، لابن عساكر ، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: **٥٧١**هـ) .

٣٦. تأويلات أهل السنة ، تفسير الماتريدي ، للماتريدي ، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: **٣٣٣**هـ) .

٣٧. تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد ، للألباني ، محمد ناصر الدين الألباني ، المتوفى: **١٤٢٠**هـ.

٣٨. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ، لأبي العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى، المتوفى: **١٣٥٣**هـ .

٣٩. التدمرية ، تحقيق الإثبات للأسماء والصفات ، لابن تيمية ، تقي الدين أبو العباس ، المتوفى **٧٢٨** هـ .

٤٠. تذكرة الحفاظ ، للذهبي ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، المتوفى: **٧٤٨**هـ .

٤١. التعريفات ، للجرجاني ، علي بن محمد الشريف الجرجاني ، المتوفى سنة

٨١٦ هـ .
٤٢. التعليقات الأثرية على العقيدة الطحاوية ، لجمع من العلماء ، ابن مانع وابن باز والألباني .
٤٣. تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم ، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي [٧٠٠ – ٧٧٤ هـ] .
٤٤. تفسير البغوي = معالم التنزيل ، لمحيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي [المتوفى ٥١٦ هـ] .
٤٥. تفسير الطبري = جامع البيان في تأويل القرآن ، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، [٢٢٤ – ٣١٠ هـ].
٤٦. تفسير القرطبي – الجامع لأحكام القرآن ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) .
٤٧. تفسير المنار = تفسير القرآن الحكيم ، للعلامة محمد رشيد بن علي رضا ، المتوفى ١٣٥٤ هـ .
٤٨. تقريب التهذيب ، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ) .
٤٩. التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير ، لابن حجر ، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ) .
٥٠. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، لابن عبد البر ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي

(المتوفى: ٤٦٣هـ) .

٥١. تهذيب التهذيب ، لابن حجر ، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ) .

٥٢. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للمزي ، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي (المتوفى: ٧٤٢هـ) .

٥٣. تهذيب مدارج السالكين، لابن القيم.

٥٤. التوحيد ، للماتريدي ، محمد بن محمد بن محمود ، أبو منصور ، المتوفى ٣٣٣ هـ .

٥٥. التوضيح لشرح الجامع الصحيح، لابن الملقن.

٥٦. التوقيف على مهمات التعاريف ، للمناوي ، زين الدين محمد المدعو بعد الرؤوف بن تاج العارفين القاهري ، المتوفى سنة ١٠٣١ هـ .

٥٧. تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ، لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب آل الشيخ .

٥٨. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، للسعدي ، عبد الرحمن بن ناصر ، المتوفى ١٣٧٦ هـ .

٥٩. جامع البيان ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري = تفسير الطبري .

٦٠. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم ، لابن رجب الحنبلي ، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ) .

٦١. الجامع لأحكام القرآن ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري

القرطبي = تفسير القرطبي .
٦٢. الجرح والتعديل ، لابن أبي حاتم ، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ) .
٦٣. جريدة المسلمون، عدد (٥٤٠) .
٦٤. جلال الدين السيوطي عصره وحياته وآثاره ، للدكتور طاهر سليمان حمودة .
٦٥. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح رضي الله عنها ، لابن تيمية ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ، المتوفى سنة ٧٢٨ هـ .
٦٦. الجواهر المضية في طبقات الحنفية ، لعبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي، أبو محمد، محيي الدين الحنفي (المتوفى: ٧٧٥هـ) .
٦٧. حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ، لابن القيم ، محمد بن أبي بكر ، المتوفى سنة ٧٥١هـ .
٦٨. الحاوي الكبير في الفقه الشافعي ، وهو شرح مختصر المزني ، للماوردي ، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد ، المتوفى ٤٥٠ هـ .
٦٩. حسن المحاضرة في أخبار مصر و القاهرة ، لجلال الدين السيوطي ، المتوفى ٩١١ هـ .
٧٠. الحلية = حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، لأبي نعيم ، أحمد بن عبدالله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ) .
٧١. خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ، للحموي ، محمد أمين بن

فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبي الحموي الأصل، الدمشقي (المتوفى: ١١١١هـ) .

٧٢. الدارمي = مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي) ، لأبي محمد عبدالله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (المتوفى: ٢٥٥هـ) .

٧٣. درء تعارض العقل والنقل ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ، المتوفى سنة ٧٢٨ هـ .

٧٤. الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، لعلماء نجد الأعلام .

٧٥. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد ابن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ) .

٧٦. الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج ، للحافظ السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ، المتوفى سنة ٩١١ هـ .

٧٧. ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد ، لأبي الطيب المكي ، محمد بن أحمد بن علي، تقي الدين، أبو الطيب المكي الحسني الفاسي (المتوفى: ٨٣٢هـ) .

٧٨. ذيل طبقات الحنابلة ، لابن رجب ، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ) .

٧٩. رسالة في الرد على البكري = تلخيص كتاب الاستغاثة ، لابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم .

٨٠. زاد المسير في علم التفسير ، لابن الجوزي ، جمال الدين أبو الفرج

عبدالرحمن بن علي ، المتوفى **٥٩٧** هـ .

٨١. زاد المعاد في هدي خير العباد ، لابن قيم الجوزية ، المتوفى سنة **٧٥١** هـ.

٨٢. الزواجر عن اقتراف الكبائر ، لابن حجر الهيتمي ، أحمد بن محمد بن علي ، المتوفى **٩٧٤** هـ .

٨٣. سبل السلام شرح بلوغ المرام ، للأمير الصنعاني ، محمد بن إسماعيل الكحلاني الصنعاني ، الأمير ، المتوفى سنة **١١٨٢** هـ .

٨٤. السنة ، لابن أبي عاصم ، أبو بكر بن أبي عاصم ، وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (المتوفى: **٢٨٧**هـ) .

٨٥. السنة ، لأبي بكر الخلال ، أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخَلاَّل البغدادي الحنبلي (المتوفى: **٣١١**هـ) .

٨٦. السنة ، لعبد الله بن أحمد ، أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل الشيبانيّ البغدادي (المتوفى: **٢٩٠**هـ) .

٨٧. السنة ، للإمام أحمد بن حنبل.

٨٨. سنن ابن ماجه ، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: **٢٧٣**هـ) .

٨٩. سنن أبي داود ، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: **٢٧٥**هـ) .

٩٠. سنن الترمذي = الجامع الكبير ، لمحمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: **٢٧٩**هـ) .

٩١. السنن الكبرى ، للبيهقي ، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: **٤٥٨**هـ) .

٩٢. السنن الكبرى ، للنسائي ، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ) .
٩٣. سير أعلام النبلاء ، للذهبي ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى : ٧٤٨هـ) .
٩٤. شأن الدعاء ، لأبي سليمان الخطابي ، حمد بن محمد بن إبراهيم ، الخطاب البستي ، المتوفى ٣٨٨ هـ .
٩٥. شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، لابن العماد الحنبلي ، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي ، المتوفى سنة ١٠٨٩ هـ .
٩٦. شرح أسماء الله الحسنى، للقاضي البيضاوي، المتوفى سنة ٦٨٥ هـ.
٩٧. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي ، أبو القاسم هبةالله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي (المتوفى: ٤١٨هـ).
٩٨. شرح البخاري ، لابن بطال = شرح صحيح البخاري .
٩٩. شرح السنة ، للبغوى ، مُحيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٦هـ) .
١٠٠. شرح السياسة الشرعية، للشيخ ابن عثيمين .
١٠١. شرح العقيدة الطحاوية ، لابن أبي العز ، صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي (المتوفى: ٧٩٢هـ) .
١٠٢. شرح العقيدة الطحاوية، للشيخ صالح الفوزان .
١٠٣. شرح النونية = توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة ابن القيم ، لأحمد بن إبراهيم بن حمد ، المتوفى ١٣٢٧ هـ .

١٠٤. شرح سنن أبي داود ، للعيني ، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: **٨٥٥**هـ) .

١٠٥. شرح صحيح البخاري لابن بطال ، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: **٤٤٩**هـ) .

١٠٦. شرح علل الترمذي ، لابن رجب ، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن الحنبلي ، المتوفى **٧٩٥** هـ .

١٠٧. شرح معاني الآثار ، للطحاوي ، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (المتوفى: **٣٢١**هـ) .

١٠٨. شريط "فتاوى العلماء في طاعة ولاة الأمر " .

١٠٩. الشريعة ، للآجري ، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ البغدادي (المتوفى: **٣٦٠**هـ) .

١١٠. الشعب ، للبيهقي = شُعَب الإيمان ، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: **٤٥٨**هـ) .

١١١. الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، للقاضي أبي الفضل عياض اليحصبي.

١١٢. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ، لابن قيم الجوزية ، محمد بن أبي بكر ، المتوفى سنة **٧٥١** هـ .

١١٣. الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية ، لأحمد بن مصطفى بن خليل، أبو الخير، عصام الدين طاشْكُبْري زَادَهْ (المتوفى: **٩٦٨**هـ) .

١١٤. الصارم المسلوم على شاتم الرسول ، لابن تيمية ، تقي الدين أحمد بن

عبد الحليم ، المتوفى **٧٢٨** هـ .

١١٥. الصحاح ، تاج اللغة وصحاح العربية ، للجوهري ، أبو نصر إسماعيل بن حماد ، المتوفى **٣٩٣** هـ .

١١٦. صحيح البخاري = الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه ، لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي .

١١٧. صحيح الجامع الصغير وزيادته ، للألباني ، المتوفى **١٤٢٠** هـ .

١١٨. صحيح سنن ابن ماجه ، للألباني ، المتوفى **١٤٢٠** هـ .

١١٩. صحيح سنن أبي داود ، للألباني ، المتوفى **١٤٢٠** هـ .

١٢٠. صحيح سنن الترمذي ، للألباني ، المتوفى **١٤٢٠** هـ .

١٢١. صحيح مسلم = المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: **٢٦١**هـ) .

١٢٢. الصحيحة ، للألباني = سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها ، لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: **١٤٢٠**هـ) .

١٢٣. الصلاة وحكم تاركها ، لابن القيم ، محمد بن أبي بكر ، المتوفى سنة **٧٥١** هـ .

١٢٤. الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ، لابن القيم، محمد بن أبي بكر.

١٢٥. الضعفاء الكبير ، للعقيلي ، أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن

حماد العقيلي المكي (المتوفى: **٣٢٢**هـ) .

١٢٦. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، للسخاوي ، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (المتوفى: **٩٠٢**هـ) .

١٢٧. طبقات ابن سعد = الطبقات الكبرى ، لأبي عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: **٢٣٠**هـ) .

١٢٨. طبقات ابن قاضي شهبة = طبقات الشافعية ، لأبي بكر بن أحمد بن محمد ، الشهبي الدمشقي ، تقي الدين ابن قاضي شهبة ، المتوفى سنة **٨٥١** هـ .

١٢٩. طبقات الحفاظ، للسيوطي ، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (المتوفى: **٩١١**هـ) .

١٣٠. طبقات الحنابلة ، لأبي الحسين ابن أبي يعلى، محمد بن محمد (المتوفى: **٥٢٦**هـ) .

١٣١. طبقات الشافعية الكبرى ، للسبكي ، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: **٧٧١**هـ) .

١٣٢. طبقات الشافعيين، للإمام ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: **٧٧٤**هـ) .

١٣٣. طبقات المفسرين ، للداوودي ، محمد بن علي بن أحمد الداوودي المالكي ، المتوفى **٩٤٥** هـ .

١٣٤. طبقات النسابين ، للشيخ بكر أبو زيد ، بكر بن عبد الله أبو زيد بن محمد

بن عبد الله بن بكر بن عثمان بن يحيى بن غيهب بن محمد (المتوفى: ١٤٢٩هـ) .

١٣٥. الطيالسي = مسند أبي داود الطيالسي ، أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصرى (المتوفى: ٢٠٤هـ) .

١٣٦. ظلال الجنة في تخريج السنة، للألباني رحمه الله ، المتوفى ١٤٢٠ هـ .

١٣٧. العرش وما رُوِي فيه ، لأبي جعفر محمد بن عثمان بن أبي شيبة العبسي (المتوفى : ٢٩٧هـ) .

١٣٨. العقيدة الأصفهانية ، لابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم ، المتوفى ٧٢٨ هـ.

١٣٩. العقيدة التدمرية = التدمرية ، لابن تيمية .

١٤٠. عقيدة السلف أصحاب الحديث = اعتقاد السلف أصحاب الحديث ، للحافظ الإمام شيخ الإسلام أبي عثمان إسماعيل الصابوني .

١٤١. العقيدة الواسطية ، اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة ، لشيخ الإسلام ابن تيمية المتوفى ٧٢٨ هـ ، بشرح العثيمين ، محمد بن صالح بن محمد العثيمين ، المتوفى ١٤٢١ هـ .

١٤٢. علل الترمذي الكبير ، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سَورة الترمذي ، المتوفى ٢٧٩ هـ .

١٤٣. العلل المتناهية في الأحاديث الواهية ، لابن الجوزي ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) .

١٤٤. عُمدة القاري شرح صحيح البخاري، للبدر العيني ، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: ٨٥٥هـ) .

١٤٥. عمل اليوم والليلة ، لابن السني ، أحمد بن محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن أسباط بن عبد الله بن إبراهيم بن بُدَيْح، الدِّيْنَوَرِيُّ، المعروف بـ«ابن السُّنِّي» (المتوفى: ٣٦٤هـ) .

١٤٦. العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم ، لابن الوزير، محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي، أبو عبدالله، عز الدين، من آل الوزير (المتوفى: ٨٤٠هـ) .

١٤٧. غاية النهاية في طبقات القراء ، لشمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: ٨٣٣هـ) .

١٤٨. الفتاوى الكبرى ، لابن تيمية ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ، المتوفى ٧٢٨ هـ .

١٤٩. فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ، برئاسة العلامة ابن باز.

١٥٠. فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، للحافظ ابن حجر العسقلاني ، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي .

١٥١. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، للشوكاني ، محمد بن علي الشوكاني اليمني ، المتوفى ١٢٥٠ هـ .

١٥٢. فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، لعبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب آل الشيخ .

١٥٣. الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية ، للأسفراييني ، عبد القاهر بن طاهر ، المتوفى ٤٢٩ هـ .

١٥٤. الفصل في الملل والأهواء والنحل ، لابن حزم الظاهري .

١٥٥. فضائل الصحابة ، لأحمد بن حنبل ، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) .

١٥٦. الفوائد البهية في تراجم الحنفية ، للكنوي ، محمد بن عبد الحي ، المتوفى ١٣٠٤ هـ .

١٥٧. فوات الوفيات ، لمحمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر ، الملقب بصلاح الدين (المتوفى: ٧٦٤هـ) .

١٥٨. فيض القدير شرح الجامع الصغير ، لزين الدين محمد المدعو بعبدالرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ) .

١٥٩. قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ، لابن تيمية ، تقي الدين أبو العباس، المتوفى ٧٢٨ هـ .

١٦٠. القاموس المحيط ، للفيروز آبادي ، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب ، المتوفى ٨١٧ هـ .

١٦١. القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى ، لابن العثيمين ، محمد بن صالح بن محمد العثيمين ، المتوفى ١٤٢١ هـ .

١٦٢. القوانين الفقهية ، لابن جزي ، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: ٧٤١هـ) .

١٦٣. القول السديد شرح كتاب التوحيد ، للسعدي ، عبد الرحمن بن ناصر ، المتوفى ١٣٧٦ هـ .

١٦٤. الكامل في ضعفاء الرجال، لابن عدي ، أبو أحمد بن عدي الجرجاني (المتوفى: ٣٦٥هـ) .

١٦٥. الكـبير ، للطبراني = المعجم الكـبير للطبراني .
١٦٦. كتاب التوحيد ، للإمام محمد بن عبد الوهاب ، بشرح ابن العثيمين
١٦٧. كـشف الخفـاء ومزيـل الإلبـاس عـما اشـتهر مـن الأحاديث عـلى ألـسنة النـاس، للعجلـوني ، إسـماعيل بـن محمـد العجلـوني الجراحـي (المتـوفى: ١١٦٢هـ) .
١٦٨. كـشف الظنـون عـن أسـامي الكتـب والفنـون ، لحـاجي خليفـة ، المتـوفى ١٠٦٧ هـ .
١٦٩. الكليـات ، معجـم في المـصطلحات والفـروق اللغويـة ، للكـــفوى ، أيوب بن موسى أبو البقاء الحنفي ، المتوفى سنة ١٠٩٤ هـ .
١٧٠. لسان العرب ، لابن منظور ، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) .
١٧١. لقاءات الباب المفتوح ، للشيخ ابن عثيمين ، المتوفى ١٤٢١ هـ .
١٧٢. المبـدع شرح المقنـع ، لابـن مفلـح ، إبـراهيم بـن محمـد ، برهـان الـدين الحنبلي ، المتوفى ٨٨٤ هـ .
١٧٣. مجموع الفتاوى ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، المتوفى ٧٢٨ هـ .
١٧٤. مجموع الفتاوى والمقالات = مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز .
١٧٥. المجمـوع شرح المهـذب ، للنـووي ، أبـو زكريـا محـي الـدين بـن شرف النووي المتوفى سنة ٦٧٦ هـ . طبع مع تكملتيه للسبكي والمطيعي .
١٧٦. مجموع فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم = فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ ، المتوفى سنة ١٣٨٩ هـ .

١٧٧. مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز، المتوفى سنة **١٤٢٠** هـ .
١٧٨. مجموعة مؤلفات الشيخ = مجموعة مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب .
١٧٩. محاسن التأويل = تفسير القاسمي ، لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي ، المتوفى سنة **١٣٣٢** هـ .
١٨٠. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز= تفسير ابن عطية ، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن ابن تمام بن عطية المحاربي ، المتوفى **٥٤٢** هـ .
١٨١. المحلى ، لابن حزم الظاهري ، أبو محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم، المتوفى سنة **٤٥٦** هـ.
١٨٢. مختار الصحاح ، لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي .
١٨٣. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، لابن القيم ، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، المتوفى **٧٥١** هـ .
١٨٤. مسائل الإمام أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه ، لإسحاق بن منصور الكوسج ، المتوفى **٢٥١** هـ .
١٨٥. المستدرك على الصحيحين، للحاكم ، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبدالله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: **٤٠٥**هـ).
١٨٦. مسلم بشرح النووي = شرح مسلم للنووي .
١٨٧. مسند أبي يعلى ، لأبي يعلى أحمد بن علي بن المثُنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي (المتوفى: **٣٠٧**هـ) .

١٨٨. مسند إسحاق بن راهويه ، أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم الحنظلي المروزي المعروف بـ ابن راهويه (المتوفى: ٢٣٨هـ) .

١٨٩. مسند الإمام أحمد .

١٩٠. مسند الإمام أحمد بن حنبل ، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) .

١٩١. مسند الحميدى ، أبو بكر عبد الله بن الزبير بن عيسى بن عبيد الله القرشي الأسدي الحميدي المكي (المتوفى: ٢١٩هـ) .

١٩٢. مشاهير علماء نجد وغيرهم ، لعبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب .

١٩٣. مصنف ابن أبي شيبة ، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار ، المؤلف: أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ) .

١٩٤. مصنف عبد الرزاق ، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: ٢١١هـ) .

١٩٥. مطالب أولى النهى في شرح غاية المنتهى ، للسيوطي ، مصطفى بن سعد ، الرحيباني الدمشقي الحنبلي ، المتوفى ١٢٤٣ هـ .

١٩٦. مع صاحب الفضيلة والدنا الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله ، للعلامة عطية محمد سالم رحمه الله .

١٩٧. معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول ، لحافظ بن أحمد بن علي الحكمي ، المتوفى سنة ١٣٧٧ هـ .

١٩٨. معالم التنزيل ، للبغوي = تفسير البغوي .

١٩٩. معالم السنن ، وهو شرح سنن أبي داود ، لأبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (المتوفى: ٣٨٨هـ) .

٢٠٠. معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى ، للشيخ الدكتور محمد بن خليفة التميمي ، عضو هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

٢٠١. معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، لياقوت الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ) .

٢٠٢. معجم الصحابة ، لابن قانع ، أبو الحسين عبد الباقي بن قانع بن مرزوق بن واثق الأموي بالولاء البغدادي (المتوفى: ٣٥١هـ) .

٢٠٣. المعجم الكبير ، للطبراني ، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ) .

٢٠٤. معجم المؤلفين ، لعمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشقي (المتوفى: ١٤٠٨هـ) .

٢٠٥. معجم مقاييس اللغة = مقاييس اللغة لابن فارس .

٢٠٦. المعلم بفوائد مسلم ، لمحمد بن علي بن عمر المازري.

٢٠٧. المغني شرح مختصر الخرقي ، لابن قدامة ، موفق الدين عبد الله بن أحمد ، المتوفى ٦٢٠ هـ .

٢٠٨. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ، لابن قيم الجوزية ، محمد بن أبي بكر ، المتوفى سنة ٧٥١ هـ .

٢٠٩. المفردات ، للراغب الأصفهاني = مفردات غريب القرآن ، لأبى

القاسم الحسين بن محمد، المعروف بالراغب الأصفهانى ، المتوفى سنة ٥٠٢ هـ .

٢١٠. المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ، للحافظ أبي العباس أحمد بن أبي حفص عمر ، الأنصاري القرطبي .

٢١١. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، للأشعري ، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري (المتوفى: ٣٢٤هـ) .

٢١٢. مقاييس اللغة لابن فارس = معجم مقاييس اللغة = مقياس اللغة ، لأحمد بن فارس القزويني ، المتوفى ٣٩٥ هـ .

٢١٣. المقدمات الممهدات ، لابن رشد ، أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي (المتوفى: ٥٢٠هـ) .

٢١٤. المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى ، للغزالي ، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي ، المتوفى ٥٠٥ هـ .

٢١٥. الملل والنحل ، للشهرستاني ، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم ، المتوفى ٥٤٨ هـ .

٢١٦. مناهج المفسرين ، محاضرة للشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ .

٢١٧. منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية ، لابن تيمية ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ، المتوفى ٧٢٨ هـ .

٢١٨. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ).

٢١٩. موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، لأبي الحسن نور الدين علي بن أبي

بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ) .
٢٢٠. مواهب الجليل في شرح مختصر خليل ، للحطاب ، شمس الدين أبوعبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي، المعروف بالحطاب الرُّعيني المالكي (المتوفى: ٩٥٤هـ) .
٢٢١. الموسوعة المفصلة في الفرق والأديان والملل، إعداد مكتب التبيان .
٢٢٢. الموطأ ، للإمام مالك ، مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى: ١٧٩هـ).
٢٢٣. ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، للإمام الذهبي ، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) .
٢٢٤. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، لشهاب الدين أحمد بن المقري التلمساني .
٢٢٥. النهاية في غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير ، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري .
٢٢٦. نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار ، للشوكاني ، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ) . ط دار الحديث.
٢٢٧. هداية القاري إلى تجويد كلام الباري ، لعبد الفتاح بن السيد عجمي بن السيد العسس المرصفي المصري الشافعي ، المتوفى ١٤٠٩ هـ .
٢٢٨. الهداية في شرح بداية المبتدي ، للمرغيناني ، علي بن أبي بكر ، الحنفي ، المتوفى ٥٩٣ هـ .
٢٢٩. الوافي بالوفيات ، للصفدي ، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (المتوفى: ٧٦٤هـ) .

٢٣٠. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ).

فهرس الموضوعات